البدو



الجزء الأول

مابين النهرين "العراق الشمالي" وسورية

تأليف

ماكس فرايهير فون أوبنهايم
آرش برونيلش و فرنر كاسكل



تحقيق وتقديم

ماجد شبر

البدو

Max Freiherr von Oppenheim

Die Beduinen

Unter Mitarbeitung von

Erich Bräunlich und Werner Caskel

Band I

Die Beduinenstämme in Mesopotamien und Syrien

OTTO HARRASSOWITZ
1939 Leipzig

GEORG OLMS VERLAG
1983 Zürich

(ISBN 3487 07348 x)

First Published in Arabic by Al Warrak publishing Ltd. UK in 2004

The Publication of this work was supported by a grant from the Goethe-Institut Inter nationes

ساهمت مؤسسة غوتا - إنترناسيونس مشكورة في بعض تكاليف هذه الترجمة

ISBN (Volume one) 1 900 700 36 0

البدو

الجزء الأول

ما بين النهرين "العراق الشمالي" وسورية

تأليف

ماكس فرايهير فون أوبنهايم

آرش برونيلش و فرنر كاسكل

ترجمة الجزء الأول: ميشيل كيلو ـ محمود كبيبو

تحقيق وتقديم ماجد شبّر

شركة دار الوراق للنشر المحدودة

المملكة المتحدة ـ لندن

الطبعة العربية الأولى

لشركة دار الوراق للنشر المحدودة المملكة المتحدة 2004

First Published in Arabic by Al Warrak publishing Ltd. UK in 2004
ISBN (Volume one) 1 900 700 36 0

التـوزيـع

Al Warrak publishing Ltd.
56 Gloucester Road
Suite 500
London SW7 4UB -UK
Tell. 00 44 208 723 2775
Fax. 00 44 207 281 9213
www.alwarrakbooks.com
e-mail: publisher@alwarrakbooks.com

الفرات للنشر والتوزيع
ص.ب 6435 ـ 113 بيروت ـ لبنان
هاتف: 961 - 1 - 750054
فاكس: 961 - 1 - 750053
e-mail: Info@alfurat.com

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والتقدير لكل من ساعدنا في تحقيق الكتاب ومراجعته من خلال توفير المصادر والمراجع ونخص بالذكر الأستاذ بيتر كولڤن أمين عام مكتبة جامعة لندن للدراسات الشرقية والإفريقية (SOAS)؛ الذي لم يتوان عن توفير أغلب المصادر التاريخية للطباعات التي اعتمدها المؤلف ومساعدوه باللغة العربية والإنكليزية.

وكذلك أشكر الدكتور عبد الله العذري الذي لم يتردد في تقديم المعلومات والوصول إلى المصادر.

كذلك أشكر الدكتور وولف ليمكا أمين مكتبة المعهد الألماني للأبحاث الشرقية.

وكذلك الأستاذ غيلبرت توشمان (كاتبة سيرة أوبنهايم) بتزويدي بمعلومات عن المؤلف والسماح لي بالاطلاع على مخطوطات ودراسات أوبنهايم. ولا بد من شكر الأستاذ محمود كبيبو المترجم البارع الذي بذل جهداً كبيراً في ترجمة الكتاب والذي لم يملّ من كثرة ملاحظاتي المملّة أحياناً.



المؤلف ومساعدوه



البارون ماكس فرايهير فون اوبنهايم



البروفسير آرش برونيلش



البروفسير فرنر كاسكل

والموصى اليه كان في بيتي ضيفا وعرفنا المحبة والصداقة والخصال غير الردية وصار اكرامه من اكرامنا

السلام الى من تقف الكتاب وسفهم المجوب من كافة الجمد وشمر وغيرهم
من خصوص ناقل الخط فهو من اشرف الاخوان والامثال فنصرحاكم قطعة المانيا باروسا
مكسى افنديم وبادجب في طريق السياحة بين في الدولة العلية ابد هارب البوية ينشرف في الولايات
المتجاورات موصل وبغداد والبصرة والذي يتعرضه او يعارضه على غير رضاه فهو المذنب الخاطي
وكلا يكسب الا الغضب من كل الوجوه ولاجل هذا عرضنا النصايح لمن يسمع الكلام والختام

توصية من الشيخ فارس بك (قائم مقام شمر) الى المؤلف لتسهيل مهمته.

المساهمون في الجزء الأول

* تحقيق ومراجعة وتدقيق: ماجد شبّر.

* ترجمة: ميشيل كيلو ـ محمود كبيبو.

* مراجعة: إبراهيم الحيدري.

* التصحيح اللغوي: نور الدين أحمد ـ عبد الرزاق الدجيلي.

* التنضيد والصف والإخراج: زهرين ـ بيروت.

* المتابعة والإشراف: ماجد شبّر.

* إعداد وتصميم بعض مشجرات القبائل: ماجد شبّر.

* تصميم الأغلفة: جبران مصطفى.

* الخطوط: الخطاط بعيون.

الفهرس الجزء الأول

تقديم موجز للكتاب .... ض
تقديم الطبعة العربية 1
مقدمة المؤلف 51
طبيعة البدو 75
مدخل للكتاب ....

القسم الأول

بلاد ما بين النهرين «العراق الشمالي»

مقدمة بلاد ما بين النهرين «العراق الشمالي» 101
عنزة 119
عنزة ـ الفدعان 138
أسرة شيوخ الفدعان 142
مشجرة نسب أسرة الشيوخ ابن مهيد 148
عنزة ـ سبعة 151
عنزة ـ عمارات 155
مشجرة نسب شيوخ العمارات ـ ابن هذال ـ 158
عنزة ـ الحسنة 161
مشجرة نسب أسرة الشيوخ ابن ملحم 162
أسرة شيوخ الحسنة 165

عنزة ـ ولد علي 166

أسرة شيوخ ولد علي 170

مشجرة نسب عائلة ابن سُمير 172

عنزة ـ رولة 173

أسرة شيوخ الرولة 181

مشجرة نسب أسرة شيوخ ابن شعلان 187

مشجرة نسب عنزة 190

جداول قبائل عنزة 197

أ ـ ضنا البشر

1 ـ الفدعان 2 ـ السبعه 3 ـ العمارات

ب ـ ضنا مسلم

1 ـ الحسنة 2 ـ ولد علي 3 ـ الرولة 4 ـ السوالمه 5 ـ العبد الله 6 ـ الاشاجعة.

شمّر 217

أسرة شيوخ شمّر 234

مشجرة نسب بيت محمد «آل عمشه وآل فرحان» 244

أنساب شمّر 248

جداول قبائل شمّر 254

أ ـ شمّر سورية (شمّر الغرب)

ب ـ شمر العراق (شمّر الشرق)

جـ ـ شمّر دهام بن الهادي

طي 262

مشجرة نسب أسرة شيوخ طي 273

جداول قبائل طي

أ ـ طي نصيبين

ب ـ طي الشمامك

جحيش 278

زبيد 279
زبيد ـ الجبور 283
زبيد ـ دليم 286
مشجرة نسب الدليم 289
زبيد ـ عبيد 293
أسرة شيوخ العبيد 296
جداول قبائل الزبيد
أ ـ الجبور ب ـ الدليم جـ ـ العبيد
البو شعبان 315
البو شعبان ـ الولدة 317
البو شعبان ـ العفاضلة 320
البو شعبان ـ السبخة 321
جداول قبائل البو شعبان 322
أ ـ الولدة ب ـ العفاضلة جـ ـ السبخة
عقيدات «عگيدات» 327
جداول قبائل العقيدات 331
جيس (قيس) 335
جداول قبائل جيس 344
ألبو عساف 347
جداول قبيلة البو عساف 348
عدوان 349
جدول قبيلة العدوان 352
البقاره 357
مشجرة نسب البقارة 361
جداول قبائل البقارة 365
أ ـ بقارة الزور ب ـ بقارة الجبل

حرب 373
جدول قبيلة حرب 376
شرابين 378
مشجرة نسب الطفيحيين 382
جداول قبيلة الشرابين 383
النعيم 386
جداول قبائل النعيم 390
أ ـ نعيم الجزيرة ب ـ نعيم جبل حمرين
حديدين 392
قبائل في وادي الفرات بين بيره جك والفلوجة 395
جدول قبائل وادي الفرات 397
قبائل وادي دجلة من جزيرة ابن عمر إلى سامراء 399
جدول قبائل وادي دجلة من جزيرة ابن عمر إلى سامراء 401
قبائل في عمق الجانب الشرقي لنهر دجلة 403
جدول قبائل في عمق الجانب الشرقي لنهر دجلة 404

القسم الثاني

سورية

مدخل 409
قبائل مستقرة قرب حلب 427
جدول القبائل المستقرة قرب حلب 428
هنادي 431
حديدين 434
جدول حديدين 436
قبائل حلب الرحل الصغيرة 439
جدول قبائل حلب الرحل الصغيرة 440

الموالي 442
أسرة شيوخ الموالي، أبو ريشة 451
جدول قبائل الموالي 455
مشجرة نسب الأبوريشة في القرنين 16، 17 458
مشجرة نسب الأبو ريشة (أمراء القِبليين) 460
قبائل حماه الصغيرة 462
جدول قبائل حماه الصغيرة 464
بني خالد 465
مشجرة نسب أسرة شيوخ بني خالد 468
جدول قبائل بني خالد 471
فواعرة 474
جدول قبيلة الفواعرة 476
نعيم 478
جداول قبائل النعيم 480
أ ـ نعيم الغوطة ب ـ نعيم الجولان
قبائل صغيرة قرب دمشق 484
جدول قبائل صغيره قرب دمشق 485
عمور 486
جداول قبائل العمور 487
أ ـ عمور الديرة ب ـ مهارشة
عرب اللجاة (السلوط) 489
جدول عرب اللجاة (السلوط) 490
عرب الجبل 492
جداول عرب الجبل 494
أ ـ زبيد ب ـ وسامه الباهن
عرب الصفاه 496

فضل (طي السورية) 498
مشجرة نسب أسرة شيوخ إبن الجراح 502
أسرة أمراء الفاعور وأسلافها 510
مشجرة نسب آل الفضل وآل علي 524
مشجرة نسب أسرة آمراء الفاعور 528
جدول قبائل الفضل 529
قبائل الجولان الصغيره 531
جدول قبائل الجولان الصغيره 533
سرديه 535
الفحيلي 541
جدول السرديه 542
إضافات وتصحيحات 543
تقديم موجز للكتاب باللغة الألمانية 549

تقديم موجز للكتاب والترجمة إلى اللغة العربية والأشخاص الذين تولوا الترجمة والتحقيق والتدقيق

ما من وصف للكتاب أدقّ مما قاله المؤلف نفسه. ففي مقدمة الجزء الأول يقول ماكس فرايهرفون أوبنهايم: «إن هذا الكتاب حصيلة أربعين عاماً من العمل والملاحظات والتسجيلات الشخصية التي قمت بها في عين المكان». ويندر أن انشغل شخص بالشرق مثل أوبنهايم. فقد قضى عقوداً عديدة في المنطقة وجمع ميدانياً من أرض الواقع المواد والخبرات لكتبه عن المنطقة وخاصة لكتابه «البدو». على الرغم من ذلك ظل عمله الفريد من نوعه بلا ترجمة إلى اللغة العربية حتى الآن.

شارك في ترجمة الكتاب وتدقيقه لغوياً وعلمياً العديد من الأشخاص المتخصصين الذين لديهم خبرة طويلة في الترجمة وفي فهم الثقافتين العربية والغربية لا سيّما الألمانية. من هؤلاء الأشخاص نخص بالذكر التالين:

1 ـ ميشيل كيلو (ترجم الجزء الأول بمشاركة محمود كبيبو)، صحفي سوري يعيش في دمشق. درس السيد كيلو في الستينات الماضية العلوم السياسية في جامعة القاهرة وجامعة مونستر (وستفاليا)، ثم درس الصحافة في جامعة ميونخ.

2 ـ محمود كبيبو (ترجم الأجزاء 2، 3، 4، وشارك في ترجمة الجزء

الأول). درس السيد كيبيو العلوم الاقتصادية في جامعة فريدريش فيلهلم في بون ((1963 ـ 1968) 1969 ـ 1987 عمل في سورية وكان خلال هذه الفترة يترجم باستمرار دراسات وتقارير صحفية وغير ذلك لأغراض وجهات مختلفة من بينها سفارة جمهورية المانيا الاتحادية في دمشق.

في عام 1987 عاد إلى ألمانيا. ومنذ ذلك الحين انشغل بشكل مكثف بالترجمة من اللغة الألمانية إلى اللغة العربية. فترجم عدة كتب علمية، من بينها:

- الطوطم والتابو لزيغموند فرويد بالاشتراك مع بو علي ياسين.
- في البدء كان الهيدروجين، هو يمارفون ديتفورت.
- عبد الله القصيمي، من أُصولي إلى ملحد، يورغن فازلاً.

ومنذ عام 1990 ترجَم كثيراً من منشورات الحكومة الألمانية باللغة العربية، وعلى رأسها:

- مجلة «دويتشلاند» التي كانت تصدر مرة كل شهرين (68 صفحة).
- الكتاب السنوي «حقائق عن ألمانيا» (500 صفحة).
- منشورات أخرى للحكومة الإتحادية ووزارة الخارجية الألمانية.

3 ـ ماجد عبد علي ناجي شبر، كاتب وباحث من العراق يعيش في لندن قام السيد شبر بنشر العديد من الكتب باللغة العربية. نذكر منها:

- الأدب الشعبي العراقي.
- المقام العراقي (الموسيقى الفولكلورية).
- القصص الشعبية العراقية.
- ثورة 14 تموز وتأثيراتها الاجتماعية.

السيد شبر واحد من المتخصصين بالدراسات الفلوكلورية وكذلك بشؤون البدو. فمنذ 20 عاماً يهتم اهتماماً مكثفاً بتاريخهم وأنسابهم وطريقة حياتهم، وما

يتصل بها من القضايا. إنه في الحقيقة يُعد طاقة متميزة في هذا المجال ساهمت مساهمة حاسمة في جعل الدار تتجرأ على نشر هذا العمل الكبير باللغة العربية. السيد ماجد شبر خريج جامعة بغداد ـ 1979/ 80/ وباحث حر في جامعة لندن ـ الدراسات الشرقية منذ عام 1990 وإلى الآن، فضلاً عن ذلك فقد كتب السيد شبَّر مقدمة مطولة للترجمة العربية لها أهمية كبيرة لفهم الكتاب باللغة العربية والتعامل معه بطريقة صحيحة.

تتألف المقدمة باختصار من النقاط الرئيسية التالية:

1 ـ تقديم مسهب للمؤلف والكتاب.

2 ـ توضيح المكانة المتميزة للكتاب بين الكتب الأخرى المتعلقة بالبدو.

3 ـ شروحات تساعد على فهم الكتاب وفهم العلاقات المعقدة بين القبائل المختلفة. ولهذا الغرض كان من الضروري بشكل خاص إعداد وتصميم مشجرات النسب، الأمر الذي تطلب جهداً كبيراً ودقة متناهية في العمل.

لقد قام أوبنهايم بعمل كبير لا يضاهيه به أحد قبله (ولا بعده) وهو أنه كتب أسماء جميع القبائل والشيوخ والمواقع بالأحرف اللاتينية بطريقة تجعل إعادتها إلى اللغة العربية ولفظها باللغة العربية ممكنة بطريقة قريبة جداً من الصحيح. ولكن مع ذلك تطلبت إعادة الأسماء إلى اللغة العربية قدراً كبيراً من الدقة والانتباه، وهذا ما قام به السيد شبر.

فقد دقق جميع الأسماء وجميع النصوص (أبيات شعر، أقوال مأثورة، صيحات حرب، وغير ذلك) التي كتبها أوبنهايم نفسه باللغة العربية (ولكن بأحرف لاتينية) وتأكد من صحة إعادتها إلى اللغة العربية.

وختاماً يمكن القول أن الكتاب سيصدر باللغة العربية بصيغة ممتازة.

محمود كبيبو

برلين

تقديم الطبعة العربية

صدّر البارون أوبنهايم كتابه بمقدمة وافية، تجلت بأوضح صورة واشملها، مقدّماً تاريخ مشروعه ومحتوى مادته. يقول أوبنهايم عن أهمية الكتاب: «سيقدم كتابنا هذا معطيات إلى كل من يبحث عن معلومات حول سائر المسائل المتعلقة بأبناء الصحراء»[1]، والتي تعني كل المعطيات التاريخية والسياسية والإقتصادية والأنثروبولوجية والإجتماعية وكذلك وصفاً للطبيعة الجغرافية.

من المعروف أنَّ لكل عمل مشاكله، فكيف الحال في هذا العمل الكبير الضخم من ترجمة وتحقيق وتدقيق، والذي عملنا فيه جاهدين، آملين أن يخرج بأكمل صورة، يقول رسول الله ﷺ «رحم الله امرءاً عمل عملاً فأتقنه»، إتباعاً لطريق عمل المؤلف ومساعديه في إعداد هذا العمل الشامل والدقيق، كان علينا أن نحذو حذوهم، ونتلافى فيه أخطاء الترجمة حسب المقدرة وذلك من خلال مراجعة الكتاب، وتحقيق نصوصه وتدقيق الأسماء وتصحيح ما وقع فيها من تحريف.

إن كتاب البدو هذا الذي بين أيدينا بأجزائه الأربعة هو حصيلة جهد عظيم وكبير قام به المستشرق، الآثاري، والسياسي، والقانوني، والدبلوماسي البارون

(1) أوبنهايم، البدو الجزء الأول ص51.

ماكس فون أوبنهايم، وساعده وشاركه فيه عالمان ألمانيان جليلان هما البروفسير ايريش برونيلش، والبروفسير فرنر كاسكل، وبمساعدة مجموعة كبير من الأشخاص المتمكنين، الذي جعلوا هذا المشروع قابلاً للتنفيذ لكي يخرج بهذا الشكل الفخم الواسع.

إن كتاب البدو هذا يعدُّ من أجلّ الدراسات وأكثرها عمقاً في فهم القبائل البدوية ودراستها دراسة تاريخية اجتماعية واقتصادية وسياسية وأنثروبولوجية. وهو يقدم معلومات شاملة وفريدة من نوعها عن تاريخ القبائل وأصولها وأنسابها وهجراتها والترابط القائم بينها.

يقول المؤلف: «إنّ هذا الكتاب حصيلة أربعين عاماً من العمل والملاحظات والتسجيلات الشخصية التي قمتُ بها في عين المكان»[1]. وقد صدر الجزء الأول والثاني من الكتاب في حياة مؤلفه أوبنهايم، ومساعده بروينلش، أما الجزء الثالث والرابع، فقد أخذا عشرين سنة أخرى لكي يُبصرا النور، بعدما اشرف عليهما ونقحهما وأضاف إليهما إضافات مهمة البروفسير كاسكل.

ذكر المؤلف أنه سار باتجاهين في إعداد الكتاب:ـ

الأول: إنجاز دراسة وافية للحياة المادية والثقافية للبدو.

الثاني: متابعة أعرافهم وعاداتهم ومراقبة حياتهم داخل الأسرة والقبيلة وحيال المتسبين إليهم وتدوين مأثورات وأساطير قبائلهم. وكذلك تدوين ملاحظات مهمة حول الحياة الداخلية لهذه القبائل، من سلطة الشيوخ والأعراف البدوية وعادات الأعراس والزواج وحق الضيافة والحماية (الإجارة) وكذلك الاهتمام بالحياة الدينية[2].

وعلى وفق هذين الاتجاهين، قام المؤلف بدراسة عادات وتقاليد القبائل

---

(1) أوبنهايم، البدو الجزء الأول ص51.

(2) أوبنهايم، البدو الجزء الأول ص62.

البدوية في المناطق التي توجد فيها تلك القبائل كمنطقة سيناء، والأردن. حيث سجّل بعض العادات والتقاليد البدوية والتي منها على سبيل المثال اجتماع أفراد أحد القبائل حول قبر أحد الأشخاص وسبه سباً مقذعاً، أو ذبح بعض الأضاحي ورمي أجزائها في البحر، بالإضافة إلى قيامه بتسجيل الحكاوى المتعلقة بأصول بعض القبائل، فسجّلها كما رويت له مختلطة بها الأسطورة والتاريخ. لقد قام المؤلف بتسجيل تلك الحكايات، لكنّه وقف منها موقف الباحث الذي يتوخى الجانب العلمي. كمثال على ذلك، إن الحكاية التي تدعيها قبيلة البقارة في سورية لإثبات نسبها إلى الإمام محمد الباقر، هي من تلك الحكايات الأسطورية التي يقوم بتحليلها ومن ثم تفنيد علة ربط ذلك النسب.

ومن خصائص هذا الكتاب أيضاً، قيامه بمعالجة القبائل من الناحية الجغرافية، فهو يقوم بتصنيف القبائل المختلفة إلى مجموعات بحسب المناطق الجغرافية المختلفة على خلاف ما هو متبع بكتب الأنساب. إن المساحة الجغرافية التي يشملها البحث كبيرة من حيث تتوزع بين العراق، سورية، المملكة العربية السعودية بأقاليمها (الحجاز ونجد والإحساء)، وبين الكويت، قطر، البحرين، الإمارات، الأردن، فلسطين، سيناء بالإضافة إلى قسم من القبائل التي تعيش داخل تركية الحالية، وكذلك قبائل وعشائر عربستان أو ما يطلق عليه خوزستان إيران. بل يمكن القول أنه يتناول كل القبائل العربية في آسية.

لقد صدر عدد من الكتب التي تبحث في موضوع القبائل والعشائر بأسلوب أكاديمي ولكن أغلبها يقتصر بحثها على قبيلة واحدة، أو جزء من قبيلة كحال دراسة قبيلة الرولة أو يشمل منطقة جغرافية محدودة. وما قام به الباحث الكبير البروفسير موزيل في كتبه المهمة والتي تندرج تحت نفس العنوان العلمي الرصين فإنها أقرب إلى كتب الرحلات التوثيقية منها إلى الأنساب، لكنها لا تخرج عن هذا المسار كمناطق (وسط الفرات) و(شمال الحجاز) و(شمال نجد) و(عادات وتقاليد الرولة) والصحراء العربية.

هناك ناحية مهمة أخرى في تاريخية البحث ألا وهي الفترة الزمنية التي

بحث فيها المؤلف «البدو» حيث تعد فترة فاصلة ومهمة في تاريخ البدو بشكل خاص والمنطقة العربية بشكل عام. وهي الفترة الزمنية التي بدأت قبل عملية توطين القبائل البدوية، وقبل أن ينتشر نفوذ وسلطة الدولة التي قامت بعد الحرب العالمية الأولى.

يمكن القول إنّ صورة البداوة الجلية، التي تمكن المؤلف من مشاهدتها ميدانياً وتسجيل مفاهيمها وقيمها وعاداتها والتي كانت سائدة منذ آلاف السنين كانت ماثلة أمامه. يقول المؤلف: «لا تختلف حياة البدو اليوم عن الحياة التي كان قد وصفها شعراء، ومؤرخو العصر العربي القديم. من جانبها بقيت سهوب الصحراء هي ذاتها منذ آلاف السنين وكذلك بقي البدو شعب أسياد أصلاء، بدائياً، وحشياً، محارباً لم تمسه الحضارة الأوروبية بعد»[1]

مكانة كتاب البدو بين الكتب

هناك تساؤل يتردد هو: هل هناك علاقة لبعض أسماء القبائل والعشائر المعاصرة مع القبائل والعشائر القديمة؟ وهل إن تشابه تسميات بعض القبائل المعاصرة لبعض القبائل القديمة استعارة لتلك الأسماء أم هناك رابط يربطها خصوصاً بعدما ظهر أسمها مجدّداً بعد اختفائها زمناً طويلاً. وهناك قبائل وعشائر ظهرت حديثاً، لم نجد لها ذكراً في كتب الأنساب القديمة فمن أين أتت؟!.

هذه التساؤلات وغيرها كانت دوماً موجودة. عند مراجعة كتب الأنساب القديمة، مثل جمهرة النسب لابن الكلبي ونهاية الآرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي وجمهرة الأنساب لإبن حزم الأندلسي، وعشرات غيرها، لكنها لم تكن لتغطي الإجابة على تلك التساؤلات أو ربما تجد إجابة عن مرحلة أو فترة زمنية محدّدة، دون وجود ترابط وتناسق بالمعلومات. بل إنّ مادتها مشتّتة، بالرغم أن قسماً من كتب الأنساب هي كتب تاريخية أصلاً تناثرت بين طياتها أخبار عن

(1) أوبنهايم، البدو، الجزء الأول، ص81.

القبائل. وعند البحث في الكتب الحديثة فإنَّ أغلبها قليلة المادة، وربَّما تعالج الأمور بسذاجة، وهي عبارة عن حكايات عن أُصول القبائل، وهجرات لم تستند على التوثيق التاريخي بأسلوب يكثر فيه الإطراء والتفخيم والتعظيم وهي أشبه بحكايات السمر منها إلى التاريخ.

إن الكتب التي تبحث بموضوعية ومنهجية علمية عن تاريخ وهجرات وأصول أنساب القبائل العربية وعشائرها الحديثة وعلاقتها بالقبائل والعشائر العربية القديمة لا وجود لها في المكتبة العربية. لهذا فإننا اليوم في أمس الحاجة إلى مثل هذه المؤلفات.

العزاوي مؤلف كتاب (عشائر العراق)، واجهته صعوبة في العثور على كتب تجيب على تساؤله فيقول، إن المراجع التاريخية وإن كانت كثيرة فإنها قليلة المادة. ويقول أننا لم نجد مؤلفات عديدة عن قبائل في مختلف العصور وبصورة متتالية لنعلم العلاقات المستمرة بين عشائرنا الحاضرة والماضية، ولنقف على الاشتقاق والتفرع في الأنساب. كما إن هناك انقطاعاً في معرفة التحولات والتفرعات، كما إن هناك أيضاً أسماء قد تغيرت. إن ما تشاهده من قبائل في موطن وزمن ما قد لا نجد له أثراً في الحاضر، أو أن قسماً منه هاجر إلى موطن آخر ولكن لا يعرف تاريخ هجرته[1].

في ضوء هذا كله كنت أتبادل الحديث مع الصديق الدكتور إبراهيم الحيدري حول تاريخ القبائل العربية وأصولها فأعلمني أن هنالك كتاباً باللغة الألمانية للمستشرق أوبنهايم يبحث في القبائل العربية تحت عنوان البدو وهو كتاب متميز، يستحق الترجمة والنشر باللغة العربية.

من هنا كانت البداية، حيث سعت دار الوراق بالإتصال بالشركة صاحبة حقوق النشر وبعد جهود تمّت الموافقة على منح شركة دار الوراق حقوق النشر باللغة العربية حقّاً حصرياً.

---

(1) العزاوي، عشائر العراق الجزء الأول ص9.

الإهتمام بالأنساب

يعد العرب من أكثر الأمم اهتماماً بأنسابها وأصولها، وقد حفل التاريخ العربي بشواهد كثيرة تظهر اعتزاز العرب بأنسابها. إنَّ التوارث لحفظ الأنساب ونقائها يعدّ من المفاخر التي يعتز بها الإنسان العربي بشكل عام، والإنسان البدوي بشكل خاص بالعصور القديمة والحديثة، فيمكن أن نشاهد الفخر والتفاخر ظاهرين للعيان في الشعر العربي الذي يعد ديوان العرب، يقول المؤلف: «لا حدود لاعتزاز البدوي بنقاء نسبه الذي يحرص عليه، ويُعنى به. في نظر البدوي أنه وحده الأصيل وتتجذّر فيه بعمق الإيمان القرابة الدموية التي يجب أن يلتزم بها. ومن هنا يفسر الزهو بنقاء النسب»[1].

وقد ظهر في مختلف العصور القديمة والحديثة أشخاص يتميزون بمعرفتهم بالقبائل العربية، ولهم باع في حفظ الأنساب، يطلق عليهم النسّابون. (كان عقيل ابن أبي طالب أحد هؤلاء قبل الإسلام وفي بداية ظهوره)، وكانت المصادر المتعلّقة بأصول الأنساب تنحصر بالحفظ الشفاهي. ولم يظهر الجانب التوثيقي الكتابي إلا في منتصف القرن الثاني الهجري. كانت المرحلة الأولى تتخّذ طابع التدوين القبلي، وفي المرحلة الثانية اتخذ تدوين الأنساب شكلاً أوسع فظهرت كتب الأنساب الجامعة.

لقد استقى النسابون مادة مصنفاتهم النسبية من مصادر شتّى، فأُخذ جلُّ أنساب القبائل العربية عن قدامى نسّابي القبائل، ورجع مصنّفو كتب الأنساب إلى هؤلاء النسّابين فاستقوا مادّة كتبهم منهم[2].

ويعدُّ كتاب جمهرة النسب لإبن الكلبي من الكتب المهمة في بحثها للأنساب العربية، لما عُرف عن ابن الكلبي من أنّه كان عالماً بأنساب وأخبار العرب وأيامهم، وقد اخذ علمه بالنسب من أبيه الذي لم يهتم بتأليف الكتب فجاء ابنه

---

(1) أوبنهايم، البدو الجزء الأول، ص81.

(2) د. النص، إحسان ـ كتب الأنساب العربية دمشق 2001 ص4 ـ 30.

فألف في الأنساب وأيام العرب وأخبارهم وأشعارهم كتباً عديدة[1]، وقد عدَّ المؤلف كتاب ابن الكلبي جمهرة النسب من الكتب المهمة والأكثر مصداقية. فكان مصداراً مهماً في معرفة القبائل والعشائر في عصورها الأولى.

لقد ظهرت على مر العصور عشرات الكتب التي تناولت القبائل العربية وعشائرها والتي تعُد ذات أهمية عظيمة، نذكر بعض أسماء كتب هؤلاء في الأنساب والقبائل.

1 ـ كتاب النسب لأبي عبيد القاسم بن سلام (157 ـ 224هـ)

2 ـ كتاب نسب عدنان وقحطان لأبي العباس المبرد (210 ـ 285هـ).

3 ـ كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه (246 ـ 328هـ).

4 ـ جمهرة الأنساب لابن حزم الأندلسي (384 ـ 456هـ).

5 ـ طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك عمر بن يوسف بن رسول 696هـ.

6 ـ نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري 682 ـ 733هـ.

7 ـ صبح الأعشى في صناعة الأنشاء، ونهاية الأرب في معرفة انساب العرب، وقلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان للقلقشندي (756 ـ 821هـ).

8 ـ سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب للسويدي 1246هـ

التقسيمات القبلية للقبائل والعشائر في كتب التاريخ والأنساب

القبيلة: القبيلة تعبير يطلق على مجموعة بشرية ذات لغة أو لهجة مشتركة، بصرف النظر عن استقرارها على أرض ثابتة أو ترحالها من مكان إلى آخر. فالقبيلة

---

(1) د. النص، المرجع السابق ص35.

مجموعة بشرية متنقلة أو مقيمة على أرض محدودة صحراوية في الغالب، بين أفرادها علاقات خاصة قائمة على التقاليد والأعراف المتوارثة، فهي إذاً مجموعة بشرية متماسكة اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وذات شخصية متميزة وتعمل تحت آمرة زعيم أو شيخ القبيلة الذي أنيطت به إدارة شؤون القبيلة، وإقامة التحالفات مع القبائل الأخرى لحماية المجموعة المنتسبة إليه[1].

ويختلف النسابون في تقسم القبائل العربية من حيث توصيفها وتصنيفها، ومتى يطلق عليها قبيلة أو عشيرة. وتكاد تختلط التسميات في التراث العربي، فقد يطلق على العشيرة اسم «فصيلة» أو «بطن» أو «فخذ»، وهي ألفاظ تدل على مستويات مختلفة في التنظيم الإجتماعي، ولا تدل على طرق العيش والكسب[2].

فالنويري في كتابه «نهاية الأرب في فنون الأدب» يقسم القبائل إلى عشر طبقات فيبدأ أولاً بالجذم فالجمهور فالشعب فالقبيلة فالعمارة فالبطن فالفخذ فالعشيرة فالفصيلة فالرهط[3].

أما القلقشندي فيصنف طبقات القبائل إلى ستة، وهي الشعب فالقبيلة فالعمارة فالبطن فالفخذ فالفصيلة[4].

أما ابن منظور فقد حدد القبيلة بأنها جمع من الناس ينتمون إلى أب واحد، وهم أصغر من الشعب، وتليها بالصغر العمارة ثم البطن ثم الفخذ. أما عشيرة الرجل فهم بنو أبيه الأدنون.

أما عبد الجليل الطاهر في الدراسات المعاصرة فيبدأ بالقبيلة ثم العشائر التي

---

(1) د. ظاهر، مسعود ـ المشرق العربي المعاصر من البداوة إلى الدولة الحديثة ـ معهد الإنماء العربي ـ بيروت 1986م، ص29 ـ 30.

(2) الخوري، فؤاد اسحق ـ السلطة لدى القبائل العربية ـ الساقي لندن ـ 1991 ص13 ـ 14.

(3) د. النص ـ المصدر السابق ـ ص135.

(4) د. النص ـ المصدر السابق ـ ص157.

تنقسم إلى أفخاذ، وكل فخذ إلى أسر. كما قسَّم عباس العزاوي القبائل والعشائر إلى وحدات بدأ من الأصغر إلى الأكبر على هذه الشاكلة:

أ ـ البيت (الأسرة) أصل القبيلة.

ب ـ الفخذ ويقال له (البديدية) وجمعها بدية، والفندة وجمعها (فند)، والفخذ بالأصل عدة بيوت من جد قريب لا يتجاوز الجد الخامس في الأغلب.

جـ ـ العشيرة: وتتألف من عدة أفخاذ أو بيوت وتعيش مجتمعة بالوجه المتعارف وقد يتفرع الفخذ إلى عدة أفخاذ فرعية.

د ـ القبيلة: وتتألف من عدة عشائر وتكتسب ضخامة وسعة في تكونها حينئذ يقال لها قبيلة وقد يتساهل في التعبير فتسمى العشيرة قبيلة.

هـ ـ الأمارة: وهي تقارب عدة قبائل أو تكاثر إلى أن تكون قبائل عديدة فيتولى إمارتها رئيس الفخذ الأول[1].

شكلت القبيلة الوحدة الأساسية في المجتمعات العربية في الجاهلية والإسلام، فكانت العصبية القبلية هي العنصر الأساس في اجتماع وتكاتف القبيلة فيما بينها، كما كان الانتماء إلى القبيلة عنصراً من عناصر الحماية الفردية. فالفرد في القبيلة يذود عنها والقبيلة بدورها تدافع عنه، حيث قوة الفرد من قوة القبيلة.

كان العرب في الجاهلية يتكونون من قبائل كبيرة وصغيرة، وكانت هناك تحالفات وحروب بين هذه القبائل، حيث كانت القبيلة على الأغلب تحارب وتسالم وتهاجر بشكل جماعي. وعندما جاء الإسلام بقيت التشكيلات القبلية ذاتها، ولم تتغير كثيراً. بل إن القبائل حاربت لنصرة الإسلام ضمن الجيوش الإسلامية كوحدات قبلية. فقد عمل القادة المسلمون الأوائل للحفاظ على التشكيل القبلي كي يكون عنصر تضامن وتمازج يشد بعضه بعضاً ضمن الوحدة القبلية في

(1) العزاوي، عباس ـ عشائر العراق ـ بغداد 1935 ج1 ـ ص43 ـ 60.

مواجهة العدو المشترك، ومن أجل أن يمنع الحزازات القديمة من الظهور. «إن سعد بن أبي وقاص أدرك بثاقب بصره إن نظام الأسباع يكون أكثر صلاحاً إذ جمع بين القبائل المشتركة في النسب أو المترابطة بروابط القربى»[1].

يقول سهيل زكار استفاد النبيﷺفي مكة من العصبية القبلية، حين تمتع بحماية عمه وعشيرته له، واستمر الحال بعد وفاة (الرسولﷺ) حيث دون عمر بن الخطاب الدواوين على أساس قبلي، وعلى الرغم من قيام الفتوحات الكبرى وانتشار القبائل العربية في الأقاليم ظل النظام القبلي معتمداً، وبدلاً من ذوبان القبائل في نظام مجتمعات البلدان المفتوحة، حدث ما هو العكس، حيث تبنت الشعوب المفتوحة النظام القبلي عن طريق الولاء»[2]. لقد هاجرت قبائل عربية بكاملها من الجزيرة إلى العراق مثل بجيلة[3]، وإلى بلاد فارس وما وراء النهر وإلى أفريقيا وقد استقرت هناك وحافظت على وحدتها القبلية وأصولها وجذورها.

وعند تكوين الدول العربية في العصر الحديث، لعبت القبائل والعشائر دوراً أساسياً في تبلور شكل هذه الدول، فهناك قبائل أدمجت في الدول الحديثة الناشئة مثل سورية والعراق وفلسطين[4]، وأصبحت جزءاً من المجتمع المستقر الحضري حيث إن المكونات الحضرية قوية بحكم وجود الأرض الزراعية وقوة التكوين المدني ووجود سلطة الدولة. وهناك قبائل سيطرت على قبائل أخرى لتؤسس دولة قبلية كبيرة كالمملكة العربية السعودية، وهنالك قبائل تحولت إلى دويلات أو إمارات كالكويت، وقطر، والبحرين، والإمارات[5].

(1) الزبيدي، محمد حسين ـ هجرة القبائل العربية إلى العراق ـ 1982 بغداد ص43.
(2) ابن الكلبي ـ جمهرة النسب ـ ت ـ محمد فردوس العظم ـ دار اليقضة العربية 1983م ص1 ـ 7.
(3) الزبيدي، محمد حسين ـ 1982م بغداد ص19.
(4) د. ظاهر ـ مصدر سابق ـ ص8.
(5) د. ظاهر ـ مصدر سابق ـ ص20..

يقول عالم الإجتماع الكبير الدكتور علي الوردي إن المجتمع العربي هو أكبر معين للبداوة في العالم. أن التناقض بين الحضارة والبداوة كبير فإما أن نكون متحضرين أو نعود إلى الصحراء، فلا انتقاء ولا توافق ولا انسجام بين قيم الحضارة والبداوة. إن سمات البداوة هي ـ القبيلة ـ الغزو ـ التفضل (الذي يشمل الكرم والسخاء والنخوة وغيرها).

أما الحضارة فهي على العكس من ذلك تماماً أنها الدولة، العمل اليدوي، وعدم الاهتمام بقيم التفضل. فعلى الرغم من تزايد المدن وعدد سكانها إلا إن قيم البداوة ما زالت في دواخلنا إلى حد كبير.

تصنيفات البدو

تعريف البدو

البدو والبادية والبداوة: خلاف الحضر. والنسب بدوري منسوب إلى البداوة. وبدأ القوم بدواً أي خرجوا إلى باديتهم. وفي الحديث من بدا جفا، أي من نزل البادية صار فيه جفاء الأعراب. وقال الليث: البادية اسم للأرض التي لا حضر فيها، وإذا خرج الناس من الحضر إلى المراعي في الصحارى، قيل قد بدوا، والإسم البدو[1].

لقد ميّز ابن خلدون ثلاثة فئات من السكان، هم: البدو، والأعراب والحضر. فالبداوة ترتكز على القبيلة والترحال الدائم، أما الأعراب فهم تجمعات البدو المستقرين في قرى الأرياف والواحات ويقيمون نمط إنتاج زراعي، وهم نواة مرحلة انتقالية بين نظام البداوة والتحضر[2]. أنَّ التصنيف القبلي عند العرب مستمد في الأصل من القدرة الاقتصادية ونمط العيش، لا من التسلسل الدموي والأصول القبلية العريقة[3].

---

(1) ابن منظور الفضل جمال الدين لسان العرب ص67، ج2 دار صادر 1956م.

(2) مسعود ظاهر ـ المصدر السابق ـ ص20.

(3) الخوري ـ مصدر سابق ـ ص19.

إن حالة استمرار قيم ومفاهيم البداوة في المجتمعات الحضرية حالة قديمة، ولا تبتعد كثيراً عمّا موجود لدينا، إنَّ حالة هؤلاء الناس وإن تحضَّروا، واستقروا، وأقاموا، وتركوا الحياة الأعرابية إلا أنهم بقوا رغم ذلك على مذهب أهل الوبر، ودينهم في التمسك بالانتساب إلى الجد الأعلى، وإلى أحياء وبطون، وفي إجابة النخوة العصبية، وما شابه ذلك من سجايا البداوة[1].

لا يوجد توصيف متفق عليه لدى الباحثين لتقسيمات البدو ومن هنا أجمل القول:

1 ـ بدو رحل (الاصلاء) أو الأقحاح) ويسمون أهل الوبر[2]، الذين يرعون الإبل فقط ويسمون أيضاً أهل الإبل. إن القبائل الأصيلة عند العرب، التي تحتمل منزلة عالية هي التي تعيش أو كانت تعيش على رعي الإبل[3].

2 ـ البدو نصف رحل: الغنّامة ـ شواوي ـ عرب الدار: تختلف التسمية للبدو النصف رحل من منطقة إلى أخرى، فيطلق عليهم «الغنامة» التي تعتمد فيها القبيلة على رعي الأغنام[4]، أو يطلق عليهم الشاوية «الشواوي» في العراق الجنوبي وهم نصف متحضرين فهم يعملون بالزراعة ونصف بالرعي، ولديهم مساكن، ويقومون بعملية الرعي وبالأخص الأغنام ويطلق عليهم إسم هكرة (حكرة) في الكويت ونجد[5] ويسمون أيضاً بعرب الدار. وقد تنقسم القبيلة نصف رحل غنَّامة فهي تربي الأغنام وتمارس أعمال الزراعية، ويعيش جزء من القبيلة في أكواخ أو خيام. إن نوع الزراعة محدودة بالحبوب فقط دون غيرها. لأن زراعة الخضراوات وما شابهها تعد محتقرة ومرفوضة بنظر البدو.

3 ـ فلح أو فلاليح: وهم مستقرون ضمن مجموعات قبلية وعشائرية، ويقومون بعملية الزراعة.

---

(1) د. علي جواد ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ ج4، ص314.

(2) د. علي جواد ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ ج4، ص569.

(3) الخوري ـ مصدر سابق، ص17.

(4) الخوري ـ مصدر سابق، ص17.

(5) دكسن ـ عرب الصحراء ـ ت محمد حسن التيتي ـ الكويت 1997م ـ ص763.

4 ـ المعدان: وهم العشائر الموجودة في العراق الجنوبي والذين يربون الجاموس ويصيدون الأسماك ويقومون بزراعة بعض المحصولات.

5 ـ الهتيم: ويشتملون على العوازم والرشايدة الذين انفصلوا عنهم وأصبحوا أرفع درجة وكذلك انفصل عنهم الشرارات.

6 ـ الحوازم: الفئات والأفراد الذين يكسبون رزقهم بطريقة محتقرة حسب المفاهيم البدوية.

7 ـ صليب أو صلبه. وهم مجموعات قبلية صغيرة تقوم بأعمال تعد حقيرة بنظر البدو، مثل بيع أدوية نباتية تصنعها نساؤهم، ويقومون ببعض الحرف البسيطة وتقوم نساؤهم (بطرح الحصا) والذي يسمّى عندهم (الطشّة). وقول العزاوي على كل حال هم بدو ولكن عيشيهم أخس عيشة فلا يزاحمهم فيه أحد، يطاردون الغزلان والحيوانات الوحشية، ومن جلودها يتخذون لباسهم وبيوتهم[1]. أما فؤاد حمزة يقول، أن صليبي أو أولاد غانم هو الإسم الذي يطلق على مجموعة القبائل التي لا تعرف أنسابها. الصلبة يقسمون إلى بداية ويقال لها آل وهم يقطنون في أماكن مختلفة. ونظراً لضعف الصلبة وعدم وجود عصبية لها فأنها تلتجىء إلى القبائل المعروفة وتطلب حمايتها مقابل الخاوة[2].

8 ـ بنو خضير: هم ليسوا قبيلة وإنما طبقة من الخدم في نجد ووسط الجزيرة العربية.

منهجية البحث

أن الموضوعية التي اتسم بها المؤلف في بحثه يرافقه فيها حبه للعرب بشكل عام، والبدو بشكل خاص تجعله أكثر مصداقية، فهو لم يذهب إلى وصفهم بالسراق والقتلة كما هو حال الكثير من الرحالة، بل يصفهم بأنهم «شعب أبي محبّ

(1) العزاوي ـ ج1، ص311.

(2) حمزة فؤاد ـ قلب جزيرة العرب ـ الرياض 1935 ـ ص166.

للحرية، قاس شديد البأس، مضياف ومحارب»[1].

وكذلك لا بد من الإشارة إلى أن احترامه للإسلام كان واضحاً حيث يسمي النبي محمدﷺ بالنبي في كثير من الأحيان وليس بالاسم مجرداً كما هو حال الكثير من المستشرقين. اعتمد أوبنهايم في بحثه نهجاً علمياً مختلفاً عما جرت عليه العادة في الكتب التي تبحث في تاريخ وأصول القبائل والعشائر وقد سار على طريقة تتلخّص بما يلي:

أولاً: التقسيم الجغرافي للقبائل

فقد بحث عن القبائل التي هي ضمن منطقة جغرافية معينة، فبدأ بدراسة تاريخ المنطقة الجغرافية التي يتناولها قديماً وحديثاً، وكذلك الأحداث السياسية الهامة مستعرضاً الجانب التضاريسي والاقتصادي فيمزجهما بأسلوب سلس شيق. كما سعى إلى تتبّع أهم القبائل العربية القديمة التي أقامت في هذه المنطقة، والأحداث السياسية الهامة التي مرت بها مدار البحث كما تابع حركة انتقال القبائل العربية وانتشارها بتسلسل زمني حتى يصل إلى القبائل الحديثة فيبحث في أصلها وهجراتها وقدومها إلى المنطقة الجغرافية، موضوع البحث.

ثانياً: أسلوب البحث ولغته:

جعل أوبنهايم بحثه مفهوماً من الخاص والعام أي موجه لكل من له اهتمام في القبائل وليس للمتخصصين فقط. يقول المؤلف عن كتابه أنّه كتاب صيغ بأسلوب علمي رصين، لكنه حرص في الوقت نفسه أن يكون مفهوماً من الجميع، لذلك فهو لا يخاطب المتعلمين وحدهم بل يتوجه إلى كل من لديه اهتمام بمسألة البدو. «سيقدم كتابنا هذا معطيات إلى كل من يبحث عن معلومات حول سائر المسائل المتعلقة بأبناء الصحراء»[2].

(1) أوبنهايم ـ البدو ـ الجزء الأول ـ 52.

(2) أوبنهايم ـ البدو ـ الجزء الأول ـ 51.

ثالثاً: البحث الميداني

إن البحث الميداني في إعداد الكتاب، والملاحظات التي تمَّ تسجيلها، تشكل المادة الحية فيه ملتقطةً من الواقع المادي الملموس، المعلومات التي جمعها والتي توفرت لديه، لم يكن يسلّم بها، بل يخضعها لتمحيص شديد، أي لأسلوب التشكيك حتى يثبت دقة المعلومة. ويمكن ملاحظة ذلك في جداول القبائل. ففي أرقام هوامش الجداول تجد المصادر التي اعتمدها لاسم كل قبيلة وتفرعاتها والطريقة التي تحقق من صحة المعلومة وبالتالي فإن الجداول تلك، تعد من أهم مرتكزات الكتاب. يقول أوبنهايم عن طرق البحث الميداني، كانت ملاحظاتي الخاصة، وملاحظات مساعدي في الشرق وما زالت من أكثر مواد كتاب البدو أهمية. إن البدو هم، بوجه عام، أناس قليلو التعبير عن أنفسهم، وهم يخافون المعطيات الرقمية (العددية) لاعتقادهم أن أخبارهم يمكن أن تصير خطراً عليهم بسبب الضرائب وغيرها من الالتزامات التي تفرضها الحكومات. لذا كنت أحتاج دوماً إلى تحضيرات، طويلة وإلى كسب ثقتهم بصورة مطلقة، قبل أن أتمكن من تلقي أخبار موثقة فعلاً منهم. وقد ساعدني على فتح قلوبهم لي معرفتي الدقيقة بأعرافهم، ومشاركتي القلبية في حياتهم الفريدة وعلامات البهجة التي كانت تبدو على وجهي عندما كنت استمع إلى قصص ومغامرات الغزو والصيد في تلك اللحظات. كانت تنشأ لعبة سؤال وجواب معقدة ومتواصلة تتيح لي معرفة ما له من قيمة علمية من أحاديث. فهم لم يألفوا الحوارات العلمية أبداً. إنَّ الصبر الجميل والمعرفة الدقيقة باللغة العربية هما شرطان ضروريان لدراسة البدو[1].

رابعاً: جدولة القبائل والعشائر:

وضع المؤلف جداول دقيقة عن القبائل، كما أعدَّ لها ترميزاً رقمياً وحرفياً. يقول أوبنهايم:

«وضعتُ جداول دقيقة حسب المبدأ التالي: تحديد القبائل والقبائل المتفرعة

---

(1) أوبنهايم ـ البدو ـ الجزء الأول ـ 66.

عنها والتابعة لها، وشيوخها الرئيسيين والثانويين ومناطق تجوالها في الصيف والشتاء وعلاقات القوى فيما بينها، معبراً عنها بعدد مضاربها وخيامها ـ وكذلك كتابة مقالة حول كل قبيلة تعرف بتاريخها وتاريخ أسرة شيوخها على أن يؤخذ بنظر الاعتبار تصنيف القبائل إلى مجموعات حسب المناطق الجغرافية المختلفة» وقد أولى اهتماماً خاصاً لرسم المشجرات لأنساب كثيرة جمعها[1].

خامساً: تنوع المصادر وتكاملية البحث

مزج أوبنهايم في بحثه بين العمل الميداني والبحث الأكاديمي المكتبي، فمن حيث العمل الميداني قام مساعدوه بتسجيل كل ما يملي عليهم من معلومات يحصل عليها، وكان يراقبهم بشدة لمعرفة الدقة بالتسجيل. وكان دور الأشخاص العديدين من رجالات المنطقة الذين لهم معرفة وباع كبير في القبائل والعشائر قد ساعدوه وزودوه بالمعلومات القيمة، مثل محمد البسام والعابد وغيرهم، والذين ذُكرت أسماؤهم في مقدمة المؤلف.

دأب أوبنهايم على جمع مصادر بحثه ثم طلب المساعدة، التي كانت تقدم له في المانيا. يقول «كنت مضطراً لطلب العون من آخرين في ألمانيا، من أجل التغلب على الصعوبات والتعامل مع كم المعطيات الضخم والشامل الذي توفر في أدبيات عن البدو، وخاصة فيما يتعلق بالتاريخ، فقد كان يتطلب القيام بأبحاث مستفيضة، تستهلك بالضرورة الكثير من الوقت وتتركز على المؤلفات الشرقية في مختلف الأنواع. لذا كنتُ محتاجاً إلى عالم شاب له باع في هذا المجال»[2]. لقد بحث المؤلف في كتب التاريخ التي وصلت إلى يديه وقام بغربلتها. ثم ربط المعلومات بعضها ببعض، ولا بد من الإشارة إلى أهمية الرحالة نيبور 1765م[3] للمنطقة العربية

(1) أوبنهايم ـ البدو ـ الجزء الأول ـ 63.

(2) أوبنهايم ـ البدو ـ الجزء الأول ـ 72.

(3) نيبور مهندس الماني ولد في هانوفر الذي أرسل ببعثة استكشافية للبلاد العربية من قبل ملك الدانمارك عام 1671 ـ 1766 في مجموعة يموت كل أفرادها إلا نيبور. وسجل معلوماته العظيمة في ثلاث مجلدات ضخمة، والتي تعد مصدراً مهماً من مصادر تسجيل أسماء القبائل وتواجدها الجغرافي وقد ترجم إلى الفرنسية والإنكليزية وبعض الفصول ترجمت إلى العربية.

وأهمية المعلومات التي استفاد منها المؤلف.

يقول المؤلف: أبديت منذ عقود، اهتماماً خاصاً بجمع المصادر التي يمكن أن تكون على علاقة بالبدو، بالدرجة الأولى منها الأعمال التاريخية والجغرافية وكتابات الرحّالة والإحصائيات بأنواعها وتقارير الحجاج المسيحيين والمسلمين، المكتوبة بجميع لغات الشرق والغرب. كما تم شراء مخطوطات شرقية مهمة قديمة وحديثة التواريخ. وتشكل دواوين الشعر أحد المصادر المهمة في بحثه السوسيولوجي.

كما قام المؤلف بالوقوف على شعر جرير حين يهجو الفرزدق لكون أحد أجداد قبيلته كان يعمل بالحدادة ويجعلها عيبة كبيرة. ويستشهد كذلك بابن المقرب حين يهجو المعادي (المعدان)، والهتيم حيث يصفهم بصفات تعكس نظرة اجتماعية اتجاههم، مضافاً إلى استشهاده بعشرات من الشعراء الآخرين..

سادساً: الوسم وصيحات الحرب

قام أوبنهايم بتسجيل أغلب صيحات الحرب (النخوة) للقبائل والعشائر العربية، وكذلك قام برسم وسم الحيوان لكل قبيلة بل كان في قسم منه يسجل أكثر من وسم موجود لدى القبيلة وهي إحدى الدلائل التي يمكن أن تميز قبيلة عن أخرى، وكذلك لمعرفة ملكية الحيوانات. وبالتالي أصبح لدينا رسوم الوسمات وصيحات الحرب. وقد استفاد المؤلف كثيراً من تسجيله لصيحات الحرب، حيث يمكن اعتبارها كأحد الوسائل التي دلل بها على صلة نسب القبائل بعضها ببعض، فعن طريق صيحة الحرب استطاع أن يربط علاقة شمر طوقة بشمر جربا. علماً بأن العزاوي في كتابه عشائر العراق قد صعب عليه معرفة ذلك بل بقي يدور حول الموضوع ولكنه لم يستطع الوصول إلى الربط. وندع المؤلف يقول في القسم الثاني من الجزء الثالث من الكتاب ص496 ج3.

هناك تعبيراً «صلته» و«غرير» اللذان يستعملان أيضاً كصرخة حرب لدى بعض القبائل الفرعية صلاتي، غريري غرير. وبما أن كلاً منهما اسم قبلية فرعية من

أسلم النجدية، فلعله يمكننا الربط بين صرخة الحرب «وهيب». وقبيلة فرعية من الأسلم تحمل الإسم نفسه، ومما يؤيد ذلك بصورة خاصة هو وجود قرابة بين طوقة والأسلم. الواقعتان التاليتان توضحان ذلك. أولاً: كان يوجد في طوقة فعلاً فخذ يحمل اسم «صلته»، وقد ذكره روسو عام 1808م التي تحتوي جميع أفخاذ شمر المرتبطة بفارس الجربا ولكن بما أن هذا الفخذ لا وجود له عند الجربا ولا عند الزقاريط، ولا عند زوبع فيجب أن يكون تابع للطوقة، وأمّا الواقعة الثانية، فهي أنَّ أسلم وطوقة يوجد في كل منهما فرغ اسمه (الهراير)، وهو اسم لا وجود له أبداً في أي مكان آخر.

طريقة التحقيق

1 ـ اعتمد التحقيق على مراجعة وتقويم المراجع والمصادر، وما أمكن الوصول إليه من الكتب التي اعتمدها المؤلف، وكذلك الرجوع إلى المصادر التي لها صلة بكل بحث من بحوثه.

2 ـ إضافة تعليقات وحواش موجزة لبعض النقاط التي تحتاج إلى توضيح.

3 ـ تصحيح بعض المعلومات الواردة في الكتاب مع الاحتفاظ بالنص الأصلي ووضع هوامش التصحيح مع ذكر المصادر التي اعتمدتُ عليها.

4 ـ إيراد النصوص الشعرية: لقد ورد في الكتاب بعض معاني الأبيات الشعرية، أو ذكر مصادر قديمة لم أستطع الوصول إليها مما اضطرني لأن أعود إلى ما توفر من إصدارات حديثة والتحقق والتثبت من صحتها. ولا بد هنا من الإشارة إلى دور الشواهد الشعرية في البحث وكذلك الجهد لتحقيق وإيراد النصوص الشعرية حيث إن المؤلف ومساعديه يوردون معاني البيت الشعري مترجماً إلى لغتهم الأم مما يحتّم علينا إيجاد أصل البيت باللغة العربية.

5 ـ ذكر المؤلف بعض أرقام الآيات والسور القرآنية فقط. لذا عمدتُ إلى ذكر نص الآيات، وكذلك بعض نصوص العهد القديم.

6 ـ وضعنا الأسماء التي فيها بعض الاختلاف بجانب الأسماء التي وضعها المؤلف بين قوسين « ». وتشكل الأسماء فيها خاص من الأمور التي عملت جاهداً إلى الوصول إلى مصدرها الأصلي كي نتحاشى الوقوع في الخطأ الذي يقع عن طريق كتابة الأسماء. لقد كانت بعض الأسماء فيها حرف الهاء والحاء فيستعمل المؤلف حرف H بلفظ حرف هاء وكذلك يستعمل الحرف H تحته نقطة بلفظ الحرف حاء. فإذا سقطت النقط ضاع الأمر على المترجم، وبالتالي يجب التحقق من كل اسم له مستند للاستدلال على صحته. كذلك الألف والعين فمثلاً «الأيوني» والصحيح هو «العيوني»، مما التبس على المترجم بل أن بعض الأسماء كان فيها أخطاء مطبعية. وقد كانت هناك أسماء باللغة الألمانية وتعريبها إلى العربية يوقع المترجم بخطأ، ولصعوبة التمييز أحياناً، مثلاً بوغا فهي أصلاً بُغا، ولكن عند العودة إلى المصادر وجدنا أنها بُغا أي بالضمة وليس بالواو.

7 ـ إنّ المشكلة التي واجهت البحث هي في وجود آلاف الأسماء التي تستدعي كتابتها إلى إحتمال الدلالة على أكثر من لفظ. فبالرغم من وجود آلية للفظ الأسماء وكتابتها كما وضعها المؤلف فإنها بقيت أسماءاً تحتمل كتابتها صيغاً متباينة تؤثر علء صحّة اللفظة وطريقة كتابتها بشكل ينطبق على ما هي عليه في الواقع. لذلك استدعى الأمر مضاعفة الجهد في تدقيقها وفحصها بغية إخراج الكتاب على الصورة المثلى. ومثال على هذه المشتركات اللفظية ما ورد في كلمة، جادر، قادر، حاجم، حاكم، وغير ذلك.

وقد وضع المؤلف قواعد لهذه المسمّيات منها حرف ث التي يقابلها حرف (ṯ) المتضمن لرسم حركة تحته. أما حرف الطاء فيقابلها حرف (ṭ) المنقوط.

8 ـ ترميز القبائل وفروعها.

يعطي المؤلف لكل قبيلة وتفرعاتها، وتفرعات تفرعاتها أرقاماً ورموزاً حرفية يستدل بها لذا وضع عشرات الجداول للقبائل والعشائر، وأعطى أرقاماً وحروفاً لهذه الجداول، ثم أعطى لتفرعات القبيلة أرقاماً وحروفاً، وكذلك فعل

مع تفرع التفرعات. فمثلاً قبيلة (شمّر) وضعها في جدولين، جدول يشمل قسم سورية الحالية (منطقة الجزيرة)، وجدول يشمل قسم العراق الشمالي أي بلاد ما بين النهرين. فأعطى الجدول الأول حرف (أ) والجدول الثاني (ب)، ثم أعطى عشيرة الثابت من الجدول (أ) رقم 1 ثم تتفرع الثابت إلى فروع، ولكل فرع أعطي حرفاً، فالجاسم أعطي حرف (أ) فأصبح لدينا الجاسم تحت أ 1 أ في فصل قبيلة شمر.

يتكّون الكتاب من أربعة أجزاء متكاملة وبشكل تراتبي، لذا فإن الجزء الثاني يعتمد على الأول، والثالث على الثاني والرابع يعتمد على الأول والثاني والثالث. وعند التحقيق وجدتُ أخطاء في الاستدلال الرمزي للقبائل. ففي بعض الأحيان يذكر الترميز القبلي الصحيح، ولكن كان خطأ في الاستدلال إلى موقع القبيلة، وعند التحقيق أجدها ليست كما ذُكرت ولكنها توجد في جدول آخر. لذا أعود إلى الجزء المذكور فيه هذا الرمز ومطابقته وتوحيده. وعلى سبيل المثال كتب في الجزء الثالث أن وهب من شمر طوقة، وترتبط مع شمر بين النهرين، ولكن التحقيق وجد أنها تعود لشمر نجد.

أن بعض الترميزات لا وجود لها أصلاً في جداول القبائل. إن الاحتمال الأقوى في وجود هذه الأخطاء (هو وجود خطأ مطبعي). لذا أشرت إلى هذه الترميزات «الخطأ» ، ووضعت في هامش الصفحات ما يشير إلى ذلك.

يعطي المؤلف الترميزات للقبائل وتفرعاتها التي وضعها في جداول أرقام وحروف ويستعمل الحروف اللاتينية الكبيرة، وبعدها يستعمل حرف لاتيني صغير. وبما أنه لا يوجد حرف عربي كبير وصغير كان علي أن أقوم بإعطاء أرقام بدل الأحرف، وبطريقة أحافظ على نفس النسق، وهذا ما يفرض علي متابعة كل رمز من الرموز المستعملة للقبائل ومراجعته وترميزه حتى يكون الكتاب وحدة واحدة. مما دعاني الأمر أن أتصرف في إعطاء رقم أو حرف حسب ما يتطلب الأمر للمحافظة على سهولة الاستدلال.

ملاحظات على طرق تلفّظ بعض الأسماء والأفعال:

ان الاختلاف في تلفظ وكتابة بعض الأسماء شائعاً في الدول العربية التي شملها البحث، لذا ارفق للقارىء بعض التصرفات والتغيرات اللغوية التي تطرأ على كتابة وتلفظ على قسم من الأسماء والحروف والافعال. راجع كتابنا الأدب الشعبي العراقي ص13 ـ 16 شبّر.

أولاً:ـ زيادة حرف أو أكثر على الكلمة أو حذف حرف أو أكثر منها مثل:

إمعاي أصلها معي.

أو (ياريت بوّل رضاعي).

بوّل أصلها بأول.

ثانياً:ـ زيادة همزة غير أصلية وحذف همزة أصلية من الكلمة مثل:

إلهم أصلها لهم.

أو (يا مرحبا يا هلا بيك حين تجبل)

هلا أصلها أهلاً.

ثالثاً:ـ قلب الهمزة الوسطية مثل استعمال (لن) بدلاً من لأن و(لني) بدلاًمن لأني و(بير) بدلاً من مئر و(رسايل) بدلاً من رسائل.

رابعاً:ـ قلب الهمزة إلى واو مثل (وين) بدلاً من أين و(ولف) بدلاً من إلف.

خامساً:ـ التنوين في الأسماء ويكون مكسوراً دائماً.

سادساً:ـ التنوين في الأفعال ويكون على الكسر والفتح مثل:

(عاد أن گلت واخ ما يفيدٍ واخ).

سابعاً:ـ قلب الحروف

أ ـ تقلب القاف إلى گاف فارسية مثل: (أشرگ بدلاً من أشرق).

وتقلب القاف إلى جيم أحياناً مثل:

(يحج لي) ومعناها يحق لي.

ب ـ يقلب حرف الكاف إلىٰ (چـ) فارسية مثل:

(ضحچ) ومعناها ضحك و(أبچي) ومعناها أبكي.

كما يقلب القاف إلىٰ (چـ) مثل:

(چتل) ومعناها قتل.

جـ ـ الحرف المضعف غالباً ما يقلب إلىٰ ياء مثل:

مررت تصبح مريت.

د ـ قلب أحرف متفرقة مثل:

(أهد) بدلاً من عهد و(ريت) بدلاً من ليت.

هـ ـ قلب السين إلىٰ صاد مثل:

(صخي) بدلاً من سخي (وحصره) بدلاً من حسره.

ثامناً: حذف الحروف: يحذف حرف العلة المتأخر (وخاصة الألف) ويعوض عنه بالحركة السابقة له وتلفظ الكلمة مختومة بهاء ساكنة كالآتي:

أ ـ تحذف الألف المقصورة من الأسماء.

ليلىٰ تلفظ ليله ولظىٰ تلفظ لظه.

ب ـ تحذف الألف المقصورة من الأفعال.

سعىٰ ترسم وتلفظ سعه ودعا ترسم وتلفظ دعه.

جـ ـ تحذف الألف الممدودة

سماء ترسم وتلفظ سمه وشفاء ترسم وتلفظ شفه.

د ـ تحذف الألف من بعض الضمائر والأدوات مثل: لا تلفظ لـ.

لتجي ولتروح وأصلها لا تجيء ولا تروح.

هـ ـ ياء النداء ترسم وتلفظ أحياناً يـ.

كلُنا ترسم وتلفظ كُلْنَه.

و ـ تحذف الألف من الألفاظ المتصلة بضمير المؤنث الغائب وتنتقل الفتحة إلى الحرف السابق للألف المحذوفة مثل:

واجبها تلفظ واجبه ومبسمها تلفظ مبسمه.

تاسعاً:ـ الألفاظ المختومة بياء مفتوحة تشدد ياؤها مثل:

هي ترسم وتلفظ هيّه وبي ترسم وتلفظ بيّه.

عاشراً:ـ إدخال حرف النداء على ما فيه الألف واللام مثل:

يا لماشي (يَلْ ماشي) ومعناها يا أيها الماشي.

أحد عشر:ـ حرف الجر: إن حروف الجر المستعملة هي (من، على، عن، بـ، لـ) وقلما يستخدمون الحرف (في) بل يعوضون عنه بالحرف (بـ)، وقد وردت في قول أحدهم:

يا زين الأوصاف روحي بالوصل منها.

أما الحروف الأخرى مثل (من) فيلفظ غالباً كما هو ولكنه يشدد في بعض الأحيان، و(على) الذي يلفظ كما يلفظ بالفصحى أو يلفظ (عَلْ) مثل:

لا زال دمع اليودك عل وجن منهلي.

كما يلفظ أحياناً (إعْلَه) ويكون حرف الهاء ساكناً مثل:

يلي اعليه چتلي بلحاظك نزل لك.

إثنا عشر:ـ تستعمل من بمعنىٰ عندما أو حينما، وهي مستقطبة من منذ علىٰ ما يبدو مثل:

من بالتواصل علينا جيلهن غارن.

وجسمي خوه والعگل من تنخه وطار.

ثلاثة عشر:ـ الأسماء الموصولة:

تستعمل الأسماء الموصولة (من، الذي).

أربعة عشر:ـ تستعمل (الهاء) بدلاً من اسم الإشارة (هذا وهذه) مثل: هالرجل ومعناه هذا الرجل.

وتستعمل لفظ (هذوله) بدلاً من هؤلاء، و(هذنّي) بدلاً من هؤلاء المخصصة للإناث، و(هذيچ) بدلاً من تلك.

خمسة عشر:ـ يقع الأبدال في العامية مثل:

حنا والمقصود بها نحن، وينعل والمقصود بها يلعن.

ملاحظات لا بد من الإشارة إليها:

أ ـ وضع المؤلف ومساعداه بعض النصوص بين قوسين مكررين، وكذلك بعض الأسماء بين أقواس مفردة. قد وضعتُ أقواساً مزدوجة، منعاً للالتباس والتمييز بين الأقواس، وميّزتُ الأقواس المعدة من المؤلف بهذا الشكل " " والأقواس المفردة بهذا الشكل ( ). لذا فأن الأقواس المقلوبة إلى الأعلى هي من وضع المؤلف. أما الأقواس التي وضعناها فهي بهذا الشكل « » والتي كتبنا في داخلها بعض الأسماء التي تختلف طريقة لفظها عن الطريقة التي اعتمدها المؤلف فمثلاً سواريقية «سوارقية».

ب ـ اعتمد المؤلف طريقة لفظ الأسماء كما تطلق في منطقتها الجغرافية

فمثلاً لفظ الأسماء في شمال الجزيرة يختلف بعض الشيء عن طريقة لفظه كما هو الحال في جنوب العراق، فالجيم لا تلفظ بشكل قوي بل يكاد يختفي في اللفظ مثل كلمة «رجال» تلفظ «ريال». وقد أبقيت جميع الأسماء كما كتبت من قبل المؤلف ومساعديه، ما عدا التصحيح الذي وضع في هامش الصفحة. أما طريقة كتابة عشيرة الرولة فإن الإسم يختلف لفظه من منطقة إلى أخرى فتلفظ في شمال الجزيرة العربية باسم الرولة روالة، وفي العراق تلفظ رولة، أما في سورية فتلفظ وتكتب رولا، وقد اعتمد المؤلف على الطريقة السورية في لفظ القبيلة ولكن وجدنا أن تكتب رولة وهي الأكثر شيوعاً في الكتب والمصادر التي اعتمدها في تحقيق الكتاب، مثلاً بوكهاردت يكتب رولة بهذا الشكل ـ رولاً Raualla ورواله Rowalla[1]، أما موزيل في كتابه عادات وتقاليد الرولة فيكتبها بهذه الطريقة RWALA و RWEJLI أي روالا ورواله والفرد روّلي[2].

جـ ـ الخليج العربي.

اعتمدتُ تسمية الخليج العربي بدلاً من استعمال الخليج الفارسي الذي اعتمده المؤلف. فقد كانت أسماء عديدة تطلق على الخليج على مر العصور، وكان الإسم الذي يطلق عليه في العصور القديمة كما دلت النقوش الأكادية «البحر الأدنى» أو «المر». أما الاسكندر المقدوني فأطلق عليه اسم الخليج الفارسي[3]. وأطلق بعض علماء الجغرافية المسلمين عليه اسم البحيرة الإسلامية. وورد اسم اللمة، وأرض البحر. وفي عصور لاحقة أطلق عليه خليج البصرة وخليج كوجك (أي الصغير) كما هي الحال عند الأتراك[4].

إن الأوربيين يطلقون ويسمون الأشياء بطريقتهم الخاصة، فهم يطلقون اسم

---

(1) John L. Burchardt - *Bedouins and Wahabys*, Vol 1,2 1967 ? Vol 2 P379, 385.

(2) *Manners and Customs of Rwala Bedouin*, By L Musil - New York 1928.

(3) حوراني جورج ـ ت ـ د يعقوب بكر ـ العرب والملاحة في المحيطة ص309 عن كتاب الخليج العربي لقدري قلعجي ـ 1965 ـ بيروت ـ دار الكتاب.

(4) التميمي خليل ـ الكفاح العربي في عربستان ص12 بدون تاريخ.

مسوبتميا (أي ما بين النهرين) على العراق (وهي صفة وليست اسماً) وقد استعملوا هذه التسمية في كتبهم، وهم يتجاهلون كلمة العراق، علماً أن العراق أول ما ذكر في العهد الأكادي قبل 4000 سنة تحت اسم أراك. هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن أهل المنطقة العربية معروف لديهم «الخليج العربي» وهذا ما فعله الأستاذ نجدة فتحي صفوة في كتابه الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية[1].

د ـ وضعت في الصفحات هوامش لغرض تمييزها عن هوامش المؤلف ومساعديه استعملنا النجمة * بدل الرقم.

هـ ـ اعتمد المؤلف على تسمية العراق على نفس نسق التقسيم الجغرافي للمنطقة الذي يعتمد من قبل قسم كبير من الأوروبيين، حيث يطلقون اسم العراق، أو وادي الرافدين ويقصدون به المنطقة الممتدة جنوب الخط بين فلوجه سامراء جنوباً إلى الخليج العربي. وقد سمى المؤلف هذه المنطقة باسم العراق، وأسميتها بالعراق الجنوبي. أما القسم الأعلى بلاد ما بين النهرين مسوبتميا. والمقصود به المنطقة الممتدة شمال خط فلوجه ـ سامراء باتجاه ديار بكر ونصيبين وجزيرة عمر، وقد اعتمدت أن نطلق اسم العراق الشمالي على هذه المنطقة، لكونها تقع في ضمن التقسيم الجغرافي للعراق الحديث.

ي ـ ويقتضي التنبيه إلى أنَّ التصويبات التي ذكرها المؤلف ومساعدوه في نهاية عملهم الكبير عمدتُ إلى مطابقتها على النصوص مباشرة. وبذلك تمَّ غرض التصويب على هذه الكيفية.

الإستشراق الألماني

تعد الدراسات الاستشراقية الألمانية من أهم وأثرى الدراسات الاستشراقية الغربية وأقلّها انتشاراً في العالم العربي، وهذا يعود إلى أسباب عديدة منها ضعف انتشار اللغة الألمانية في العالم العربي، وقلّة الجهود الألمانيا للمساعدة في ترجمة

(1) صفوة نجدة فتحي ـ الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية ـ الساقي لندن ـ 1996.

الدراسات إلى العربية. كما أن هناك سبباً آخر لقلة انتشار دراسات الاستشراق الألماني في العالم العربي يعود إلى ضعف الدور السياسي الألماني في العالم العربي بشكل عام.

وتجدر الإشارة أن «الدراسات الإسلامية» "الاستشراقية" هي منهج أكثر حداثة من الدراسات الشرقية. رأت النور في ألمانيا عند نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، عندما أخذت ألمانيا تطور سياسة أكثر فاعلية إزاء الإمبراطورية العثمانية وأماكن أخرى من العالم الاسلامي، وبالتالي، احتاجت إلى فهم أعمق لما كان يحدث في الواقع في العالم الاسلامي «المعاصر» وكل تعقيده[1].

إن معرفة لغات العالم الاسلامي وتاريخه كانت شرطاً ضرورياً، لكنه غير كاف للقيام بهذا الواجب. بل الحاجة الملحّة في هذا المجال هي تناول الموضوع من خلال ثقافة متعددة المنهج. في ألمانيا تستعمل تعبير ISLAMWISSENSCHAFTEN أي علوم إسلامية» و«الجمع» هدفه ضمن كل العلوم الضرورية لفهم حالة عالم المسلمين الحقيقي ومستقبل تطوره أينما عاشوا. حقل «العلوم الاسلامية» في هذا المفهوم الواسع، يجب أن يضم، ليس فقط الفيلولوجيا، إنما أيضاً الاقتصاد والعلوم السياسية السوسيولوجيا والاثنولوجيا والجغرافيا والقانون وغيرها[2].

الاستشراق اصطلاحاً: هو علم يدرس لغات شعوب الشرق وتراثهم وحضارتهم ومجتمعاتهم وماضيهم وحاضرهم[3].

ودوافع الاستشراق بشكل عام[4] تتلخص بما يلي:ـ

(1) المنجد صلاح الدين ـ المستشرقون الألمان ـ دار الكتاب الجديد ـ بيروت ـ 1982، ص7.
(2) توماس شيفلر، جريدة النهار 26/ 1/ 2004م.
(3) د. خوري فاروق عمر ـ الاستشراق والتاريخ الإسلام ـ الدار الأهلية عمان ـ 1988 ـ ص30.
(4) د. خوري فاروق عمر ـ المصدر السابق ـ ص39 ـ 41.

1 ـ الدافع الديني

2 ـ الدافع الاستعماري.

3 ـ الدافع العلمي.

يذكر الأستاذ ألبرت ديتريش أن أول محاولة في ألمانيا لتدريس اللغة العربية كانت من قبل «كريستمان» المتوفى سنة 1613. فقد ألف كتاباً لتعليم كتابة الحروف العربية. أما الرائد الأول الذي وقف حياته كلها على دراسة اللغة العربية والحضارة الإسلامية فهو رايسكه المتوفى سنة 1774. وتابع بعد ذلك المستشرقون حتى كان القرن التاسع عشر عصر الازدهار والنتاج الخصب للاستشراق الألماني، والمتتبع لحركة الاستشراق الألماني يلاحظ أنه اختص بمزايا[1].

1 ـ كان الأقل بين الدراسات الاستشراقية للخضوع لغايات سياسية أو استعمارية أو دينية كالاستشراقات الأوروبية الأخرى (فألمانيا التي لم يتح لها أن تستعمر البلاد العربية أو الإسلامية، ولم تهتم بنشر الدين المسيحي في الشرق). ولم تؤثر هذه الأهداف بشكل عام في دراسة المستشرقين الألمان وبقيت محافظة غالباً على التجرد وعلى الروح العلمية. وإذا ظهرت بعض الدراسات الاستشراقية الألمانية تخالف هذا الحال فهذا الأمر لا يمكن تعميمه في الدراسات كلها.

2 ـ لم تكن دراسات المستشرقين الألمان عن العرب والإسلام والحضارة الإسلامية العربية متصفة على الأغلب بروح عدائية، نعم نجد بعض المستشرقين أتوا بآراء لا توافق العرب المسلمين (كحال آراء نولدكه المتوفى سنة 1930م في كتابه «تاريخ القرآن». لم نعرف من المستشرقين من جعلوا ديدنهم عداء العرب والإسلام، وتعمد الدس والتشويه في دراساتهم بل العكس لقد اتصفت دراستهم بروح إعجاب وتقدير وحب وإنصاف. نجد هذه الروح عند رايسكه الذي سمى

(1) المنجد صلاح الدين ـ الاستشراق الألماني ـ دار الكتب الجديد ـ 1982 ـ ص7.

نفسه (شهيد الأدب العربي). والذي يعتبر واضع أساس متين لدراسة العربية في أوروبا، نجدها عند جورج جاكلوب في كتابه (أثر الشرق في العصر الوسيط)، ونجدها في المعاصرين عند السيدة زيغريد هونكه في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب»[1].

3 ـ المنهج العلمي الدقيق الذي يعتبر عند البعض مثالاًنادراً يحتذى به، لقد عملوا بحب وحماسة بقدر ما أسعفتهم به المعرفة والمصادر ولقد استدرك بعضهم على بعض بإخلاص وصحّح بعضهم أخطاء بعض، وكانوا علماء حقاً يقبلون كلّ نقد وتصحيح[2].

لقد قدم الاستشراق الألماني للعرب والمسلمين خدمات ودراسات كثيرة، منها:

أ ـ نشر النصوص القديمة. أن مجموع ما نشره الألمان وحدهم يفوق ما نشره المستشرقون الفرنسيون والإنكليز معاً. ولكن مع الأسف لا يوجد سرد لجميع النصوص العربية التي نشرها الألمان. لقد ضرب بعض المستشرقين مثالاً في تحقيق النصوص من حيث العدد، ومن حيث الدقة مما يعجز مجمع علمي عن نشره وكما حال فون فوستنفلد F. Wuestenfeld 1899م الذي حقق (معجم البلدان) لياقوت الحموي، و(وفيات الأعيان) لابن خلكان، و(طبقات الحفاظ) للذهبي، و(تهذيب الأسماء واللغات) للنووي، و(الاشتقاق) لابن دريد، و(تواريخ مكة) لاورقي، والفاكهي والفاسي وابن ظهيرة، ومعجم ما استعجم للبكري، و(عجائب المخلوقات) للقزويني و(السيرة) لابن هشام وقد زادت آثار هذا العالم الكبير على المائتي كتاب[3].

ب ـ فهرست المخطوطات العربية الموجودة في مكتبات ألمانيا ومكتبات العالم أو التنويه بها[4].

(1) المنجد صلاح الدين ـ المصدر السابق ـ ص8.
(2) المنجد صلاح الدين ـ المصدر السابق ـ ص12.
(3) المنجد صلاح الدين ـ المصدر السابق ـ ص8.
(4) المنجد صلاح الدين ـ المصدر السابق ـ ص10.

جـ ـ الاهتمام بالمعاجم العربية. اهتم الألمان بالمعاجم العربية، فقد أصدر يعقوب بوليوس 1667م أول معجم، ثم وضع بعده فرتاغ 1861م، كما وضع بعده فبر المعجم العربي الألماني[1].

د ـ الاهتمام بالدراسات المختلفة في ميادين الثقافة الإسلامية. فقد درسوا التاريخ الإسلامي واللغة العربية واللهجات والأساليب، وكذلك دور الرواية والرواة في الإسلام، وشعر القبائل العربية ودراسات عن الفتوة في الإسلام وتاريخ إيران، ودراسة فلهاوزن عن تاريخ الدولة العربية وسقوطها.

هـ ـ الدراسات الآثارية: اهتم الألمان بالآثار الشرقية القديمة اهتماماً عظيماً وكان أوبنهايم أحد هؤلاء.

و ـ الدراسات المعمارية: لقد عمل بعض المستشرقين الألمان في دراسة فن العمارة الإسلامية، والعربية وسجلوا بكتبهم ما تم حفظه. مثالاً على ذلك الدكتور المهندس اوسكر روثر الذي سجل بأحد كتبه فن العمارة العراقية تحت عنوان البيوت العراقية ومحيطها الاجتماعي، وهي دراسة فريدة من نوعها. (وسوف يصدر الكتاب عن دار الوراق قريباً).

دور ألمانيا في الدولة العثمانية وتداخل المصالح

كان قيام ألمانيا الموحدة تحت قيادة بسمارك قد شكلَّ النقطة الأهم في تاريخها الحديث، وظهورها القوي في الساحة الأوروبية حيث كانت النهضة الصناعية والثقافية والأدبية جعلت منها قوة كبيرة، لذا فقد أبدت ألمانيا اهتماماً متزايداً بالشرق الأوسط والعالم الإسلامي وأفريقية وسعت للبحث عن آفاق جديدة خارج النطاق الأوروبي في الفترة التي كان النفوذ البريطاني والفرنسي قد جذّر نفوذه في أغلب أرجاء المَعمورة. لقد عملت ألمانيا على دخول حلبة الصراعات في تلك

(1) المنجد صلاح الدين ـ المصدر السابق ـ ص11.

الفترة بالذات والقائمة على تقسيم الأمبراطورية العثمانية (الرجل المريض)، فبدأت تنسج روابط وعلاقات مع الدولة العثمانية التي كانت في القرن التاسع عشر تسعى إلى التحديث. إن الدولة العثمانية كانت تحتاج إلى دولة قوية ومتقدمة اقتصادياً وصناعياً تساعدها في عملية الإصلاح والتقدم. لقد كانت الشروط الصعبة التي تفرضها بريطانيا وفرنسا لإعطاء هذه القروض قد وطد التوجس والخيفة اللذان يكتنفان أصحاب السلطة في الدولة العثمانية من اتساع نفوذ هاتين الدولتين مما جعلتا أصحاب السلطة في الدولة العثمانية يبحثون عن دعم خارجي وكانت ألمانيا الأكثر توافقاً مع هذا الوضع.

لقد كانت ألمانيا الدولة القوية ذات الصناعة المتقدمة تبحث لها عن أسواق جديدة، فسوق الدولة العثمانية كبير ومهم. فكان مشروع خط سكة حديد برلين ـ بغداد لتوثيق الروابط الاقتصادية والسياسية بين الدولة العثمانية وألمانيا ومشكلاً نقطة تحدٍ لسياسة الهيمنة البريطانية الفرنسية، خصوصاً أن البحار كانت تحت النفوذ البريطاني الفرنسي.

إن إفتتاح قناة السويس شكل نقطة تحول مهمة في التاريخ العالمي حيث شكلت القناة نقطة اتصال جديدة بين الغرب والشرق وقصرت المسافة الموصلة بين أوروبا وآسيا عموماً، والهند خصوصاً التي كانت تحت السيطرة البريطانية.

من هنا سعت بريطانيا وفرنسا إلى فرض سيطرتهما على قناة السويس. إن مشروع سكة الحديد برلين ـ بغداد كان خطوة مهمة، ورد على السيطرة البريطانية الفرنسية على البحار والقنوات البحرية.

إنَّ تأثير ألمانيا قد أخذ بعداً جديداً من خلال اقتباس الأفكار القومية الألمانية وبزوغ نزعة التتريك في الدولة العثمانية، كان الضباط العثمانيون قد انبهروا من التقدم الكبير الذي كانت شهدته ألمانيا مما ساعد على انتشار الفكر القومي لدى العسكر بكونه الطريق الذي يوصل إلى التقدم.

مكونات كتاب البدو

يتألف الكتاب من أربعة أجزاء، أُرفق بكل جزء منه مجموعة من الخرائط الجغرافية تظهر توزع وانتشار وتواجد القبائل المذكورة في ذلك الجزء، وكذلك أرفق المؤلف بعض شجرات أنساب القبائل ووضع بعض الصور في الجزء الأول والثاني.

وفي بداية أي جزء أو قسم يقدم لنا فيه تمهيداً كبيراً يتناول ذلك الجزء، ثم يقدم مقالاً لكل قبيلة. أن المقالات والمقدمات الفرعية هي في الواقع دراسة تاريخية جغرافية سياسية واقتصادية تغطي كل جوانب القسم أو الفصل المبحوث، وفيه يتناول القبائل من حيث تكويناتها وتطورها ودورها السياسي وتاريخ هجراتها. إنَّ بحثه يتناول القبائل على ضوء المناطق الجغرافية أي اعتمد على التقسيم الجغرافي للقبائل

الجزء الأول (المجلد الأول) صدر باللغة الألمانية عام ١٩٣٩م

يتكون هذا الجزء من قسمين :ـ

القسم الأول: ما بين النهرين ـ العراق الشمالي

تناول المؤلف كل القبائل والعشائر الرحل، ونصف الرحل والفلح (الفلاليح). كما تناول المؤلف الحديث عن القبيلتين عنزة وشمر في قسم بلاد ما بين النهرين «العراق الشمالي» الذي يقع جزء منه الآن في سورية ـ منطقة الجزيرة ـ، والقسم الآخر ضمن العراق الحالي بشكل مفصّل. هنا نجد أنَّ المؤلف نفسه لم يقسم عنزة إلى عنزة سورية؛ أو عنزة العراق، بل جعل الفصل الذي يبحث حول قبائل وعشائر عنزة وشمر قائماً في جزء بلاد ما بين النهرين. أن أهمية هاتين القبيلتين ودورها في تاريخ المنطقة، جعل المؤلف يستغرق في بحث عن تاريخ وأصول هاتين القبيلتين بشكل يغطي تاريخها من عصر ما قبل الإسلام إلى الوقت الذي تمَّ فيه البحث. مضافاً إلى البحث في قبائل طي وعشائرها، وزبيد بقبائلها ألبو

شعبان، وعقيدات، وجيس، وحرب، والنعيم، والحديدين، وغيرها من القبائل والعشائر.

القسم الثاني: سورية

تناول المؤلف القبائل الساكنة في المنطقة الجغرافية التي تختلف بعض الشيء عمّا هو معروف حالياً باسم سورية، حيث تعد منطقة الجزيرة ضمن التقسيم الجغرافي لمنطقة بلاد ما بين النهرين «العراق الشمالي»، وتشمل سورية في هذا الجزء كل سورية الحالية ما عدا منطقة الجزيرة. ويشمل البحث القبائل حول حلب المستقر والرحّل وكذلك قبائل حماة، وقبائل ريف دمشق، والجولان، وقبائل عرب الجبل، والموالي، فضل، عمرو، وبني خالد وغيرها.

الجزء الثاني (المجلد الثاني) صدر باللغة الألمانية عام ١٩٤٣م

ويتكون من أربعة أقسام

القسم الأول: قسم فلسطين

يتناول في هذا القسم القبائل الفلسطينية المتواجدة شمال وجنوب وبعض مناطق وسط فلسطين. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن المؤلف قد استعمل التعابير التوراتية في تسمية بعض المناطق الفلسطينية فمثلاً يسمي صحراء يهودا، ويقصد صحراء الخليل، وقد أشرت في الهوامش إلى التسمية العربية الفلسطينية لتلك المناطق المختصّة بالقسم الفلسطيني الذي لم يهود، ولم تفتهُ الإشارة إلى موضوع الدور الصهيوني في فلسطين.

بعد المقدمة التاريخية التي ابتدأت من العصر القديم إلى العصر الحديث عن فلسطين وجغرافيتها. تناول أوبنهايم القبائل الفلسطينية، والأحداث التاريخية التي حدثت في القرنين الأخيرين، فقد بدأ بقبائل شمال فلسطين ثم عرّج على قبائل أريحا والساحل، ومن ثم تحدث عن قبائل الداخل من الشمالنه، والكعابنة، والمساعيد، والرشايدة إلى القبائل المجاورة لسيناء، كالتياها وغيرها من القبائل والعشائر.

القسم الثاني: قسم سيناء

سار المؤلف على النسق نفسه من حيث السرد التاريخي والوصف الجغرافي للمنطقة، ثم متناولاً القبائل الساكنة فيه، وعلاقاتها مع بعض القبائل المصرية حيث يثبت انتقال بعض القبائل من مصر إلى سيناء والأردن كحال الحويطات. ومن القبائل التي يتناولها في البحث الترابين والسواركة والجبالية والتياها، وغيرها.

القسم الثالث: الأردن

تناول فيه إمارة شرق الأردن وسار على النسق نفسه من حيث السرد التاريخي والوصف الجغرافي للمنطقة، متحدثاً عن القبائل الساكنة فيه ومنها سرحان وبني خالد والعدوان وقبائل الكرك والعمرو والشوبك وغيرها.

القسم الرابع: الحجاز

تناول المؤلف الجانب التاريخي، وتأثير الإسلام في هذا الإقليم، ودور قريش، ومن ثم دور الأشراف فيه والصراعات التي حدثت في تاريخ المنطقة، مشيراً بتفصيل إلى القبائل البدوية كهذيل، وحرب، وعنزة، وبني فهيم، وعدوان، وحرب وبنو عطية.

الجزء الثالث (المجلد الثالث): صدر باللغة الألمانية عام 1953م

تولى هذا الجزء مسؤولية الإشراف عليه بعد موت المؤلف مساعده كاسكل لوحده وهنا نجد أنَّ الكتاب تضمن بعض المعلومات التي كانت غير متوفرة في حياة أوبنهايم، وقد شمل منطقة شمال ووسط الجزيرة العربية وتشمل (نجد والكويت، وقطر، والحسا، والإمارات والبحرين). وقد سار على النسق نفسه من حيث السرد التاريخي والسياسي والوصف الجغرافي للمنطقة، وينقسم هذا الجزء إلى قسمين:ـ

القسم الأول: يتناول شمال ووسط وشرق الجزيرة العربية، حيث تتجلى

البداوة بأجلى صورها، عند شمر، وحرب، وضفير، والدواسر، وبني خالد، وبني هاجر.

القسم الثاني: العراق «العراق الجنوبي».

حيث يشكل هذا القسم ثلثي الكتاب لكونه يشمل منطقة ذات كثافة سكانية عالية قياساً إلى كل الأجزاء التي يتناولها الكاتب قبائل وعشائر العراق «العراق الجنوبي»، مثل عقيل، وخفاجة، والجبور، والحميدات، والخزاعل، وفتلة، وبني تميم، وغيرها من القبائل والعشائر الصغيرة والكبيرة.

الجزء الرابع (المجلد الرابع): صدر باللغة الألمانية عام ١٩٦٦م

سار المؤلف على النسق نفسه ـ كعادته ـ من حيث السرد التاريخي والوصف الجغرافي للمنطقة، لكن في القسم الثاني من هذا الجزء سلط الضوء على نواحي مهمة في فهم النظرة الاجتماعية الدونية لعشائر هتيم وصلبه والخضير. . ولا بد من الإشارة إلى أن الفصل الثاني والثالث من هذا الجزء يختلف عن الأجزاء الأخرى من الكتاب في معالجة جغرافية القبائل والعشائر «هتيم، شرارات، حوازم، صلبة، والخضير» ويعالجها ليس ضمن التقسيم الجغرافي الذي اتبعه في معالجة القبائل والعشائر في أجزاء الكتاب الأخرى بل عالجها بشكل وحدة واحدة. أي عندما يتحدث عن هتيم فيتحدث عن هتيم العراق، وشمال الجزيرة، والحجاز، وهكذا عن صلبه. وقد استعمل المؤلف كلمة غير أصلاء. أما البرفسير كاسكل (معد ومنقح الكتاب) فقد استبدل كلمة «غير أصلاء» بكلمة المنبوذين، أي الباريا، وقال أنه يجدها أكثر تعبيراً من كلمة «غير أصلاء».

كما يتكون هذا الجزء من قسمين:

القسم الأول: يتألف من أربعة فصول على النحو الآتي:

الفصل الأول: يتناول به قبائل وعشائر خوزستان «إيران» عربستان.

الفصل الثاني: الهتيم وتشمل الشرارات والحوازم.

الفصل الثالث: الصليب (صلبه).

الفصل الرابع: الخضر «الخضران».

أما القسم الثاني: فهو يشمل على فهرس أسماء القبائل والعشائر وشيوخها والأعلام وكذلك على أسماء الأماكن والبقاع، ومصادر الكتاب التي اعتمدها المؤلف.

المجلد الخامس

لقد وضع المؤلف مشجرات أنساب وخرائط جغرافية في كل جزء، تبين مكان انتقال وانتشار وتواجد القبائل التي هي موضوع البحث حيث قمنا بجمع هذه الخرائط، وقسم من مشجرات الأنساب في هذا المجلد.

كما عمدتُ لرسم مشجرات الأنساب لعدد من القبائل معتمداً بالأساس على مادة الكتاب بالإضافة إلى بعض المصادر الأخرى لأنَّ وجود هذه المشجرات، والخرائط في الكتاب يضيف مادةً أخرى إلى هذا العمل الكبير.

ترجمة سيرة أوبنهايم[1]:

يعتبر أوبنهايم واحداً من الشخصيات الفريدة التي تملك ذلك التنوع الهائل والكبير من الاهتمام في مواضيع الحياة. فهو القانوني والدبلوماسي والسياسي والمستشرق والآثاري والمخطط الإنمائي والاستخباراتي.

ولد أوبنهايم في 15 تموز عام 1860م في مدينة كولون بألمانيا. وهو الإبن الثاني لـ البريت وبيولا أوبنهايم. وقد أكمل دراسته الجامعية، حيث درس القانون في جامعة ستراسبورغ Strasbourg عام 1879م التي كانت جزءاً من ألمانيا في ذلك الوقت. وفي جامعة برلين بين عام 1881 ـ 1883م. في شباط 1883م نجح في

(1) غابرييله تليشمان Gabriele Telichmann كاتبة سيرة أوبنهايم ـ موجز عن حياته باللغة الإنكليزية زودتني بها.

امتحان الدولة وهذا الامتحان يؤهله للعمل في مرافق الدوائر الرسمية. وبعد شهر من ذلك التاريخ حصل على درجة الدكتوراه في القانون من جامعة غوتنغن (Goettingen). لقد حصل على تلك الدرجة العلمية وله من العمر 23 عاماً.

يعود بدء اهتمام أوبنهايم في الشرق إلى سني المراهقة الأولى، كما وصفها في مذكراته حيث يقول: إن اهتمامه الكبير جاء بعد أن أهدي له نسخة من كتاب ألف ليلة وليلة وهو في سنِي المراهقة. حيث كانت نقطة البداية في اهتمامه بالشرق، ثم نضج وتطور هذا الاهتمام بمرور الأيام وكان هذا الاهتمام والشغف ملازماً له، بل كان موازياً لدراسة القانون. إن الولع والاهتمام والمثابرة دفعت أوبنهايم إلى مجالات متنوعة وكثيرة، فقد توسعت دراساته وشملت مواضيع متعددة منها، دراسات الأنثروبولوجي، والأثنولوجي، والتاريخ القديم، ومن ضمنها الدراسات الآشورية التي جعلت منه عالماً متضلعاً في الثقافات والمعرفة المتنوعة. فقد أصبح عضواً في المتحف الملكي الاثنولوجي في برلين، وعضواً في الجمعية الجغرافية الأنثروبولوجيه والاثبولوجية، والتاريخ البدائي وكلا الجمعيتين مقرهما برلين.

بدأ أوبنهايم دراسة اللغة العربية في السنين الأولى من حياته على يد مدرسين خاصين وكان أحد هؤلاء هو Friedrich Wilhelm Müeller الذي يُعدُّ من المدرسين المهمين الذين أسهموا في تعليمه اللغة العربية.

أما بخصوص موقعه كعالم في الاستشراق فيمكن القول بأنه صنع نفسه بنفسه.

ففي عام 1883/ 1884م قام بأول رحلة استكشافية إلى الشرق (تركيا ومصر). وفي عام 1886م قام برحلة إلى المغرب وفي 1892/ 1893م: قام برحلة استشراقية كبيرة من دمشق، وعبر الصحراء السورية، منحدراً إلى نهر الفرات وإلى البصرة. ومن هناك إلى الهند وأخيراً إلى المستعمرات الألمانية الجديدة في شرق أفريقيا. إنَّ نتائج هذه الرحلة والخبرة التي حصل عليها نجدها مفصلة في كتابه (من البحر الأبيض إلى الخليج الفارسي «العربي»)، وهو في جزئين صدر

الأول منهما في عام 1899 والجزء الثاني في 1900م.

وفي عام 1895م ـ ذهب في رحلة إلى اسطنبول، وفيها أعطي له امتياز الحظوة بلقاء السلطان عبد الحميد الثاني بشكل خاص. وقد سهلت له هذه الخطوة بالحصول على معلومات قيمة لبحوثه واكتشافاته الأثرية في المنطقة.

في عام 1896م عمل مستشاراً للقنصل الألماني العام في القاهرة حتى عام 1909م، لم يكن له آنذاك موقع وظيفي دبلوماسي معين، ولكن سمح له بتقديم التقارير إلى المستشار الألماني مباشرة، لقد خدم في عمله في القاهرة لمدة 13 عاماً، وقد بلغ عدد التقارير التي قدمها إلى برلين ما يقارب من 500 تقرير ومذكرة شملت مواضيع عديدة، منها: الوضع السياسي للبدو في مصر وتركيا وفي الحجاز، خصوصاً (المدينة ومكة)، ووضع حال الإسلام في آسيا وأفريقيا وكذلك حال الحركات الإسلامية والقومية العربية وسياسة القوى الأوروبية في الشرق. على كل حال هو لم يعتمد كأحد الدبلوماسيين الألمان، وذلك بسبب أصوله اليهودية. إلا أنه حصل على شيء قليل من العطف من قبل وزارة الخارجية في برلين.

في القاهرة بنى علاقات واسعة مع القادة العرب والأتراك، وخصوصاً ممن كان لهم مكانة في الحركات الإسلامية. وقد كان موضوع شك وريبة لدى السلطات الإنكليزية في القاهرة، فلم يعرف متى انضم أوبنهايم إلى جهاز المخابرات الألماني، وهل كان فعلاً موظف مخابرات في تلك الفترة؟ على أرجح الظن أنه كان كذلك، فإن السماح له بتقديم التقارير والمذكرات إلى المستشار يدل على أن موقعه كان كبيراً في ذلك الجهاز.

في عام 1899م اكتشف آثار تل حلف في الشمال الشرقي لسوريا، وحصل فوراً على موافقة السلطة لعمله الاستكشافي.

وقد أصبح في عام 1902م مسؤولاً عن خطط إنشاء خط سكة حديد برلين ـ بغداد التي كانت ممولة من قبل البنك الألماني. وقد سافر إلى الولايات

المتحدة الأمريكية لدراسة خطوط سكك الحديد الأمريكية، والاستفادة من الخبرة والتجارب الأمريكية في هذا المجال.

وفي عام 1904م قام برحلة ثانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية لنفس الغرض، وقدم دراسة واسعة عن تأثير الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لمشروع ربط مدن العراق وسورية بخطوط السكك الحديدية، ولكن مشروعه رفض من قبل البنك الألماني لأنه حسب قول البنك ـ غير واقعي. إن هذه الدراسة مطبوعة في كتاب ولكن لم يتم تداوله إلا بشكل محدود.

في عام 1905م ـ أرسل كمندوب لألمانيا لمؤتمر الاستشراق الرابع عشر الذي عقد في الجزائر، وقد قام برحلة إلى الجزائر، وتونس، وقابل القادة السنوسيين.

وأرسل في عام 1908م ـ مندوباً لألمانيا لمؤتمر الاستشراق الخامس عشر الذي عقد في كوبنهاكن.

وفي عام 1909م ـ قدم أوبنهايم استقالته من عمله الوظيفي بشكل طوعي، ولكن هل استمر يعمل بجهاز المخابرات الألماني، أم ترك العمل فيه؟ هذا السؤال لم نعرف جوابه!

في عامي 1911م ـ 1913 استأنف البحث في آثار تل حلف.

في عام 1914م إستُدعي أوبنهايم من قبل وزارة الخارجية للخدمة. وقدم مذكرة حول «الثورة في العالم الإسلامي في أرض الأعداء»، وهي الفكرة التي كان الإعداد لها للجهاد ضد البريطانيين والفرنسيين، خصوصاً في تلك المستعمرات التي كان سكانها من المسلمين. لقد أصبح مسؤول دائرة المخابرات الشرقية بأكملها، والتي كانت هي مسؤولة عن الدعاية ضد بريطانيا وفرنسا وتأليب الشارع الإسلامي ضدها.

في عام 1915م ـ صار ملحق في السفارة الألمانية في اسطنبول. كان أوبنهايم قد أنشأ قسم الأخبار في أغلب أنحاء الأمبراطورية العثمانية، وكانت مسؤوليته في

دعم الحرب الدعائية التي تعد في ألمانيا والتي تذهب بطريقها إلى لبنان والقدس وشبه جزيرة سيناء وبلاد ما بين النهرين.

في عام 1917م عاد إلى ألمانيا، وبعدها بسنة انتهت الحرب العالمية الأولى، التي تم بها احتلال كل العالم العربي من قبل بريطانيا وفرنسا. بدأ عمله كعالم أكاديمي. لقد عمل كعالم أكاديمي بعد الحرب العالمية الأولى مع مجموعة من العلماء من ضمنهم الاثنولوجي إيريش برونيلش Erich Braunlieh والمستشرقين فرنركاسكل Werner Caskel وآرثور أونغناد Arthur Ungnad وبرونومايسنر Bruno Meissner وعالم الآثوريات آدم فالكنشتاين Adam Falkenstein والآثاري أنتون مورتغات Anton Moortgat والاختصاصية إرنست هرتسفل Ernst Herzfel.

في عام 1922م ـ قام بتأسيس مركز دراسات الاستشراق في برلين كمؤسسة دراسية حوارية منضبطة.

وفي عام 1923م ـ فقد أوبنهايم ثروة كبيرة في التضخم المالي الذي حدث في ألمانيا.

وفي عام 1925م ـ قام برحلة إلى اسطنبول وأنقرة، وقد طلب منه المشورة بخصوص الحدود الجديدة بين سوريا وتركيا.

في عام 1927م ـ قام برحلة إلى تل حلف لتقييم أوضاع الموقع بعد الحرب الفرنسية التركية.

وفي عام 1929م ـ قام بحملة استكشافية ثانية في تل حلف وجبلت البيدا. وقد سمح لاوبنهايم بإرسال ثلثي مكتشفات تل حلف إلى برلين والبقية أرسلت إلى حلب، وهي اليوم في المتحف الوطني، وفي برلين قام بتأسيس وقفية أوبنهايم الخيرية.

في عام 1930م ـ افتتح متحف تل حلف في برلين مدعوماً من قبل عائلته وأصدقائه.

وفي عام 1931م ـ قام برحلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية لغرض بيع بعض القطع الأثرية التي وجدها في تل حلف، لحلّ بعض مشاكله المادية، ولكن المشروع فشل بسبب حالة الكساد العظيم الذي كان في ذلك الوقت.

في عام 1939م ـ قام بآخر رحلة إلى سوريا وقد رُحّل إلى ألمانيا قسراً، وذلك بتدخل من السلطات الفرنسية.

وفي عام 1943م ـ تعرض بيت ومكتب أوبنهايم الخاص ومقتنياته الشرقية وآثار تل حلف في المتحف للضرب بواسطة القنابل، وسببت أضراراً كبيرة في فقدان الكثير منها. ثم رحل إلى درسدن.

1945م ـ بعد الحملة الجوية العنيفة على درسدن انتقل إلى بافاريا.

1946م ـ في 15 تشرين ثاني نوفمبر توفي أوبنهايم في لانشت وفيها دفن.

مؤلفات ماكس فرايهر فون أوبنهايم

1 ـ تقرير عن رحلته عبر البادية السورية. برلين 1894م.

2 ـ رحلة عبر البادية السورية وبلاد ما بين النهرين إلى الموصل وبغداد في عام 1893م. (باللغة الإنجليزية).

3 ـ مشروع شركة زراعية في هانداي (أوسمبرة) في إفريقيا الشرقية التابعة لألمانيا (مطبوعة كمخطوطة، 1894م).

4 ـ حول خريطة الطريق التي اتبعتها في رحلتي من دمشق إلى بغداد في عام 1893م. غوتا 1896م.

5 ـ من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي، عبر حوران والبادية السورية وبلاد ما بين النهرين، الجزءان الأول والثاني، برلين 1899، 1900م.

6 ـ رحلة في سورية وبلاد ما بين النهرين، من دمشق إلى بغداد، باريس 1900م.

7 ـ تقرير عن رحلة علمية نفذت في عام 1899م في تركيا الآسيوية. برلين 1901م.

8 ـ رابه ومنطقة بحيرة تشاد، برلين 1902م.

9 ـ حول تطوير منطقة الخط الحديدي البغدادي وخاصة سورية وبلاد ما بين النهرين عن طريق الاستفادة من الخبرات الأمريكية (مطبوعة كمخطوطة، برلين 1904م).

10 ـ ماكس فرايهرفون أوبنهايم وهـ. لوكاس: كتابات إغريقية ولاتينية من سورية وبلاد الرافدين وآسيا الصغرى. لايبزغ 1905م.

11 ـ تل حلف والإلهة المحجبّة. لايبزغ 1908م.

12 ـ الرحلة العلمية الثانية للدكتور ماكس فرايهرفون أوبنهايم في تركيا الآسيوية. 1911م.

13 ـ كتابات من سورية وبلاد الرافدين وآسيا الصغرى، ثم جمعها في عام 1899م. لايبزغ 1913م. 1 ـ كتابات عربية، عالجها الدكتور ماكس فان برشم (نشرت لأول مرة 1909م). 2 ـ كتابات سورية، عالجها برنهارد موريتس. 3 ـ كتابات عبرية، عالجها يوليوس أوتينغ.

14 ـ ماكس فون أوبنهايم ونرايهر هيلّر فون غرتر ينغن: كتابات في المغائر من إديّسا مع رسالة المسيح إلى آبغار برلين 1914م.

15 ـ رأس من المرمر لأمير سوري. لندن 1925م.

16 ـ تمثال نصفي لجوليا مايا. لندن 1925م.

17 ـ الجرد ولعبة الجرد. لايبزغ 1927م.

18 ـ تمثال لشخص غير معروف من السرج (من: الشرق القديم. دراسات، مهدأة لبرونومايستر بمناسبة عيد ميلاده الستين. الجزء الثاني، لايبزغ 1929م.

19 ـ روائع تل حلف ـ اكتشاف عظيم. لندن 1930م.

20 ـ أقدم تمثال ضخم في العالم. اكتشاف عظيم في بلاد الرافدين. لندن 1931م.

21 ـ تل حلف، حضارة جديدة في أقدم بلاد الرافدين. لايبزغ 1931.

22 ـ تل حلف. حضارة جديدة في أقدم بلاد الرافدين (باللغة الإنجليزية). لندن 1932م.

23 ـ تل حلف. أقدم عاصمة... باريس 1933م.

24 ـ دليل متحف تل حلف. (برلين) 1934م.

25 ـ إما مكولو، تمثال... جديد من عهد الحثيين في آسيا الصغرى. 1937م.

26 ـ تل حلف، حضارة أعيد اكتشافها في ما بين النهرين. باريس 1939.

27 ـ البدو. بالتعاون مع إيريش برونيلش وفرنركاسكل. الجزء الأول: القبائل البدوية في ما بين النهرين وسورية. لايبزغ 1939م. الجزء الثاني: القبائل البدوية في فلسطين وشرقي الأردن وسيناء والحجاز. لايبزغ 1943م[1].

28 ـ رحلاتي العلمية في أعالي منطقة ما بين النهرين، الخريطة 1: 500,000 مع كلمات توضيحية وفهرس بأسماء الأماكن. برلين 1943م.

29 ـ تل حلف. الجزء الأول: آثار من مرحلة ما قبل التاريخ. إعداد

(1) نشر هذا الجزء فعلياً في نهاية عام 1944م.

هوبرت شميث. مع مقدمة لكامل الكتاب بقلم ماكس فرايهر فون أوبنهايم. برلين 1943م[1]. الجزء الثاني: الصروح المعمارية لكل من فليكس لانغن إغر، وكارل مولر، ورودولف ناومان. أعدها واستكملها رودولف ناومان. برلين 1950. الجزء الثالث: كتب الصور أعدها وأصدرها انتون موتغات، برلين 1955م. الجزء الرابع: الاكتشافات الصغيرة من العصر التاريخي، أعدها وأصدرها بارتل هرودا، برلين 1962م.

30 ـ رحلة عبر الصحراء السورية وبلاد الرافدين إلى الموصل وبغداد عام 1893م، نيويورك 1902م.

31 ـ تنوير (نشر الثورة) في المناطق الإسلامية لإعدائنا، برلين 1914م.

32 ـ منظمة قاعة الأخبار التركية التابعة لقسم الأخبار في السفارة القيصرية (الألمانية) في القسطنطينية في خدمة العمل الدعائي الألماني في المشرق، برلين 1914م.

33 ـ قسم الأخبار في السفارة القيصرية الألمانية في القسطنطينية والدعاية الاقتصادية الألمانية في تركيا، برلين 1916م.

34 ـ منظمة قاعة الأخبار والدعاية الاقتصادية في تركيا، تولى مهامها من قبل جهاز الاستخبارات الألماني لما وراء البحار، برلين 1917م.

35 ـ تطور علاقات القوة في داخل وشمال الجزيرة العربية، برلين 1919م.

36 ـ قبائل بدوية وغير بدوية في سورية والعراق وشمال الجزيرة العربية ووسطها برلين 1919م.

---

(1) نشر أيضاً في نهاية عام 1944م. قبل كتاب تل حلف وكتمهيد له صدر كتاب: كتابات تل حلف. نصوص بالكتابة المسمارية ووثائق آرامية من عاصمة إقليمة آشورية قام بإعداده ونشره: يوهانس فريدرش، غ. رودولف ماير، آرتور أونغناد، إرنست ف. فايدنر. برلين 1940م (أرشيف الأبحاث الشرقية، الملحق 6).

37 ـ دليل عبر متحف تل حلف، برلين 1934م.

38 ـ شعارات أنصاف الآلهات (؟) Subaraeisch على الخزف الملون في تل حلف وعمر صور تل حلف المرسومة على الحجر، في: . . . . . .، باريس 1939م.

39 ـ تاريخ عائلتي إنجلس في كولن وهارتونغ. . .، درسدن 1943م.

إيريش برونيلش (1892 ـ 1945)(1)

يعتبر برونيلش واحداً من المستشرقين المهمين بالرغم من قصر حياته العلمية إلا أنه قد قدم الكثير. عني برونيلش بالشعر الجاهلي وحياة البدو واللغة العربية ومعاجمها وواصل بذلك السلسلة ممتازة من المستشرقين الألمان مثال كوز جارثيني وفلهاوزن وأوغست فيشر.

ولد عام، 1892م وصار معيداً في جامعة لايبزغ عام 1922م، وحصل على الدكتوراه الثانية (المؤهل للتدريس في الجامعة) من غرايفسفالد عام 1923م ثم عيّن أستاذاً في كونجسبرج عام 1930م، والسنة 1931م انتقل إلى جامعة لايبزغ وقد عين أستاذاً في جامعتها، خلفاً للغوي العظيم أوغست فيشر، وصار في نفس الوقت مديراً لمعهد الدراسات الشرقية في جامعة لايبزغ، ثم صار بعد ذلك عميداً لكلية الآداب فيها. ولما قامت الحرب العالمية الثاني عام 1939م استدعي للخدمة فترك العمل الجامعي، ونجا من الموت طوال الحرب لكنه مرض في سبتمبر عام 1945م، وتوفي قبل أن يبلغ 53 سنة.

بحوث وكتب برونيلش

1 ـ بسطان بن قيس أمير وبطل بدوي من العصر الجاهلي لايبزغ 1923م.

2 ـ فهارس الشواهد في الشعر، وهو فهارس للقوافي العربية والشعر الوارد

(1) د. بدوي عبد الرحمن ـ المصدر السابق ـ ص66 ـ 67.

في كتب الشواهد النحوية واللغة العربية ومشابهها (بالتعاون مع أوغست فيشر 1943م).

3 ـ البدو (بالتعاون مع أوبنهايم وكاسكل 1939م ج1 وج2).

4 ـ وله مقالات، منها:

أ ـ البشر في بلاد العرب القديمة (مجلة إسلاميكا ج1).

ب ـ في مسألة صحة الشعر الجاهلي (مجلة OIZ ج29).

جـ ـ الخليل وكتاب العين (مجلة اسلاميكا ج2).

د ـ دراسات عن أبي ذؤيب (مجلة Der Islam (الإسلام ج8).

هـ ـ تحقيق خارطتين من زمن الاكتشافات الكبرى حول تركية، لايبزغ 1937م.

فرنر كاسكل Werner CASKEL[1].

ولد في 5 مارس آذار 1896م بمدينة دانسك الواقعة على الحدود الألمانية البولونية والتي أصبحت جزءاً من بولونيا لاحقاً، دخل جامعة توبنغن لدراسة اللاهوت في الفصل الصيفي 1914م، وفي الوقت نفسه تعلم اللغة الفارسية على يد زايبولد Seybold وفي الفصل الدراسي الشتوي 1914 ـ 1915م انتقل إلى جامعة برلين فواصل دراسة اللاهوت عند أستاذ الآشوريات دليتش Delitzsch ولديه درس القرآن، تطوع في بداية 1915م في الجيش الألماني فاشترك في القتال أولاً في فرنسا ثم الشرق الأوسط ضمن الجيش الألماني المعروف بجيش آسيا والذي كان يحارب مع الأتراك ضد الإنكليز والفرنسيين في تركيا والشرق الأدنى. وعن هذا الطريق

(1) د. بدوي عبد الرحمن ـ المصدر السابق ـ 312 ـ 316.

شاهد تركيا وفلسطين وسورية والعراق، وتعلم التركية إلى جانب إتقانه اللغة العربية التي درسها من قبل في الجامعة.

سرح من الخدمة العسكرية في نيسان 1919م فعاد إلى استئناف الدراسة في جامعة برلين، حيث درس على أيادي ارنست تريليش اللاهوتي، وأدوارد زاخاو المستشرق الكبير. وبناءاً على نصيحة الأستاذ Schaada بأن يلتحق بجامعة لايبزغ انتقل كاسكل إلى لايبزغ، في سبتمبر 1920م اجتاز الامتحان الأول في اللاهوت أمام الهيئة الدينية في دانتسج. ثم عاد إلى ليبزغ لمواصلة الدراسة العربية والإسلامية عند أوغست فيشر، و ر. هارثمان. وفي تموز 1924م اجتاز امتحان الأديان الشفوي للدكتوراه في الدراسات الشرقية، وفي تاريخ الأديان، وقد التحق بالعمل في عام 1923م مع أوبنهايم الدبلوماسي وعالم الآثار لاستثمار نتائج رحلاته العلمية والأثرية. حصل كاسكل على دكتوراه التأهيل للتدريس في اللغات السامية وعلوم الإسلام في جامعة برلين أمام لجنة اشترك فيها متفوخ ومايسنر.

في خريف 1930م عين مدرساً للفيلولوجيا الشرقية في جامعة غرايفسفالد Greifswald خلفاً لبرونيلش. ولأسباب لا نعلمها وقع كاسكل في نزاع مع النازية عام 1933م فقد دعته جامعة منشن (ميونخ) أن يخلف برجشتريسر أستاذ اللغات السامية والدراسات الإسلامية في جامعتها، فلم توافق السلطات النازية على تعيينه. يقول كاسكل عن نفسه «ازداد التضيق على عملي بوصفي مدرساً، خصوصاً بعد أن وقع أبي ضحية التعصب النازي حرمت من التدريس».

وعندما انتهت الحرب عُدَّ كاسكل من ضحايا النازية فعين أستاذاً في جامعة كولونيا حتى تقاعده عام 1964م. وتُوفي عام 1970م.

تأثر كاسكل في دراسة اللغة العربية بأستاذه أوجست فيشر في الفيلولوجيا العربية والشعر الجاهلي ورسالته الدكتوراه الأولى كانت بعنوان «القدر في الشعر العربي القديم».

أما رسالة الدكتوراه الثانية لتأهيله للتدريس في الجامعة Habilitation فكانت بعنوان «أيام العرب»، وفيها درس أمراء العرب في الجاهلية وأبطالها والملاحم العربية الجاهلية، وبهذه المناسبة جمع مواد وفيرة عن مواطن القبائل قبل الإسلام وبعده.

لكنّ العمل العظيم الذي قام به كاسكل هو دراسته الجليلة لكتاب «جمهرة النسب» لابن الكلبي، ويقع في مجلدين ضخمين وهو يحتوي على لوحات أنساب صارت المعتمد الأساسي في كل ما يتعلق بأنساب العرب في الجاهلية، وصدر الإسلام، وعدد هذه اللوحات 334 لوحة زودها بشروح مستفيضة وبفهرس جامع للأشخاص، وقد جمع هذه الشروح، وهي تقع في حوالي 35 ألف مادة من كتب الأنساب والشعر العربي القديم والنقوش.

وقد اهتم في هذا السبيل بكل ما يكتشف من نقوش عربية قديمة، خصوصاً ما اكتشفه العالم البلجيكي الكبير ريكمانز Ryyckmans فكتب بحثاً بعنوان اكتشفات من بلاد العرب في 1954م، وكتب مقالات بعنوان (نقش المنارة، رؤية جديدة» وبحثاً بعنوان معنى النقش الذي عير عليه في حصن الغراب، وكتب عن الصخرة والأسراء. ولحيان والحيانيات 1954م.

كتب ومؤلفات كاسكل

1 ـ دراسات في الملاحم العربية القديمة 1931م.

2 ـ مهدي من القرن الخامس عشر 1931م.

3 ـ ولاة الحويزة 1934م.

4 ـ قبة الصخرة والحج إلى بيت المقدس 1936م.

5 ـ الحديث في صدر الإسلام 1936م.

6 ـ مشاركة مع أوبنهايم وبرونيلش في كتاب البدو في جزئيه الأول والثاني،

ثم واصل نشر الجزء الثالث والرابع بعد موت أوبنهايم.

7 ـ تحقيق كتاب جمهرة النسب لابن الكلبي.

8 ـ شارك في تأليف كتاب «موسوعة العالم» في مجلد كبير أطلق عليه «تاريخ العرب قبل الإسلام» 1967م.

9 ـ أهمية البدو في تاريخ العرب، كولون 1953م.



مقدمة المؤلف

كتاب "البدو"، الذي بين أيدينا، هو حصيلة أربعين عاماً من العمل والملاحظات والتسجيلات الشخصية، التي قمت بها في عين المكان وإنني لأتقدم بجزيل الشكر لكل من مد لي يد العون في الشرق، أو قام، من تلقاء نفسه، بتقديم ملاحظات واجراء تسجيلات هناك. واخص بالذكر، قبل كل شيء، مساعدي الالمانيين البروفيسور الدكتور إريش برونيلش والدكتور فرنر كاسكل.

ومع أنني ابديت اهتماماً خاصاً بكل ما سبق ونشر حول البدو حتى الآن، فإن أبحاثي الخاصة تبقى الأساس الذي يقوم عليه هذا الكتاب.

يضم كتاب "البدو" بين دفتيه كل ما يستحق أن يعرف عن القبائل الرحل ونصف الرحل، واهميتها الفائقة، وعن القبائل الرعوية غير العربية أيضاً، التي تقطن الشرق الأدنى وتنتشر في أراضي أسيا الصغرى المرتفعة وفي العربية السعودية جنوباً. إنه كتاب صيغ بأسلوب علمي رصين، لكنني حرصت، في الوقت نفسه، على أن يكون مفهوماً من الجميع. لذلك فهو لا يخاطب المتعلمين وحدهم، بل يتوجه إلى كل من لديه اهتمام بمسألة البدو، أو من يتعامل معهم، بمن فيهم الرحالة الأوروبيون، والموظفون، والضباط العاملون في الشرق. سيقدم كتابنا هذا معطيات إلى كل من يبحث عن معلومات حول سائر المسائل المتعلقة بأبناء الصحراء هؤلاء.

لقد تركت الحرب العالمية، التي أثارت انقلابات متعددة الجوانب في كل مكان تقريباً، بصماتها على البدو أيضاً. مع ذلك، سيبقى أحرار الصحراء الأصليون محافظين إلى أمد بعيد على الصورة التي يقدمها كتابنا عنهم: صورة شعب أبي ومحب للحرية، قاس وشديد البأس، مضياف ومحارب.

نشوء كتاب البدو وتطوره

لعب البدو، وكل ما يمت إليهم بصلة، دوراً كبيراً على الدوام في تلك الفترة من حياتي التي أمضيتها في الشرق، لذلك أجدني مضطراً لأن أخصها بملخص قصير، مستقل عن المسألة البدوية بذاتها.

لقد تجولت في الشرق منذ شتاء عام 1883/1884م، زرت حينذاك القسطنطينية وآسيا الصغرى عندما كنت لا أزال موظفاً تحت التمرين، وقمت عام 1886م برحلة بحثية إلى المغرب. في هذه الفترة، تحول غيرهارد رولف وناختيجال وشفاينفورت، الذين كنت قد تعرفت عليهم وغدوت صديقاً لهم، إلى مثل أعلى لي، حذوت حذوهم وتعلمت اللغة العربية.

عام 1892م، صار بوسعي أن أبدأ بأعمالي الدراسية في الشرق على نطاق أكبر، فقمت برحلة عبر شمال أفريقيا، بدأتها من المغرب برفقة فيلهلم يوزت، إبن بلدي المنحدر من مدينة كولونيا. ثم توقفت طوال أشهر سبعة في القاهرة، حيث سكنتُ بيتاً عربياً في حي شعبي، وعشت كما يعيش المسلمون المحليون، لأعزز معرفتي باللغة العربية، وأدرس باستفاضة روح الإسلام وعادات وتقاليد أبناء البلد، وأعد نفسي إعداداً أفضل لبعثات أخرىٰ، قيض لها أن تقودني إلى مشرق العالم العربي.

في ربيع عام 1893م، قادتني دروبي إلى دمشق، التي انطلقت منها في أول رحلة دراسية كبيرة في غرب آسيا، سجلت نتائجها في كتاب من جزئين عنوانه * من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي» عبر حوران والصحراء السورية *.

وقد رافقني خلال هذه البعثة خبير ممتاز في الشؤون البدوية هو منصور

نصر، ابن أخ الشيخ مجول المصرب من قبيلة السبعة ـ عنزه، وزوج السيدة البريطانية الجميلة ديجي، التي اشتهرت بسبب غرابة أطوارها. فقد قامت، بعد حياة حافلة بالمغامرات في بلاطات أوروبا المختلفة، عام 1853م برحلة من دمشق إلى تدمر وقعت خلالها في حب الشيخ مجول، قائد حراسها البدوي، وتزوجته وأخلصت له، بعكس ما كانت قد فعلته مع أزواجها وأصدقائها الأوروبيين السابقين. قاسمت السيدة زوجها البدوي حياة الصحراء ستة أشهر من كل عام، وبقيت وفية لهذا العرف إلى أن توفاها الله عام 1881م في بيتها بدمشق.

خلال رحلة عام 1893م، تمكنت من جمع مواد غنية حول البدو، دونتها في فصلين خاصين ضمهما الجزء الثاني من كتابي السابق ذكره. وقد أيقظت هذه البعثة في نفسي حب حياة أبناء الصحراء القاسية والجامحة. وعقدت أواصر «أخوة دم» مع واحد من أعظم زعماء البدو جبروتاً ونفوذاً هو الشيخ فارس شيخ شمّر، التي كانت أيضاً رباط صداقة التزم به فيما بعد ابنه مشعل وابن أخيه عجيل.

عودت نفسي، عندما كنت في القاهرة، أن لا أتناول طعامي بالشوكة والسكين، مثل الطبقة الوسطى المنعمة لذلك الزمان، وأن آكل بأصابعي، مستخدماً يدي اليمنىٰ وحدها، كما يقتضي العرف. أثناء بعثة عام 1892م، كنت أتناول طعامي بهذه الطريقة بطبيعة الحال، سواء كنت ضيفاً على البدو أو حلّوا هم ضيوفاً عليَّ. وقد مكنتني حياتي الدائمة معهم، ومصاحبتهم في الركاب والخيمة، من تحسين معرفتي بحياتهم تحسناً مضطرداً، وقد جعلتهم يشعرون أنني أتخذ موقفاً ودياً حيالهم، وأتفهم عاداتهم وأعرافهم، لذلك بادلوني الود وأجابوا على تساؤلاتي بطواعية.

لم تكن استفساراتي حول البدو في رحلتي التي قمت بها عام 1893م، وافية بعد، بطبيعة الحال. وإن كنت قد خططت آنذاك لوضع كتاب شامل عنهم، لأن ما كانت تقدمه تقارير الرحالة حتى ذلك الحين من معلومات حول أبناء الصحراء، كانت تبدو لي غير كافية.

قادتني رحلة العودة من بلاد ما بين النهرين عبر الخليج العربي والهند إلى مستعمرتنا، الفتية والجميلة وقتذاك، شرق افريقيا، حيث قمت ببعثة داخل البلاد حصلت خلالها على أراضٍ واسعة في أوسامبارا، وسرعان ما أسس فيها بعض الأصدقاء مزارع في وقت لاحق[1].

عند عودتي إلى القاهرة إلتقيت مطلع عام 1894م بزبير باشا، الذي كان قد أسس إمارة عظيمة في السودان المصري، بفضل صيد العبيد، فاستدرجه الخديوي اسماعيل إلى القاهرة، وزجّه في قصر جميل غدا سجنه الذهبي بعد أن شعر بأنه أصبح شديد القوة. أفادني زبير باشا بمعلومات على قدر عظيم من الأهمية حول واحد من معاونيه الميدانيين اسمه رابح، كان قد رفض الاستسلام للمصريين، ورحل مع عدد كبير من جنوده وعائلاتهم باتجاه المناطق الواقعة إلى الغرب من نهر النيل.

عندما عدت إلى المانيا، كتبت تقريراً حول هذه الواقعة، وحول معلومات أخرى كنت قد حصلت عليها في القاهرة عن منطقة بحيرة تشاد، والطريقة الصوفية السنوسية، التي لم تكن على قدر كبير من الأهمية الدينية وحسب، بل كانت مهمة جداً من الناحية السياسية أيضاً. نتيجة لذلك، عرضت عليّ وزارة الخارجية أن أنطلق على رأس بعثة المانية وأتوغل في عمق أراضي الكاميرون، للاستيلاء على المناطق الواقعة بينها وبين بحيرة تشاد لصالح المانيا، وإبعاد انجلترا وفرنسا عنها. من جانبي، قدمت خطة تقوم على الانطلاق من طرابلس الغرب وعبور قفار الصحراء، على غرار ما فعله ناختيجال ذات يوم، فوافقت الوزارة عليها[2].

---

(1) خضعت منطقة الغابات البكر التي اشتراها الزعيم كيبانجا هانداي، وتبلغ مساحتها بضعة أميال مربعة، لاشرافي بينما كنت أعمل تحت إدارة محافظ تانجا فرايهير فون سانت بول هيلير، رئيس «الشركة الراينية لمزارع هانداي». هذه المزرعة، التي اهتمت أول الأمر وبنجاح كبير في زراعة القهوة، ثم زراعة القنب، وحتىٰ بعد ظهور دودة القهوة بقيت على أفضل حال، إلى أن فقدتها المانيا خلال الحرب العالمية.

(2) كان من المقرر أن يرافقني خلال بعثتي السادة التالية أسماؤهم: الأمير (غراف) تسيش، =

غير أن حملتنا لم تنفذ، لأن رابحاً كان يسبق دوماً القوى الأوروبية، عند وقوع تنافس بين انجلترا وفرنسا والمانيا. فقد انطلق، وكأنه نابليون اسود، في مسيرة انتصارات قادته من السودان المصري، إكتسح خلالها الأراضي الواقعة جنوب الوادي، وممالك باغيرمي وبرونو الكبيرتين. لكن سيطرته كانت، مع ذلك، قصيرة العمر، إذ سقط في المعركة ضد الفرنسيين، وانهارت المملكة التي كان قد أسسها(1). عند اقتسام مناطقه على يد قوى الاستعمار الأوروبية، إستغلت المانيا بعثتي التي كانت جاهزة للمسير وحصلت على ما يسمى «قبعة كابريفي»، مستعمرتنا الكاميرونية التي ضمت أقساماً واسعة من باغيرمي وبرونو، مع منفذ إلى بحيرة تشاد.

منذ تلك اللحظة، عملت في وزارة الخارجية، والتحقت بممثليتنا الديبلوماسية في القاهرة، حيث كان عليّ متابعة ومراقبة جميع شؤون العالم الاسلامي. كانت القاهرة أفضل موقع يمكنني العمل منه، فالصحافة المصرية، المكتوبة بلغة القرآن العربية، كانت على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لمجمل العالم الاسلامي، الممتد بين المحيط الأطلسي والصين. يرجع ذلك حقيقة إلى أن السلطان عبد الحميد، الذي كان حاكماً مطلقاً، كان يرفض بشدة قيام الصحافة التركية بالتعبير الحر عن آرائها؛ في حين كانت القاهرة مقراً لجميع اللاجئين السياسيين المسلمين، وخاصة منهم اولئك القادمون من الامبراطورية العثمانية.

كانت علاقاتي على أحسن ما يرام مع السلطان عبد الحميد أيضاً. فقد نلت عطفه وثقته عام 1894م، عندما أخبرته أن صديقي فارس، شيخ شمّر، الذي كان قد أنعم عليه بلقب الباشوية، تحدث عنه بأعظم قدر من التمجيد والخضوع، كخليفة

= الحاكم اللاحق لتوجو، وفون سيفريد، الذي قام بالمسوح الجغرافية في غرب افريقيا بتكليف من المكتب الكولونيالي الالماني، والخبير الحراجي بليهن، الذي قتله بعد وقت قصير من ذلك سهم مسموم في الكامرون، ودكتور فولهبورن، الذي صار فيما بعد وحتى وفاته قبل وقت قصير مديراً للمعهد الصحي المداري في هامبورغ.

(1) تابع: ماكس فون اوبنهايم، رابح ومنطقة بحيرة تشاد، برلين 1902م.

وولي أمر لجميع المسلمين. وقد أرضاه الأمر كثيراً، لأنه كان يعلم أن أبناء الصحراء ـ شأنهم في ذلك شأن العرب عموماً ـ يكرهون الأتراك من صميم قلوبهم، ويحتملون سيطرتهم مكرهين.

ومنذ عام 1894م أقمت علاقات طيبة مع أسرة صديقي اللاحق الأمير فيصل، ملك العراق الذي توفاه الله عام 1933م، والذي كان السلطان عبد الحميد قد أمر بتقديمي إلى والده، الأمير حسين، الذي أصبح شريف مكة فيما بعد، وملك الحجاز بعد الحرب العالمية، الذي كنت مراراً وتكراراً ضيف قصره الجميل على البوسفور.

كان السلطان عبد الحميد قد طلب أن أزوره كلما أتيت القسطنطينية، وهو ما حرصت على فعله بانتظام. بسبب هذه الحظوة، توثقت علاقاتي هناك مع اثنين من العرب المهمين جداً في عالم البدو، هما أولاً عزت باشا العابد، الذي سأعود إلى الحديث عن أسرته بتفصيل أكبر، وكانت له صلة قرابة من جهة الأم مع عشيرة الموالي في شمال سورية، وكان ابنه إلى أمد قريب رئيساً للجمهورية السورية في دمشق. كان عزت باشا المؤسس الحقيقي لسكة الحديد الصحراوية التي ربطت دمشق بالمدينة المنورة في الحجاز.

أما العربي الثاني، الذي ربط السلطان عبد الحميد نفسه اواصر العلاقة بينه وبيني رغم أنه كان يمقت أن تقوم في الأحوال العادية صلات بين أهل الحظوة من العرب وبين الأوروبيين، فكان الرجل المشهور، أو بالأحرى سيء الصيت، الشيخ أبو الهدى، الذي ينحدر بدوره من أصول بدوية، وكان قريب بني خالد في شمال سورية، واكتسب أهمية كبيرة بوصفه الزعيم الذي نصبه السلطان على الطريقة الرفاعية الجبارة، ذات الانتشار الواسع، التي اتخذت أسر شيوخها، الأصلية والموغلة في القدم، من البصرة مقاماً لها. كان أبو الهدى قد تنبأ أن الأمير عبد الحميد سيصير سلطاناً وخليفة. ولعب، شأن عزت باشا، دوراً في بلاطه السلطاني، وامتدت أهميته لتشمل المنطقة الاسلامية بأسرها. وقد عادت صداقتي مع أبو الهدى عليّ بفوائد جمة أثناء الرحلة التي قمت بها عام 1899م.

باستثناء بعض الانقطاعات، إلتحقت خلالها بسفارتي المانيا في واشنطن وباريس أو عملت في وزارة الخارجية ببرلين، أمضيت الفترة بين عامي 1896م و1909م عضواً في السلك الديبلوماسي الالماني بالقاهرة، حيث كان مسكني يقع على الحد الفاصل بين الحي الأوروبي والحي الشعبي، ورأيت كثيراً من المصريين وسواهم من المسلمين، وكان من بينهم عدد كبير من البدو، بصورة خاصة.

في تلك الأيام، كان كل عام يشهد استيراد جمال وخيول بملايين الماركات من شبه الجزيرة العربية وسورية وبلاد ما بين النهرين إلى مصر. هذه الحيوانات كان يرافقها أفراد من قبائل مختلفة. وكان السيد وينفريد والسيدة آن بلنت، اللذان ندين لهما بكتابين مهمين هما: "قبائل بدو الفرات" و"رحلة إلى نجد"، يعيشان آنذاك في المطرية، احدىٰ ضواحي القاهرة الواقعة على حافة الصحراء، ويحتفظان باصطبل يضم خيولاً عربية أصيلة.

كان الأمير أحمد باشا واحداً من أصدقائي الخلّص في القاهرة. إنه والد الأمير الكثير الترحال يوسف كمال، الذي كان يمتلك بدوره قصراً في المطرية، وقد عرفني على محمد ابن بسام من عنيزة، احدىٰ الواحات الواقعة داخل الجزيرة العربية. كان محمد ابن بسام واحداً من أكثر كبار تجار العالم العربي أهمية. وكانت أسرته مقربة من سلالة أمراء ابن رشيد، والمسيطرة في جزيرة العرب آنذاك. وقد توزعت مؤسساتها التجارية بين مكة وجدة ودمشق وبغداد، وكذلك في بومبي، التي كانت تُرسل إليها خيول عربية يشتريها عادة الجيش الانجليزي، وكذلك مهارى للضباط البريطانيين. وكان للاسرة فروع تجارية في القاهرة وطرابلس أيضاً، بل إنها امتلكت لبعض الوقت سفينة بخارية خاصة بها، أبحرت بين مينائي البصرة وجدة.

كانت لصداقتي مع ابن بسام أهمية كبرى بالنسبة لدراستي عن البدو، حيث كنت مرات عديدة معه في دمشق، مقر إقامته الأصلي، وسعدت بزيارته لي عام 1913م طوال أيام عديدة في تل حلف، وتلقيت منه حتى عام 1929م معلومات ذات قيمة كبيرة عن القبائل، وخاصة قبائل الجزيرة العربية الأصلية. إنني أدين لهذا

الرجل ذي الاطلاع الواسع، بعرض مترابط ومتكامل عن تطور علاقات السلطة في قلب الجزيرة العربية منذ بداية القرن الماضي وحتى الحرب العالمية، والتي طبعت في نهاية الحرب والمخطوطة المتعلقة بذلك لخدمة أهداف رسمية.

وكان عدد من أفراد القبائل العربية المختلفة الذين جاؤوا القاهرة لبعض الوقت من سورية وبلاد الرافدين والجزيرة العربية، ساعدوني في الشروع بكتابات جديدة عن أبناء الصحراء، من بينها المخطط المحكم المكتمل التفصيل، الذي نشأ عنه الكتاب، الذي بين أيدينا.

قمت بزيارات متكررة إنطلاقاً من القاهرة، درست خلالها العلاقات البدوية في تركيا الآسيوية. كما قمت عام 1897م بزيارة للغرض نفسه إلى شرق الأردن. لكن الرحلة الأكثر أهمية بين هذه الرحلات الدراسية الجديدة كانت تلك التي أردت القيام بها عام 1899م. في الأصل، كانت الرحلة مكرسة لزيارة الأمير محمد ابن رشيد في حائل، الذي كنت قد ربطت علاقات معه. لكن وزارة الخارجية الالمانية نصحتني، قبيل انطلاقي إلى الجزيرة العربية، بالتخلي عن مشروعي لأسباب سياسية، فتخليت عن تنفيذه والألم يعتصر قلبي، بعد أن كنت قد هيأت مستلزماته كلها.

قبل هذه الفترة، كان جورج فون سيمنس، مدير البنك الالماني، قد رجاني بأن أقود بعثة استكشافية قرر البنك إرسالها من أجل تحديد أفضل المواقع لسكة حديد بغداد، التي كان قد تقرر إقامتها. لكن وزارة الخارجية الالمانية رغبت أن أبقى بعيداً عن المشروع، وطلبت مني التوقف عن إصدار كتابات أخرى عن الشرق. ذلك أن الدائرة التي كنت تابعاً لها إعتقدت أن من غير الملائم ترك موظف في الدائرة السياسية يعالج قضايا الشرق، التي تثير قدراً من اهتمام انجلترا وفرنسا يفوق كثيراً اهتمامنا نحن بها. نتيجة لذلك، حل الدكتور شتيمريش، القنصل الالماني العام في القسطنطنية، الذي كان يرأس ممثليتنا التجارية هناك، حلّ محلي في قيادة بعثة عام 1899م، المكلفة بتحديد مواقع سكة حديد بغداد. أما أنا، فلم أتوجه بقافلتي الجاهزة للمسير إلى ابن رشيد، بل انطلقت عام 1899م من

دمشق عبر حلب إلى بلاد الرافدين، بصحبة رجال مهرة ومدربين على خير وجه. هنا، كان بوسعي، على الأقل، تلبية رجاء آخر للسيد فون سيمنس، أعني إبلاغه رأيي حول أفضل خط للسكة الحديد في المسافة الصعبة جداً، الواقعة بين حلب والموصل. وقد قبل السيد فون سيمنس الاقتراحات التي قدمتها له، ولسعادتي البالغة، لم تمر السكة، كما كان مقرراً من قبل، بمحاذاة طرق القوافل المطروقة آنذاك والمدن الكبرى بيرهجيك وأورفة «الرها» وماردين مع سكة فرعية عبر ديار بكر إلى نصيبين والموصل، بل تم اختيار طريق أبعد إلى الجنوب ويبدأ من حلب ماراً بـ(جرابلس) على نهر الفرات إلى تل أبيض جنوب أورفه إلى رأس العين في منطقة منابع الخابور إلى نصيبين.

صحيح أنه لم يكن هناك مستوطنات كبيرة في هذه المسافة من بلاد الرافدين، باستثناء نصيبين، وانه وجدت قرى صغيرة جداً، إستوطنها أكراد وبدو رحل سابقون، غير أن المنطقة بأسرها كانت مغطاة بتلال ـ هضاب خرائب ـ دلت على أنها عرفت كثافة سكانية هائلة في الماضي. إلى هذا، لم تكن الأرض صحراء بلقعاً، كما يعتقد غالباً، ولم تكن كذلك مغطاة بالرمال أو المستنقعات، بل كانت جزءاً من المناطق التي أسماها البروفيسور ج. بريستيد ـ مدير معهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو، الذي توفي لسوء الحظ في فترة مبكرة جداً ـ "الهلال الخصيب"[(1)]، حيث ازدهرت ممالك وإمارات كبرى في العصور القديمة، فكانت أقسام بلاد الرافدين العليا من الهلال الخصيب المنطقة المركزية لحضارة تل حلف، التي سيطرت على المنطقة الغربية من الشرق الأدنى في الالف الثالث قبل الميلاد، وعاصمتها تل حلف قرب رأس العين وعلى بلاد الميتانيين أيضاً، الذين أقام ملوكهم الآريون في الألف الثاني قبل الميلاد عاصمتهم واشوكاني على بعد كيلومترين فقط من تل حلف.

(1) تابع: ج. بريستيد: رقيب المعهد الشرقي (جامعة شيكاغو 9)، المجلد 12، الخارطة في آخر المجلد.

لقد أسعدني الحظ عندما عثرت عام 1899م عند منابع الخابور، رافد الفرات الوحيد الدائم الجريان، على تل حلف، وهو موقع عظيم الاهمية بالنسبة إلىٰ علم العصور القديمة في الشرق الأدنى. وانني لأدين بهذا الاكتشاف إلى معرفتي الدقيقة بعادات البدو.

بعد عودتي من رحلتي، حصلت من الحكومة التركية على امتياز التنقيب في تل حلف(*). لكنني لم أنجح في ترك الخدمة الديبلوماسية إلا بعد عشرة أعوام كاملة، قمت خلالها، وأنا لا أزال في المانيا، بالاستعدادات الضرورية للتنقيبات، التي تواصلت من مطلع عام 1911م حتى نهاية عام 1913م، ثم استؤنفت عامي 1927م و1929م. وقد تحدثت عن اكتشاف هذا التل وما عثرت عليه خلال تنقيباتي فيه، المعروضة في متحف تل حلف في برلين، 6 شارع فرانكلين، في كتابي «تل حلف، حضارة جديدة في بلاد ما بين النهرين»، لايبزيج 1931، و"دليل" متحف تل حلف في برلين، الصادر عام 1934م.

فخلال إقامتي الأولىٰ لمدة عامين ونصف العام في تل حلف (من 1911 إلى 1913م)، قمت، فضلاً عن أعمال التنقيب، برحلات دراسية جديدة، قادتني إلىٰ قلعة شرقاط آشور على نهر دجلة، حيث كانت جمعية الشرق الالمانية تنفذ أعمالاً تنقيبية. هنا، كما في رحلاتي السابقة، كنت أتابع هدفاً مزدوجاً هو: متابعة بقايا الحضارات القديمة، وبالأخص تحديد دائرة انتشار أقدم حضارة عرفها تل حلف من خلال دراسة التلال الواقعة في محيطه من جهة، والقيام بزيارات متكررة إلى قبائل بدوية جديدة أو إلى بطون منها بهدف جمع أكبر قدر ممكن من المواد لكتاب البدو، من جهة أخرى. هذه الرحلات كانت تعد بعناية في معسكرنا على تل حلف، فكنت أختار لكل مرحلة منها أفضل الأدلاء من البدو. بوجه عام، كانت

(*) تل حلف: موقع أثري بالقرب من ينابيع الخابور عند الحدود العراقية ـ السورية، قام على أنقاض مدينة غوزانا الحثّية. اكتشفها مؤلف الكتاب اوبنهايم، وآثارها تعود إلى الألف الثالث ق.م. (شبّر).

الرحلات تتم في الصيف قبل كل شيء، لتحديد مواقع المياه، في البوادي ، التي كان لها أهمية عظيمة بالنسبة لحياة البدو.

كنت أتلقى، في تل حلف نفسه، زيارات أهم شيوخ البدو، ممن لا يترددون في القيام بأسفار تستمر أياماً عديدة من أجل القدوم إليَّ. كان زعماء قبائل البدو يقتربون بجيادهم من مكان معسكرنا، فاهرع للقائهم مع بعض رجالي. عندئذ، كان هؤلاء الأغراب ينزلون عن صهوات جيادهم بصمت، ثم يغرسون رماحهم الطويلة في الأرض تاركين خيولهم لوحدها. كنا نتبادل قُبل التحية على الوجنتين، قبل أن أمسك يد الشيخ وأقوده إلى الشرفة الكبيرة المفتوحة أمام خيمتي، أو إلى داخل مسكني المتنقل هذا. كان الطعام يعد على الطريقة البدوية، فتوضع تلال من الأرز عليها قطع من لحم الضأن في قدور عملاقة من النحاس المطلي بالزنك. لا داعي للقول إنني كنت أشاركهم المائدة.

كنت رجلاً معروفاً في جميع أرجاء الصحراء السورية وبلاد ما بين النهرين وحتى العراق. وقد عقدت، بمرور الأيام، أواصر علاقة شخصية وطيدة مع عدد كبير من شيوخ هذه المنطقة. لذلك لم يحدث أبداً أن مست شعرة من رأس أي عامل تنقيب لديّ، رغم أن مساعديّ كانوا ينتمون إلى قبائل بدوية صغيرة. حتى القبائل الكبيرة، التي لم تكن على علاقات طيبة مع هؤلاء، مثل فدعان ـ عنزة وقبل كل شيء قبيلة شمّر، (الفداغة والثابت)، التي انتشر رجالها لبعض الوقت بالآلاف في جوارنا، بل ونصبوا خيامهم على تخوم تل حلف، لم يلحقوا أي أذى بهم.

وإن كان البدو قد قتلوا وسرقوا عام 1929م وبطريقة مؤسفة قرب تل حلف، أحد مساعديّ الأوروبيين، وهو الفرنسي دارّو، الذي كان يرأس قسم العصور القديمة في منطقة الانتداب السورية/ الفرنسية الشمالية، فمردّ ذلك أنه كان يقود سيارته غرباً بموازاة الحدود التي ترسمها سكة الحديد بين تركيا وسورية، حيث سقط في كمين نصبه بدو غرباء من الجيس «قيس»، قدموا من المنطقة التركية في الشمال.

بالمناسبة، كانت رأس العين ومنطقة حفرياتي منطقة اضطرابات مزمنة في القسم الأعلى من بلاد ما بين النهرين، حيث تصادمت مناطق قوة وانتشار مجموعة قبائل كبيرة كفدعان ـ عنزة، وشمّر، والملّي. في السابق، كان شيشان رأس العين، وهم اللاجئون لأسباب دينية من القوقاز الروسي والذين أسكنهم الأتراك هنا، يشكلون عنصر قوة آخر يكنّ عداءً خاصاً لـ"عنزة وشمّر". وبما أن الحكومة التركية كانت لا تمارس آنذاك أية سلطة في المنطقة، فقد شارك القائمقام التركي بنفسه في حملات النهب التي كان الشيشان يقومون بها، ويتقاسم معهم غنائمها.

أثناء الحرب العالمية، إلتحقت لسنوات عديدة بالسفارة الالمانية في القسطنطينية، وأقمت مجدداً لفترات أطول في سورية وفلسطين وسيناء وبلاد الرافدين، حيث كنت أتابع في الوقت نفسه، دراساتي حول البدو.

أما في عامي 1927م و 1929م، عندما استأنفت أعمال التنقيب في تل حلف، فقد عدت إلى مواصلة أسفاري الدراسية واستقصاءاتي، كي أستكمل المواد التي كنت قد جمعتها سابقاً عن البدو. وهكذا جمعت، في الفترة من عام 1896م وحتى 1929م، التي تخللتها انقطاعات طويلة في بعض الأحيان وبصورة منهجية وفي أماكن عيش هؤلاء، جمعت مواد كتاب البدو الكبير، وواصلت العمل عليها خلال رحلاتي، وبعد عودتي إلى الوطن.

كما سبق وذكرت، كنت قد حددت في القاهرة المهام اللازمة لإنجاز كتاب البدو، وعالجتها حتى عام 1929م على ضوء استقصاءاتي. هذه المهام تحركت في اتجاهين: من جهة كان عليَّ إنجاز دراسة وافية للحياة المادية والثقافية للبدو، عن طريق جمع ما كانوا يستعملونه من أدوات، ووضع علاقات دقيقة مع التسميات المحلية لقطعها وأجزائها، ومن جهة أخرىٰ كان عليَّ متابعة أعرافهم وعاداتهم، ومراقبة حياتهم داخل الأسرة والقبيلة وحيال غير المنتسبين إليهم، وتدوين مأثورات وأساطير قبائلهم. فيٰ هذا السياق، تم تدوين ملاحظات مهمة حول الحياة الداخلية لهذه القبائل، وحول سلطة الشيوخ، والقانون البدوي، وعادات الأعراس والزواج، ونظام العبودية الذي يتلاشىٰ ببطء، والخيول والجمال، والصيد والغزو، وحق

الضيافة والحماية (الإجاره)، والثأر . . . الخ. وتم كذلك الاهتمام بحياة البدو الدينية، وحصلت على معلومات مثيرة للاهتمام حول طبيعة الطرق الأخويات لديهم. ومما سهل معرفتي بهذه الطرق قيامي خلال اسفاري وإقاماتي السابقة في شمال افريقيا والشرق الأوسط بدراسات مستفيضة عن الطرق الدينية الاسلامية المنتشرة في عالم الإسلام، وإيلائي اهتماماً خاصاً لما يروىٰ عن الحملات الحربية أو سواها من الأحداث المهمة في حياة القبائل: ما حدث منها في الحاضر أو في زمن قريب، أم في حقب ماضية.

وأكثر من ذلك، إلتقطت خلال ترحالي المتكرر عدداً كبيراً من الصور، أو أمرت مرافقيّ من المصورين بالتقاطها، وهي مواد سيضمها الجزء الخامس من كتاب البدو، الذي سيحمل عنواناً خاصاً هو "حضارة وحياة البدو"، إذا لم تتطلب المهمة الثانية للكتاب إستخدام بعضها(*).

أما المهمة الثانية والأكثر أهمية لكتابي، فكانت وضع جداول دقيقة حسب المبدأ التالي: تحديد القبائل المختلفة والقبائل المتفرعة عنها والتابعة لها، وشيوخها الرئيسيين والثانويين، ومناطق تجوالها في الصيف والشتاء، وعلاقات القوى فيما بينها ـ معبراً عنها بعدد مضاربها وخيامها ـ. وكذلك كتابة مقالة حول كل قبيلة تعرف بتاريخها وتاريخ أسرة شيوخها، على أن يؤخذ بنظر الاعتبار تصنيف القبائل المختلفة إلى مجموعات بحسب المناطق الجغرافية المختلفة مثل سورية وبلاد الرافدين والجزيرة العربية . . . الخ.

من الصعب اعتبار السلاح مقياس قوة القبائل، خاصة وأنه لم يكن عندهم حتى الحرب العالمية غير الرماح والسيوف فيما بعد، بينما كانت البنادق بأنواعها

(*) لم يصدر هذا الكتاب إلى الآن، وهناك مشروع إعداد هذا الكتاب إعتماداً على مسودات المؤلف، ومن المؤمّل أن يقوم بهذا العمل مجموعة من المستشرقين الألمان. ان هذا العمل تقوم به وقفية اوبنهايم الخيرية. وهذا ما علمته من إدارة الوقفية، وقد أبدت دار الوراق استعدادها لترجمة الكتاب وطبعه باللغة العربية. (شبّر).

جدّ قليلة. لذلك، يبدو أنه من الأفضل قياس علاقات القوة بين القبائل المختلفة بعدد المقاتلين من الرجال، غير أن تحديد عدد هؤلاء كان أمراً غير مألوف عموماً لدى البدو، حيث كان معيار قوة أية قبيلة أو بطن بعدد خيامهما. وقد اتبعت هذا العرف القديم عند وضع جداولي.

إن عملية تحديد عدد الخيام واجهت صعوبات خاصة على الدوام، فالبدو يميلون إلى المبالغة في عدد خيام قبيلتهم، هذا إن اقتنعوا أصلاً بتقديم معلومات ذات طبيعة إحصائية. لذا، واصلت خلال أسفاري واستطلاعاتي مراقبة وتدقيق المعطيات التي كانت تقدم لي، ووازنت بينها. كما قمت لاحقاً ـ حسب ما كانت تسمح به الظروف ـ باجراء مقارنات بينها وبين معطيات أخرى.

في العادة، تأوي كل خيمة خمسة أشخاص. لكنني أعتقد أن هذا العدد منخفض جداً، وأود أن أفترض وجود سبعة أشخاص في الخيمة الواحدة. تمثل الخيمة لدى البدو ـ شأنها شأن بيت السكن لدى الفلاحين ـ مأوى الأسرة التي تتكون من سيد ـ صاحب ـ الخيمة وزوجته أو زوجاته وأبنائه، وربما أبويه العجوزين وغيرهما من الأقارب. تأوي الخيمة بصورة دائمة رجلاً واحداً على الأقل قادراً على حمل السلاح، وفي حالات كثيرة رجلين أو ثلاثة، لأن الأبناء الذين يشاركون في ركوب الخيل والقتال يعيشون في خيمة الأب، قبل أن يؤسسوا أسرهم الخاصة بهم. حتى الحرب العالمية، دل عدد الرماح المغروسة قرب خيمة من الخيام على عدد الرجال المقاتلين والشبان الذين يعيشون فيها. من جهتي، أميل إلى احتساب ثلاثة مقاتلين لكل خيمتين. أما في الشمال فيمكن أن يكون هناك بندقية قصيرة السبطانه، حديثة وجاهزة للاستخدام، في كل خيمة.

وضعت، في رحلاتي الدراسية، تخطيطات أولية لخرائط متنوعة. ورسمت خارطة تفصيلية للقسم الأعلى، وإلى حد ما، للقسم الأوسط، من بلاد الرافدين بقياس 1 : 400000، إستناداً إلى ما كنت قد وضعته من علامات جغرافية وأجريته من تحديدات للأمكنة، تضم، من بين ما تضمه، سجلاً بأسماء ألفي موقع، دونت جميعها بالعربية في عين المكان. هذه الخارطة يتعذر إلحاقها بمؤلفنا عن البدو،

وستنشر بشكل مستقل. لذلك، عليَّ الإكتفاء بإضافة خارطة توضيحية للكتاب تبين منطقة البدو التي أدرسها، وخرائط خاصة بمختلف الأماكن تظهر مواقع الرعي التابعة لمختلف القبائل في الصيف والشتاء.

أعتقد أن الخارطتين، اللتين ألحقتهما بكتاب "من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي»" لا زالتا تقدمان أفضل لمحة عامة عن سورية وبلاد الرافدين وشمال الجزيرة العربية باعتبارهما تكوّنان خارطة شاملة لهذه البلدان والمناطق. وكان قد أعيد طباعتهما من جديد أثناء الحرب العالمية لأغراض رسمية.

بالنسبة للمادة التاريخية، جمعت كل ما وقعت يداي عليه من معطيات حول القبائل وأسر شيوخها. وأوليت اهتماماً خاصاً لرسم أشجار لأنساب كثيرة، ولجمعها، مع أن بعضها يرجع إلى مئات الأعوام. بالنسبة لتأريخ القبائل، كان لا بد أيضاً وبطبيعة الحال، من أخذ الأدبيات المتاحة حولها بعين الاعتبار.

أبديت، منذ عقود، اهتماماً خاصاً بجمع المصادر، التي يمكن أن تكون على علاقة بالبدو، وبالدرجة الأولى منها الأعمال التاريخية والجغرافية وكتابات الرحَّالة، والاحصائيات بأنواعها، وتقارير الحجاج المسيحيين والمسلمين... الخ، المكتوبة بجميع لغات الشرق والغرب. كما تم شراء مخطوطات شرقية مهمة، قديمة وحديثة التواريخ، وأظهرت اهتماماً خاصاً بتقارير صحف الشرق، مثل صحيفة "أم القرى" التي تصدر في الحجاز[1]. فضلاً عن هذا، حاولت توحيد الخرائط المتوفرة عن البدو، والتي كانت قليلة على كل حال. تحتل الأدبيات التي تعالج قضايا البدو مكانة مهمة جداً اليوم في مكتبة وقفية ماكس فرايهير فون اوبنهايم (معهد أبحاث الشرق)[2]، التي تضم أكثر من أربعين ألف مجلد.

(1) نخص بالذكر مجلة "اوريانتو موديرنو" (الشرق الجديد) من بين المجلات الأوروبية.

(2) تأسست وقفية ماكس فون اوبنهايم عام 1922م، واختيرت برلين مقراً لها. ونالت عام 1929م الحق في أن تعتبر شخصية قانونية (اعتبارية). وكان بين أهدافها مواصلة الدراسات التي كنت قد قمت بها في الشرق، حول العصور القديمة والحقب الإسلامية أيضاً.

كانت ملاحظاتي الخاصة وملاحظات مساعديَّ في الشرق، وما زالت، من أكثر مواد كتاب البدو أهمية. إن البدو هم، بوجه عام، أناس قليلو التعبير عن أنفسهم. وهم يخافون المعطيات الرقمية (العددية)، لاعتقادهم أن أخبارهم يمكن أن تصير خطرة عليهم بسبب الضرائب وغيرها من الالتزامات التي تفرضها الحكومات. لذا، كنت أحتاج دوماً إلى تحضيرات طويلة، وإلى كسب ثقتهم بصورة مطلقة، قبل أن أتمكن من تلقي أخبار موثوقة فعلاً منهم. وقد ساعد على فتح قلوبهم لي معرفتي الدقيقة بأعرافهم، ومشاركتي القلبية في حياتهم الفريدة، وعلامات البهجة التي كانت تبدو علىٰ وجهي عندما كنت أستمع إلى قصص ومغامرات الغزو والصيد. في تلك اللحظات، كانت تنشأ لعبة سؤال وجواب معقدة ومتواصلة، تتيح لي معرفة ما له قيمة علمية في أحاديث من لم يألفوا الحوارات العلمية أبداً. إن الصبر الجميل والمعرفة الدقيقة باللغة العربية هما شرطان ضروريان لدراسة البدو.

لقد أكسبتني معاشرتي البدو في القاهرة المهارة والخبرة اللازمتين لهذه المقابلات، فأثناء رحلتي عام 1899م وجدت، عقب سلسلة من المحاولات المخفقة، رجلاً سوري الولادة هو الياس معلوف كان مساعداً رائعاً أعانني في أبحاثي، وأصبح سكرتيري العربي، لأنه كان رجلاً مثقفاً ومتعلماً، إهتم من بين ما اهتم به، بالكتب والمخطوطات العربية، مع أنه كان يتقن الفرنسية قراءة وكتابة. كان الياس قد ترعرع في مدرسة تابعة لأحد الأديرة الفرنسية على الساحل السوري، لذلك غدا معلماً في مدرسة عربية في وطنه لبنان. وقد استعنت به في استقصاءاتي لدى البدو، حيث تأقلم بمهارة فائقة مع نظامي في العمل والبحث، وكنت خلال الرحلة أراقب تقاريره النزيهة والموثوقة، المكتوبة بالفرنسية، التي يسجل فيها اسم كل مكان أو شخص، مهما تكرر في النص، بأحرف عربية، مع طريقة لفظه.

بعد رحلة 1899م إستقدمت الياس معلوف إلى القاهرة لبعض الوقت، كي يواصل عمله من أجل كتاب البدو. خلال التنقيبات، التي قمت بها بين عامي

1911م و 1913م، كان المعلوف سكرتيري العربي، الذي تابعت معه المهام التي تطلبها إعداد كتابنا عن البدو، قبل أن يغدو خلال الحرب العالمية أيضاً مرافقي، ويعمل لاحقاً من أجلي بالتعاون مع صديقي محمد ابن بسام والبدو الذين جاء بهم. عندما رجعت أول مرة بعد الحرب إلى سورية وبلاد الرافدين، كان مقرراً أن يأتي الياس إليّ، إلا أن الأجل وللأسف الشديد وافى الرجل الممتاز الأجل قبل وصولي بأيام قليلة إلى بيروت.

عينت عام 1927م رجلاً مسلماً متعلماً هو السيد عمر فاخوري سكرتيراً عربياً لي. وفي عام 1929م وظفت معلماً مسيحياً سورياً هو السيد فايق خوري برقش. وقد عمل هذان الرجلان بروحية الياس معلوف، بينما كنت، من جانبي، أخضع دوماً مدوناتهما لأشد أنواع التدقيق وأكثرها صرامة.

بغض النظر عن رجال السكرتارية العرب، كان رجل ألماني مختص بالاختزال يلازمني على الدوام بعد رحلة عام 1899م. وهكذا نشأت مذكرات يومية شاملة باللغتين الالمانية والفرنسية، تضمنت معايشاتي وملاحظاتي، التي غالباً ما كنت أقوم باملائها عليه.

إلى جانب ذلك، وقف إلى جانبي منذ بداية رحلاتي رجل سوري آخر هو طنوس معلوف، أحد أبناء عم الياس. هذا الرجل كان خادمي الشخصي وقائد قوافلي. بسبب خدماته الجليلة إبان رحلتي الأولى عام 1893م، عينته القنصلية الالمانية في بيروت "قوّاصاً" لديها، أي حارساً شخصياً للقنصل، وهو منصب احتفظ به إلى أن وافته المنية بعد فترة غير طويلة. وكنت قد عقدت اتفاقاً مع الدائرة الالمانية، تضع طنوس تحت تصرفي، بمجرد أن تطأ قدمي الشرق الأدنى، فقد كان رجلاً مقداماً وبصيراً وشديد الذكاء، ضخم الجثة وقوياً، لا يعرف التعب إليه سبيلاً، ويخصني بولاء حقيقي. وكان يختار مواقع الخيام، ويوزع الأحمال على الحيوانات التي تنقلها، ويسيطر سيطرة تامة على معسكر الخيام. وكان يحظى بثقتي كاملة، لحسن تصرفه مع البدو، الذين كانوا يرون فيه وكيلاً ـ نائباً ـ لي، وهو الذي ناب عني على الدوام لدى تقديم العباءات والكوفيات وسواها من الهدايا.

مع قرب نهاية الحرب العالمية، ولأغراض تتعلق بقيادتها، أذنت بطباعة صياغة أولى من كتاب البدو، الذي حمل عنوان "بدو وقبائل أخرى في بلاد الرافدين وسورية وشمال ووسط الجزيرة العربية"، وبلغ مع فهارسه نيفاً ومائتين وعشرين صفحة من القطع الكبير. لقد كنت أنوي إخراجه مطبوعاً كمخطوط فقط، إلا أن نهاية الحرب المفاجئة حالت دون إتمام هذه المهمة. كما كنت أريد له أن يكون مسودة للعمل الرئيس الحالي، يقدم لي خدمات طيبة أثناء دراساتي اللاحقة في الشرق. والحقيقة أنه تضمن معظم جداولنا عن البدو، لكنه لم يعالج تاريخ القبائل باستفاضة، بل اكتفى بتقديم صياغة مختصرة له. فيما يلي، أقدم فهرس موضوعات الكتاب الذي طبع كمرحلة تجريبية ليس إلا:

ـ مقدمة.

ـ فهرس الموضوعات.

ـ القسم الأول: قبائل البدو في بلاد الرافدين العليا والوسطى (الجزيرة).

ـ القسم الثاني: قبائل البدو في بلاد الرافدين الجنوبية (العراق).

ـ القسم الثالث: التصنيف الجغرافي لقبائل بدوية صغيرة في بلاد الرافدين.

ـ القسم الرابع: قبائل البدو في سورية، فلسطين وسيناء.

ـ القسم الخامس: قبائل البدو في شمال ووسط الجزيرة العربية.

ـ القسم السادس: بدو غير اقحاح.

ـ القسم السابع: قبائل غير عربية.

ملحق: الكتائب الحميدية في بلاد الرافدين.

ـ فهارس

1 ـ فهرس أبجدي بأسماء القبائل الأساسية.

2 ـ فهرس أبجدي بأسماء القبائل الرئيسة، والفرعية، والدنيا وغيرها...

3 ـ فهرس أبجدي بأسماء الشيوخ الكبار والتابعين مع ذكر قبائلهم.

4 ـ فهرس موضوعات.

لقد مر وقت طويل قبل أن يتمكن هذا الكتاب الرئيس من الظهور. أما أسباب التأجيل فهي كثيرة. أولها أنني لم أشأ إصدار أية مؤلفات بعد الحرب تنصب على شؤون سورية وبلاد الرافدين «العراق»، لأنه لم يكن بوسعي تجاهل تل حلف والسكوت عن أعمال التنقيب التي أجريتها فيه. وقد أكد تحفظي غير المشروط فائدته، فقد بقي تل حلف وقفاً على أنشطة الباحثين الالمان. واستطعت أنا بنفسي استئناف الحفريات هناك عامي 1927م و 1929م، بعد انتساب المانيا إلى عصبة الأمم. وللعلم، فقد وجدت التل في حال مزرية من الفوضى.

أثناء معارك الفرنسيين من أجل توطيد انتدابهم في بلاد الرافدين العليا، تمترس أتراك وشيشانيون، بدعم من بعض القبائل، في مقر إقامتي، وحفروا الخنادق حوله. وقد قصفته وحدات الحكومة الفرنسية/ السورية إلى أن انهارت جدرانه الطينية السميكة. وبما أنه كان عند عودتي قد تحوّل أنقاضاً، فقد عشت من جديد، ولكن مكرهاً، في الخيام.

بعد نهاية الحفريات عام 1929م، زرت شيخ المنتفق، عجمي باشا السعدون، في قريته غير البعيدة عن أورفه، التي أهداها الترك إليه، عرفاناً منهم لسلوكه البطولي الشجاع، ولقتاله إلى جانبهم أثناء الحرب العالمية، ولأن الانجليز، القوة المنتدبة على العراق، لم يسمحوا له بالعودة إلى قبيلته. وأنا لمدين له بمواد كثيرة عن العراق، وقبل كل شيء عن المنتفق.

وقد قيض لي آنذاك أيضاً أن أحصل على كمية من المعلومات المهمة والجديدة عن قبائل عراقية أخرى، من عصيمي باشا، العربي الفائق الذكاء، الذي طرد من العراق وعاش في دمشق، وفي كنف شيخ المنتفق أيضاً.

كما وجدت عام 1929م في شخص عمر صالح البرغوثي، إبن القدس، معيناً قدم لي معلومات قيمة من أجل دراساتي حول قبائل فلسطين وشرق الاردن

وسيناء، وأمدّني بمواد ثمينة لكتاب البدو، أشكره عليها أعظم الشكر.

لا يجوز أن أنسى هنا الأمير شكيب أرسلان، الذي قدم لي معلومات مهمة حول بعض القبائل السورية، وحول حق الضيافة والثأر ومواضيع أخرى مختلفة. ثمة صداقة تربطني منذ عام 1897م بالأمير، الذي لم أعرف أبداً شرقياً يجاريه في معارفه الهائلة، ويعتبر واحداً من أفضل الأدباء العرب المعاصرين. وبما أنه عاش منذ الحرب العالمية مبعداً في أوروبا، قبل أن يتمكن من العودة عام 1937م إلى وطنه سورية، فقد أتيح لي لقاؤه مرات متعددة ـ في برلين أيضاً ـ والتعلم منه.

إلى جانب ما تقدم، واظبت ـ في جميع الأحوال ـ على تطوير علاقاتي مع البلدان العربية من خلال المراسلات وزيارات العرب، الذين كانوا يأتون إلى المانيا، ويخبرونني بأحوال القبائل المختلفة.

قبل إنهاء الجزء الأول من هذا الكتاب، جاء الشيخ عجيل بن عبد العزيز الياور، الرجل الخارق الذكاء وشيخ مشايخ شمّر في العراق منذ ستة عشر عاماً، جاء من لندن، بعد أن حضر احتفالات التتويج هناك، إلى برلين، ليمضي بضعة أسابيع فيها. وقد نقل إليّ تحيات الشيخ مشعل، إبن صديقي القديم فارس باشا، وأتاح لي فرصة عقد صداقة وثيقة معه، تمكنت بفضلها من الحصول على أخبار وإضافات جديدة وتحسينات كانت على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لكتاب البدو.

بفضل إقامتي في سورية عامي 1927م و 1929م، نجحت في الحصول من المفوضية الفرنسية العليا هناك، التي أبدت أشد الترحاب بحفرياتي في تل حلف، على سلسلة مستندات رسمية مهمة لكتابي، بينها أعمال معينة حول البدو، تتضمن عدداً كبيراً من الجداول عن القبائل، كانت مخابرات الجيش الفرنسي في بيروت قد وضعتها كي يستعين بها موظفون وضباط منطقة الانتداب دون غيرهم[1].

أما بخصوص العراق، الذي كان خاضعاً للانتداب البريطاني، فقد تلطف

(1) أدين ببعض الملاحظات للسيدة سيريج، حرم مدير دار الآثار القديمة في سورية.

موظف إنجليزي بامدادي بما كنت أحتاج إليه من معلومات. فضلاً عن المعلومات التي كان يمدني بها صديقي محمد ابن بسام.

هكذا إكتسب كتابي "البدو"، الذي كان يزعجني التأجيل الأبدي لنشره، مزيداً من القيمة بفضل المواظبة على توسيع وتدقيق مواده.

لا حاجة إلى القول إنني كنت مضطراً لطلب العون من آخرين في المانيا، من أجل التغلب على صعوبات التعامل مع كم المعطيات الضخم والشامل، الذي توفر كمادة أولية للكتاب، لاسيما وأنه كان من الضروري معالجة كل ما هو متوافر من أدبيات عن البدو، وخاصة في ما يتعلق بالتاريخ. إن إنهاء كتاب البدو على الأرضية التي كنت قد قررتها له منذ البداية كان يتطلب القيام بأبحاث مستفيضة، تستهلك بالضرورة الكثير من الوقت، وتتركز بخاصة على المؤلفات الشرقية من مختلف الأنواع. لذا، كنت محتاجاً إلى عالم الماني شاب، يستطيع أن يصير، في الوقت نفسه، مساعداً علمياً لوقفية ماكس فرايهير فون اوبنهايم (معهد أبحاث الشرق) في برلين. في النهاية، عثرت عام 1922م على هذا العالم في شخص البروفيسور الحالي في جامعة لايبزيغ السيد الدكتور إيرش برونيلش، الذي قدم عوناً هائلاً لكتابنا.

جلب برونيلش، تلميذ البروفيسور اوغست فيشر في لايبزيغ، الذي يحتل اليوم كرسيه التعليمي هناك، جلب معه اهتمامه الشديد بوقائع أحوال الشعوب، وواكب بولع شديد شؤون البدو، ثم وضع أعمالاً خاصة متنوعة وقيّمة حول بعض المواد المتعلقة بهم، مثل "إسهامات في دراسة النظام الاجتماعي لدى قبائل البدو العربية". وكان قد نال شهادة الاستاذية بأطروحة عن "بسطام ابن قيس، البطل والأمير البدوي قبل الإسلام".

عندما انتقل الدكتور برونيلش في خريف عام 1923م إلى غرايفسفالد، للعمل كمدرس في جامعتها، إحتل موقعه كمساعد علمي في وقفية الدراسات الشرقية الحديثة وكمشارك في كتاب البدو، تلميذ آخر من تلامذة البروفيسور فيشر هو الدكتور فرنر كاسكل، بقي مواظباً على عمله في الوقفية، حتى عندما صار عام

1928م مدرساً في جامعة برلين، قبل أن يتركها في عام 1930م، بسبب تعيينه خلفاً للبروفيسور برونيلش في غرايفسفالد. كان الدكتور كاسكل مهتماً بالتاريخ بصورة خاصة، فكرس نفسه لتأريخ البدو، ونشر كتابات مثيرة للاهتمام حوله، منها مثلاً "مهدي من القرن الخامس عشر" و "ولاة الحويزه"، وكذلك أطروحته للاستاذية، التي عنونها "أيام العرب"، والمكرسة لقصص البدو العربية القديمة. كان الدكتور كاسكل خلال الحرب ضابطاً في بلاد الرافدين، وزار فيما بعد الشرق مرات عديدة بينما كان البرفيسور برونيلش بعد الحرب في مصر وفلسطين، وأنا مدين له بصورة خاصة بالاشارة إلى عمر صالح البرغوثي في القدس.

لم يتوقف هذان السيدان عن تكريس نفسيهما لكتاب البدو، حتى بعد تركهما الوقفية، علماً أن العمل الرئيس وقع على كاهل الدكتور كاسكل، الذي انكب خلال السنوات الأخيرة بمفرده على الكتاب. وإنني لسعيد لأنني تعاونت مع مساعدين وشريكين من هذا الطراز، مجتهدين وألمعيين وعلى هذا القدر من الاهتمام بمادة بحثنا، وسأبقى مخلصاً لهما بسبب جهودهما المفعمة بالتضحية، التي أشكرهما ويشكرهما العلم عليها.

عالجنا في كتاب البدو، كما سبق وذكرت، جميع القبائل من الجبال الكردية شمالاً إلى مناطق المملكة السعودية الحالية جنوباً. لكن قبائل جنوب الجزيرة العربية في اليمن وحضرموت وعمان لم تدخل في نطاق أبحاثنا. وعلى كل حال، فإن هذه القبائل لم تعد في الأساس مرتبطة بقبائل المناطق الشمالية، بينما كان لجميع القبائل التي درسناها قدراً من الارتباطات فيما بينها.

وفيما يلي سنعرج على روابط قبائل البدو مع مثيلاتها التي تعيش في مناطق أخرى، وخاصة في مصر. إذ ثمة قبائل مختلفة في الحجاز، تعيش مجموعات منها، بصورة جزئية، في مصر، منذ فتحها على يد المسلمين. وبالمقابل، هناك أقسام من قبائل مصرية هاجرت إلى سورية.

ينقسم كتابنا وفقاً لمناطق البلدان التالية: بلاد ما بين النهرين، سورية،

فلسطين، شرق الأردن، الحجاز، وسط وشرق الجزيرة العربية، العراق وجنوب غرب فارس. لذلك لا تتم معالجة البدو في مؤلفنا، كما هو مألوف لدى المؤلفين العرب القدماء: بحسب النظام الأبجدي ونظام الأنساب، بل تتم وفق المبدأ الجغرافي، الذي تمليه الأهداف العملية وحدها. إننا نعالج، باديء ذي بدء، القبائل النقية في مختلف المناطق. وفي نهاية العمل تأتي قبائل معينة، ترفض من بعض القبائل الفخورة جداً بأصلها كبدو أقحاح، واعتبارها نداً لهم. وينضوي في هذه المقولة عدد من القبائل التي تعيش وتخيم في منطقتنا، لكنها ليست عربية الدم، كقبائل الأكراد واليزيدية «الإيزيديين»(*) والتركمان والقوقازيين، التي تعيش في الدائرة الحضرية العربية، ويمكن النظر إليها كقبائل تبدونت بهذا القدر أو ذاك، لطول إقامتها في المنطقة؛ فهي تلبس، مع بعض الاستثناءات، الثياب ذاتها التي يرتديها بدو بيئتها. واقتبست طريقة ونمط حياة القبائل البدوية العربية النقية، وترى أغلبيتها في العربية لغتها الأم الثانية، بل إن دماء عربية تجري في عروق بعضها.

هناك تبدلات معينة لدى البدو، جرت بعد صدور كتابنا. في الآونة الأخيرة (صيف 1939م) إنتقلت قبيلتان كبيرتان هما الفدعان والسبعة إلى العراق، وكان قسم من قبيلة شمّر قد سبقهما إلى مغادرة مضاربه في منطقة الانتداب السورية/الفرنسية، والهجرة إلى العراق. غير أن هذه القبائل ما لبثت أن عادت إلى مقراتها الصيفية في سورية. مثل هذه التبدلات ستحدث دون شك في المستقبل أيضاً، دون أن يحدث، لهذا السبب، في المدى المنظور تغير جوهري يبدل توزيع القبائل الجغرافي، وسوف لن تكون هناك اهمية عندما تلتحق هذه العشيرة أو تلك برابطة أخرى غير رابطتها الحالية. من هنا، سيشكل جدول القبائل الذي أعددناه نقطة الإرتكاز لدى دراسة البدو، في المستقبل أيضاً.

في هذه الأثناء، سيموت بعض الشيوخ، ممن أوردنا ذكرهم، وسيحل محلهم أقارب لهم. لكن هذا أمر تافه بالنسبة للقبيلة بوجه عام، لأن أسرة الشيخ

(*) يقع الكثير من الكتّاب بخطأ هو خطأ تسمية الإيزيدية بإسم اليزيديين. (شبّر).

تبقى مسيطرة في جميع الأحوال، إلا إذا تعلق الأمر بأشخاص مميزين حقاً.

سيكون لمؤلفنا أهميته أيضاً، بفضل أسماء البدو التي لا حصر لها، الواردة فيه، والتي هي أسماء عربية قديمة غالباً، لا نجدها لدى المدنيين والفلاحين. إن بعض أسماء البدو معروفة منذ العصرين الهليني والبيزنطي. وقد أثبتت البداوة، عموماً، أنها عصيّة على التغيير، وبقيت هي عينها على الدوام. فنحن نجد، على سبيل المثال، تماثيل آشورية تصور رجلين يمتطيان جملاً، ونرى اليوم بدواً يمتطون جمالهم بالطريقة ذاتها عند قيامهم بإحدىٰ الغزوات.

هكذا ستبقى هياكل القبائل، واحترام شيوخها، وارتحالاتها، ومضاربها، وأعرافها وتقاليدها، في المستقبل أيضاً، وستحافظ علىٰ النمط الذي قدمناها به في كتابنا.

فيما يلي، سنعرج باختصار على طبيعة البدو، وخصوصيتهم، وبعض أكثر اللحظات أهمية في تحديد أوصافهم، لنقدم لقارئ كتابنا تصوراً عنهم. لكنه لا بد من الإشارة مرة أخرى إلى أننا سنعرض في جزء خاص من هذا المؤلف، هو الجزء الخامس(*)، على حضارة وحياة البدو، وعلى أعرافهم وتقاليدهم... الخ.

(*) لقد صدر كتاب البدو في أربعة اجزاء في اللغة الالمانية. (شبّر).

طبيعة البـــدو

البدو الحقيقيون هم قبائل رحل أقحاح ومربّو جمال، ينتقلون من موقع تتوافر فيه المراعي والمياه إلى آخر، حالما يقلع الموقع الذي تركوه عن تقديم الكلأ والماء لقطعانهم.

البدوي هو ساكن الصحارى، التي لا تعني هنا صحارى الرمال فحسب، بل كذلك الصحارى الصخرية وصحارى السهوب، الصلبة الأرض غالباً، التي تغطيها خلال فصل الربيع الأعشاب والحشائش الزاهية، إذا كانت أرضاً غير جبسية. هذا الغطاء النباتي الفقير، الذي يجف فيما بعد كالجذور، يصلح علفاً لقطعان البدو. أما الماء فلا يوجد إلا في مواقع متفرقة، تبعد بعضها عن بعض أغلب الأحيان ساعات، بل أياماً.

عندما يصبح تزويد القطعان بالكلأ صعباً في "الصحراء"، وهذا ما يحدث عادة في شمال الجزيرة العربية خلال شهر آذار، يرتحل البدو على مقربة من حافة السهب والأرض الزراعية، حيث يتخذون لهم مقرات صيفية، ينصبون مضاربهم فيها حوالى ثلاثة إلى خمسة أشهر.

يعيش البدو على شكل قبائل وعشائر تنتقل في "الصحراء" بأسرها، أي في تلك المنبسطات العملاقة داخل بلاد ما بين النهرين وسورية والجزيرة العربية، حيث توجد مواقع رعي صيفية وشتوية محددة. ويشكل الترحال الدائم سبباً في

الاحتكاكات، والصدامات الحربية، والغزوات المتواصلة بين البدو.

فضلاً عن البدو الرحل، يوجد عدد من القبائل على حدود السهوب الصحراوية، كانت في الماضي قبائل رحلاً، لكن قبائل أقوى منها أزاحتها شيئاً فشيئاً عن مراعيها، فأقلعت عن التجوال في الصحراء الشاسعة، وانتقلت إلى تربية الأغنام، وبدأت بممارسة أعمال زراعية على حافة الأراضي الزراعية. في موطنها الجديد هذا، يعيش جزء من القبيلة في أكواخ أو خيام، بينما يرتحل الجزء الآخر، أو أن القبيلة تلازم مكانها خلال فترة الزراعة والحصاد وترتحل خلال بقية العام، دون أن تتوغل، مع ذلك، عميقاً في الصحراء، شأن البدو الأقحاح. هذه الظروف تنطبق على سورية وبلاد الرافدين العليا والسفلى، وخاصة في مناطق ضفاف نهري الفرات ودجلة الكبيرين. وتتطور بطريقة مشابهة حياة القبائل نصف الرحل في مناطق زراعة النخيل داخل الجزيرة العربية.

وقد حافظ هؤلاء البدو، بدورهم، على تقاليدهم القبلية، وعلى منعة معينة. وإن كانوا يعيشون أغلب الأحيان في ضرب من علاقات تبعية حيال القبائل الرحل الكبيرة، التي فرضت عليهم دفع خوة، تشبه الضرائب التي عليهم تأديتها للحكومة. في زمن الحرب العالمية، كان هذا الوضع لا يزال قائماً بالنسبة إلى معظم قبائل أطراف السهوب السورية وسهوب بلاد الرافدين.

أما أنصاف الرحل وبسبب تعاظم ضغوط القبائل الكبرى عليهم، فكانوا غالباً مجبرين على الانسحاب من حافة الصحراء، والعيش كفلاحين في المناطق الزراعية، أو تدبّر معاشهم كرعاة. هذا المصير أصاب قبائل مختلفة كانت ذات يوم جبارة وعريقة. لكنها حافظت هي أيضاً على تنظيمها القبلي، وما زال معظمها يعيش في الخيام.

بالمناسبة، ثمة قسم كبير أيضاً من سكان مناطق الواحات ومدن الجزيرة العربية الداخلية منظم على أسس قبلية، وينحدر من أصول بدوية على الدوام تقريباً.

تعتبر الجزيرة العربية مهد البدو، الذي انطلقت هجراتهم منه نحو الشمال

والشمال الشرقي، ووصلت إلى داخل بلاد فارس. مع ذلك، يعيش البدو أيضاً في سائر أرجاء شمال افريقيا وينتشرون في بقاع المغرب، وهؤلاء هم أخلاف بني هلال وسليم، القبيلتين اللتين توجهتا في القرن الحادي عشر الميلادي من مصر نحو الغرب، واقتحمتا طرابلس الغرب وتونس والجزائر وجزءاً من المغرب، وامتزجتا، بمرور الوقت، مع الأقوام التي اخضعتاها، وإن كنا لا نزال نجد تقاليد بدوية، نقية من جوانب كثيرة، لدى جميع قبائل شمال أفريقيا العربية تقريباً. بل إن بعضها يعيش اليوم أيضاً في خيام، ويترحل من مكان إلى آخر مع قطعان من الجمال، رغم أن معظم أبنائها صاروا مربي أغنام - وكثيرون منهم مستقرون -.

تنقسم القبائل البدوية الكبيرة جميعها إلى قبائل أصغر وتنقسم بدورها إلى قبائل فرعية (أفخاذ). ويقف على رأس هذه القبائل شيوخ، أي رؤساء قبائل.

لكل عشيرة علامة ملكية خاصة "وسم"، عرفت بها على الدوام، تدمغ بها دوابها، وبالأخص منها جمالها. ولديها كذلك صيحتها الحربية [نداؤها الحربي] الخاصة، وهي ضرب من نداء تطلقه الحناجر أثناء القتال، يبعث به المحاربون الحماسة والحميّة بعضهم في نفوس بعض.

يمكن اعتبار رؤساء شيوخ القبائل البدوية الكبيرة ضرباً من الأمراء. وقد منحت حكومة الانتداب السورية/ الفرنسية نوري ابن الشعلان، شيخ مشايخ الرولة، المنتمين إلى عنزة، لقب أمير. وصار زعماء شيوخ القبائل الكبيرة يسمون في الآونة الأخيرة "أمراء" بكل بساطة.

يتحدر لقب الأمير الرسمي بصورة دائمة على وجه التقريب من زمن العصر العربي الوسيط، وخاصة من حقبة سلاطين المماليك في مصر، الذين خلعوا هذا اللقب على شيوخ البدو الكبار، ممن قدموا لهم خدمات جليلة. ثم صار لقباً وراثياً إنتقل إلى جميع أفراد أسر هؤلاء الشيوخ. لذلك نجد هذا اللقب لدى قبائل مختلفة في سورية وفلسطين، كان الزمان قد غدر بها، بعد أن كانت قوية جداً في الماضي، مثلما حدث مثلاً لشيوخ الفضل. ومن جانب آخر، حرص الأتراك على منح أمراء

البدو المهمين لقبي بيك أو باشا.

إختلفت القوى التي سببت حركات التجوال الكبيرة، التي تشكل تاريخ البداوة العربية، أشد الاختلاف من حيث طبيعتها: وإننا لنجد بينها الأحداث الطبيعية، والتحولات السياسية في الجزيرة العربية الغنية بالواحات، والحركات الدينية، واستقرار الحكومات في المناطق الزراعية المجاورة... الخ. أما توجه الهجرات شمالاً، فيرجع إلى الشروط المناخية، وإلى الرغبة في العثور على مراعي أفضل.

إنطلقت أكثر حركات الهجرة أهمية بفضل الإسلام الوليد، وكذلك بفضل إقامة دولة غنية شرق الجزيرة العربية على يد القرامطة الشيعة في القرن العاشر الميلادي.

في العصر الحديث، أحدث صعود الوهابية، كجماعة دينية تهدف إلى بناء دولة، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، إنقلابات كبرى بين البدو. صحيح أن الدولة الوهابية التي أقامها آل سعود في الرياض في جنوب القسم الداخلي من الجزيرة العربية لم تكن دولة بدوية صرفة، إلا أنها عرفت كيف تفرض سيطرتها على بدو الجزيرة العربية بأسرها، وبدو المناطق الشمالية المتاخمة لها. وكان آل سعود الوهابيون قد أخضعوا في مطلع القرن التاسع عشر شبه الجزيرة العربية بأكملها تقريباً. كما احتلوا لبعض الوقت مدينتي الاسلام المقدستين: مكة والمدينة. لكن قوة المملكة الوهابية ما لبثت أن دمرت في النصف الثاني من القرن على يد القوات المصرية. عندئذ، إنتزع آل رشيد، سادة حائل، الذين كانوا قد برزوا من قبيلة بدوية هي شمّر، السيطرة على شمال الجزيرة العربية أول الأمر، ثم استولوا على منطقة آل سعود ذاتها. غير أن عبد العزيز آل سعود نجح مع بدايات القرن العشرين في استعادة موطنه من جديد والاستيلاء على شرق الجزيرة العربية، الذي كان طوال بضعة عقود تحت سيطرة تركية مباشرة. وإن القوة التي أثارها في أنصاره كانت قد أججت الحماسة الوهابية الدينية المتجددة، وكذلك تحالفه مع الانجليز، مكنت عبد العزيز من اقتطاع أراضٍ جديدة من ابن رشيد خلال الحرب

العالمية وأن ينجح في طردهم، أخيراً من حائل عام 1921م. وفي عام 1925م، أضاف آل سعود إلى مملكتهم الحجاز بالمدن المقدسة، التي كان يحكمها الأشراف منذ قرون تحت السيادة التركية.

إنضم الشريف حسين عام 1916م إلى الانجليز، وقبل في وقت لاحق لقب الملك. وبعد استقالته، نجح ابنه الأكبر علي في الاستيلاء على الحكم لبعض الوقت، لكن عبد العزيز آل سعود إنتزعه منه. من جانبه، شكل فيصل ابن الشريف حسين، الذي كان خلال الحرب قائداً لقوات والده المسلحة ضد الاتراك، حكومة عربية في دمشق بعد توقف الأعمال الحربية، إلا إنه اضطر عام 1920م، عقب فترة قصيرة من إعلانه ملكاً على سورية، إلى الرضوخ أمام الفرنسيين، فعينه الانجليز عام 1921م ملكاً على العراق بعد أن صاروا الدولة المنتدبة عليه. منذ عام 1933م صار غازي، ابن فيصل، ملكاً على العراق، وشقيق فيصل، الأمير عبد الله، أميراً على شرق الاردن، الذي خضع بدوره للإنتداب الانجليزي.

بالمناسبة، نجح البدو في عصر انهيار سلطة الخلافة العباسية، وقبل وقوع الغزو السلجوقي التركي، في إقامة دول خاصة في سورية وبلاد ما بين النهرين، بقيت سلالاتها الحاكمة في السلطة طوال عقود كثيرة، إمتدت أحياناً إلى أكثر من قرن كامل، مثلما حدث في حلب والموصل والحلّة.

كما كاد صديقي إبراهيم باشا، رئيس حلف الملّي القبلي، الذي يتكون في معظمه من أكراد مع مكونات صغيرة من البدو، أن ينجح عند منعطف القرن العشرين في إقامة ضرب من دولة في أعالي بلاد الرافدين داخل الامبراطورية التركية. وقد زرت الباشا عام 1899م، حين بلغ أوج قوته. وكانت الحكومة قد عبأت الملّي وبضعة قبائل أخرى نصف الرحل، تسكن منحدرات الجبال الكردية والحوافي الصحراوية لبلاد الرافدين، كخيالة خفيفة ضمن ما أسمته الأفواج الحميدية، التي تلقت شيئاً من التدريب على يد ضباط أتراك أول الأمر، وزودت ببنادق حربية حديثة. شكل عديد من هذه الأفواج نواة قوات إبراهيم باشا، الذي اتخذ مدينة ويرانشهر البيزنطية المدمرة، الواقعة بين أورفة وماردين، مقراً له، بعد

أن أعاد سكانها إليها من جديد، مع أنه كان يعيش هو شخصياً في خيمته العملاقة، ويتنقل في الصحراء، حيث يقوم بالغزوات ويشن الحروب. كان حكام أورفة وماردين والموصل ودير الزور الأتراك يرتجفون آنذاك خوفاً منه، خاصة وأنه كان يحظى بعطف السلطان عبد الحميد. بعد الإطاحة بالسلطان، نجحت حكومة تركيا الفتية في كسر شوكة أمير الملّي بصعوبة شديدة، بعد أن استخدمت ضده قوات عسكرية كبيرة. أخيراً، قتل الأمير عام 1909م، إبان حملة المطاردة المحمومة التي استهدفته.

بذلت الحكومات، التي قامت في الدول الجديدة داخل الأقاليم العربية من الامبراطورية العثمانية السابقة، وخاصة منها حكومة عبد العزيز آل سعود، جهوداً متعاظمة لدفع البدو إلى التخلي عن حياة الترحل. هذه السيرورة التحولية، التي بدأتها مصر في مطلع القرن التاسع عشر مع محمد علي، إستمرت أكثر من مائة عام، وحققت نجاحاً إذ حوّلت تسعة أعشار البدو إلى سكان مستقرين، ومما ساعد على ذلك الطبيعة الخاصة للشروط الجغرافية، والجدب الشديد للصحراء الواقعة إلى الغرب والشرق من وادي النيل، وسلطة الحاكمين التي اكتسبت طابعاً أوروبياً متزايداً. أما بقية البدو، التي لم تنضو في الوقت المناسب ضمن سيرورة التحول، فهي عاجزة اليوم عن شراء الأرض الزراعية الغالية الثمن، وتعيش حياة مفعمة بالفقر[1].

تختلف ظروف الشرق الأدنى عن الظروف المصرية. فقد استطاعت القبائل البدوية الكبيرة مواصلة حياة الترحال هنا، واحتفظت بقواها القتالية الخاصة لفترة أطول، رغم تدابير الحكومة، ونجحت في الحفاظ على أهميتها السياسية لقرون عديدة، وتمكنت من تعزيز مقومات وجودها الاقتصادي داخل الصحراء، بفضل تربية الجمال وقيامها بدور الناقل بين مناطقها المختلفة وجوارها. ومع أن خطوط

(1) ماكس فرايهر فون اوبنهايم: من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي» برلين 1900م، الجزء الثاني، ص 81 وما يليها.

السكك الحديدية وطرق السيارات تخترق أكثر فأكثر المناطق الداخلية من سورية وبلاد الرافدين، فإن مناطق سهوبهما الصحراوية كبيرة إلى درجة تفرض الحاجة، في المستقبل أيضاً، إلى الجمل "حيوان البدو المنزلي" و"سفينة الصحراء" الضرورية للتجارة والنقل الداخليين، حتى في المسافات البعيدة. ينطبق الشيء ذاته على المناطق الداخلية من الجزيرة العربية.

II

لا تختلف حياة البدو اليوم عن الحياة التي كان قد وصفها شعراء ومؤرخو العصر العربي القديم. من جانبها، بقيت سهوب الصحراء هي ذاتها منذ آلاف السنين. وكذلك بقي البدو شعبَ أسيادٍ، أصيلاً على الفطرة، بدائياً، وحشياً ومحارباً، لم تمسه الحضارة الأوروبية بعد.

يفخر البدو أشد الفخر بحريتهم، ويمتلكون شعوراً جامحاً باستقلاليتهم. ولا يوجد ما يعلو في نظرهم على الحياة في الصحراء؛ مصدر احتقارهم لأي إكراه، وأية حكومة وضرائب، وللخدمة العسكرية، ومنبع نفورهم من الاستقرار والعمل المنظم. والحق يقال إن البدوي لا يتخلى إلا في حالات الضرورة القصوى، عن بداوته. تنظر القبائل البدوية الكبيرة بازدراء إلى البدو نصف المستقرين، ويظن هؤلاء الأخيرون أنفسهم نبلاء بالمقارنة مع الفلاحين.

لا حدود لاعتزاز البدوي بنقاء نسبه، الذي يحرص عليه ويعني به. في نظر البدوي: أنه وحده أصيل ويتجذر فيه بعمق الايمان بقوة القرابة الدموية التي يجب أن يلتزم بها. وقد لعب الإصرار على نبالة الجنس والقبيلة أعظم الأدوار حتى في أشعار الجاهلية، التي لا تعلق أهمية خاصة على النسب من جهة الأب وحسب، بل تهتم كذلك بنسب الأم، ولا ترى الآخرين بمنظار النقاء العرقي وحده، وإنما تراهم أيضاً بمنظار التحدر من أصل نبيل. وبسبب تحدر الأم من قبيلة غير محترمة، أو من أم سوداء، تعرض أعظم أبطال العصر العربي القديم، من أمثال الشاعر الشهير عنترة، إلى ظلم شديد.

لا يقيم البدوي نقي الدم اليوم أيضاً أية روابط زواج مع أبناء قبائل غير نقية الدم، أو ذات دم غير نبيل، من أمثال الشرارات والهتيم، والصليب الذين يتنقلون كالغجر في الصحراء. وبسبب هذا السياق الفكري، يفضل رؤساء القبائل البدوية القوية الزواج من بنات أسر عريقة ينتمين إلى قبائل قليلة الشأن من حيث قوتها وعددها، لكنها تتحدر من أنساب نبيلة. وقد عجزت تقاليد الزواج الإسلامي، القائمة على محو الفروق بين الأعراق، عن فرض نفسها لدى البدو.

يفسر الزهو بنقاء النسب ارتباط البدو الوثيق مع عائلتهم، وبطنهم، وفخذهم، وقبيلتهم. ويرتبط التثمين الرفيع للنسب بالزهو بالنبالة. يشكل الاعتراف بالبدوي كأصيل رابطة تتخطى عموميتها قبيلته الخاصة، وتشد البدو جميعهم بعضهم إلى بعض، تجاه سكان المدن وفلاحي العرب، الذين لم يعودوا أنقياء الدم، وحيال الأتراك أيضاً. يعتبر الغزو وأعمال السلب والنهب أفعالاً بطولية، في حياة البدو الطليقة. لذا، رأى سكان المدن العرب في البدوي عدواً خطراً، حتى انهم خوفوا أبناءهم بهم. ولا عجب إذن أن يرى ساكن المدينة المسلم اليوم في أية رحلة يقوم بها عبر الصحراء أمراً خطراً، وأن تقتصر علاقات الصداقة مع شيوخ البدو على عدد قليل من أسر الأعيان العريقة في المدن الكبيرة، ممن يمتلكون قرى على أطراف الصحراء.

وفي مقابل ذلك، يخشى البدو الذهاب إلى المدن، حيث عليهم التخلي عن أسلحتهم والسكن في المنازل بدل الخيام. إن زيارة مدينة كبيرة كدمشق، حلب أو الموصل، كانت حتى وقت قريب حدثاً نادراً بالنسبة للبدوي.

عندما صحبني أصدقائي من قبيلة شمّر عام 1893م من نصيبين إلى الموصل، لضمان سلامتي في تلك المنطقة التي لم تكن قد درست بعد، نكص مرافقاي البدويان فجأة على أعقابهما أمام بوابات المدينة، وهرعا إلى الصحراء من جديد، خشية أن يحتفظ بهِما محافظ المدينة أو قائدها العسكري كرهائن لديه، أو يلقي بهما في السجن. ذلك أن كل بدوي كان يشعر بطريقة من الطرق أنه ارتكب خطأً ما، وكل قبيلة كانت تعاني على الدوام من مصاعب مع الباشاوات الحاكمين.

لم يتغير هذا الوضع في أيامنا أيضاً. مع أن نوري ابن شعلان سكن، بعد أن تقدمت به السنين، بيتاً في دمشق، وتلقى غيره من أمراء البدو بيوتاً وقرى وضعتها الحكومات تحت تصرفهم. أما الحقول المحيطة بهذه القرى، فيحرص الشيوخ على زراعتها بواسطة فلاحين، لأن أبناء قبائلهم يأنفون القيام بأعمال زراعية.

عندما اصطحبت عام 1929م بدوياً ميسوراً من قبيلة الملّي، كان قد قدم لي خدمات ودية كثيرة منذ عام 1899م، من رأس العين إلى حلب بالقطار، حيث كان ضيفي لبضعة أيام في أحد الفنادق، أخذت قبيلته ترى فيه، بعد عودتنا إليها، شيئاً غريباً، مع أنه لم يشعر إلا بالقليل جداً من الراحة في حلب وكان شديد السعادة عندما عاد إلى الصحراء.

يربى البدوي، منذ طفولته الأولى، على الفروسية والقتّال، وعلى الصلابة والصمود تجاه سائر ضروب المشقات والآلام والأخطار. وإن حياته لقاسية حقاً، فهي تتكون من صراع متواصل من أجل الوجود، في مواجهة الطبيعة والبشر.

يعتبر الثأر أحد أكثر قوانين الصحراء قدسية. وهو يمارس اليوم بالطريقة ذاتها التي كان عليها في الجاهلية. فمقابل القتيل من قبيلة ما يجب أن يقتل شخص من القبيلة التي قتلته. من الجائز أيضاً تقديم تعويض مالي يدفع غالباً في شكل جمال أو خراف، وإن كان يقابل بنفور شديد. لا يلزم الثأر أسرة القتيل، بل يلزم القبيلة بأسرها في ظروف معينة، خاصة عندما يتعلق الأمر بشيخ. ثمة حالات مختلفة قاد الثأر فيها إلى حروب ضارية، أنزلت خسائر فادحة بقبائل بأسرها، بل وأدت إلى إبادتها. بوجه عام، يعتبر الثأر في الصحراء عاملاً يحافظ على حياة البشر، ذلك أن البدوي يخاف العواقب الوخيمة التي تترتب على القتل، ويتجنب سفك الدماء قدر استطاعته.

مهما يكن من أمر، يحمل البدوي صفات حقيقية هي الإنسانية، والفروسية، والشهامة. وهناك منذ أقدم الأزمنة حكايات وأساطير لا عدّ لها حول خصائصه هذه. من ذلك مثلاً أن البدوي، الذي يشارك في الغارات على القوافل، يكتفي

بالغنيمة التي استولى عليها ـ إذا كان المسافرون لم يحصلوا قبل سفرهم على حماية قبيلته ـ عندما يلقي العدو سلاحه ويسلم الحيوان الذي يمتطيه. صحيح أن البدوي قد يأخذ حتى قمصان من في القافلة، إلا أنه لن يقتلهم بالتأكيد، وسيعطيهم الزاد والماء ويرشدهم إلى طريق أقرب قرية. وقد قابلت شخصياً مرات متعددة مسافرين تعرضوا للنهب في الصحراء. إلى هذا، لا يقدم البدوي أبداً على اختطاف البشر، من أجل ابتزازهم والحصول على فدية مالية، على غرار ما يحدث في أميركا أو الصين.

عندما تحدث غزوة على مضرب خيام معاد ويتم نهبه، يفر من يصاب منهم بجراح، كما يقضي عرف حربي قديم، إذا كانوا عاجزين عن المقاومة، لعلمهم أن المنتصرين لن يلحقوا تحت أي ظرف الأذى بنسائهم وأطفالهم وشيوخهم. في هذه الحالة أيضاً، يترك المهاجمون المنتصرون ما يكفي من الطعام وحيوانات الركوب للنساء، ليتمكّنّ من النجاة بأنفسهن.

يعتبر كرم الضيافة إحدى أجمل صفات البدو، وكذلك عادة تقديم الحماية حتى للعدو، بمجرد أن يدخل خيامهم. ثمة حكايات يتم تناقلها منذ أقدم الأزمنة وحتى اليوم في امتداح هذه الفضائل. ينبع كرم الضيافة من ضرورات الصحراء، لذلك لا يمارس في أي مكان من العالم بقدر من الاستقامة والمودة كالذي نجده فيها.

يعد كرم البدو مضرب الأمثال أيضاً. إنه بشكل خاص من واجبات الشيخ، الذي لا يحتاج كي يمارسه إلى غنائم. أما الهدايا التي يتلقاها، فإنه يحرص في معظم الأحيان على تقاسمها مع المحيطين به من قومه.

ينظم البدو شؤونهم وفق قوانين الصحراء غير المكتوبة، فالقضاء يمارسه الشيخ أو قاض خاص، لكن أحكامهما غير ملزمة. وإن كان اؤلئك الذين لا يرضخون لها، لا يستطيعون البقاء بعدها في القبيلة، بل يجب عليهم البحث مع عائلاتهم عن ملجأ لدى قبيلة أخرى، لأن القبيلة ليست فقط جماعة سياسية، بل

هي أيضاً جماعة قضائية.

الرأي العام، أو الخوف من لوم وسخرية الآخرين هو القوة الوحيدة الملزمة، والسلطة الوحيدة التي ينحني البدوي الأصيل أمامها. ويدعم الرأي العام الأعراف الأخلاقية غير المكتوبة للصحراء، التي يجب على كل بدوي احترامها والتقيد بها. وهذه لها متطلبات مثالية يأتي في مقدمتها التضامن مع أبناء القبيلة، والأخذ بالثأر، وغير هذا مما يعتبر من فضائل البدو. فإن أتى البدوي أمراً يخالف أعراف الصحراء، فقد اعتباره في القبيلة وبين البدو بوجه عام.

شيخ القبيلة هو قائدها. أما المشيخة فترتبط بأسرته، وتورث عادة من الأب إلى الإبن. وإن كانت تنشأ غالباً عقب وفاة رأس القبيلة مآسي دامية بين أهل بيته.

يساعدُ الشيخَ، قبل كل شيء، نبلاءُ الدم من أسرته والتابعون له من الشيوخ. ليس الشيخ بين هؤلاء، وحيال بقية البدو أيضاً، سوىٰ واحد من أفراد القبيلة. أما سلطته فهي بطريركية، يظهرها عبر وسائل أخلاقية بالدرجة الأولى. ومن صلاحياته تمثيل القبيلة واستقبال الأغراب، وتعد الخوّة حقاً لها، يؤديه أنصاف الرحل الذين يعيشون على أطراف الصحراء والفلاحون والتجار، كما تؤديه القوافل لتضمن عدم تعرضها للاعتداءات. للشيخ أيضاً حق الحصول على حصة رئيسة من غنائم حملات الغزو والحرب. وعليه العمل لضمان خير القبيلة، فهو الذي يقرر تغيير أماكن الرعي، وشؤون السلم والحرب، والتحالفات مع القبائل الأخرى، والغزوات التي يجب القيام بها، وعلاقة قبيلته بالحكومة، إن كان لها سلطة عليها. وتتجه الحكومات إلى الشيخ، إن كانت قوية بما يكفي لجباية الضرائب، أو عندما يرتكب أفراد من القبيلة أعمال سلب ونهب. وتناقش الاجتماعات اليومية، التي يعقدها أكثر أعضاء القبيلة احتراماً، حين يجتمعون لشرب القهوة في خيمة الشيخ، شؤون القبيلة وسياساتها، لكن تسوية هذه الشؤون تبقى من اختصاص الشيخ وحده، الذي يكفل، في جميع الأحوال، السلام في القبيلة، ويعتبر، بهذه الصفة، شخصاً تعد الحاجة إليه مهمة كثيراً بين البدو المتهورين.

ويخاطب أبناء القبيلة الشيخ باسمه الأول. ويتمتع شيوخ مشايخ التحالفات القبلية الكبيرة دون غيرهم بمهابة أميرية تقريباً لدى أبناء قبائلهم.

من واجبات الشيخ قبل غيره إكرام الضيوف، وعليه تقديم حق اللجوء لمن يبحث عن الحماية لديه. وهذا يلزمه بتدبير أمور طالب الحماية ووقايته من أي مكروه. وعلى الشيوخ وأفراد أسرهم أن يتميزوا، في شبابهم خاصة، بالشجاعة وحتى بالجسارة التي تبلغ حد التهور. وقد لقي قسم كبير منهم ـ منذ قديم الزمان ـ حتفه في الحروب والغزو. في الآونة الأخيرة، أخذ استخدام بنادق حديثة ذات مدى بعيد يحدث خسائر كبيرة جداً بين الشيوخ وأسرهم، لأن الشيخ أو أحد أبنائه يقود عادة الحملات القتالية وإن كانت بعض القبائل تخص أسرة بعينها بشرف القيادة وتعتبرها أمراً وراثياً.

ليس بين البدو غير عدد جد قليل ممن يحسنون القراءة والكتابة. لذلك يُستقدم كتبة وسكرتاريو كبار الشيوخ من خارج القبيلة غالباً، وتكون مشاركتهم نادرة في القتال.

يمتلك البدوي حساً حياً بالشعر، الذي يحبه. ويترحل الشعراء والمنشدون من قبيلة إلى أخرى، ليلقوا حكماً قديمة، وينشدوا أغاني بطولية قديمة، أو أشعاراً نظموها على شرف القبيلة، تمتدح شجاعتها وحروبها وغزواتها الظافرة، وتمجد كرم الشيخ، الذي عليه أن يقدم للمنشد هدايا خاصة.

البدو مسلمون. وهم يلهجون على الدوام بذكر الله، الذي لا يفارق اسمه أفواههم، لكنه بالكاد تجد بين بضعة آلاف منهم واحداً يعرف شعائر الصلاة التي أقرّها الإسلام ـ ينطبق هذا بصورة خاصة على المناطق التي لم تنتشر فيها الوهابية. كما لا تزال توجد ذكريات وثنية في أساطيرهم. ومع أنهم يميلون إلى التزمت الديني. إلا أنهم متسامحون بوجه عام حيال غير المسلمين، جرياً على مألوف الإسلام. لكنني عايشت بنفسي انفجارات غضب تعصبي لدى قبائل شمال بلاد الرافدين ضد اليزيديين، أو من يسمّون عبدة الشيطان، الذين كانوا يخوضون ـ على

كل حال ـ نزاعات دموية معهم.

يتمتع البدو بالذكاء، ولهم قابلية فائقة على التعلم. ولديهم، قبل كل شيء، ذاكرة جيدة للأسماء، بما في ذلك أسماء أماكن تقع في مناطق جد بعيدة. كما يمتلكون حساً مرهفاً بمعرفة الاتجاهات، يستند على ارتباطهم بالأرض. ومع أن الأشياء التقنية بقيت بعيدة عن البدوي إلى اليوم، فإن استخدامه للسيارة لم يطرح عليه، في واقع الحال، أية صعوبات تذكر.

تقتصر المهارات اليدوية لنساء البدو على غزل ونسج أقمشة خام، وخياطة قطع قماش تم شراؤها لصنع الثياب. ويشتري الرحل الكبار حبال خيامهم السوداء، المصنوعة من شعر المعز، لأنهم لا يربون قطعان المعز.

أما الأدوات القليلة التي يحتاج البدو إليها (قدر، مقلاة، هاون، إبريق القهوة الكبير وفناجينها الصغيرة، الغليون والسرج... وما شابه) فيتم شراؤها. وكذلك تشترى أدوات زينة النساء وقطع الثياب الأكثر أساسية. على البدو شراء كل ما يستخدمونه من سلاح أيضاً. والحق، أن معظم هذه الأشياء تصنع خصيصاً لهم في بعض المدن. في الآونة الأخيرة، بدأت أنواع مختلفة من سقط المتاع الأوروبي تجد طريقها إليهم.

يتم تموين البدو بالأشياء الضرورية التي يحتاجون إليها كالحبوب والأرز والقهوة والسكر والتبغ، بواسطة تجار يتوغلون عميقاً في الصحراء كي يصلوا إليهم. أو يتموّن البدو بأنفسهم خلال إقامتهم الصيفية في مواقع على حافة الصحراء، حيث يبيعون منتجاتهم إلى التجار المسافرين، وهي تتكون أساساً من الحيوانات الداجنة، والصوف والسمن.

لا يبيع البدوي فرساً من أفراسه إلا على مضض. وهو يبيع، بالمقابل الأحصنة، التي يحتفظ عادة بعدد قليل منها فقط للتلقيح. تلعب الفرس دوراً كبيراً في حياة البدو. فهي مناسبة للغزو أكثر بكثير من الحصان، لأنها هادئة، لا تصهل، وتعد أسرع منه وأكثر قدرة على الاحتمال. تمثل الفرس كذلك نوعاً من رأس المال

بالنسبة إلى مالكها، لأنها تهبه أمهاراً. ويعلق البدوي أهمية كبيرة على نقاء سلالة الخيل. ومن المعلوم أن الخيول الانجليزية الأصلية تتحدر من خيول عربية. في الوقت الحالي، تناقص كثيراً، وللأسف الشديد، عدد الخيول في الصحراء، نتيجة للحرب العالمية.

لا يكترث البدو بالأساس لأي رفاه أو تجديد، إن كان لا يجلب تسهيلاً ما بالنسبة إلى حملات الغزو والحرب، وبالنسبة إلى خيامهم وترحالهم. يعتبر البدوي مزاولة أي عمل، عدا القتال وركوب الخيل وبعض الأعمال المرتبطة بقطعانه وترحاله، أمراً ماساً بكرامته. لذلك يقع على عاتق المرأة القيام بالعمل الرئيس في المضارب والخيام، بما في ذلك جلب الماء، المتعب غالباً. بالمناسبة، تعتبر المرأة البدوية مصونة لا يمسها أحد. وهي تمشي لدى قبائل كثيرة سافرة الوجه.

يمتلك الشيوخ خاصة نساء عديدات، لأن الإسلام يسمح لهم بأربع زوجات في وقت واحد، ولأنهم يريدون أكبر عدد ممكن من الصبية، يعززون بهم قوتهم في القبيلة، لأن الأولاد يساعدون في القتال. لكن البنات لهن بدورهن قيمة كبيرة، لأن البدوي يقدم، تبعاً لعرف جد قديم، إلى والد المرأة التي يرغب في الزواج منها، أو إلى أسرتها تعويضاً في شكل جمال، خيول، أو خراف. من جانبها، تتيح سهولة الطلاق إمكانية الزواج من امرأة جديدة وإنجاب مزيد من الأبناء. وهناك زيجات معينة قام بها الشيوخ لاعتبارات سياسية.

في أزمنة ماضية، كان الشيوخ يمتلكون في الغالب عبيداً من الزنوج. ومع أنه تم تقييد تجارة العبيد واستجلابهم من افريقيا إلى الجزيرة العربية تقييداً شديداً بفضل القوانين الدولية، فإن تجارة العبيد وامتلاكهم لا تزال قائمة، وعلى أقل تقدير في الحجاز، حيث يشكل السود قوة على قدر عظيم من القيمة في جيش الملك عبد العزيز آل سعود.

تحرر العبيد في المناطق الشمالية. لكنهم بقوا وعائلاتهم في مضارب سادتهم السابقين، بصورة دائمة تقريباً. بدورها، لم تتغير العلاقة بينهم وبين عبيدهم

السابقين إلا قليلاً، الذين يبدون طاعة عمياء حيالهم وحيال الخلص من رجالهم. ويشكلون، مع أقربائهم الذكور، الأتباع الشخصيين المسلحين للشيخ، الذي يتكفل، من جانبه، بمعاش عبيده، الذين لا يتزوجون من خارج صفوفهم.

ترك هدوء الصحراء بصماته على البدوي. ثمة وجاهة لا مجال لإنكارها يتسم بها كل رب منزل. فهو يستقبل ضيوفه في خيمته وكأنه أمير، حتى إذا كان لا يستطيع أن يقدم لهم غير حليب الجمال والتمر. يمتلك البدوي كذلك إحساساً متميزاً في كل ما يتعلق بتصرفاته، التي تنظمها أعراف شديدة القدم. من ذلك أن إعداد القهوة وتقديمها صار طقساً إحتفالياً بكل معنى الكلمة، تقدم خلاله إلى الضيوف وفق ترتيب محدد بدقة، يأخذ بعين الاعتبار مقام ومكانة كل واحد منهم، فالقهوة البدوية المرة ذات النكهة الطيبة، يصبها لهم في فناجين صغيرة أحد أقرباء رب المنزل أو عبيده. غير أنه يصعب على أحد غير الشيخ أو أحد أغنياء البدو فتح مضيف قهوة.

تتعارض خصائص البدوي من جوانب كثيرة مع المفاهيم الحقوقية لحضارتنا الأوروبية الحالية، أو مع مفاهيم عرب المدن الراقين. إن السمات الملازمة لحياة البدوي هي الحاضنة التي تطورت فيها أكثر رذائله الأساسية: أعني ريبته، وطمعه غير المحدود، وغضبه السريع الاشتعال، وانزلاقه السريع إلى العنف. والحق، فإن البدوي يدرب وهو طفل على القيام بأعمال سرقة، على أن يمارسها تجاه القبائل الغريبة فقط، عندما يصبح رجلاً.

رغم هذا، يعتبر البدوي شخصاً يعتمد عليه إلى أبعد حد. فهو يحترم علاقة الأخوة، ويفي بوعوده ويلزم نفسه بها، إلا في حالات نادرة جداً.

حتى الحرب العالمية، كان سلاح البدو يقتصر على رمح من قصب الخيزران يصل طوله إلى حوالى ستة أمتار، إلى جانب السيوف والخناجر. أما بنادقهم القديمة الطراز، التي يكثر استخدامها دون أن يكون عددها كبيراً مع ذلك، فكانت أقل خطورة من أسلحة الطعن والضرب. آنذاك، كان يوجد عدد قليل جداً من

الرماة بين البدو، وكانت الأسلحة الحديثة الفعالة، والبنادق، والمسدسات نادرة إلى أبعد حد. أما الآن، فيوجد لدى كل بدوي تقريباً بندقية بمغلاق أو بندقية قصيرة الماسورة. حتى أنني لم أستطع عام 1929م الحصول على بعض الرماح في دير الزور إلا بعد مشقة وعناء.

تحتل الغزوات، غزوات القبائل بعضها ضد بعض، أهمية قصوى بالنسبة لحياة البدو، منذ أزمنة يصعب التفكير فيها. يرى البدو في ممارسة الغزو حقاً أبدياً. لا عجب أن الغزو يتم اليوم أيضاً بالطريقة عينها التي يصفها شعراء العرب القدماء ومؤرخوهم، وأن نتائجه تسوى وفق قوانين الصحراء الأبدية غير المكتوبة، التي تذكر، من بعض جوانبها، بتقاليد الفرسان قطاع الطرق في العصر الأوروبي الوسيط.

بذلت حكومتا الإنتداب الفرنسية والانجليزية جهوداً كبيرة من أجل القضاء على عادة الغزو، ولكن دون جدوى. ربما كان الملك الهمام عبد العزيز آل سعود أكثر توفيقاً منهما في الحد منها داخل الجزيرة العربية. ويقال الشيء نفسه عن العراق الآن. غير أن تقليد الغزو سيعيش بالتأكيد لفترة طويلة قادمة في نفوس البدو.

حتى الحرب العالمية، كان من يقومون بالغزو يقتصرون بالدرجة الأولى على الفرسان المسلحين بالرماح. وكان عبء القتال يقع على أصحاب الجياد. ذلك أن الغزوات الصغيرة كانت تنفذ بصورة حصرية تقريباً بواسطة الخيول، بينما الغزوات الكبيرة، التي يشارك فيها مئات البدو أحياناً، وتتطلب أسابيع من المسير قبل الوصول إلى العدو، فكانوا يقومون بها بمعونة الجمال، بينما يقتادون خيولهم إلى موقع الغزو. كان الخيالة يمتطون جملاً لكل رجلين. وحين يظهر العدو، كانوا يمتطون الجياد تاركين لراكبي الجمال الاستيلاء على الغنائم وتغطية ظهور وجوانب المقاتلين. وكان الغزاة يميلون إلى الاستيلاء على قطعان المراعي البعيدة، القليلة الحماية. فإن أخفقوا، أو أحسن من أغاروا عليهم الدفاع عن أنفسهم، أو لاحقوا المهاجمين، تحول القتال، كما حدث طوال قرون عديدة، إلى سلسلة اشتباكات

متفرقة، هي نوع من المبارزة يتطور إلى أن يصير شيئاً أشبه بألعاب الفروسية. عندئذ، يستطيع الفارس الأضعف، الذي يمتطي جواداً أو جملاً منهكاً، إنقاذ حياته، بأن يتخلى عن سلاحه وجواده للعدو. عندما يقتنع الغزاة أن أعداءهم يفوقونهم قوة، يرون أن من حقهم وواجبهم، ولا يتعارض بأي حال مع ميلهم التقليدي إلى القتال والإتكال على سرعة جيادهم أو جمالهم، والفرار "بشجاعة".

إن الغزوات، التي لا يحمل البدوي خلالها إلا ما يحتاج أشد الحاجة إليه من غذاء وماء، هي عمل يتطلب أعلى قدر من الصلابة والقدرة على تحمل الحرمان؛ يشارك أبناء الشيوخ فيه وهم لا يزالون أطفالاً. إنه لأمر يحتاج دون أي شك إلى قدر هائل من الشجاعة أن يقوم بدو موزعون على مجموعات صغيرة في أغلب الأحيان - رأيت بنفسي مجموعات تتكون من 10 إلى 12 خيالاً - بغزوات على قبائل معادية تسكن مناطق ربما كان هذا أو ذاك من أفرادها قد دخلها في غزوة سابقة وقعت قبل سنوات كثيرة. هؤلاء الجياع، الذين يعانون من نقص المياه، يجب أن يتسللوا إلى مواقع العدو، يحيق بهم خطر أن تكتشفهم قوة متفرقة، وأن يطاردوا ويعزلوا قبل أن يقضى عليهم. عندما تسيل الدماء، يمكن للغزوات أن تتحول إلى حملات حربية.

إذا ما هدد شيء ما مرتكزات وجوده: المرعى والماء، إندفع البدوي إلى أبعد مدى ممكن في قتاله.

أدت مبارزات الغزو الفردية ذات الايحاءات الرياضية، واعتياد البدو على الفرار عندما يجدون أنفسهم حيال قوة لا قبل لهم بها، إلى الإنتقاص من أهليتهم العسكرية في حالات كثيرة. وبسبب عدم اعتياده بوجه عام على الإكراه والتدريب، لم يكن البدوي إلى الآن عدواً ذا شأن بالنسبة إلى الوحدات الأوروبية المقاتلة. لكنه سيكون من الخطأ استمرار النظر إليه بهذه الطريقة. فقد حقق الفرنسيون نتائج طيبة باستخدامهم البدو الذين جندوهم في أفواج الجمّالة. بالمقابل واجهت حكومتا الانتداب الفرنسية والانجليزية إلى وقت قريب مصاعب كبيرة نسبياً مع الإنتفاضات التي قام بها البدو.

لا أستبعد شخصياً، أن يعوّد البدو أنفسهم على درجة معينة من التدريب القتالي، على غرار ما نلاحظه اليوم في ألعاب خيالتهم. وقد سبق أن ذكرت أن أمير الملّي جنى فوائد كبيرة من الأفواج الحميدية المشكلة من بدو وأكراد. في الختام، أعتقد أن البدو سيصبحون أعداء مرهوبي الجانب، إذا ما دربهم وقادهم ضباط نظاميون، خاصة إن تحدروا من البوادي، التي ينفردون وحدهم بمعرفتها. من جهة أخرى، لا يجوز أن ننسى الماضي العظيم للبدو، الذي تمكن العرب خلاله من الإستيلاء على مناطق شاسعة، تحت راية الإسلام.

يمتلك معظم البدو عيوناً كعيون النسر، لكنه يقال إنهم يتعلمون بصعوبة إطلاق النار بواسطة البنادق الحديثة، لأنهم لا يعرفون كيف يستخدمون شعيرة التسديد. غير أن هذا يتغير بدوره شيئاً فشيئاً.

يمتلك بعض الشيوخ سيارات. بل إن بعضهم، كالأمير نوري ابن الشعلان شيخ مشايخ الرولة، ركب مدافع رشاشة في سيارته المحمية بصفائح معدنية إستخدمها فيما بعد بحملات غزو وحروب ضد القبائل الأخرى.

رغم أن الطائرات تعتبر بحق أفعل سلاح ضد البدو، فقد تعلم هؤلاء كيف يحمون أنفسهم بعض الشيء ضد الهجمات الجوية: فهم يبعثرون قطعانهم، ويفرقون جمالهم المحملة بخيامهم، ويقومون بحيل أخرى تجعل خسائرهم بسبب الهجمات الجوية أقل عموماً مما يعتقد.

كان البدو يجدون أنفسهم ضعفاء في مواجهة القوات التركية، التي كانت تستخدم بنادق ملائمة تماماً لظروف العصر. وهم أشد ضعفاً بطبيعة الحال تجاه جنود مدربين ومزودين بوسائط حربية حديثة، كتلك التي استخدمتها القوات الاوروبية خلال الحرب العالمية وعند نشوب انتفاضات في مناطق انتدابها. إذا ما ألف البدو الأسلحة الجديدة، وتمكنوا من استعمالها بالمهارة التي كانوا يستعملون بها رماحهم في الماضي، فإن قبائلهم الكبيرة ستلعب بالتأكيد دوراً مهماً في الحروب التي قد تنشب في الشرق الأدنى. ينطبق هذا القول بصورة خاصة على

مناطق "الصحارى" الواسعة، التي يستطيعون الإختفاء فيها ببساطة، عند مطاردتهم.

عندئذ، سيكون من الأهمية بمكان أن يفهم من يتعاملون معهم كيف يتصرفون بصورة صحيحة حيالهم، ويعرفوا بدقة تنظيم قبائلهم وأسر شيوخهم، ويحترموا خصوصيتهم وأعرافهم وتقاليدهم.

مدخل

لا تحتاج دراسة كتاب البدو إلى معرفة تخصصية. فهو مصمم كي يدخل القارىء تدريجياً في الأشياء: من موضوع إلى آخر، ومن قسم إلى قسم، ومن جزء إلى آخر. أما النقص المؤقت في الفهرس، الذي سيتم تداركه في الجزء الرابع، فقد تم تعويضه عبر إحالات كثيرة، بينما يتم نقل المعلومات الجغرافية والتاريخية الضرورية من خلال المقدمات التي تتصدر الأقسام. أما التعابير الأجنبية، التي لا تفسر أولاً بأول، فإنها تشرح للقارىء في هذا الفصل، ما يراد به إنقاذه من الضياع في هذا السفر الشامل.

من الضروري تسجيل ما يلي حول تصميم الكتاب: توزع الأقسام وفق وجهات نظر جغرافية وليس وفق وجهات نظر سياسية. من هنا، تفهم مناطق سورية والعراق بحسب حدودها الأصلية وليس حسب مناطق الانتداب أو الدول، التي نشأت بسبب الحرب.

يعالج كل موضوع قبيلة بدوية. ويتم بصورة استثنائية جمع قبائل متعددة، كقبائل حماه مثلاً، في موضوع واحد. فإن وجدت قبيلة تنتشر في مناطق جغرافية مختلفة وورد ذكرها في الأقسام المعنية جميعها وكذلك القبائل الرحل الكبيرة، التي تنتشر في مناطق عديدة والتي ما زالت مترابطة بعضها مع البعض الآخر، فإنها تعالج في موضع واحد وحسب، كقبيلة عنزة في بلاد الرافدين مثلاً.

ترتكز المواضيع الكبرى على مخطط ليس على درجة شديدة من الترابط الداخلي ـ نحللها فيما يلي: في المقطع الأول يوجد توصيف للقبيلة المعنية، ثم يأتي قسم تاريخي يبدأ بالتطرق إلى علاقات النسب، أو نسب شعوب وقبائل الجزيرة العربية القديمة. ولتمييز الحقب التاريخية، أخذنا بمفاهيم: العصر القديم، العصر الوسيط، العصر الحديث، التي وجدنا من واجبنا، بطبيعة الحال، تعيين الحدود فيما بينها بطريقة تختلف عن الطريقة المألوفة. لذلك يمتد العصر القديم عندنا إلى عام 132هـ/ 750م[1]، ليشمل خلفاء النبي محمد الأربعة الأوائل (632 ـ 661م)، والخلفاء الأمويين في دمشق (661 ـ 750م). بينما يضم العصر الوسيط خلافة العباسيين في بغداد (750هـ ـ 1258م) (العصر الوسيط الأول) وحكومة سلاطين المماليك في القاهرة (1250هـ ـ 1517م) التي تقابلها تقريباً في الشرق سيطرة المغول والدول التي تلتها (العصر الوسيط المتأخر، زمن المماليك). ويبدأ العصر الحديث بالنسبة لمناطقنا مع سيطرة الأتراك العثمانيين، الذين احتلوا سورية ومصر عامي 1516م و 1517م، وبغداد عام (1533م) «1534م».

بعد القسم التاريخي يأتي قسم منهجي، يقدم معلومات حول تراتب القبيلة، وأماكن إقامتها، وظروفها الاقتصادية، وعلاقاتها مع جيرانها والحكومة، وفي الختام حول أسر زعمائها.

من أجل تقديم نظرة أوفى على القبائل المهمة، تم فرز فصول متفرقة (تدور على سبيل المثال حول أقسام استقلت عن القبيلة، وقبائل ضمت بعضها إلى بعض، وأسر الشيوخ، والأنساب) عولجت منفصلة في نهاية الموضوع[2].

تعتبر مشجرات أنساب القبائل المرفقة بالكتاب أنساباً قبلية في قسم منها وشخصية

---

(1) يصف التاريخ الأول هنا وفي أي مكان آخر العام وفق التقويم الهجري، الذي يبدأ عام 622 بعد الميلاد، ويتخلف أكثر فأكثر في مجرى الأعوام عن تقويمنا، بسبب اعتماده على الأعوام القمرية. ـ في الأحوال النادرة، التي نذكر فيها السنة الهجرية وحدها، نورد ذلك مع كلمة "للهجرة".

(2) أحللنا حرفي: تو (إختصاراً لكلمة توفي) محل شارة الصليب التي ترمز إلى الموت.



ملاحظات فلسفية وتاريخية، وتعلمنا عن الأنساب ذات الطابع المغاير (النسب بعد طي أو نسب طي ذاتها على سبيل المثال)، أو الموقع الاجتماعي (العبيد مثلاً) للعشائر. . . الخ، وعن شخصيات القادة وأسرهم، وتمدنا كذلك بأسماء رؤساء قبائل سابقين، إن أتاحت لنا معرفة ما اتسمت به السيطرة من استمرارية، أو ما تعرضت له من تبدلات.

بخصوص مصادر العمل، فقد جمعنا المصادر الأكثر أهمية في الملاحظات الأولى في جداول عنزة وتلك المتعلقة بجداول شمّر. أما فيما يتعلق ببقية القبائل، فنحيل القارىء إلى فهرس الأدبيات، الموجود في الجزء الرابع. في النص، أوردنا المصدر بالتفصيل، حيث يظهر لأول مرة، ومختصراً في الاستشهادات اللاحقة. لم نعمد، بالنسبة إلى المراجع الشرقية، إلى إعطاء العناوين الدقيقة لأن الهاوي لن يفيد منها والمتعلم يعرف كيف يتعامل معها. أخيراً، من الضروري القول إن حديثنا عن القلقشندي يعني دوماً، ما لم نشر إلى غير ذلك بشكل صريح على كتابه "نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب". إن الاختصارات التي اخترناها للمصادر الغربية مفهومة دون صعوبة، باستثناء بعضها، الذي نوضحه فيما يلي:

- بوركهاردت، ج. ل: بوركهاردت: ملاحظات حول البدو والوهابيين، فايمار 1831م.

- جدول لامارتين - محفوظ في كتاب: "رحلة في الشرق" (مؤلفات لامارتين، بروكسل 1836م. الصفحات بين 348 و 349).

جدول شبرنغر = أ. شبرنغر: "إسهام إحصائي حول الجزيرة العربية". مجلة ZMDG - المجلد السابع عشر، ص 214 - 226.

- كارستن نيبور: "وصف الجزيرة العربية"، كوبنهاغن 1772م.

- نيبور: وصف رحلة كارستن نيبور إلى الجزيرة العربية وبلدان أخرى محيطة بها. المجلد الأول والثاني، كوبنهاغن 1774م، 1778م.

- مجلة الإدارة المدنية في بلاد ما بين النهرين. لندن 1920م. يعتقد أن جرترودبل كانت تحررها.



الجزء الأول

القسم الأول

بلاد ما بين النهرين

«العراق الشمالي»



المقدمة

ثمة معاني متعددة لمفهوم بلاد ما بين النهرين، الذي يراد به أحياناً مجمل منطقة مجريي الفرات ودجلة، وغالباً منطقة مجرى النهرين العليا وحدها، بينما يعطى القسم الأدنى، بابل القديمة، أو اسماً عربياً هو العراق. بدورنا، سنستخدم في كتاب البدو المفهوم ضمن هذا النطاق المحدود، وسنعتمد خط الفلوجة ـ سامراء للحد بين بلاد ما بين النهرين والعراق[1].

يتشكل القسم الشمالي من بلاد ما بين النهرين من أرض مرتفعة، لها خصائص مناطق آسيا الصغرى المحاذية لها. وهو لن يكون موضوعاً لدراستنا هنا، لأنه يخلو من البدو. أما القسم الباقي من هذه البلاد، فهو أرض منبسطة، تنخفض تدريجياً من شمال شرقها إلى جنوب غربها، إلى أن تذوب في النهاية داخل السهل البابلي المنخفض، حيث ترتفع من 500 إلى 600 متر وسطياً عن سطح البحر عند أقدام الجبال الشمالية، وتنخفض إلى ما بين 40 و 70 متراً بين الفلوجة وسامراء. وتكتسب الأقسام الداخلية لهذه الأرض قسماتها عبر جبلي عبد العزيز وسنجار، اللذين يبلغ ارتفاعهما بضع مئات من الأمتار، ويتجهان من الغرب إلى الشرق. أما مجرىٰ الفرات، فهو مجرى عميق الحفرة ينخفض من ثلاثين إلى أربعين متراً تحت

---

(1) المملكة العراقية التي تأسست حديثاً والتي تحمل نفس الاسم "العراق" تشمل أيضاً أقساماً من بلاد ما بين النهرين. ولذلك يجب التمييز بين تعبيري «المملكة العراقية» و(منطقة) العراق.

سطح السهل، يتبدل عرضه من مكان لآخر، ويتراوح بين 200 متر وعشرة كيلومترات(*) لأن النهر غالباً ما يغير مجراه، عندما يجد متسعاً لذلك. بالمقابل، يعتبر وادي دجلة أقل تجانساً، حيث تصعد ضفته الغربية إلى ارتفاعات كبيرة بين الموصل وتكريت، يخترقها النهر قبل أن يصل إلى سهل بابل.

تأتي جميع روافد نهري الفرات ودجلة من الجهة اليسرى لمجرييهما، فيستقبل الأول مياه البليخ والخابور، والثاني الزاب الكبير والزاب الصغير، وشط العظيم وديالى. وتخلو منطقة ما وراء سنجار من مجاري الأنهار، في حين يتوقف جريان الجداول، التي ترسل الجبال بمياهها إليها، بعد مسافة قصيرة. حتى الثرثار، المجرى النهري القديم، الذي يمتد باتساع نحو الجنوب، ولا يصل ماؤه إلى نهر الفرات.

يشكل جبلا عبد العزيز وسنجار حداً فاصلاً بالنسبة للمناخ والتكوينات الأرضية. تتموج الأرض بلطف في شمال هاتين السلسلتين الجبليتين اللتين يخترقهما الخابور، وتتدثر تربتها الخصبة بغطاء نباتي كثيف مطلع العام، لكنه سرعان ما يجف في حر الصيف. بيد أن توفر المياه يمنح بعض البقاع بعض الأفضليات، كما في سهل حران وأورفة التي تنحشر من الجنوب بين السنامين القاحلين لنمرود داغ في الغرب وطاق طاق أو «طقطق» في الشرق، وبين منطقة منابع الخابور في رأس العين وحوض نصيبين، الذي يستقبل جداول كثيرة دائمة الجريان في أقسامها العليا، يقودها فيما بعد الرد، الذي يجري من الغرب نحو الشرق، إلى الجغجغ ومنه إلى الخابور.

تكتسب منطقة جنوب سنجار طابعاً صحراوياً وبالاحرى، تحتوي تربتها على الجبس في أماكن كثيرة منها، وعلى مستنقعات ملحية في منخفضاتها. أما الزراعة، فهي لا تمارس إلا في الوديان عند سفوح الجبال وقرب الحدود مع العراق، خاصة وأن الأوقات المطيرة لم تعد تتكرر هنا بصورة منتظمة.

(*) ان المنطقة الوحيدة التي يصبح نهر الفرات عريضا فيها عندما يخترق الأهوار في جنوب العراق. (شبّر).

تصلح وديان الأنهار للزراعة في كل مكان منها، وإن كانت الزراعة تتم، على كل حال، بمساعدة الري الصناعي في المنطقة الواقعة إلى الجنوب من منحنى الفرات عند مسكنه. في الزور، كما يسمى وادي الفرات عند باليس (في القسم الأدنى من مسكنه) وحتى عانه، ترتفع الخصوبة الطبيعية للتربة إلى درجة تنمو معها الأشجار هناك في بعض الأحيان إلى غابات حقيقية. وقد زرعت أشجار التوت هنا من أجل تربية دودة القز في القرن السادس عشر. وحلت منذ مائة عام الحقول محل أدغال الأثل. بعد عانه، يتغير طابع منطقة الفرات، فتعطي أشجار النخيل هنا ثماراً وافرة بفضل اعتدال المناخ الشتوي، وتنمو إلى جانبها أشجار الزيتون والفاكهة، وتزرع الحبوب والخضار والأرز.

يوجد في بلاد ما بين النهرين عدد كبير من المناطق الصالحة للزراعة. ويخبرنا التاريخ ـ وهذا ما تؤكده أيضاً وديان كثيرة ـ أن الكثافة السكانية كانت مرتفعة جداً في الأراضي الواقعة إلى الشمال من جبلي عبد العزيز وسنجار، وأن امتداد الأراضي الزراعية كان أعظم بكثير مما هو عليه اليوم، عدا القرون التي خضعت أثناءها للسيطرة التركية. من الضروري أن نذكر أنفسنا، على كل حال، بأن الأمر تعلق آنذاك بجزر زراعية على وجه التحديد فصلت بينها مساحات شاسعة من أراض استخدمت كمراع. كما أن مناطق ما وراء السلسلة الجبلية لم تكن تصلح عموماً إلا لتربية الماشية على وجه الحصر، لذا كانت وقفاً على الرحل من السكان، الذين شكلت بوابات الفرات ودجلة والخابور بالنسبة لهم مداخل مريحة إلى مناطق الرعي المغرية في الشمال. يفسر هذا لماذا انتقل الرحل، خلال الحروب أو في ظل الحكومات الضعيفة، إلى هذه الجزيرة الزراعية وأصابوا زراعتها بالشلل.

عرفت المنطقة الشمالية حياة حضرية عظيمة إبان العصر القديم، حيث ازدهرت في أقدم الأزمنة ممالك الآريين. كانت منابع الخابور المنطقة المركزية لمملكة الميتانيين الآرية (وعاصمتها واشوكاني قرب تل حلف). بينما كان السهل المقابل للموصل مهد القوة الآشورية العظمى. فيما بعد، أسس الآراميون والعرب

والأتراك دولاً صغيرة مزدهرة في تلك الأقسام من بلاد الرافدين، بل إن البدو أنفسهم لم يتمكنوا من البقاء بمنأى عن هذا التيار الجارف، كما سنشاهد في الفصول التالية.

إقتصادياً، تعتبر بلاد الرافدين منطقة عبور بالدرجة الأولى. لذلك كانت صادراتها من منتجاتها الخاصة أقل أهمية من تجارة الترانزيت التي تخترقها، قبل حدوث آخر المستجدات، أعني استغلال منابع النفط في منطقة دجلة. تمر طرق الإتصال الأكثر سهولة بين البحر المتوسط والهضبة الإيرانية، ويمر الطريق الأقصر من أوروبا إلى الهند عبر الخليج العربي ببلاد ما بين النهرين. بما أن البلاد منبسطة في أغلب مناطقها وتخلو من عراقيل طبيعية، فإن طرقها التي كانت كثيرة التغير، أخذت اتجاهين رئيسين هما: طريق حلب ـ الموصل (ـ بغداد) وطريق حلب ـ (بغداد) البصرة. إستخدمت الطريق التي تنطلق من أعالي الفرات، لتخترق السهب عرضاً مارة عبر الحضر إلى بابل، من قبل البارثيين لأول مرة، في حين شهد الطريق الذي يقود من حلب إلى البصرة، ويمر في السهل السوري الواقع خارج وادي الفرات، أوج ازدهاره في القرنين السادس والسابع عشر.

من جانب آخر، لم يعرف الطريق من الموصل إلى بغداد تغيرات تستحق الذكر، لأنه كان يمر عبر التون كوبري وكركوك على جسرين قديمين جداً، يستحيل دونهما عبور روافد دجلة العميقة المجرى. يلعب الفرات ودجلة، إلى جانب الزاب الكبير، دوراً ما كواسطة نقل. وتستخدم في الفرات عبّارات هي أخشاب ربطت بعضها إلى بعض، وسفن مسطحة القاع، بينما يفرض جريان نهر دجلة السريع استخدام عوامات صنعت من جلود معز تنفخ وتوضع فوقها جذوع خشبية (الرمث أو الكلك).

ليست بدايات الجنس العربي في بلاد ما بين النهرين مما يقبل التحديد بدقة. إن أقدم شاهد على وجوده هناك هو السلالة التي حكمت ايديسا أورفة منذ عام 132 قبل الميلاد، وتدل أسماؤها على أصلها العربي. وهناك أخبار من القرن الأول قبل الميلاد تتحدث عن "سكان خيام" عرب، يتجولون جنوب سنجار والخابور.

بينما تبنت الشريحة العربية الأقدم شيئاً فشيئاً لغة وأعراف سكان البلاد الآراميين، توغل في وقت لاحق وافدون عرب جدد إلى بلاد الرافدين، ممن كانوا قد حافظوا بصورة أفضل على خصوصيتهم القومية. وقد انتمى هؤلاء إلى شريحة من الوافدين تدفقت في القرن الثالث الميلادي على شمال الجزيرة العربية، وأسست في نهايته مملكة الحيرة التابعة للفرس[1]، التي كانت على درجة عظيمة من الأهمية بالنسبة لتعريب بلاد ما بين النهرين. ذلك أن مدينة الأنبار، التي أسسها الفرس على مقربة من الفلوجة الحالية، غدت النقطة الأولى فيما وراء الفرات، التي وضع العرب موطىء قدم فيها، قبل أن ينتشروا منها باتجاه أعالي الفرات، وحول تكريت، وحتى فيما وراء نهر دجلة، ويبلغون في سنوات الجوع والحرب أعالي بلاد الرافدين. كتب أسقف نصيبين (بارصوما) عام 484م يصف معاناة أبرشيته: "تغص ضواحي المدينة ببدو رحل دفعهم الجفاف نحو الشمال، ويقف جيش روماني مع أتباعه العرب قربها بطريقة مهددة، وتحدث هنا وهناك عمليات نهب عبر الحدود"[2]. في عام 502م خرب الهيرنزيون، الذين جاؤوا المنطقة في ركاب جيش فارسي، سهل حران. وبعد سبعين عاماً تعرض محيط نصيبين للمصير ذاته على يد الروم العرب.

في ذلك الوقت، كانت تقيم في بلاد الرافدين قبائل من شريحة جديدة من الوافدين، تنتمي إلى قوم نزار ومعد المقيمين في أواسط الجزيرة العربية، أو إلى اياد وتغلب. وبينما تحوّل قوم أياد خلال القرن السادس إلى فلاحين، بقي التغالبة، الذين وفدوا عام 500م إلى المنطقة، رحّلاً، إمتدت مناطق ترحالهم من الحيرة إلى الرصافة مروراً بالصحراء السورية، وتخطت الفرات إلى مناطقه العليا.

بدأت الجيوش الاسلامية باحتلال البلاد عام 639م، إنطلاقاً من شمال سورية. في البداية، تمّ احتلال بلاد الرافدين العليا حتى نهر دجلة، ثم احتل

(1) وقعت المدينة على الجانب الآخر من الفرات، غير بعيد عن النجف الحالية.

(2) تمر الحدود بين الامبراطوريتين الرومانية أو البيزنطية والفارسية غرب نصيبين منذ عام 363م.

حوض الفرات بالتعاون مع جيش آخر قدم من الحيرة. مهد الإحتلال الطريق لقدوم قبائل عربية جديدة. وكانت أسر بدوية، تبعت الجيش من داخل الجزيرة العربية، قد استوطنت الضفة السورية من منطقة أعالي الفرات. ثم حدث في وقت لاحق أمر مماثل على الجانب الداخلي من بلاد الرافدين. من جهة أخرى، تخلت تغلب عن ضفة الفرات السورية ونقلت منطقة انتشارها إلى بلاد الرافدين، حيث شكل الخابور حدودها الغربية منذ ذلك الوقت. إتحد المهاجرون الجدد مع رجال حامية حران، وهم في معظمهم أقرباء ينحدرون من قبائل أواسط شبه الجزيرة العربية، تحت اسم جمعي هو مضر (قيس)[1]. وفعل التغالبة ومواليهم الشيء ذاته، عندما استعادوا اسمهم القديم: ربيعة. إتخذت كلتا المجموعتين موقفاً اتسم بالبرودة، وأحياناً بالعدوانية، بعضهما حيال بعض، خاصة وأن تغلب تمسكت أول الأمر بعقيدتها المسيحية.

أقيمت المناطق الإدارية وسميت بحسب انتشار القبائل هذا: فسميت منطقة غرب الخابور ديار مضر، والمنطقة التي وراءها ديار ربيعة. أما منطقة الجبال في الشمال وعاصمتها القديمة (آمِد) فحملت اسم سكانها الجدد، وسميت ديار بكر. هذه المناطق الإدارية الثلاث شكلت مجتمعة محافظة الجزيرة ـ وهو اسم لا زال السكان الأصليون يطلقونه على الأرض الواقعة بين الفرات ودجلة، وسنستخدمه نحن بهذا المعنى فيما سيلي من نصوص.

عاش القيسيون كمربي ماشية أنصاف رحل في المنطقة بين الفرات والبليخ، حيث لا زالت توجد بقايا منهم إلى اليوم (جيس). بدورهم، قلص التغالبة تربية الجمال مع تقلص مراعيهم الجديدة، وانتقلوا إلى الزراعة، وحافظوا، في الوقت نفسه، على جهوزيتهم الحربية.

إنتقل طموح الاستقلال، الذي ساد الأقاليم الخارجية لخلافة بغداد منذ منتصف القرن التاسع الميلادي، شيئاً فشيئاً إلى مركز الامبراطورية. وقد ظهرت

(1) تفوق مضر قيساً مكانة في نسبها.

بدايات هذا التطور في وقت مبكر جداً في بلاد ما بين النهرين، فنشأت على الفرات إمارات إقطاعية صغيرة مثل قرقيسيا، البسيرة الحالية، التي حكمتها أسرة عقيل من قبيلة قيس، والرحبة الواقعة في مكان مرتفع على ضفة النهر الأخرى، التي أقامها أحد زعماء تغلب أيام الخليفة المنصور (754م ـ 775م). هذه الأخيرة بقيت طوال قرون أهم مركز حربي على الفرات الأوسط. وكانت أول دولة كبيرة تابعة قد تأسست عام 317هـ/ 929م على يد ناصر الدولة ابن حمدان. ومع أن سادتها، بني حمدان، تحدروا بالأصل من قبيلة تغلب، فإنهم كانوا سكان مدن منذ أجيال كثيرة، بخلاف السلالتين اللتين تولتا تركة الحمدانيين في بلاد الرافدين وهما: العقيليون (منذ 990م) والنميريون، الذين دخلوا جميعهم البلاد بصفتهم قادة فئة جديدة من البدو.

وقد دخلت عشائر رحل من قيس من شمال الهضاب السورية بلاد ما بين النهرين حوالى عام 950 م، بحثاً عن مناطق انتشار جديدة لهم. إختار بنو نمير الأرض الواقعة على البليخ، وبنو عقيل الجزيرة الشرقية. وكان هؤلاء رحلاً ينصبون خيامهم في الصيف حول جبل سنجار وفي الشتاء غرب العراق، وقد التقوا هناك مع الخفاجيين الذين كانوا قد وصلوا لتوهم من شرق الجزيرة العربية إلى ضفة الفرات.

تقاطعت، في القرن الحادي عشر، مطالب خليفة بغداد[1] مع مطالب خليفة القاهرة المنشق (الفاطمي). وأعلنت بيزنطة، التي كانت قد استردت قوتها من جديد، مطالبها بدورها. في عام 422هـ/ 1031م، إشترت بيزنطة مدينة أورفة من أمير نميري، وفي عام 427هـ/ 1036م، برز شيخ بدوي فلسطيني كحليف للاغريق في هذه النواحي.

وفي عام 1054م ظهرت مع السلاجقة الأتراك قوة جديدة قيض لها أن تتفوق على الأطراف المتنازعة جميعها، وأن تنظم علاقات بلاد الرافدين بطريقة جديدة: ففي نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، حلت سلالات حاكمة تركية محل

---

(1) أو البويهيين، أمراء الامبراطورية، الذين سيطروا آنذاك على الخليفة.

السلالات العربية ـ وأدىٰ اختفاء أسر البدو الحاكمة إلى حرمانها من الدعم والمساندة. لهذا تخلت عقيل عن ديارها واتجهت نحو الجنوب، وحلت محلها قبيلة طي، التي كانت في هذه البلاد منذ قرابة مائتي عام.

يبدو أن سيطرة الصليبيين على أورفة ـ ايديسا ـ لم تؤثر أبداً على مصائر البدو. بينما رتبت الفترة المغولية عليهم نتائج بعيدة الأثر، منها تقلص الرقعة الزراعية، التي نجمت عن تحركات جيوشهم الجرارة، وعن التخريب المتعمد الذي أنزلوه في أعالي بلاد الرافدين، واستهدف إقامة حزام آمن ضد الدولة المملوكية، في أعقاب فشل محاولاتهم احتلال سورية. وفي هذه الفترة، ظلت منطقة أعالي بلاد الرافدين أرض بدو رحل. ثمة نتيجة ثانية نجمت عن الحقبة المغولية هي إحلال سكان أتراك بصورة جزئية محل السكان العرب، وهي ظاهرة كانت قد بدأت قبل فترة أسبق، حين غمر الغزنويون، الأرهاط التركية الهمجية التي قدمت من أذربيجان، شمال بلاد الرافدين عام 433هـ/ 1041م، لكن عقيلاً هزمتهم عند تلعفر (بين الموصل ونصيبين) وصدتهم عن المنطقة.

وكان السلاجقة وخلفاؤهم الأيوبيون قد شجعوا العناصر التركية على القدوم إلى بلاد الرافدين. غير أن هؤلاء لم يجيئوا بأعداد كبيرة إلا زمن المغول، بعد اقتلاع قبائل التركمان الرعاة من بلاد فارس وآسيا الصغرى. وقد دخلت قبائل الرعاة هذه تدريجياً إلى الجزيرة وانتشرت فيها حتى خط تكريت ـ عانه، واستوطنت كذلك أرض دجلة الشرقية وشمال السهب السوري. ما إن حلّ عام 1600م، حتى كانت المنطقة قد امتلأت بهم، وإن كانت أعدادهم فيها قد تراجعت حتى تم امتصاصهم بالكامل تقريباً في الجزيرة بين منطقة الأكراد وشمّر مع مطلع القرن التاسع عشر، بينما حافظوا على أنفسهم في أرض شرق دجلة، وخاصة في مدنها. كما نجح التركمان من حين لآخر في إقامة دول على أرض بلاد الرافدين، مثل آق قوينلو، التي تأسست في منطقة ديار بكر وقره قوينلو، التي قامت في أرمينيا.

أفنت حملات تيمورلنك (منذ 1393م) بقايا حضارة بلاد الرافدين. وكان تيمورلانك قد تولى عام 1403م إدارتها لأول مرة. بعد موته (عام 1405م)، عادت

من جديد إلى حكم الجلائريين المغول. في طور لاحق، عندما تبادلت قزه قوينلو وآق قوينلو الحكم، شهدت بلاد الرافدين أحلك حقبة في تاريخها. وهناك أيضاً نقص في معلوماتنا حول أوضاع البلاد خلال فترة وقوعها تحت احتلال الشاه إسماعيل الصفوي (1508م وحتى 1534م). ولا تتضح أوضاعها إلا بعد احتلالها من قبل العثمانيين.

إحتل العثمانيون بلاد الرافدين في تتابعات مختلفة. بعد هزيمة الفرس في تشالديران (1514م)، تغلغلت القوات التركية في السهل إلى أن بلغت نصيبين وسنجار. واحتلت أورفة في عهد السلطان سليم (توفي عام 1520م). وأخيراً، أكمل السلطان سليمان احتلال البلاد (1534م)، ووضع أسس إدارتها، فشكل الشمال الغربي ولاية حملت اسم الرقه، الموقع الذي كان قد جرى تدميره قبل وقت طويل، مع أن مقر حكومته كان في (أورفة). وضم الشمال الأوسط مع أرض الخابور وسنجار إلى منطقة ماردين التابعة لديار بكر، ولم يبق لولاية الموصل على الضفة الغربية من دجلة غير شريط ضيق من الأرض. أما احتلال كردستان خلال القرن السادس عشر، فنجم عنه إيالة شهرزور، التي نقل مقرها إلى مدينة كركوك، المحتلة منذ وقت سابق. بينما بدأت ولاية بغداد جنوب جبل حمرين، وشملت وادي الفرات حتى عانه. هنا، كان حكم الأتراك اسمياً وحسب، ذلك أن بيك سنجق عانة لم يكن عثمانياً، بل كان "أمير الصحراء"، أي أمير الموالي.

سكن الموالي شمال السهب السوري، لكنهم مدوا ترحالهم بدورهم إلى بلاد الرافدين. عند بداية العصر العثماني، أقام أمراؤهم دولة صورية في وادي الفرات إمتدت من قلعة جعبر (على ضفة الفرات اليسرى فوق الرقة) إلى هيت مباشرة، جعلت عانه عاصمة لها. كان طريق القوافل بين حلب والبصرة عصب حياة هذه الدولة، الذي عاد عليها بعائدات وفيرة. بما أن الموالي أقاموا صلات وثيقة مع العثمانيين بعد احتلالهم سورية، فقد اعتبر هؤلاء أمراءهم مُلاّك دير الرحبة[1] وعانة

(1) ظهرت دير (الزور) على الضفة اليمنى من نهر الفرات، إلى الأعلى من مصب الخابور، محل رحبة، التي ليست غير أطلال منذ وقت طويل.

ـ حديثة[1] وأدخلوهم في تراتب إقطاعي. قدم الموالي خدمات جليلة للأتراك إبان الاحتلال الفارسي الثاني للعراق (1623م/ 1638م)، قبل أن تنحل دولتهم في نهاية القرن السابع عشر تحت وطأة تراجع التجارة البرية، الذي تسبب في قيام ظروف جديدة على الفرات مكنت القبائل، التي أخضعها الموالي حتى ذلك الوقت كقبيلة الزبيد، من النمو بحرية.

تعتبر حملة السلطان مراد الرابع، التي قادته إلى بغداد (1638م)، أهم حدث سياسي ظهر خلال القرن السابع عشر في وعي السكان، بمن في ذلك البدو. ذلك أن هذا الاحتلال التركي الثاني ربط بلاد الرافدين بقوة أكبر إلى الامبراطورية العثمانية، فظهرت صحائف تركية في بغداد، وخص مؤرخو الامبراطورية الرسميون أحداث بلاد الرافدين بمكانة خاصة من اهتمامهم؛ الذي انصب معظمه، فيما يتعلق بالبدو، على انتفاضاتهم وقمعها، بينما تواصل الاعتماد على التخمينات في كل ما يتصل بحركات القبائل.

ثمة تبدل سكاني مهم كان يرتسم في واقع تلك الأيام، يرجع إلى تغلغل الأكراد من الجبال الشمالية إلى السهل. ليس معروفاً بعد في أي زمن عبر الأكراد أعالي دجلة في طريقهم إلى الغرب. إن أول دولة أسسها الأكراد في بلاد الرافدين، ألا وهي مملكة المروانيين في ديار بكر (990م/ 1096م) ومملكة سابقيهم من بني باذ، ترجع إلى هذا الانتقال. قيد التركمان حركة الأكراد خلال العصر الوسيط المتأخر. بما أن قبائلهم كانت شيعية في جزء منها ومتعاونة مع الفرس، فقد فضل العثمانيون الأكراد السنة عليها. تقول مرويات محلية إن السلطان سليم أسكن عدداً من القبائل الكردية على حافة السهب الشمالي، وأسند إليها مهمة حراستها ضد الفرس. أما الوثائق، فتجعل عام 1700م تاريخاً لتهجير أكراد آسيا الصغرى الإجباري إلى الفرات. في وقت لاحق، تحولت القبيلة الكردية الرئيسة إلى الاتحاد الملّي وأصبح إبراهيم باشا، الذي تخطت شهرته الحدود التركية، في مطلع القرن

---

(1) على النهر باتجاه الأسفل، تحت عانه.

العشرين رئيساً له. بينما كانت قبيلة طي لا تزال مسيطرة في منطقة سنجار، إلى الجنوب من الأكراد، وآلت السيطرة في المنطقة الأبعد غرباً وجنوباً منذ عام 1700م إلى قبيلة العبيد، التي كانت قد خرجت من الزبيد، وحاز شيوخها على نفوذ عظيم، لثقة باشا بغداد بهم.

عرف القرن الثامن عشر نمو قوى نابذة في تركيا بأسرها. فقد سقطت مقاطعات بأكملها في أيدي أسر من الأعيان المحليين، ممن توارثوا الباشوية وعينوا أتباعهم في الوظائف التابعة لهم، كما فعل الحموي في أورفة والجليلي في الموصل من بلاد الرافدين. في هذه الأجواء، تكونت ظروف جديدة وخاصة في بغداد، حيث مارست سلالة من المماليك، إنبثقت من سراي حسن باشا (1704 ـ 1724م)، الحكم طوال قرن كامل تقريباً، وكان لها تأثير على مصائر بلاد الرافدين زاده قيامها بتوحيد ولاية شهرزور ومقاطعة ماردين في يدها لبعض الوقت. لا شك في أن سليمان الكبير (1780م ـ 1802م) هو أبرز حاكم بين المماليك. فقد تعاظم في حكمه من عام لآخر خطر الوهابيين القادمين من جزيرة العرب، الذين نهبوا كربلاء عام 1801م، وعانه والدير عام 1807م، ثم ضعفت هجماتهم شيئاً فشيئاً منذ عام 1810م.

عرف منعطف القرن أهم حدث في التاريخ المعاصر لبدو بلاد الرافدين: إنه مجيء عشائر شمّر، الذين تركوا موطنهم في شمال الجزيرة العربية فراراً من الوهابيين، ونزلوا قرب الحدود العراقية أول الأمر، غير أن الحكومة نقلتهم عبر الفرات ووطنتهم هناك. وعندما عبأتهم واستخدمتهم في قمع انتفاضة قام بها العبيد، أنزلوا عام 1805م هزيمة ماحقة بهؤلاء، وأجبروهم على مغادرة الجزيرة إلى ما وراء دجلة، وترك منطقتهم لهم. إعتقدت الحكومة، باديء الأمر، أن شمّر رعايا طيّعون ويسهل قيادهم، لكنها سرعان ما تبينت خطأها، عندما شرعوا يسببون لها أعظم المتاعب، حتى أن اسم شيخ مشايخهم صفوق (المتوفى عام 1847م) ما زال مرتبطاً في بلاد الرافدين حتى اليوم بقدر هائل من الرعب والخوف. وقد تزامن وصول قبيلة عنزة، التي جاءت في ركاب الوهابيين إلى بلاد الرافدين، مع وصول

شمّر إليها، وغدت اللاعب الرئيس المناوىء لها. إستقرت قبيلة عمارات على الضفة الغربية من الفرات الأوسط، لكنها دأبت على اجتيازها بحثاً عن مراعٍ لقطعانها في الجزيرة. بينما كان الفدعان يعبرون الفرات منذ عام 1860م، لقضاء الصيف في بلاد الرافدين. وبذلك أعاد العصر الحديث مجدداً إنتاج التمييز القديم بين ديار مضر (عنزة) وديار ربيعة (شمّر).

بدأ عصر جديد بالنسبة لبلاد الرافدين، مع إصلاحات السلطان محمود، التي استهدفت إضفاء طابع أوروبي على تركيا. فقد أجبر داوود باشا، آخر حاكم مملوكي على الاستسلام عام 1831م، بعد مقاومة استمرت فترة طويلة. وكسرت عام 1834/ 1835م سلطة الإقطاعيين الأكراد وزعماء أحزاب المدن، كان من نتائجها حدوث تبدلات شاملة في إدارة البلاد وانفصال ماردين عن بغداد وإلحاقها بديار بكر واتساع الموصل وسنجار وشهرزور، وفقدان أورفة باشويتها وانضمامها لحلب. أما بالنسبة إلى البدو، فإن التدبير الأكثر أهمية كان إقامة سنجق الزور، وعاصمته دير الزور، التي كانت في عهد باشاوات المماليك تابعة لبغداد[1]، لكنها بقيت مستقلة في حقيقة الأمر، إلى أن اقتحمها حاكم بغداد الجديد عمر باشا عام 1857م[2] واحتلها. لكن عام 1862م شهد تأسيس مقاطعة الزور الحكومية، التي طالما تغيرت حدودها، إلى أن استقرت أخيراً عند تدمر في الغرب، والقائم في الجنوب ـ تحت البوكمال ـ ورأس العين على الخابور. بهذه التبدلات، التي رافقها نشر مراكز عسكرية في وادي الفرات وعلى طريق تدمر ـ الدير ـ رأس العين، عرفت الدير، التي كانت قبل ذلك مستقراً متواضعاً، إزدهاراً سريعاً، خاصة بعد أن حلت حلب محل دمشق كنقطة انطلاق لبريد بغداد، وحلول هدوء نسبي في وادي الفرات، الذي عمته الإضطرابات منذ قرابة مائة عام، بسبب انتشار قبيلة العقيدات «العگيدات» فيه.

جاء في ستينيات ذلك القرن عنصر بشري جديد، إلى بلاد الرافدين: هو

---

(1) كانت تابعة من قبل إلى الرقة ـ أورفة (الرها).

(2) هو القائد الأوروبي الأصل الذي اشتهر في معركة القرم.

القوقازيون المسلمون، الذين تركوا موطنهم فراراً من الحكم الروسي. كان هؤلاء شيشاناً «چيچان» وشركساً، فاستوطن الشيشان قرب رأس العين، وعاش الشركس قرب الرقة. واتخذ العرب موقفاً عدائياً منذ اللحظة الأولى حيال القادمين الجدد، أدى إلى عودة شيشان رأس العين إلى وطنهم، باستثناء عدد قليل منهم، لأنهم لم يستطيعوا تحمل المناخ والهجمات البدوية.

شهدت عملية تهدئة البدو تقدماً بطيئاً وثابتاً في العقود السابقة للحرب العالمية، بفضل تعزز وسائط الحكم والنقل الحكومية، بل إن السلطة أجبرت الدليم عام 1910م، وشمّر عام 1911م، على دفع ما فرضته عليهما من ضرائب بقوة السلاح.

إنتقلت الحرب في مرحلتها الأخيرة إلى بلاد الرافدين. وتلت الأحداث الحربية في العراق، التي انتهت بسقوط بغداد في الحادي عشر من آذار عام 1917م، مرحلة أطول، استؤنفت خلالها العمليات العسكرية خريف العام ذاته، حيث استخدمت القوى الرئيسة في منطقة نهر دجلة، وتم الإعتماد على الحلفاء العرب (الدليم، العمارات ـ عنزة) في منطقة الفرات. أما آخر العمليات الحربية فجرت خلال مفاوضات الهدنة، أما الموصل فقد احتلت في الثامن من تشرين الأول عام 1918م.

لف الغموض مصير الشرق الأدنى بعد اتفاقية الهدنة، الشيء الوحيد الذي بقي واضحاً هو أن التقيد باتفاقية سايكس/ بيكو لعام 1916م، التي حددت مجالات المصالح الفرنسية والبريطانية بخط يمتد من البوكمال عبر مضيق دجلة وصولاً إلى الحدود الفارسية، لا يمكن المحافظة عليه؛ لأن الانجليز احتلوا ولاية الموصل والقسم الشرقي من سكة حديد بغداد وأورفة لبعض الوقت[1]، بينما أرسلوا قوى ضعيفة إلى الفرات بلغت عانه والدير. فشل الحلفاء في أخذ واقعتين بعين الاعتبار، عندما وضعوا خططهم التقاسمية، هما: تجدد انبعاث تركيا، وقوة التطلعات القومية لدى العرب، ممن تحلقوا حول حكومة فيصل، التي تأسست في

(1) حل الفرنسيون بعد عام محلهم هنا.

دمشق وطالبت بسنجق دير (الزور). ونجح مبعوثها، شيخ العقيدات رمضان شلاش، في توحيد قبائل المنطقة ودفعها إلى عمل مشترك ضد الانجليز، واحتلال الدير في كانون الأول من عام 1919م. قبل الانجليز بما حدث واعتبروه أمراً واقعاً، إلا أن الاضطرابات استمرت على الفرات، وانتقلت بسرعة إلى مناطق أخرى من بلاد الرافدين، حتى أن شمّر، الذين كانوا قد اتخذوا موقفاً اتسم بالهدوء عند قدوم الانجليز، واكتفوا بتحرشات محدودة عند بداية التقدم العسكري الانجليزي، شرعوا الآن بشن الغارات في منطقة الموصل، بينما ذبح الثوار مطلع حزيران حامية تلعفر البريطانية. ومع أن العراق انخرط كله في عصيان شديد، فإن مقاومة بلاد الرافدين ما لبثت أن خمدت، بعد أن اتخذت السلطات البريطانية تدابير نشطة أعادت الهدوء إلى ولاية الموصل، في حين كانت منطقة الفرات قد بقيت بمنأى عن التهديد بفضل ولاء العمارات والدليم. بعد قمع الانتفاضة، وحد الانجليز عام 1922م المناطق التي احتلوها وأخضعوها لحكومة إنتدابية، تحولت صيف العام التالي إلى مملكة العراق، فلم تعرف بلاد الرافدين الانجليزية اضطرابات بدوية كبيرة بعد ذلك.

إنتظرت الفرنسيين مصاعب جمة في المناطق المخصصة لهم. فقد انتقل الأتراك بزعامة مصطفى كمال، مع بداية عام 1920م، إلى الهجوم على طول الجبهة الممتدة من كيليكيا إلى الفرات، ووجدت حامية أورفة الفرنسية نفسها مجبرة على الإستسلام في نيسان من العام ذاته، بعد أن تعرضت لحصار طويل، قبل أن تتم إبادتها أثناء انسحابها ـ كانت أورفة قد حررت نفسها عام 1839م بطريقة مماثلة من الحامية المصرية، بعد معركة نصيبين. صحيح أن الفرنسيين تمكنوا من احتلال سورية الداخلية صيف عام 1920م، دون أن يخوضوا عمليات حربية كبيرة، لكنهم واجهوا مقاومة ضارية على الفرات، تعاون الأتراك والقوميين العرب، حوّل دير الزور، التي كانت موقعاً عسكرياً فرنسياً متقدماً، من جديد إلى مركز للمعارك، خاصة عندما فرض عليها حصار امتد حتى تشرين أول من عام 1922م، واستمر طوال عام كامل تقريباً. شارك البدو في القتال على الجانبين، فقاتل الملّي الأكراد إلى جانب الفرنسيين، والعقيدات على الجانب التركي العربي والفدعان ـ العنزة إلى

جانب الطرفين. أخيراً، دخلت اتفاقية أنقره، التي كانت قد وقعت في 20 تشرين الأول من عام 1921م (إتفاقية فرانكلين/ بويون) حيز التنفيذ في مطلع عام 1922م، فانسحب الأتراك من الفرات إلى خط سكة حديد بغداد، التي انتهت آنذاك عند نصيبين. واعترف فيما بعد بهذا الخط، وبـ "الطريق القديم" من نصيبين إلى جزيرة ابن عمر[1] الذي اعتبر امتداداً له، كحدود شمالية لمنطقة الإنتداب الفرنسية/ السورية. بينما تم الإستيلاء ببطء على منطقة أعالي بلاد الرافدين، حتى أن الشريط الضيق من الأرض بين تركيا ومملكة العراق، الذي يحمل اسم منقار البطة، لم يتم احتلاله بصورة نهائية إلا عام 1930م.

شهد شريط بلاد الرافدين، الذي أبقته معاهدة لوزان للسلام بين أيدي تركيا، مصاعب نجمت عن انتفاضة كردية نشبت عام 1925م، وأدت إلى لجوء عديد من زعماء القبائل إلى منطقة الإنتداب السورية. وعلى كل حال، فإن عدم الأمان النسبي لا زال يسود منطقة الحدود إلى اليوم.

إن تبدل الأحداث الخارجية الكثيرة، الذي عرفته بلاد الرافدين في مجرى القرن الذي رسمنا ملامحه للتو، عجز عن زعزعة المرتكزات الطبيعية لحياة البدو، التي تحددت بالاختلاف بين السهول الداخلية القليلة الصلاحية للزراعة، وبين مدارج الجبال ووديان الأنهار في الأراضي الطرفية الصالحة للزراعة. أما المناطق الداخلية فتقدم مجالاً يمكن أن تعيش فيه قبائل رحل، وقد تعاقبت عليه بالفعل قبائل تغلب، وعقيل، وطي، وعبيد، وشمّر - حالياً -، التي وجدت فيه مراعي صيفية شملت منطقتي سنجار والخابور، وشتوية في العراق أو على مقربة منه. بينما وجد الرحل من مربي الأغنام مجالاً كافياً في الشمال والجنوب، يملأه الآن أبناء قبيلتي طي والدليم. تعتبر وديان الأنهار موطن قبائل نصف مستقرة، تزرع حقولها في الربيع والصيف وترحل في الخريف والشتاء مع قطعانها الصغيرة إلى السهوب الواقعة على جانبي النهر. وثمة قبائل من أنصاف الرحل تسكن أطراف جبال آسيا

(1) يسمى المكان ذاته هنا جزيرة الشريف.

الصغرى، تنتقل في الشتاء داخل السهب وتصل إلى خط جبل عبد العزيز ـ سنجار، تتألف من قبائل كردية وعربية هي الجيس، والعدوان، والحرب، كانت تحركاتها تأخذ اتجاهاً شمالياً ـ جنوبياً[1]، متبعة مجاري الأنهار.

إلى جانب هذه القبائل، المرتبطة بأرض بلاد الرافدين، لا بد من ذكر القبائل التي كانت تقصد الجزيرة بين حين وآخر، وخصوصاً الفدعان والعمارات، المنتميتان إلى اتحاد عنزة. تمتد منطقة الفدعان الصيفية من حلب إلى البليخ، وتقع في منحنى الفرات قرب مسكنة، وتقودها رحلاتها الشتوية إلى الصحراء السورية. بدورها، شكلت تنقلات العمارات السنوية دائرة مقفلة، يقع قطاع صغير منها بين مصب الخابور ـ الفلوجة في الجزيرة، والباقي في الصحراء السورية.

خضع قدوم القبائل إلى بلاد ما بين الرافدين لنظم معينة، فكانت تدخلها من موقع على الفرات الأعلى مقابل السهب السوري، حيث يتحد الممران الإجباريان، اللذان تدفق عليهما الفائض السكاني لجزيرة العرب نحو الشمال، ويقود أحدهما من شرق الجزيرة العربية إلى الضفة اليمنى للفرات صعوداً، ويبلغ الآخر شمال سورية عبر الحماد ماراً إلى الغرب من صحراء النفود الرملية. إستخدمت تغلب الطريق اليمنى في قديم الأزمنة، وطرقته في العصور الحديثة العمارات، التي توقفت في منتصفه، لأن الفدعان حالوا بينها وبين مواصلة ترحالها، الأمر الذي حدث ما يماثله في العصر الوسيط مع الخفاجة، التي جاءت من شرق جزيرة العرب[2]. بالمقابل، إرتحل القيسيون القدماء وأخلافهم في القرون الوسطى من عقيل ونمير عبر سورية. وكذلك فعلت في العصر الحديث قبائل صغيرة كالعدوان وحرب.

بسبب مكان الدخول هذا، نستطيع ملاحظة ضغط سكاني يتجه من الغرب

---

(1) ثمة حركة معاكسة تحدث في اتجاه جبل عبد العزيز (وسنجار)، ترجع إلى كثرة الأمطار في منطقتهما.

(2) هناك مآرب خاصة من معبر شمّر الفراتي قرب الفلوجة، لأنه أقيم بتدبير حكومي مقصود.

إلى الشرق في الجزيرة، أجبر حتى في القرن التاسع عشر قبائل فراتية نصف مستقرة على نقل أماكن سكنها إلى دجلة، بينما بادل العبيد الرحل الجزيرة ببلاد دجلة الشرقية. تعززت هذه الحركة بسبب الضغوط الناجمة عن قدوم شعوب جبال آسيا الصغرى، التي تدعىٔ اليوم الأكراد وبالأمس التركمان، من الشمال إلى الجنوب، حاملة معها دفقاً بشرياً دائماً إلى العراق. بغض النظر عن هذه الميول الرئيسة، تمارس المدن الكبرى المجاورة تأثيراً جاذباً على أولئك البدو، الذين أجبروا على مغادرة مواطنهم فراراً من الثأر أو سواه من الأسباب، ووجدوا في السهب بين حلب والفرات ومحيط الموصل منطقة انكفاء نموذجية.

تمتلك شمّر وعنزة القبيلتان الكبيرتان، أرجحية سياسية جعلت القبائل نصف الرحل الكثيرة تدفع خوّة لهما، وكانت قد دفعتها في الماضي المدن والقرى أيضاً. هناك توتر شديد بين القبيلتين، يرجع إلى زمن بعيد جداً. أما الدليم، قبيلة البدو الرحل التي تليهما في الكبر، فهي تابعة لعنزة. وثمة في الشمال تناقض شامل بين العرب والأكراد، يتمثل في شمّر العرب والملّية الأكراد. هذا التعارض العرقي تخترقه، في الوقت نفسه، صلات وروابط اجتماعية وسياسية الطابع، خاصة وأن متحد الملّي يضم عدداً من القبائل العربية الصغيرة، يخضع بعضها، كالعدوان على سبيل المثال، لمؤثرات كردية، في حين أن شيوخ الملّية أنفسهم متعربون إلى حد بعيد. يعيش اليزيديون «الإيزيديون» في سنجار في عزلة تامة عن العرب، حيث يتعاظم التعارض الإثني بسبب التعارض الديني - واليزيديون «الإيزيديون» (أو من يعرفون بعبدة الشيطان) ليسوا مسلمين.

هذه التوترات جميعها فقدت أهميتها في العقد الأخير، نتيجة تحسن إدارة البلاد على يد سلطات الإنتداب، التي مكنتها وسائط الإتصال الحديثة من منع تفاقم الإشتباكات بين القبائل، وجعلتها قادرة على تسوية نزاعاتها في مؤتمرات يعقدها شيوخها برئاسة موظفي الحكومة، جرياً على عرف كان قائماً زمن الحكم التركي.

وبسبب تقاطع مناطق انتشار بعض القبائل مع الحدود السياسية لدول تركيا وسورية والعراق حدثت بعض الصعوبات. وبالرغم من أن اجتياز الحدود مكفول

باتفاقات بين هذه الدول، وتأدية الضرائب بصورة منتظمة وفق اتفاق عقده عام 1928م القائدان الأعليان لمنطقتي الإنتداب، فإن الحدود الجديدة أثارت توترات عديدة، خاصة لدى شمّر، التي ترجع مقدماتها إلى العصر التركي.

بوجه عام، تتطلع الحكومات إلى توطين البدو، إستجابة لميل موجود لدى البدو نصف الرحل، يقاومه من جانبهم البدو الرحل.

لم نعالج قسم بلاد ما بين النهرين إنطلاقاً من منظورات جغرافية، بل قمنا بالأحرى بالتعريف بالمتحدات القبلية الكبيرة، مثل عنزة وشمّر وطي وزبيد والبوشعبان والعقيدات، ثم عرفنا القبائل الأصغر في تتابعها من الغرب إلى الشرق.

ملحق

تطور خلال العقد الأخير، في مجرى الخابور الأعلى، تعارض بين السكان المسلمين المقيمين وسكان مسيحيين حديثي القدوم، يتكونون أساساً من يعاقبة وأرمن، إستقروا في الحسكة ومحطة سكة حديد بغداد: رأس العين ـ الدرباسية (جنوب ماردين) والقامشلي[1]، إنضم إليهم بدورهم، منذ عام 1933م، آشوريون، أي نساطرة مسيحيون، كانوا يسكنون قرب الموصل.

بقي التناقض بين فئتي السكان كامناً طيلة الفترة التي أدارت فرنسا خلالها المنطقة بصورة مباشرة. لكنه انفجر بعد انتهاء أمد معاهدة التحالف السورية/الفرنسية (نهاية عام 1936م)، وانتقال المنطقة إلى أيدي الحكومة القومية في دمشق.

في تموز من عام 1937م، حدث هيجان قام به سكان المنطقة المسيحيون، الذين طالبوا بحكم يشبه ما طبق في سنجق إسكندرون، على أن يترأسه حاكم أجنبي. وقف شيوخ مشايخ شمّر وطي والجبور إلى جانب القوميين، وأيد المتمردين قادة بدو همشتهم التطورات من أمثال ميزر بن عبد المحسن (شمّر) ومحمد العبد الرحمن (طي) وأبناء إبراهيم باشا، وقادة كرد كثيرون.

---

(1) القامشلي مدينة شقيقة لنصيبين، نشأت بعد الحرب، بعد أن أصبحت نصيبين تركية.

عنزة

قبل أكثر من مائتي عام، غادرت قبيلة بدوية شريطاً أرضياً مجدباً من الجزيرة العربية، إمتد من المدينة عبر منطقة الطفح البركاني حرّة خيبر في اتجاه الشمال الشرقي، وبلغ أراضي المراعي الغنية، التي تنبسط فيما وراء صحراء النفود الرملية، وتقود إلى الأرض المحببة عند البدو: سورية وبلاد الرافدين. ملأ القادمون الجدد، الذين سمّوا أنفسهم عنزة، الصحراء السورية خلال بضعة عقود، وتحولوا خلال فترة قصيرة إلى مصدر رعب بالنسبة إلى سكان الأراضي الزراعية. منذ ذلك الوقت، شكلت عنزة أكبر قبيلة رحل في الشمال، ودأبت على الظهور صيفاً في أرجاء سورية وبلاد الرافدين، بصحبة قطعان جمالها، والإنسحاب شتاء إلى جوف الصحراء، بل والعودة ـ في بعض الأحيان ـ إلى موطنها القديم. لم تغير الحرب العالمية والمدنية الأوروبية حياة عنزة إلا قليلاً. وإذا كان اسمها قد فقد الكثير من إيحاءات الرعب التيَ لازمته، فإن الحكومات ما زالت تعتبر عشائرها الكبيرة: الفدعان والرولة في الغرب، والعمارات في الشرق، عاملاً تحسب له ألف حساب.

تنتمي عنزة إلى أقدم قبائل الجزيرة العربية. ويمكن تتبع تاريخها إلى الحقبة الجاهلية. أما أقدم خبر عنها، فهو حكاية خرافية تروي قصة رجل اختفى بينما كان يبحث عن القرظ، وهي أوراق طلحية النوع تستخدم في الصباغة، ولم يظهر له أثر

بعد ذاك. هذه الحكاية تركت أصداءها في جميع اللهجات[1]، حتى صار يقال: "عندما يعود جامع القرظ من عنزة"، أي عندما يأتي يوم لن يكون أبداً. يعتقد اللغويون العرب أنهم يعرفون من كان جامع القرظ هذا: إنه يَذْكرُ، أحد أبناء أب القبيلة الأول. ويزعم المؤرخون أن الحكاية تجري في زمن سحيق محدد: فعندما كانت القبائل العربية تسكن موحدة في منطقة مكة، شكل اختفاء يذكر ابن عنزة سبباً لحرب فرقتهم بعضهم عن بعض، ونشرتهم في جزيرة العرب بأسرها. إن السياق الذي تندرج الحكاية فيه، هو نتاج التفكير الإسلامي، الذي أراد وضع مكة في موضع مركزي حتى خلال العصر الجاهلي. مع ذلك، فإن افتراض قدم عنزة لا يمكن أن يستند إلى تعسف صرف، خاصة وأن علم الأنساب يؤكده.

يدرج علم الأنساب عنزة في عداد عرب الشمال[2]، وأنهم من ربيعة. تقول شجرة نسب القبيلة: هو عنزة بن أسعد بن ربيعة. وتبين نظرة إلى الجدول الذي وضعه فوستنفيلد أن عنزة أقدم بستة أجيال من بكر وتغلب، الممثلين الرئيسين لربيعة. هكذا يضفي علماء الأنساب طابعاً مشخصاً على عمر القبيلة.

أقرب معلومات متوفرة لدينا عن القبيلة تعود إلى العصر السابق مباشرة للإسلام. كانت عنزة آنذاك موزعة على منطقتين، الأولى في الشمال الشرقي على حدود الفرات، والثانية في اليمامة، قلب شبه جزيرة العرب. كانت عنزة الشمال قبائل رحلاً، أما في وسط جزيرة العرب فكان قسم منها على الأقل مستقراً. ولم يكن للمجموعتين احتكاك سياسي فيما بينهما. كما جرى تاريخهما لاحقاً في دوائر منفصلة أيضاً، فتحولت عنزة الشمال إلى أسلاف للقبيلة الحديثة، وذابت عنزة اليمامة في قبائل شرق ووسط جزيرة العرب المستقرين.

---

(1) مبرد، كامل، الجزء الأول، ص97. الأغاني، الجزء الحادي عشر، ص154. لسان العرب قرظ. فوستنفيلد: أماكن سكن وترحال القبائل العربية، ص20. فرايتاغ: أمثلة، الجزء الثاني، ص17.

(2) يقسم نظام الأنساب الكلاسيكي، الذي لم يعد له سوى أثر ضئيل في أشجار النسب الحديثة، القبائل العربية جميعها إلى عرب شمال وعرب جنوب.

كان بنو هزان[1] القبيلة الرئيسة من عنزة في جزيرة العرب، وكانت منطقتهم تقع جنوب المكان الذي يخترق فيه وادي حنيفة جبل طويق، بين واحة الخرج الحالية وحريق[2]. فيما بعد، يرد ذكر عنزة في مناطق أبعد جنوباً، حيث لا تزال ذكريات حكم قبيلة عنزة حية إلى اليوم في الأفلاج[3]، بل إن قرى عنزة وجدت إبان العصر الوسيط حتى وراء منطقة طويق، في عمق الطائف[4]، وقد اندثرت تلك القرى عام 597هـ/ 1200م بسبب الطاعون، عدا اثنتين منها. أما اليوم فليس هناك أي شخص من عنزة، التي اختفى أبناؤها (الجميله) مجدداً من الأفلاج، وإن ظلت بقية منهم في هدّار في أعالي أرض طويق دون غيرها[5]. في حين هاجر الآخرون إلى الشاطئ الشرقي لجزيرة العرب، وخاصة منهم فرع بني عتبة (العتوب)، الموجود في الكويت وقطر وجزر البحرين، وينتمي إليه البيتان الحاكمان في الكويت والبحرين[6]. بالمقابل، بقي بنو هزان تحت اسم الهزازنة في منطقتهم القديمة، وبالتحديد في واحة حريق[7]، حيث يتكرر ذكرهم في الصحائف الوهابية التي تقول إنهم قاتلوا حتى عام 1913م ضد حكام جزيرة العرب الحاليين[8].

يرتبط تاريخ عنزة الشمال ارتباطاً وثيقاً في الجاهلية وفجر الإسلام بتاريخ

---

(1) فوستنفيلد، الجدول أ، 11.

(2) الهمداني، ص161. ياقوت: الجزء الرابع، ص417. يتبدى وضع الأماكن التي سكنوها، وهي المجازة ونعام، من خلال المعطيات حول معوان ووادي برك، والمكانان كلاهما مرسومان على خارطة فيلبي.

(3) فيلبي: قلب الجزيرة العربية، الجزء الثاني، ص108 (بالانجليزية).

(4) إبن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص113. تابع بكري في فهرس فوستنفيلد، ص130.

(5) فيلبي، الجزء الثاني، ص249.

(6) محمد ابن خليفة النبهان: التحفة النبهانية في إمارات الجزيرة العربية، ص70. تابع كذلك دليل الجزيرة العربية، الجزء الأول، ص313.

(7) فيلبي: الجزء الثاني، ص286.

(8) قارن: عالم الإسلام، الجزء الثاني، ص303. عرف اسم شاعرهم محسن الزاني من خلال فيتشتاين. ويوجد له قصائد كثيرة في ديوان وسط الجزيرة العربية الذي أصدره سوسين ـ شتومّه.

أقاربهم من قبيلة بكر. فقد كانتا تعيشان في منطقة واحدة، إمتدت بين كربلاء الحالية ومصب الفرات في المنطقة الزراعية من العراق، ووصلت جنوباً إلى المناطق الداخلية من شرق الجزيرة العربية مروراً بالمجرى الأدنى لوادي الرمة[1]. كما تشاركتا سياسياً في اتحاد لهازم، الذي ضم عنزة وبعض قبائل بكر[2]. ومع أن المسيحية حققت في القرن السادس تقدماً كبيراً بين قبائل الفرات الأدنى، غير أن عنزة بقيت حتى ذلك الحين وثنية في غالبيتهم، يعبدون الإله سعير (سُعير)، ويشاركون قبائل أخرى من ربيعة عبادة المحرِّق، الذي وجدت صورة له في السلمان، جنوب ما عرف فيما بعد بالكوفة[3]. لا يخبرنا التاريخ الإسلامي شيئاً عن اعتناق عنزة للإسلام، وإن كان معروفاً أنهم شاركوا غيرهم من الهازم في الردة في شرق الجزيرة العربية، التي حدثت بعد فترة قصيرة من وفاة النبي، وشكلت إحدى ظواهر الردة الجزئية: تلك الحركة الإنفصالية التي مثلت لبعض الوقت تهديداً جدياً لدولة الإسلام الفتية. إنفصلت عنزة عن بكر، التي دخلت أفواجاً في الجيش الإسلامي وخسرتها البداوة، بعد حروب الردة مباشرة، بينما بقيت عنزة وفية لطريقة حياتها البدوية، فلم يرحل غير قلة منها إلى رباط مدينة الكوفة، مركز جيش الشرق، التي تم تأسيسها سنة 17 هجرية/ 638 ميلادية. غير أن الحملة التي اتجهت نحو الشمال مع انطلاق حروب الفتح، تركت أثرها على عنزة أيضاً، التي غادرت منطقة انتشارها وقدمت إلى عين التمر، حيث واحة شثاثة[*] قرب كربلاء، وإلى الأنبار[4].

فيما بعد، إنقطعت أخبار القبيلة طوال قرون عديدة، قبل أن يذكرها نصر الاسكندري (المتوفى عام 560هـ/ 1165م) من جديد، فهو يقول إنها تسكن غرب

---

(1) إمتلكت عنزة في هذه الأراضي نبع راكية اللقمان قرب تاج. ياقوت، الجزء الثاني، ص811.

(2) برونليش: بسطام ابن قيس، ص14.

(3) فيلهاوزن: بقايا وثنية عربية قديمة، ص57 و61.

(*) «تكتب عن العزاوي شفاثة وشفاثا» (شبّر).

(4) إبن سعيد عند ابن خلدون: تاريخ البربر، الجزء الأول، ص14، قارن: الطبري: الجزء الأول، ص3220.

جزيرة العرب في حرّة النار، أو حرّة خيبر[1]. ولا نعرف لماذا ذهبت القبيلة إلى هناك، وإنما نظن أن ذهابها كان يرتبط بالهجرات أو الإنزياحات السكانية التي أحدثتها حملات القرامطة منذ عام 900م، وخاصة منها هجرة العقيل إلى العراق، التي أوصلت في القرن العاشر واحدة من عشائرها هي الخفاجة، إلى منطقة انتشار عنزة قرب عين التمر والأنبار[2].

كانت ظروف حياة عنزة صعبة في موطنها الجديد، لأن حرّة خيبر منطقة طمي بركاني فقيرة بالغطاء النباتي، تخلو من أراض زراعية خارج واحة خيبر الخصبة، حيث توجد ينابيع فجرتها البراكين. هذا الوضع، جعل مشاركة عنزة في ملكية الواحة والحصول على جزء من محاصيلها مسألة حياة أو موت بالنسبة لها. يخبرنا ياقوت (الجزء الثالث، ص644) أن هذا حدث في زمنه (توفي عام 1229م). وقد رسخت عنزة حقوقها بعد ذلك، وإن اقتصرت منذ القرن الثامن عشر على تلك الأجزاء من القبيلة التي لازمت جزيرة العرب. وصف دوتي، أحد الأوروبيين القلائل الذين زاروا الواحة العلاقة القانونية بين عنزة وفلاحي خيبر[3]، فقال إن ملكية القبيلة تنصب بالدرجة الأولى على نخيل التمر، حيث يتقاسم مالكها محصوله مناصفة مع البدوي الذي يشاركه فيها[4]، دون أن يقدم له أي شيء بالمقابل، ما لم يتعلق الأمر بغرس أشجار جديدة. يضيف دوتي: أن حقوق الطرفين تقبل التنازل عنها، شريطة أن يتنازل البدوي عنها لأعضاء في القبيلة، ويبيعها الفلاح إلى فلاحين دون غيرهم. تعتبر الينابيع، بدورها، ملك القبيلة، أي ملك عائلات معينة منها، يقدم أهالي خيبر لها

---

(1) ياقوت: الجزء الثاني، ص252. وكذلك بكري، ص26، الذي يرى في حرّة النار حرّة خيبر، بينما يرى آخرون أنها حرّة أخرى تقع إلى الشرق من المدينة، بحسب موريتز: جزيرة العرب، ص13.

(2) أنظر مقالة عقيل في قسم جزيرة العرب.

(3) دوتي الجزء الثاني، ص115.

(4) يوسان وسافيناي: عادات الفقرا، ص8: ثلثان للبدوي. (بالفرنسية) قارن هوبر: رحلة إلى أواسط جزيرة العرب، ص121 و129. وكانت تسود العلاقة ذاتها في واحة حايط. أيضاً. أنظر هوبر: ص129.

حبوباً مقابل حق الانتفاع بها[1]. أخيراً، تشارك عنزة في البيوت أيضاً. هذه الظروف السائدة في زماننا أيضاً، يمكن إرجاعها دون تحفّظ إلى العصر الوسيط، لأنها لم تتشكل تحت حكم عنزة، بل ترجع إلى فجر الإسلام: حين احتل النبي محمد خيبراً عام 7 للهجرة، ألزم سكانها اليهود باعطائه نصف محصولهم.

لم يحدث أي اختلاط بين عنزة وسكان الواحة، رغم علاقاتهم الوثيقة بهم، لأنهم ـ وغيرهم من سكان واحات الحجاز ـ كانوا من أخلاط زنجية قوية. وإن كان دوتي يورد حكاية أسطورية (الجزء الثاني، ص114) تذكر سبباً آخر لانعدام التزاوج بينهما: عندما جاءت عنزة في الماضي إلى مقربة من خيبر، ذهبت ابنة الشيخ إلى المدينة تتعرف على قريناتها، فرآها شاب ولاحقها واعتدى عليها وكان ذلك الشاب ابن زعيم خيبر. طلبت عنزة ترضية تمحو بها عارها، فرفض الفلاحون طلبها، بل ومنعوها من الوصول إلى ينابيع المياه. وفي صبيحة اليوم التالي، إمتطى شيخ خيبر حصانه وجاء إلى عنزة يدعوها إلى القتال. وعندما نشبت المعركة وقتل الشيخ وكثير من قومه، إحتل البدو قرى المنطقة، وأقسموا أن لا يزوجوا بناتهم من رجال خيبر. ـ لم يحمِ هذا القرار القبيلة من مماهاتها مع الخيبريين، ولكن ليس مع الخيبرين الحاليين وإنما مع يهود الواحة القدماء، الذين كانوا قد طردوا عام 20 للهجرة من جزيرة العرب[2]. لكن العرب لا يتعاملون، كما هو معروف، بدقة مع الحقيقة، حين يلصقون العيوب بجارهم العزيز وهكذا فهم يسخرون من عنزة بوصفهم "يهود خيبر"[3]. كما أيد الأوروبيون، من جانبهم، الأسطورة التي تجعل من العنزة يهوداً، فزعم نيبور أن هناك ثلاث قبائل يهودية في خيبر هي: بنو مزيد وبنو عنزة وشحان[4]، وأخبرنا فيستشتاين عام 1865م بسذاجة: "أن الأمير اليهودي

---

(1) عادت الفقرا، ص8.

(2) ينفرد الهمداني (توفي عام 334هـ/ 945م ـ 946م) باعتبار اليهود جزءاً تكوينياً من شعب خيبر الشديد التنوع.

(3) أنظر على سبيل المثال فيستشتاين في المجلة الجغرافية العامة. المجلد 18، ص446.

(4) جزيرة العرب، ص377، المقصود أسرة شيوخ شامان. تابع أيضاً بوركهاردت: رحلات في جزيرة العرب، الجزء الثاني، ص401، حيث يذكر الشامان كحلفاء لعنزة.

الأخير، الذي لا تزال أعمال النهب التي قام بها شرق سورية ملء الذاكرة، يسمى حمدان، وكان شيخ عشيرة عبد الله، الذين قدموا قبل حوالى 80 إلى 90 عاماً من الحجاز إلى الصحراء السورية، واعتبروا فرعاً من الرولة، وأقاموا مضاربهم معها. ثم أجبروا في مطالع القرن العشرين على التحول إلى المذهب الوهابي، شأن جميع قبائل الرولة وولد علي، لكنهم لم يعودوا إلى الموسوية من جديد، حين انفصل الجميع عن المذهب من جديد بعد سقوط الدرعية".

ليس من المعقول أن تكون منطقة انتشار عنزة قد اقتصرت على حرّة خيبر وحدها. يسجل ابن خلدون[1]، وابن سعد (منتصف القرن الثالث عشر)، الذي يرجع ابن خلدون إليه عادة في ما يتعلق بتواريخ البدو، أن عنزة عاشت في نجد أيضاً بجوار طي، أي في القسم الداخلي من البلاد. ونستدل من أحد المصادر القليلة المعروفة حول تاريخ وسط جزيرة العرب بين عصري القرامطة والوهابيين، أن عنزة وصلت خلال القرن السادس عشر إلى القصيم[2]. ويعتقد أن انتشارها غدا ممكناً بفضل هجرة قبيلة بني لام، التي انتقلت آنذاك من شمال جزيرة العرب إلى العراق. بدورهم، تقدمت عنزة في وقت مبكر إلى الشمال، مثلما يظهر من اسم جفر عنْزة، النبع الذي ذكره ياقوت، الواقع شرق العلا[3]. أخيراً، إحتلت القبيلة حوالى القرن الخامس عشر واحتين قديمتين جداً تقعان على طريق الحج[4] هما واحة العلا التي سبق ذكرها وواحة مدائن صالح.

تلقي المصادر من حين لآخر بعض الضوء على علاقات عنزة بالسلطات، التي كانت قائمة آنذاك. وتقول إنها أبدت عام 666هـ/ 1267م إستعدادها لدفع

(1) البربر الجزء الأول، ص14.

(2) باعت أسرة شيوخ عنزة آل هذّال موقع ماء بريدة عام 958هـ/ 1551م إلى آل عليان، أمراء مدينة بريدة اللاحقين. الريحاني: تاريخ نجد، ص86.

(3) ياقوت، الجزء الثالث، ص638. موزيل: نجد الشمالية (بالانجليزية) ص129 يساوي بينها وبين واقصة.

(4) تقول قبيلة فقرا (عنزة) التي ما زالت تعيش هناك أنه ولد لها في المنطقة 13 جيلاً. دوتي، الجزء الأول، ص126.

الضرائب إلى القاهرة[1]، لتتخلص ربما من الاتاوات التي كانت تؤديها إلى حكام آخرين (شرفاء المدينة؟). أما في العصر العثماني، فقد حصلت على حق الصرة، العائد الجمركي الذي حرصت الحكومة على تأديته إلى حارسي طرق الحج، وتلقت عام 1087هـ/ 1676م مبلغ 7116 تالر فضياً، سدد منه 1054 تالر من الموازنة الأصلية، ودفع الباقي في وقت لاحق[2]. بما أن القبائل كانت تقابل تخفيض أموال الصرة أو الامتناع عن دفعها بغارات تشنها على قوافل الحج العائدة؛ فقد نهبت عنزة عام 1112هـ/ 1700م الحجيج في منطقة الشريف الأكبر، لأنه رفض دفع الصرة لها وألقى بعدد من أبنائها في السجن، حيث مات قسم منهم[3]. وقامت عامي 1115هـ/ 1703م و 1171هـ/ 1757م[4]، بغارات يشير موقعها (معان) إلى أنها كانت تتقدم آنذاك شمالاً.

بدأت معالم توزع عنزة الجديد تظهر قبل الهجرة الكبيرة، التي سبقت القسم الأخير من تاريخها. فقد حدد دوتي[5] مناطق ترحال مختلف قبائلها، وأخبرنا أن الجلاس (الرولة) تنقلت إلى الجنوب من حرّة خيبر، بدءاً من المدينة مروراً بالحناكيه وصولاً إلى سميرا، وقال إن أسماء الأماكن في محيط خيبر تحمل أسماءها، ومنها وادي الجلاس وسوق الرولة. إلى شمال وشرق هذه المنطقة، في منطقة وادي الرمة والقصيم، سكن السبعة، وسكن بعدهم العمارات: في جبال شمّر وحتى في شرق جزيرة العرب[6]. أما مواقع قبيلة عنزة الرابعة الكبيرة، أي

(1) المقريزي: انظر كاترميه الجزء الأول (القسم الثاني) ص48.

(2) أرشيف عثمان باشا، رقم 64.

(3) رشيد: تاريخ، الجزء الأول، ص255. يذكر النص غزة بدل عنزة. وإنه بالمناسبة لأمر يثير الاستغراب أن تتمكن عنزة وبنو صخر (المقصود بني صخر) المذكورون إلى جانبها من المطالبة بـ «صرة نجد».

(4) همر: تاريخ الإمبراطورية العثمانية، الجزء السابع، ص67. واصف: محاسن الآثار، الجزء الأول، ص149.

(5) الجزء الأول، ص398. الجزء الثاني، ص76 و184 و301 و398. أنظر كذلك خارطة دوتي.

(6) بوركهاردت: رحلات في الجزيرة العربية، الجزء الثاني، ص404.

الفدعان، فهي غير معروفة، وربما كانت تقع شمال الحرّة، حيث يخيم الآن ولد سليمان، المرتبطون حتى اليوم بالفدعان. إستولى ولد علي على غرب منطقة خيبر، حيث لا يزال قسم منهم يسكن هناك إلى اليوم، وإلى جوارهم، على الأرجح، الحسنة، الذين تربطهم بهم صلة قرابة وثيقة.

لم يؤرخ أحد لانتقال عنزة إلى سورية وبلاد الرافدين، مع أنه أكثر أحداث تاريخ البدو الأحدث أهمية. إذا كانت المرحلة الأخيرة من حركة القبيلة ونتائجها واضحة أمام أعيننا، فإن الغموض ما زال يلف بداياتها وأسبابها. وإذا كنا نحاول رسم تخطيط أولي لما جرى، فلأن علينا، باديء ذي بدء، تحرير أنفسنا من تصور قد يزين لنا أننا حيال حدث فريد في نوعه وخارق، ولأننا نعلم أن ضغوط الحكام والمجاعات هي التي كانت تدفع البدوي إلى ترك موطنه، مثلما حدث حينما كانت عنزة الحجاز ترحل من حين لآخر إلى حوران[1]، وكذلك آباؤهم الأولون الذين نصبوا مضاربهم وخيامهم على حدود سورية أو ضفاف الفرات، قبل هجرتهم الكبيرة بوقت طويل. مهما يكن من أمر، فقد فشل الأسلاف وتابعوهم في تثبيت أنفسهم بصورة دائمة في الأرض الغريبة. وإذا كانت شريحة المهاجرين الرئيسة قد نجحت في وقت لاحق، فلأنها أتت في وضع ملائم بصورة خاصة، بما أن الموالي، الذين سيطروا على شمال الصحراء السورية، كانوا يتقهقرون منذ نهاية القرن السابع عشر، بينما كان الغازية يفكرون في ترك ما وراء كربلاء من أراض والانتقال إلى الجهة الأخرى من الفرات.

يرد أول الأخبار حول ظهور عنزة في الشمال بعد عام 1700م، الذي سنعتبره أقدم فترة زمنية لهجرتها[2]، التي أوصلتها عام 1703م إلى معان، وعام 1705م إلى

(1) تابع دوتي: الجزء الأول، ص272 و350 و582.

(2) بوركهاردت: ملاحظات حول البدو والوهابيين، ص310، يقدر عمر وجود عنزة في سورية بمائة وعشرين عاماً، حدثت رحلته إلى سورية بين عام 1810 و1812م، فيستشتاين Zdmg، المجلد الثاني والعشرون ص167 يذكر عام 1700م كتاريخ هجرتها.

الفرات[1]. ومع أن مرويات القبيلة تحدد فترة أقدم بعض الشيء، فقد ذكر شيخ الفدعان مقحم «مجحم» ابن مهيد عام 1913م أن أسلافه كانوا يسكنون خيبر قبل ثلاثمائة عام، وعد فرحان ابن هديب عام 1899م سبعة أجيال من السبعة منذ غادرت خيبر، فإن هذه التواريخ لا تتفق مع تواريخ ظهور القبيلة في سورية.

إستمرت الهجرة فترة تربو على القرن. كانت الحسنة والفدعان وولد علي[2] أقدم القبائل التي بلغت الأراضي السورية. وانتهت ـ الهجرة ـ مؤقتاً بوصول الجلاس (الرولة)، التي يجب أن تكون قد تمت في الثلث الثاني من القرن الثامن عشر[3]، حين استكملت القبائل الثلاث الأولى في تلك الحقبة تقريباً إحتلال مناطق انتشارها الصيفية الحالية، فسكنت الفدعان السهب الشمالي بين حلب والفرات الأوسط، والحسنه الفسحة بين حمص وتدمر، وولد علي سهل حوران. أما الجلاس، فكانوا آنذاك في الحماد، حيث اقتصر انتشارهم على السهب بين بادية تدمر والنفود، وإن تقدموا من حين لآخر إلى سهل حوران أو عبروا الفرات. ثم بدأت حوالى عام 1800م حقبة هجرة جديدة، من آثارها الضغط الذي مارسه الوهابيون في الشمال منذ حوالى 1790م، وأدى إلى فرار السبعة من وسط جزيرة العرب إلى الأراضي الواقعة شرقي حماه[4] حيث لا زالوا إلى اليوم. وإنه لمن المشكوك فيه أن تكون القبيلة قد حققت بذلك هدفها الأصلي وهو التخلص من إزعاجات الوهابيين، الذين وصل جباة ضرائبهم إلى الفدعان، أبعد قبائل عنزة شمالاً[5]؟. هاجرت العمارات آنذاك

---

(1) لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث (بالانجليزية)، ص124.

(2) نيبور (1765م): جزيرة العرب، ص395، لا يذكر من قبائل عنزة في سورية غير بني وهب وهم حسنة وولد علي.

(3) رافق قافلة كابر عام1788م رجال من الجلاس والفدعان وولد علي وبني وهب، على أن يفهم الأخيرون باعتبارهم حسنة وحسب. أنظر هويل: صحائف رحلة من الهند على طريق سالك جزئياً، ص260.

(4) بوركهاردت: ص310.

(5) بلغت زكاتها السنوية في حكم سعود بن عبد العزيز 40000 ريال وثمانية أحصنة في أعوام 1803/ 1814م. عثمان ابن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد، ص106.

أيضاً من موطنها في شرق جزيرة العرب إلى الشمال. لكن هجرتهم لم تكن هرباً، بل قدموا تحت رايات الوهابية، فأزاحوا الجلاس عن الفرات، واستولوا تدريجياً على القسم الشرقي بأكمله من الصحراء السورية، وإن بقيت أقسام قوية منهم في موطنهم القديم، ولم تغادر القصيم موقعها إلا في ستينيات القرن التاسع عشر[1].

خاضت عنزة خلال تقدمها في الصحراء السورية معارك كثيرة. وهناك حكاية تصف الحرب الدموية التي اضطرت إلى خوضها ضد الموالي: سادة الشمال آنذاك. بالمقابل، يبدو أن احتلال سهل حوران لم يترك أي أثر يذكر في تقاليد القبيلة[2].

نريد الآن تصحيح ادعاء ورد أول مرة لدى فون بلنت، ثم تسرب إلى معظم الكتابات الحديثة عن عنزة[3]. يقول فون بلنت: أثناء الحصار الثاني لفيينا (1683م)، وبينما كانت الحدود الجنوبية للإمبراطورية العثمانية بلا حراسة، تقدمت شمّر من الجنوب إلى الفرات عبر الصحراء السورية. بعد عشرين عاماً، تبعتها عنزة وطردتها بالتحالف مع الموالي إلى بلاد الرافدين - لا تورد محكيات القبائل ولا إخباريات الرحالة القديمة، سواء لدى نيبور أو بوركهاردت، أي شيء عن هذه الأحداث، التي تناقض كل ما نعرفه عن تاريخ القبيلتين. ذلك أن شمّر، التي سكنت جبال شمال جزيرة العرب المركزية، لم تعش في الحماد ولم تسكن أبداً بادية تدمر، بل عاشت على حافة الصحراء السورية، الممتدة على الفرات من الفلوجة إلى النفود. إلى هذا لم تدفع عنزة في القرن السابع شمّر إلى بلاد الرافدين عبر الفرات، وإنما فعل ذلك الوهابيون حوالى عام 1800م. وسنتحدث عن ذلك بالتفصيل في الفصل القادم.

(1) دوتي: الجزء الثاني، ص400.

(2) تابع الفصل: موالي وسردية في قسم سورية.

(3) بلنت: قبائل على الفرات (بالانجليزية)، الجزء الثاني، ص177. موسوعة الإسلام (عنزة)، مجلة الإدارة في بلاد الرافدين، ص40. الشرق الحديث (بالإيطالية)، الجزء الثاني، ص248 لونكريك، ص79. يقع أصل الخطأ لدى ابتون: مجلة فرازر، الجزء 15، ص335، وقد نقله بلنت وزوجته. أما الباقي فقد يكون من اختلاقهما.

ثمة أمر واحد صحيح في أقوال فون بلنت، هو أن شمّر وعنزة قبيلتان متعاديتان أباً عن جد، ويرجع عداؤهما إلى الفترة التي كانتا تسكنان فيها جزيرة العرب، وربما إلى وقت أقدم. عندما ارتحلت في وقت لاحق عنزة وقسم من شمّر نحو الشمال، تزايدت مساحات الاحتكاك بينهما: فقد كانت الرولة حتى الأمس القريب في عداء شديد مع شمّر نجد في أقصى الجنوب بسبب منابع مياه ومراعي النفود، واصطدم الفدعان بعيداً إلى الشمال بشمّر بلاد الرافدين، الذين حاولوا ترسيخ وجودهم هناك. بين هذين الميدانين الرئيسيين للحرب، الممتدين من خط جبل شمّر إلى أورفة، كانت تحدث من حين لآخر غزوات سلب ونهب في الاتجاهين.

ثمة أعداء ألداء آخرون لعنزة هم سكان جبل حوران والصفاه، وخاصة منهم الدروز[1]. ولا عجب، إذن، أن تكون عنزة قد تبنت سلوكاً موالياً للحكومة خلال الانتفاضات التي قام بها الدروز، ومنها ثورتهم الأخيرة على الفرنسيين عام 1925/ 1927م.

تقاتلت قبائل عنزة مرات عديدة بعضها ضد بعض أيضاً. ثمة صراع عام منذ أقدم الأزمنة بين البشر، الذين ينتمي إليهم الفدعان والسبعة والعمارات، وبين ضنا مسلم، أي الحسنه وولد علي والجلاس (الرولة)، أو بلغة جغرافية بين القبائل المخيمة على خط الفرات وتلك التي تخيم في سورية الأصلية. في المجموعة الأولى، يشكل السبعة مجرد تابع سياسي للفدعان، بينما يستقل العمارات بأنفسهم. لكن القبائل الثلاث هم "أصحاب" لذلك فهي لا تغزو بعضها بعضاً. في حين تخضع المجموعة الثانية لهيمنة الرولة منذ وقت طويل. بالمناسبة، يتقاطع تجمع بشر ـ ضنا مسلم في أحيان كثيرة مع تكوينات أخرى. من ذلك، مثلاً، أن تحالف السبعة (بشر) والرولة (ضنا مسلم) سيطر على موقع الحسنة في سورية. وقد حدثت نزاعات دامية داخل الضنا مسلم، وخاصة في الخمسينيات من القرن

(1) تابع: تصريح أحد شيوخ عنزة لدى موزيل: صحراء جزيرة العرب، ص439.

التاسع عشر، عندما انتزع الرولة من ولد علي حق الرعي في سهل حوران.

عنزة بدو رحل ومربو جمال، وإن رجحت منذ وقت طويل تربية الخراف لدى الحسنه وولد علي دون غيرهما، وتقدمت بخطى ثابتة منذ العشرينيات لدى الفدعان والرولة. ـ يتطلب اقتصاد تربية الجمال مراعي واسعة، يتم اجتيازها في تكرارية منتظمة تتبع وتيرة الفصول؛ تضم منخفضاتها ووديانها الماء والمرعى شتاء، وتقدم وديانها النهرية في بلاد الرافدين، وأشرطتها الحدودية في المنطقة الزراعية السورية، أماكن توقف ملائمة في مطالع العام، وعندما تكون الشمس قد حولت السهب إلى صحراء، تصل عنزة إلى الحقول، وبمجرد أن يجني الفلاحون محاصيلها، تغادرها في شهر أيلول إلى أطراف المنطقة الزراعية، حيث تمكث بانتظار أمطار الخريف الأولى، التي تهطل عادة خلال تشرين الأول أو الثاني، قبل أن ترجع إلى السهب من جديد. لا تغري الحاجة إلى المراعي وحدها عنزة بالذهاب إلى الأرض الزراعية، وإنما تقصدها أيضاً من أجل تصريف منتجاتها وشراء مؤونتها الشتوية من الحبوب، والحصول على غذائها من التمر[1]، الذي تشتريه اليوم من شثاثة «شفاثة»، واحة العمارات إلى الغرب من كربلاء، وكانت تشتريه في الماضي من أماكن تقع داخل البلاد. كان الفدعان والعمارات يظهرون في مطلع القرن التاسع عشر بصورة دورية، وكان الرولة وحتى الحسنه يظهرون من حين لآخر أمام النجف وكربلاء، ويبعثون من هناك بقوافل ضخمة ـ تحدث بعضهم عن أربعة آلاف جمل ـ من أجل التسوق، تصل حتى الحلة والديوانية[2].

كانت عنزة تؤجر جمالها لمن يريدون ترحيل محاصيلهم من الحقول، ومن أجل عمليات النقل الحكومية والمشاركة في رحلات الحج. فيما بعد، حدّ دخول وسائل النقل الحديثة من فرص الكسب هذه، وجف منبع آخر من منابعه بعد

(1) كما يستدل من مقارنة بين شوماخر: عبر الاردن، ص110 وموزيل: أخلاق وتقاليد بدو الرولة (بالانجليزية) ص90، حدث في منعطف القرن تحول لصالح الأطعمة الغنية بالحبوب.

(2) رسول حاوي أفندي: دوحة الوزراء، ص226 و275 و315 و318.

الحرب العالمية، هو الخوّة بأنواعها، التي كانت تدفعها قبائل الرعاة قبل كل شيء، المصاحبة لعنزة خلال ترحالها الشتوي، ويؤديها كذلك قسم من السكان نصف المستقرين على تخوم الفرات الأوسط، وقرى حوران والجولان، والمواقع الطرفية من سورية كصدد والقريتين وتدمر. ويقال إن حمص وحماه كانتا تدفعان هذه الإتاوة أيضاً[1]. أخيراً جف مصدر الكسب الثالث، ألا وهو رسوم مرور القوافل، التي كانت تدر عائدات كبيرة في القرن الثامن عشر[2]، بسبب ازدهار التجارة القارية. وتوقفت، في النهاية، موارد الصرة، التي كانت حكراً على ولد علي.

كانت عنزة تستقل بنفسها في العصر التركي، عندما تقوم بترحالها الشتوي، قبل أن تعود خلال فصل الصيف إلى قبضة الحكومة، التي كانت تستطيع عندئذ منعها من بلوغ الأسواق والمراعي، ومنعتها من حين لآخر بالفعل، لإجبارها على دفع الودي (البدل)[3] ورسوم المراعي والأسواق، ضمن مناطق معينة. أدت إقامة عنزة في الأراضي الزراعية إلى منازعات كثيرة مع السكان الأصليين، أحجمت الحكومة عن التدخل فيها بوجه عام، ما لم تهدد مصالحها المالية. عندئذ، كانت الوسائل التي تستخدمها معروفة، تقتصر أساساً على تحريض شيخ ضد آخر وقبيلة ضد أخرى، واستدراج زعماء عنزة إلى كمائن وأفخاخ، مع ما في ذلك من انتهاك لحقوق الضيف[4].

تصاعد نفوذ الحكومة على عنزة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بحيث أخذ باشا دمشق يتحكم في ترحال الرولة الصيفي عام 1878م[5]، مع بروز

---

(1) شوماخر: عبر الاردن، ص103. لامارتين: رحلة في الشرق، ص300. رحلات السيدة استير ستانهوب، الجزء الثاني، ص114 (بالانجليزية).

(2) حوالى ثلاثة شلنات على حمل الجمل الواحد. بوركهاردت، ص5.

(3) ودي (تعويض): ضريبة لا علاقة لها بعدد المواشي، بل تعين عبر اتفاق.

(4) وصف ابتون: ومضات من صحراء سورية، ص226 وما يليها (بالانجليزية) بدقة علاقة عنزة مع الأتراك ومستلزماتها الاقتصادية.

(5) بلنت: الجزء الثاني، ص143 و157.

تطلعات رسمية إلى حرمانها من حياة الترحل. صحيح أن محاولة أرسلان باشا (متصرف دير الزور حوالى عام 1870م لتوطين السبعة قرب الدير قد أخفقت[1]، لكن قبيلتي ولد علي في حوران والحسنة قرب حمص بدأتا تمارسان الزراعة في نهاية القرن، بعد أن ساد الأمن المنطقتين. وتحول شيوخ عنزة الكبار جميعهم إلى ملاّك قرى وأراض أهداها إليهم السلطان عبد الحميد، وشدتهم الحكومة إليها من خلال منحهم مناصب والقاباً وقروضاً مالية.

جسد الباشاوات في نظر عنزة الدولة التركية. وجسدها كذلك أصحاب السلطة في شمال جزيرة العرب، أي أمراء جبل شمّر من بيت ابن رشيد، وحكام حائل منذ عام 1838م، وملاّك واحة الجوف، الذين كانوا يستطيعون التحكم بالرولة، لحاجتها إلى الواحة كقاعدة شتوية لها. وهكذا، كان محمد بن رشيد (1896 ـ 1897م) يستطيع فرض سلطته على العمارات والسبعة أيضاً، وإن كانت الصراعات الدموية التي نشبت بين أخلافه فيما بعد قد قوضت مكانة بيت آل رشيد، بينما كانت مملكة الوهابيين، التي خيل للبعض أنها ماتت، قد عادت إلى الحياة من جديد في الجنوب، بفضل عبقرية ملك جزيرة العرب الحالي، عبد العزيز آل سعود. فهم الشعلان، أسرة شيوخ الرولة، كيف يفيدون من هذا الوضع، فاستولى نواف، ابن الشيخ نوري ابن الشعلان، على واحة الجوف بانقلاب أنجزه عام 1909م، أدى إلى استعار الحرب من جديد بين عنزة وشمّر في الموقع عينه، بعد أن كانت قد خمدت طوال عقود.

كانت القوى السياسية في الصحراء السورية وشمال جزيرة العرب موزعة قبل انفجار الحرب العالمية على النحو التالي: إستمر التناقض في الشمال بين البشر (فدعان والسبعة)[2] وبين الضنا مسلم بقيادة الرولة، وهو تناقض غذاه

(1) بلنت: المرجع ذاته، ص183.

(2) عاشت العمارات آنذاك بسلام مع كلتا المجموعتين. موزيل: صحراء جزيرة العرب، ص405 و441.

الأتراك وعملوا على إبقائه حاداً. وتواجه الرولة وابن رشيد في الجنوب بعدائية متعاظمة، بينما شل آل سعود حركة ابن رشيد[1]. في هذه الظروف، حددت عنزة موقفها في ضوء سلوك مملكتي الواحات في الجنوب، الذي تحدد منذ البداية بميل آل سعود إلى الإنجليز، لأن مرفأهم عجير «عقير» كان في مرمى مدافع سفنهم، وبولاء ابن رشيد للأتراك، الذين كانوا يستطيعون قطع الامدادات، التي تصله بواسطة سكة حديد الحجاز، وتلك التي تأتيه من العراق. هذا الوضع، أجبر الفدعان والسبعة على إقامة علاقة ودية مع الحكومة، وفرض على الرولة علاقة عدائية حيالها، عززتها أسباب شخصية: منها أن الشيخ نوري ابن الشعلان لم ينس أبداً السجن التركي الذي أجبر على قضاء عامين فيه، وأن ابنه نواف أصيب بعدوى الدعاية القومية العربية[2] المؤيدة من المحور[3]. على كل حال، تعينت سياسة الصحراء في الشمال بمشاغل شخصية مباشرة أول الأمر: وما إن دخلت تركيا الحرب في تشرين الأول من عام 1914م، حتى فرت القبائل بأقصى سرعة من الأراضي الزراعية، كي لا تدفع ضرائب حربية وتتعرض أملاكها لمصادرات الحكومة التي كانت قد بذلت جهوداً مكثفة استهدفت إقامة سلام عام بينها، تستطيع معه التفرغ لحملاتها الحربية في سيناء والعراق، وهو ما تحقق بالفعل مطلع عام 1915م[4]. في سنوات الحرب اللاحقة، بدأ التكوين السياسي الذي رسمنا صورته، يؤثر في عنزة، فانضم العمارات، أي عنزة الفرات، إلى

(1) تبين الخارطة الإيطالية المسماة آسيا الصغرى ومنطقة الجزيرة العربية6000000:1 حدود مجالات القوى.

(2) وجدت، لأمر يبعث على الإستغراب، تفهماً مبكراً لدى البدو. وفي عام 1875م وضع شيخ السبعة سليمان بن مرشد خطة مذهلة لإقامة خلافة عربية بزعامة شريف مكة الكبير. ابتون: ص238.

(3) (هاندبوك)، الجزء الأول، ص47 و49. ومع ذلك تنسب إلى شيخ الفدعان ، حاكم «حاچم» بن مهيد ميول عربية وحدوية.

(4) وصف موزيل، الذي شارك بفاعلية في الأحداث، في كتابه صحراء جزيرة العرب (القسم الثالث) الأمزجة والحوافز السياسية بطريقة آسرة.

الانجليز بعد استيلائهم على بغداد (11 آذار 1917م)، وتكفلت مجاعة عام 1917/ 1918م بإخضاع أجزاء كبيرة من الفدعان والسبعة لنفوذهم، ولم يأت عام 1918م إلا وكان مائة ألف بدوي ينصبون خيامهم بجوار واحة شفاثة[1]. بينما كانت منطقة عنزة الغربية قد تحولت بدورها إلى ساحة حرب، إذ كان الحجاز في حالة عصيان تام منذ عام 1916م، وتقدمت قوات الشريف حسين عام 1917م من مكة إلى شرق الأردن، بقيادة ابنه فيصل ولورانس. في حمأة هذه التطورات، إمتنعت الرولة عن الاشتراك في القتال، ولم تنخرط في العمليات الحربية إلا في أيلول من عام 1918م، عندما كانت المقاومة التركية قد تقوضت تماماً. وقد دخل شيخهم نوري ابن الشعلان في تشرين الثاني من العام ذاته إلى دمشق بصحبة الجيش العربي/ الانجليزي.

لاحق زعماء عنزة مصالحهم بحنكة كبيرة، أثناء لعبة الدسائس التي انصبت على تركة الإمبراطورية العثمانية، فاتخذوا موقفاً يتسم بانعدام الثقة بمملكة فيصل الوليدة، حتى أن ابن سُمير، شيخ ولد علي، منح صوته للانتداب الفرنسي خلال الإستفتاء الشعبي الذي جرى في تموز من عام 1919م، وأخذ يتقرب من الفرنسيين، عندما كان هؤلاء لا يزالون بعد في بيروت. أما نوري، الذي حافظ على ولائه لفيصل، فلم يشارك في المعركة ضد الفرنسيين على أبواب دمشق، وأعلن بعدها مباشرة ولاءه لهم. بدورهم، بقي العمارات موالين للانجليز، حتى عندما كانوا في وضع حرج خلال ثورة العراق صيف عام 1920م[2]. ووجد الفدعان أنفسهم حيال قرار صعب، بسبب حرب الحدود التي نشبت عام 1920م بين الفرنسيين والقوميين الأتراك في شمال سورية، حيث راهن شيخهم مقحم «مجحم» ابن مهيد على الورقة الصحيحة، أي الورقة الفرنسية، في حين راهن خاله حاكم «حاچم» على الورقة التركية. أخيراً، شعر الرولة بالضيق من تقدم آل سعود، في جنوب منطقة عنزة. عندما كانت مملكة ابن رشيد قائمة، كان آل سعود حلفاء

(1) تقرير ص35 و 41.

(2) إيلمر، هالدان: تمرد في بلاد الرافدين، ص32 (بالانجليزية).

طبيعيين للرولة. غير أن ذوبان حائل (سقطت في مطلع تشرين الثاني من عام 1921م)[1] وإمارة شمّر في الدولة الوهابية، غير علاقتهما، خاصة بعد أن احتل ابن سعود واحة الجوف واستولى على الكاف وقرى الملح الأخرى في وادي سرحان، التي كانت مصدر موارد مالية كبيرة بالنسبة إلى شيوخ القبيلة، وقد زاد من حنقهم أن دعايات الأخوان الدينية أوهنت روابطها. في هذه الأجواء، لم يجد نوري ابن الشعلان مفراً من إجراء مفاوضات شخصية مع ابن سعود، الذي كان قد أعلن نفسه في هذه الأثناء ملكاً على الحجاز. ذهب نوري عام 1925م إلى مكة، لكنه قوبل بجفاء، كما يقال. لكن علاقته مع آل سعود ما لبثت أن تحسنت فيما بعد، حتى أنه زوج قبل فترة قصيرة حفيدتيه من الملك وابنه البكر.

أدى قيام نظام الدول الجديد في الشرق الأدنى إلى توزع عنزة على منطقة الإنتداب الفرنسية في سورية، ومملكة العراق، وإمارة شرق الأردن التابعة للإنتداب الانجليزي في فلسطين، ومملكة الحجاز ـ نجد. ولأن مناطق انتشار القبائل المختلفة تتقاطع مع الحدود، فقد صار الفدعان والسبعة والرولة رعايا فرنسيين، والعمارات عراقيين. باستثناء بعض الخارجين على القبيلتين الأخيرتين، ممن يعيشون بصورة دائمة في نجد، ثمة اتفاقات رسمية تنظم انتقال قبائل عنزة عبر الحدود وتضمن حقوقهم التقليدية في استخدام مراعي "الخارج"[2]. أدى هذا النظام إلى بعض الحوادث، التي لم تكتسب أبداً أهمية تتخطى مناطقها، إذا ما غضضنا الطرف عن حرب الحدود بين العراق ونجد، التي تجاهلتها الحكومات عن قصد. تراقب الدول الجديدة الصحراء السورية بواسطة وسائط النقل الحديثة، وتعتبر الطائرة سلاحاً فتاكاً، ولا يحدّ من فاعليته أن عنزة صارت أفضل تجهيزاً من ذي قبل. وللعلم، فقد تغلب الفرنسيون عام 1929م دون كبير عناء على الاستعار

(1) الشرق الحديث، الجزء الثالث، ص296، وفقاً لبرسي كوكس في الشرق الأدنى. يحدد فيلبي في الجريدة الجغرافية، الجزء 62، ص243 (أكتوبر 1922م) خطأ بداية آب كتاريخ.

(2)ومنها مثلاً اتفاقية جدّة تاريخ 2 نوفمبر (تشرين الثاني 1925 التي ترسم الحدود بين نجد وشرق الأردن، الشرق الحديث، الجزء السادس، ص14 وما يليها.

الأخير لنار الخلافات بين بشر وضنا مسلم القديم. وبسبب تقييد حريتهم، يشعر زعماء القبيلة بمرارة الظروف الجديدة، التي لا يستطيعون تغييرها، والتي أفضت إلى إفلات زمام السلطة على الصحراء من أيديهم.

فدعان

حصل الفدعان خلال الهجرة الكبيرة على مراعٍ صيفية في المنطقة إلى الشرق من حلب وحماه. ومر حوالى مائة عام دون أن يكدر صفو امتلاكهم هذه البقعة مكدر، ثم أجبرتهم عوامل كالنمو السكاني المتزايد والزراعة المتعاظمة على النزوح نحو الشرق. أما الدافع الأول الذي حملهم على الهجرة فهو حرب الأخوة، التي نشبت بين المجموعتين اللتين ينقسم الفدعان إليهما: أي الولد والخرصة، وأرغمت الأخيرة على عبور الفرات عام 1800م والبقاء على الجانب الآخر منه، داخل بلاد الرافدين[1]. لكن الولد لحقت بهم مع نهاية القرن، رغم أنها لم تتخل، مع ذلك، عن منطقتها السورية، التي ما لبثت أن أخلتها شيئاً فشيئاً، بعد الحرب العالمية[2]. ما إن جاء عام 1935م، حتى كانت قبيلتا الفدعان والسبعة تقيمان مضاربهما في الجزيرة الشرقية.

يقع مركز الولد في عين عيسى، إلى الغرب من أعالي البليخ، الذي يشكل مجراه حدودهم الشرقية تقريباً. بينما تتخطى الخرصة البليخ وتصل إلى الخابور تقريباً. تجتاز القبيلتان مطلع أيلول من كل عام الفرات إلى الصحراء السورية

---

(1) رامبليس في صحراء سورية، ص268 (بالانجليزية). قارن: ابتون، ص235.

(2) يحدد تيربيه موقع الولد في الطبعة الأولى من كتابه (1922م) بين منبج وشبيث. أما في الطبعة الثانية (1930م) فيقتصرها على وادي الفرات، بين الرقة ومسكنة.

(البشري، القعرا، وحتى الروضة أحياناً)[1].

بعبورهم إلى بلاد الرافدين، جاورت الفدعان الشمّريين المقيمين هناك. صحيح أنه لم يقع بينهما نزاع على مناطق الرعي، لأن شمّر تنصب خيامها على الخابور بوجه عام، لكن حالة الحرب الموروثة منذ قديم الزمن بين القبيلتين تواصلت، وإن قطعتها في بعض الأحيان اتفاقات معينة بين مجموعات خارجة عليهما ـ طلبت خرصة نفسها حماية شمّر حين اجتازت الفرات لأول مرة[2]. كما تواصلت غزوات السلب والنهب المتبادلة بين الجانبين بعد الحرب العالمية، إلى أن وضعت سلطات الإنتداب الفرنسية حداً لها، حين فرضت في تشرين أول من عام 1926م سلام دير الزور على القبائل.

أخذت القبائل الصغيرة على البليخ، كالبوعساف والمشهور[3]، تدفع الإتاوات إلى الفدعان. وكانت الولدة والبوخميس قد سبقتها إلى ذلك في سورية. بالمقابل، حافظ الجيس الأقوياء (حول حرّان) على استقلاليتهم. أما جيرانهم الشماليون في اتحاد الملّي الكردي، الذين اتخذوا من ويرانشهر مركزاً لهم، فلم يجرؤ الفدعان على التحرش بهم إلا نادراً.

قرر الصراع بين البشر والضنا مسلم سياسة الفدعان في سورية، الذين جعلوا من أنفسهم أعداء ألداء للرولة، وخاضوا عام 1877م حرباً ضدها ـ سنعرج لاحقاً على صلتها بمصير شيخي الفدعان جدعان وتركي بن مهيد ـ إنتهت إلى اتفاقية سلام إحتفالية عام 1900م، لم تحل بدورها دون وقوع غزوات متكررة بين قبيلتي عنزة هاتين، في فترة قيامنا بحفريات تل حلف (1911 ـ 1913م). . ومع أن الحرب العالمية أدت إلى شيء من الانفراج في علاقة القبيلتين، فإن هذه ما لبثت أن

---

(1) تقع قعرا على بعد حوالى 180 كيلو متراً إلى الجنوب من دير، والروضة عند نهاية وادي الغدف.

(2) كذلك الفدعان والسبعة عام 1935م.

(3) جدول جيس، ملحق 1.

تكدرت من جديد. أراد الفرنسيون تطبيق سلام دير الزور على الفدعان والرولة أيضاً، لكن هذا لم يصمد طويلاً. عندما حدثت اصطدامات بين الرولة والسبعة في شباط من عام 1929م، إنحاز الفدعان فوراً إلى الأخيرين. لذلك، يستبعد أن يدوم السلام الأحدث، الذي عقد عام 1930م بينهما، فترة طويلة[1].

لم تخل حياة الفدعان من توترات سياسية داخلية، نظراً لاستقلال الولد والخرصة ولأن علاقات أسر شيوخهما، ابن مهيد وابن قعيشيش، ليست في أحسن حالاتها. وقد مرت القبيلتان في أوضاع حربية أحياناً، كما حدث عام 1921 ـ 1923م. أثناء الحرب العالمية، إنضمت مجموعة جديدة إلى المجموعتين القائمتين، تشكلت حين تبع قسم من الولد الشيخ الشاب مقحم «مچحم» ابن مهيد، وبقي قسم آخر على ولائه لخاله حاكم «حاچم».

برزت المجموعات الثلاث، في الفوضى التالية للحرب، كمجموعات منفصلة بعضها عن بعض[2]، فانضم ولد الشيخ مقحم «مچحم»، الذين كانوا يخيمون على الجانب الأيمن من الفرات، إلى الفرنسيين، عندما احتل هؤلاء حلب عام 1920م. وانحاز حاكم «حاچم»، بالمقابل، إلى القوميين الأتراك، الذين عملوا منذ خريف عام 1919م ضد الفرنسيين في شمال سورية وبلاد الرافدين. أما مهيد بن قعيشيش، شيخ الخرصة وعدو الفرنسيين المعلن، فقد حالت الغيرة القبائلية بينه وبين الانضمام إلى حاكم «حاچم». تمسك شيخا الولد بسياستهما، فقام حاكم (حاچم) منذ بداية عام 1921م بإزعاج الفرنسيين، إنطلاقاً من معسكره في الرقة، بينما غطى مقحم «مچحم» القوات الفرنسية الضعيفة، المرابطة في موقع دير الزور البعيد. أما الشيخ مزود فقد تخلى عن موقفه المستقل والتحق في أيلول من العام ذاته بالمعسكر الفرنسي. وكانت الخرصة قد قامت قبل أشهر من ذلك بأعمال عدائية ضد ولد حاكم «حاچم» ففقد مزود أحد أولاده خلالها. بعد اتفاقية أنقرة

(1) تيريه، ص29، 220.

(2) أنظر بالنسبة إلى ما سيلي تيريه، ص47 و60 و113.

(تشرين الأول عام 1921م) التي أعادت السلام من جديد إلى حدود سورية الشمالية، إنتقل حاكم «حاچم» بن مهيد وأنصاره إلى الأراضي التركية، ثم التحق في وقت لاحق بالفرنسيين، ولأن مجموعته خيمت فيما بعد بين قلعة جعبر وجبل عبد العزيز، في منطقة الإنتداب الفرنسية، إلى أن انحلت بموته عام 1927م.

تعززت كثيراً سلطة الحكومة على الفدعان في السنوات الأخيرة: فأمكن عام 1928م إستبدال ضريبة الودي[1] بضريبة عينية تدفع غنماً[2]، وكانت تقتصر في العصر التركي على قبائل نصف الرحل دون غيرها. فضلاً عن ذلك فإن الولد يصبحون يوماً بعد يوم أميل إلى الهدوء والسلم، بينما يحافظ الخرصة على طبيعتهم البدوية

(1) العائد عام 1926م: 3300 ليرة تركية (ذهبية)، يضاف إليها 2400 ليرة عقوبات مالية عن أضرار حادثة. تيرييه، ص110.

(2) ضريبة مواشي.

أسر شيوخ الفدعان

أسقطت أسرة ابن غبين، أسرة شيوخ الفدعان القديمة، حوالى منتصف القرن التاسع عشر. ومنذ ذلك الحين، يفتقر الفدعان إلى قيادة موحدة، مع أن أسرة شيوخ الولد تمارس نفوذاً قوياً على القبيلة بمجموعها.

ينحدر المهيد من أصول تتمتع بقدر عظيم من الاحترام. ويدينون بسلطتهم إلى جد الشيخ الحالي، جدعان، الذي انتزع في الخمسينيات، وهو شاب بعد، السيطرة على الولد من جاعد بن حريميس[1].

أمضى جدعان حياته في حروب متواصلة. فقد كان قائداً حربياً بالولادة، أظهر حنكة خاصة خلال هجوم مباغت شنه على الأتراك عام 1857م، ومن ثم عندما اجتاز بقبيلته وقطعانها الفرات، وأنزل ضرراً شديداً بالعدو[2]. ثمة مسحة من الرومانسية تميز علاقة جدعان بعبد الكريم، شيخ شمّر: ذلك أن ثأراً دموياً اضطر

(1) حسب مقحم «مجحم» بن مهيد، الذي زعم مرة أخرى أن أسرته تترأس الفدعان منذ مائتي عام، أي منذ تركي ابن مهيد الذي قتل جبر بن الغبين. إلا أن عديداً من المراجع تؤكد أن القيادة كانت حتى مطلع القرن التاسع عشر للغبين. أنظر روسو: رحلة من بغداد إلى حلب (1808م)، ص123. بوركهاردت: ص241. جدول لامارتين، داموازو: رحلات على الخيل (1819م)، الجزء الأول، ص96 (بالفرنسية). تيرييه، ص110.

(2) رامبليس، ص30. بلنت، الجزء الأول، ص30.

والد جدعان إلى طلب الحماية في خيمة صفوق، زعيم شمّر، فترعرع جدعان وعبد الكريم معاً. حافظ الرجلان على أواصر الصداقة التي انعقدت في شبابهما، رغم المعارك التي اضطرا إلى خوضها ضد بعضهما البعض. ويحكى أن عبد الكريم أهدى جدعاناً حصاناً سريعاً كان قد أنقذ حياته خلال معركة فاشلة مع الفدعان، وأرفقه برسالة تقول إنه سيعرف كيف يثأر لهزيمته، وهو ما حدث في الاشتباك التالي، الذي نجا جدعان خلاله بفضل هدية عدوه النبيل[1].



سليمان بن قميشيش، شيخ فدعان (1913م)

بلغ جدعان أوج قوته في سبعينيات القرن، حين صار قائمقام العربان في حلب[2]، ونال لقب البيك، المرتبط بهذا المنصب، وتلقى قرى وأراضي عديدة في جبل شبيث من الحكومة. إنتهت حياة جدعان، مثلما بدأت، بالحرب: فقد

(1) رامبليس، ص5. يستند بلنت على هذ المرجع (دون أن يسميه) ويضيف إليه بعض التزيينات. بلنت: الجزء الأول، ص122.

(2) ساخاو: رحلة في سورية وبلاد الرافدين، ص304.

جاءت الرولة عام 1877م إلى الشمال، حيث تكاثرت قطعانها بفضل سنوات من الرعي الجيد وصارت منطقتها أضيق من أن تفي بحاجاتها، واحتلت مراعي السبعة في حماه، بعد أن نالت موافقة السلطات عن طريق دفعات بلغت ضعف ما كان السبعة قد حددوه من رسوم للتسوق والرعي. عندما أرادت السبعة الدخول إلى المنطقة، طردتهم قوات تركية مسلحة ونهبت معسكرهم. عندئذ، عينوا جدعاناً عقيداً لهم، بسبب افتقارهم إلى قادة ملائمين، وبدأوا الأعمال العدائية ضد الرولة، التي حاولت تكرار ما قامت به في العام المنصرم خلال رحلة ربيع عام 1878م، فوجدت الطريق مغلقاً واضطرت إلى التخلي عن مشروعها[1]. ولم يشهد جدعان نهاية هذه المعارك، لأنه توفي مطلع الثمانينيات.

واصل تركي، ابن جدعان، الحرب ومنذ أن كان فتى شحن صدر أبيه بالغم بسبب تخيلاته وميله إلى المبالغة في تقدير نفسه[2]. وأثار تركي الرولة بغزواته ودفعها إلى طلب دمه. وقد وجد صهره الأريب، سطام بن الشعلان، نفسه مكرهاً على القيام بهجوم معاكس، وأرسل إلى تركي يبلغه سراً بالخطر المحدق به. لكن هذا استخف بالتحذير، وقبع في معسكره ينتظر بهدوء قوى العدو المتفوقة. وقد سقط في عراك بالسلاح الأبيض (1887م)، وصفه شاعر الرولة، خلف الإذن، في أبيات مفعمة بالمبالغة[3]، تزعم أنه هو الذي عاجله بالطعنة القاتلة. إستعرت، بعد موت تركي، الحرب بحدة وبصورة مضاعفة، وفشلت الرولة في إقامة السلام من بعده. ولم يعقد الصلح ويتم التغاضي عن الدم المسفوح (1900م) إلا بعد تدخل "المحايدين" من أمثال ابن مرشد وابن هذال. رفضت أخت تركي "رفعا" التنازل عن حقها في الثأر. وعندما علمت أن أحد قتلة تركي حل في معسكرها، إنقضت

(1) بلنت: الجزء الأول، ص69. الجزء الثاني، ص89 و100 و139 بلنت: رحلة إلى نجد، الجزء الأول، ص3 و249 (بالانجليزية).

(2) بلنت (قبائل البدو)، الجزء الثاني، ص83.

(3) هناك تقارير مختلفة يتم تداولها حول موت تركي المأساوي، نجد اثنين منهما لدى موزيل: الرولة، ص593. يقع قبره في الهريان، جنوب غرب البوكمال.

على خيمة الضيوف ورمته بطلقة من مسدسها فأصابته بجرح خطير[1].

خلف تركي وراءه ولدين صغيرين هما مقحم «مجحم» ومحمد، وابن عم في التاسعة عشرة من عمره هو حاكم «حاچم»، الذي ترعرع في خيمته. هذا القريب نصبته أسرة مهيد شيخاً لها، كما اعترفت به الحكومة أيضاً، ثم تلقى في وقت لاحق الألقاب ذاتها التي كانت لجدعان. تتضمن وثائق تنقيباتي في تل حلف الانطباعات التي حصلت عليها عند زيارتي لحاكم. وقد قال جابر فيها: "إن العلاقة بين حاكم «حاچم» وقريبه الفتى، الذي كان يجب أن تؤول المشيخة إليه قانونياً، كانت طيبة جداً، حين زرتهم في معسكر عين عيسى (في أيار من عام 1913م). كان حاكم «حاچم» متزوجاً بابنة فارس، شيخ شمّر، بعد أن طلق زوجتين سابقتين كانتا ابنتين لتركي، فعاشتا في خيام أخوتهما. وكان رجلاً متوسط القامة، له لحية سوداء مدببة وطليقة، نحيف الجسم مع انحناءة خفيفة في الظهر، كيّس وذكي وحكيم. إنه القائد السياسي، بينما يحتل ابن عمه الشاب محمد موقع العقيد، بمظهره الذي يدل على أنه رجل حرب حقيقي. أما شقيقه الأكبر مجحم فيعطي انطباعاً بأنه بارد الأعصاب إلى أبعد الحدود. وعلى رغم أنه لا يشارك إلا قليلاً في الحروب، فإن اسمه يرد كثيراً في تاريخ قبيلته والبلدو الآخرين".

تولى مقحم «مجحم»، بالإتفاق مع حاكم «حاچم»، قيادة قسم من القبيلة قبل الحرب مباشرة. وقد تكاثر أنصاره بسرعة إلى درجة يمكن معها اعتباره الزعيم الحقيقي للقبيلة بأجمعها. وفي الوقت الذي قرر فيه حاچم خوض الحرب من أجل مملكة فيصل السورية، ثم إنحاز فيما بعد إلى القوميين الأتراك، أيد مجحم الإنتداب الفرنسي[2]، وتلقى وسام الشرف وعين في خريف عام 1920 زعيم عنزة حلب، أي قبيلتي الفدعان والسبعة مجتمعتين. ولم يستطع مقحم «مجحم» إنجاز المهمات التي توقعتها الحكومة منه، لجهلها التام بنفوذه الفعلي، وإن نجح بالمقابل،

---

(1) هذا ما يقوله تقرير أحد رجال الحسنة (كانت رفعا متزوجة من شيخ الحسنة سعود بن ملحم) عام 1903م. يزعم مجحم، ابن تركي، أن القاتل مات متأثراً بجراحه.

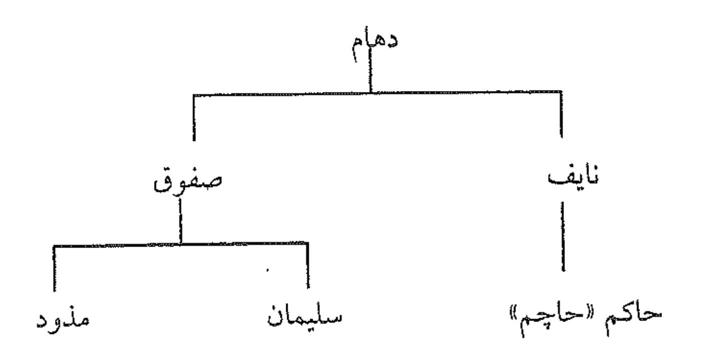
(2) تابع أيضاً دوجونتان ـ بيرون: كيف وطدت فرنسا أقدامها في سورية، ص284 (بالفرنسية).



حاجم بن مهيد (على اليمين) وابن عمه مجحم «مقحم» (على اليسار) ومحمد في الوسط، شيخ مشايخ فدعان. عنزة (1913م)

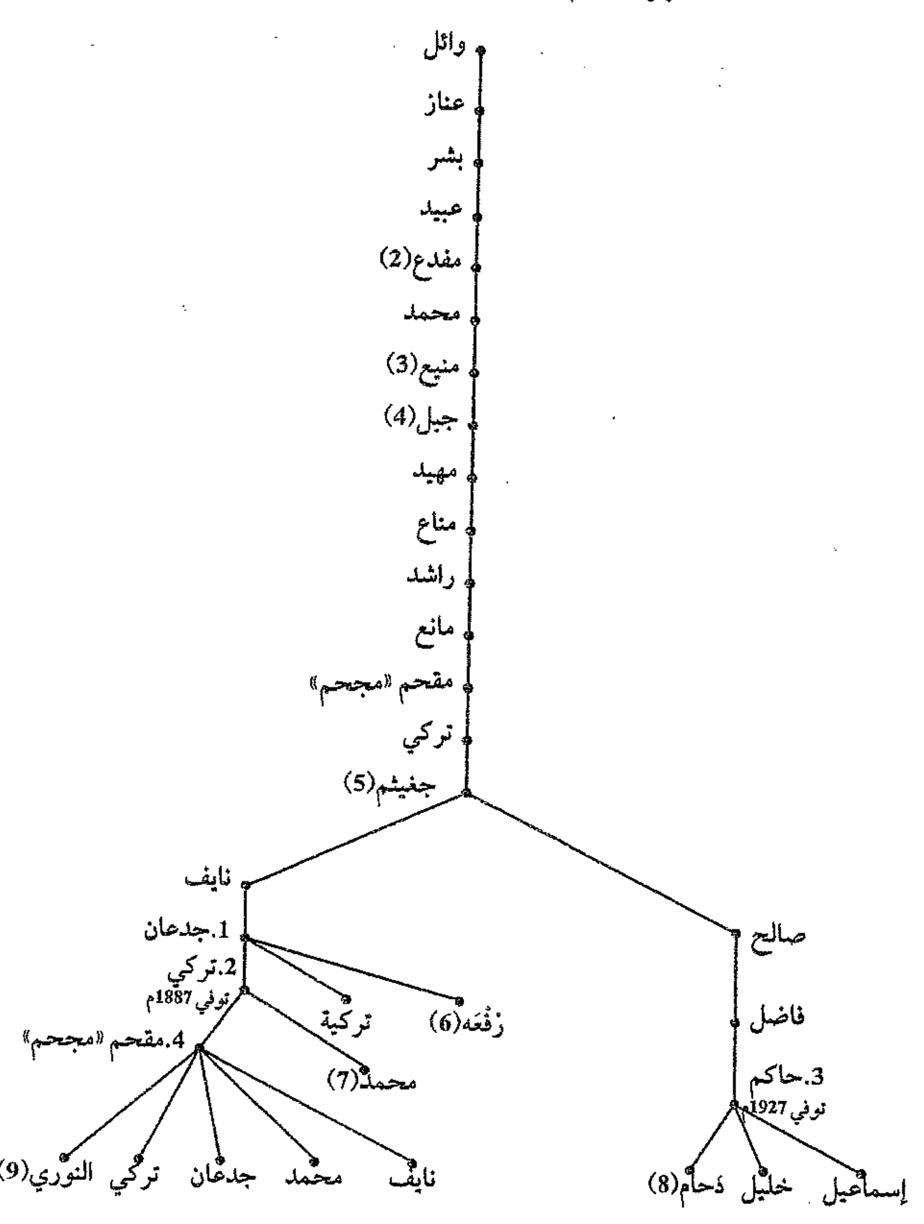
في وضع مجموعة الفدعان الخاصة به تحت تصرف الفرنسيين. بقيت علاقات مقحم عادية مع حاكم، بل إنه أرسل له خلال الحرب قوات تشد أزره وتسانده ضد الخرصه. بعد وفاة الأخير (31/ 12/ 1927م)، صار مقحم «مچحم» زعيم الولد الوحيد والشيخ الأكثر أهمية للفدعان. بالإضافة إلى ذلك، تمتع بنفوذ بيته التقليدي على السبعة، وخاصة منهم العبيد، واعتبرته القبائل الصغيرة قرب الباب ومنبج، والتي كانت تودع قطعانها في الشتاء عند الولد، قائداً لها. يمتلك مقحم «مچحم»، إلى جانب ما ورثه من أملاك عن جده جدعان، قريتين على الفرات. وقد اشترى مؤخراً أرضاً على البليخ قرب عين عيسى بنى بيتاً فيها. يتمتع الشيخ بثقة حكومة الانتداب، التي تمده بالمال رغم انتسابه إلى الحزب القومي منذ وقت طويل. وهو اليوم (1937م)، كما كان في الماضي، نائب في البرلمان.

تمتلك أسرة شيوخ الخرصة (ابن قعيشيش)، كمنافسيها من آل "ابن مهيد"، تقاليد قديمة، إلا أننا لا نعرف غير ثلاثة أجيال منها فقط[1]:



(1) يذكر ابن قعيشيش أقدم، اسمه حمدان، عام 1234هـ/ 1818م. دوحة، ص 318.

مشجرة نسب عائلة شيوخ ابن مهيد(1)



ملاحظات حول مشجرة نسب شيوخ بيت ابن مهيد

1 ـ سجلت يوم 19/ 5/ 1913م (دون الجيل الأخير). الراوي: مقحم بن مهيد. قارن، فيما يتعلق بالأجيال الخمسة الأقدم، قارن شجرة نسب عنزة.

2 ـ الأب الأول للفدعان.

3 ـ الأب الأول للضنا منيع. قارن الملاحظة 4 حول الجدول.

4 ـ جبل. قارن ملاحظة 63 حول الجدول.

5 ـ بمناسبة تسجيل ثانٍ: كرثم.

6 ـ عاشت "رفعا" بعد طلاقها من سعود بن ملحم، شيخ الحسنه، مع أم تركي خزنه في واحدة من قرى المهيد.

7 ـ سقط حوالى نهاية الحرب العالمية إبان غزو استهدف شمّر.

8 ـ إبن حربة، أخت مقحم، وكان لأخيه خليل أم اسمها عفرا بنت فارس الجربة، وكذلك لاسماعيل أم شركسية. وقد قتل إسماعيل في آذار من عام 1938م في معركة ضد الولده. الشرق الحديث، الجزء الثامن عشر، صفحة 161 وما يليها، وص235.

9 ـ أمه امرأة من الفدعان، بينما أم أخوته الأربعة هي إبنة أخت نوري ابن الشعلان واسمها طرفة بنت محمد.

قاد دحام الخرصة حوالى عام 1860م عبر الفرات[1]. وحكم نايف في نهاية السبعينيات[2]. وتنازل حاكم عام 1913م عن المشيخة لمذود. تقول وثائق البعثة ما يلي حول هذه الواقعة: "عندما زرت عام 1913م الخرصة في معسكرها في عين البيضا، جنوب غرب جبل عبد العزيز، كانت المشيخة لا تزال لابن عم مذود حاكم بن نايف، الذي كانت مكانته قد اهتزت كثيراً آنذاك. وكانت العلاقات التي أقامها مع حاكم بن مهيد، غير مقبولة في نظر الخرصة العريقين، وخاصة منهم ابني عمه مذود وسليمان. أقام مذود روابط جد وطيدة مع الأتراك، وفرض عام 1912م ضم الخرصة إلى دير الزور، وكانوا تابعين إلى حلب كغيرهم من الفدعان، الأمر الذي أضعف سلطة حاكم بن مهيد وحاكم بن نايف. يفسر هذا لماذا كانت علاقة الخرصة مع الفدعان باردة، ولماذا تقاربت مع شمّر، لا بل إنها ذهبت عام 1912 مع قريبها محمد الشيوخ، شيخ شمّر، إلى هترة.

خلال إقامتي في عين البيضا، تعرفت فقط على سليمان ابن قعيشيش، شقيق مذود، النشيط والكثير الحركة، والذي كرس نفسه للشؤون الحربية. فيما بعد، إلتقيت في الرقه بمذود وابن عمه حاكم.

منذ حصوله على المشيخه، إكتسب مذود صيت قائد جسور، كما يؤكد ذلك لقب "النمر" الذي لازمه. وقد تحدثنا أعلاه عن سياسته بعد الحرب[3].

---

(1) كان عام 1870م لم يزل في الحكم. أنظر مجلة Zdpv، المجلد 23، ص49.

(2) بلنت: الجزء الثاني، ص190.

(3) خلفه في الفترة المنصرمة شيخ آخر هو عبد العزيز ابن قعيشيش.

سبعة

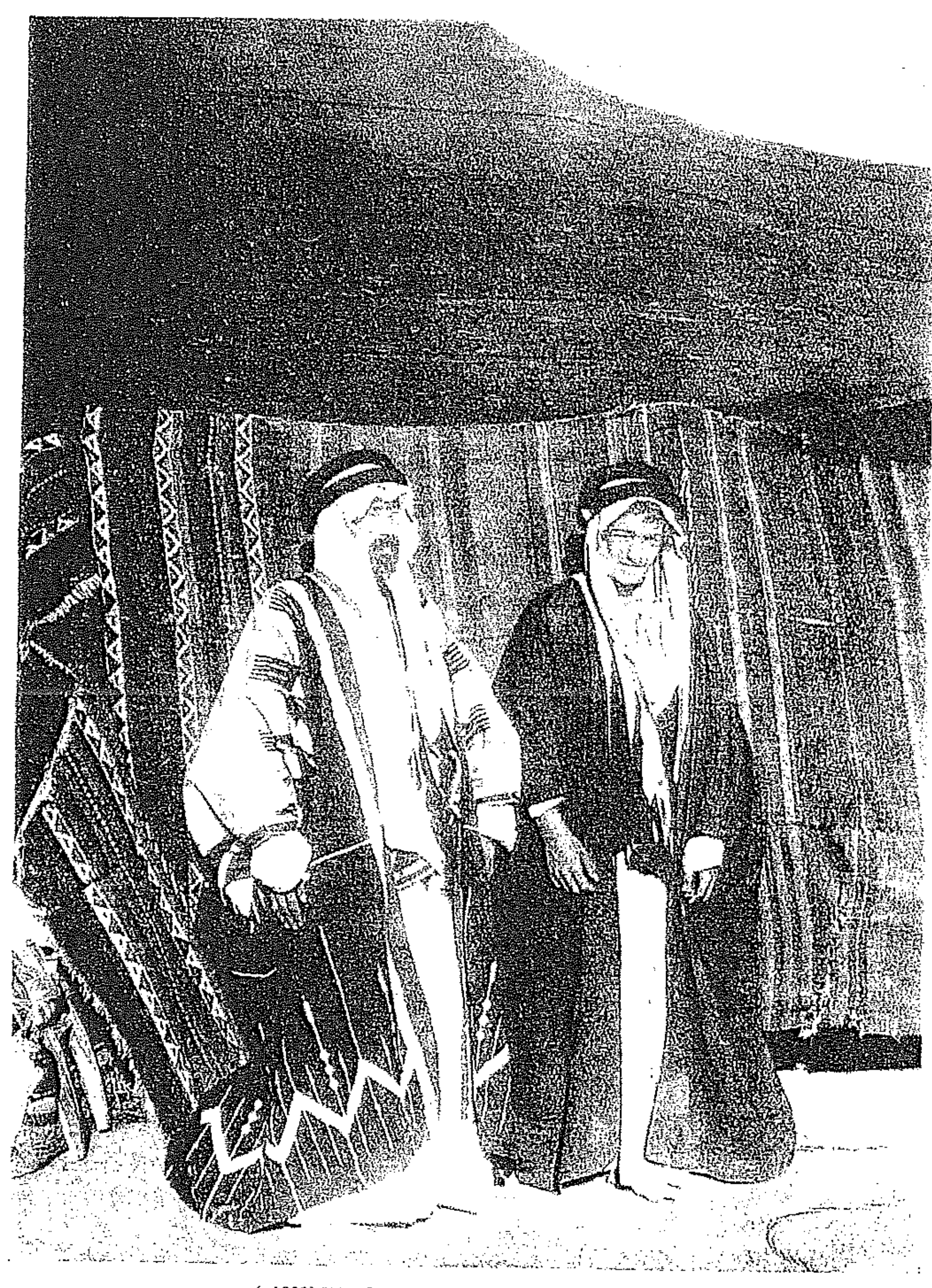
رغم أن السبعة ليسوا أقل عدداً من الفدعان، فإن قوتهم السياسية والعسكرية محدودة. لذلك كثيراً ما تركوا عبء المعركة للفدعان خلال الحروب التي نشبت بين الضنا مسلم والبشر. وإنه لأمر ذو دلالة أن المفوض السامي الفرنسي لم يتدخل في أحدث اشتباك نشب بين الرولة وبينهم (شباط 1929م) إلا بعد انخراط الفدعان في المعركة[1]. يقترن هذا النفور من الحرب بنقص في تماسك القبيلة، التي تفتقر إلى شيخ أعلى، ولا تشكل مجموعتا ابن مرشد وابن هديب، اللتان تسميان عادة القمصة والعبدة، وحدات تقوم على رابطة الدم، كالولد والخرصه لدى الفدعان، بل هي تجمعات نشأت، بالأحرى، بالمصادفة الصرفة.

تفوق أهمية السبعة الاقتصادية أهميتهم السياسية، فهم مربو جمال وخيل موهوبون. وقد بدأت القمصة تمارس مؤخراً الزراعة الحقلية، وأعادت تشغيل منشآت ري قديمة شرق سلمية. تعتبر حماه سوق السبعة[2]، التي يمضون الصيف بقربها: العبدة إلى شمال شرقها والقمصة إلى جنوب شرقها. في الخريف ترحل السبعة من سلمية عبر اسريّه وقديم إلى السخنة (قمصه) أو إلى جبل بشري (عبدة) ومن هناك إلى الصحراء السورية (وادي المياه ـ وادي حوران، وأحياناً حتى وادي الغدف).

---

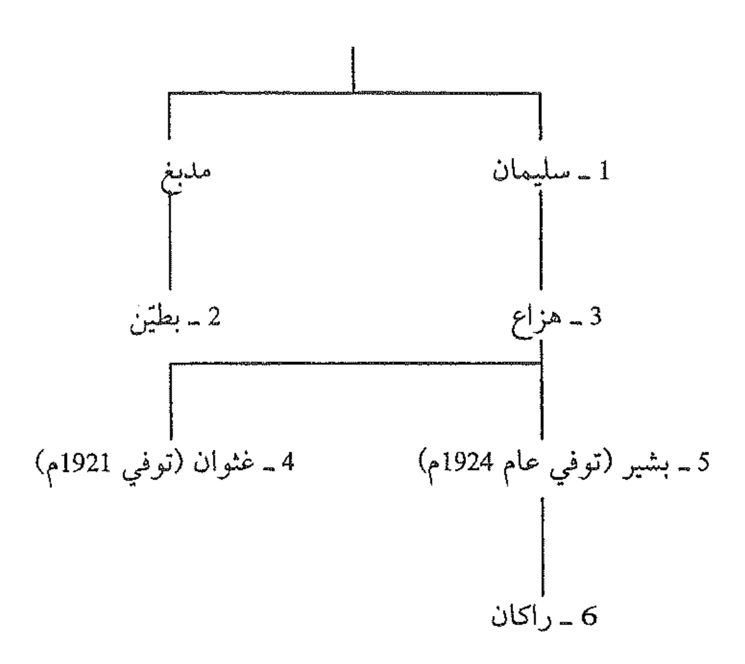
(1) تيرييه: ص29 و220.

(2) يأتون بالتمر في قوافلهم الخاصة من واحة شثاثة. تيرييه، ص69.



فرحان بن هديب وابنه، شيخ مشايخ سبعة. عنزة (1899م)

لا تتمتع أسرتا شيوخ السبعة من ابن مرشد وابن هديب بأية شهرة خاصة. أما آخر شيوخهم المهمين، فهو سليمان ابن مرشد، الذي توفي حوالى عام 1875م بسم يزعم أن حاكم دير الزور أمر بدسه له[1]. وليس هناك الكثير مما يمكن ذكره حول خلفائه[2]:



كان الشيخ الشاب راكان منفتحاً على الأفكار الجديدة. وقد بذل جهوداً حثيثة من أجل توطين قبيلته، وتزوج من إحدى بنات نواف، شيخ الحديدين السوريين، وانتخب عام 1936م نائباً في البرلمان.

ليست قبيلة ابن هديب من عنزة. إنما من حرب وتربطها صلة قرابة بأسرة

(1) ابتون، ص237 ـ 245. بلنت: الجزء الأول، ص68.

(2) تابع موزيل: رولة، ص418. بلنت، الجزء الثاني، ص104. تيريبه، ص30. يحكون في سورية عن علاقة حب بين غثوان وأميرة من كليرمون ـ تونير، يقال إنها حررت أباه من السجون التركية.

الفرم، إحدى أسر شيوخ هذه القبيلة الحجازية الكبيرة. هذا ما يدعيه على الأقل حرب من بلاد الرافدين. يعتبر فارس أول شخص من آل "ابن هديب" الذي يورد الرحالة اسمه في تقاريرهم. وقد توفي عام 1869م[1] بعد أن بلغ من العمر عتياً. أما خلفه الثاني فرحان بن معجون، فكان شخصية جذابة، إنقلبت كياسته إلى ضعف لدى ابنه الشيخ الحالي برجس بن فرحان، الذي أفسدته إقامة طويلة في مدرسة العشائر بالقسطنطينية، وسنوات خدمة عسكرية طويلة كان خلالها ضابطاً في الجيش التركي. ترك برجس انطباعاً بائساً لدى موزيل، فحتى عبيده الخاصون كانوا يعصون أوامره[2]. وقد بدد الثروة التي ورثها عن والده، وبلغ من سوء حاله أنه استعار في رحلته الخريفية عام 1926م، الجمال التي نقلت خيمته.

---

(1) رامبليس، ص163. ابتون في مجلة فريزر، المجلد 15، ص 443 (خلفه ابن أخيه معجون، تابع مجلة Zdpv المجلد 23، ص52).

(2) بادية تدمر، ص53.

عمـــارات

ليس في حوزتنا الكثير من أخبار العمارات. يرجع هذا إلى قلة الزيارات التي قام بها الرحالة الأوروبيون إلى منطقتهم في عمق هيت وكربلاء، بالمقارنة مع الأجزاء الأخرى من الصحراء السورية. تقدم الصحائف الوهابية بعض المعلومات حول تاريخ القبيلة الأقدم. وتخبرنا أنهم كانوا يسكنون منطقة امتدت آنذاك من النهاية الشمالية للدهناء إلى سُدير، ومن جبال شمّر إلى شرق جزيرة العرب[1]، وقاتلوا منذ عام 1758م مع قبيلة بني خالد، عدوة الوهابيين اللدودة. لكنهم غيروا موقفهم، بمجرد أن تأكدوا من انتصار النحلة الجديدة تلك، وشرعوا يقاتلون منذ عام 1786م إلى جانب الوهابيين[2]. بدأت هجرة القبيلة بعد ذلك بقليل، فقد انتشرت عام 1808م لأول مرة أقوال عن وجود العمارات في الشمال. ويذكر روسو، قنصل فرنسا في بغداد، بأن المطارفة (آ III ا جيم د) كانوا من بين البدو الذين يفرضون

(1) يترتب هذا على المعطيات التالية: التيسيه «التيوس» (تيسية عنزة)، منطقة العمارات القديمة، موزيل: شمال نجد، ص170: مضرب عنزة عند مبيض، روضة الأفكار لعام 1195 للهجرة. جبل شمّر هو مكان سكن الصفور، إحدى قبائل العمارات، جدول شبرنغر، رقم 88: سلقا في الاحساء، بوركهاردت، ص309.

(2) عنوان، ص33. روضة حول سنوات 1188هـ و1195هـ و1196هـ و1200هـ. في النص يدور الكلام عن عنزة فقط في هذه الأماكن جميعها، لكن الذكر المتكرر لأسرة الشيوخ ابن هذال يثبت أن المقصود كان العمارات.

ضرائب على طريق قوافل بغداد ـ حلب. وبعد عشرة أعوام من ذلك تجمعت لدى الحكومة معلومات دقيقة عن الصقور، الذين "يخيمون غالباً في منطقة حلب، لكنهم يتمونون كل عام في الحلة والحسكة (الديوانية)"[1]. بقيت علاقات المهاجرين بموطنهم حية، لذلك قاتلت أسرة شيوخ ابن هذال من عام 1812م إلى 1815م في الحجاز، وفي القصيم خلال العشرينيات ضد قوات الاحتلال المصرية/ التركية[2]، لم تنقطع أواصر العمارات مع جزيرة العرب إلا بعد عام 1860م، حين غادرت مجموعة ثانية كبيرة منهم المنطقة بين القصيم والدهناء، واتجهت شمالاً[3].

منذ ذلك الوقت، يمكن اعتبار (Wadi el Cherr) وادي الشر، الذي يبدأ غير بعيد عن النفود وينتهي في مستنقعات النجف، حدوداً جنوبية للعمارات. وإن كانت بعض أقسامها (الدهامشة) تتجاوزه إلى الجانب الآخر[4]. ويبدو أن الحدود السورية صارت الآن مانعاً أمام حركتهم، هم الذين كانوا يصلون في السابق إلى الرقه وضواحي حلب[5].

تشكل أراضي غرب كربلاء مع واحتي رحالية وشثاثه منطقة العمارات المركزية، الذين يمضون الشتاء في الوديان المنحدرة من السفح الشرقي لهضبة الصحراء السورية، ويتوغلون في الربيع شمالاً إلى القعرا، الذي يخليه الفدعان والسبعة في هذا الوقت. ويقودهم الترحل في نهاية الصيف إلى ما وراء الفرات،

(1) دوحة، ص315.

(2) بوركهاردت: ص309، نجد الشمالية، ص271.

(3) تابع فيتسشتاين في المجلة الجغرافية العامة، المجلد 18، ص11، ودوتي، الجزء الثاني، ص400.

(4) مضرب للدهامشة شرق لينه، موزيل: نجد الشمالية، ص619. تابع خارطة موزيل حول شمال جزيرة العرب.

(5) خيم العمارات عام 1860م إلى الشرق من تادف. رامبليس، ص275. في أيار في عام 1913م وجدت مضرباً للعمارات، وبالتحديد للسلقا (حسنة ومضيان) قبالة الرقة، وفي عام1929م عثرت على العمارات إلى الشمال من الرصافة على الفرات.

بين الفلوجة وبغداد، قبل أن يعودوا من هناك إلى مقراتهم الشتوية مروراً بكربلاء.

تحدد موقع العمارات في تحالفي عنزة منذ أن قاموا بتقدمهم في الصحراء السورية لمنع ضنا مسلم من الوصول إلى الفرات[1]. ففي آخر اصطدام بين المجموعتين وقفت العمارات إلى جانب الفدعان ـ السبعة ضد الرولة. ـ لم يقم أي تماس إلا نادراً بين الأتراك والعمارات، لأن هؤلاء كانوا يخيمون معظم السنة داخل الصحراء، ويمضون أغلب وقتهم في إمارة حائل. بعد وفاة الأمير محمد ابن رشيد (1897م) قام الشيخان فهد بن هذال وعقيل بن مجلاد بالتعاون مع بطين بن مرشد من السبعة بغزوة ضد شمّر، إنتهت بهزيمة نكراء نزلت بهم قرب تبال «تيبال» (على مسيرة أربعة أيام غربي كربلاء). وسوف نتحدث عن عملية أخرى في فصل الرولة.

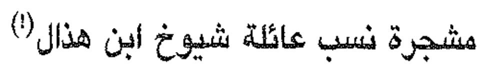
ينقسم العمارات إلى عمارات بالمعنى الضيّق (جبل). وهم قبيلتا صقور وسلقا اللتان يتزعمهما ابن هذال، والدهامشة بزعامة ابن مجلاد. يفتقر الجبل والدهامشة كلاهما إلى إرادة سياسية موحدة، وقد فصم شرخ تم خلال الحرب العالمية ما كان بينهما من عرى، حين التحق الشيوخ المعترف بهم فهد ابن هذال وجزاع بن (راكان) بن مجلاد بالانجليز، تبع ابن هذال آخر، هو فهد بن ضغيم، ومحمد بن (تركي) بن مجلاد الجانب التركي[2]. عندما نصب الانجليز بعد الحرب فهد بن هذال زعيماً على مجموع العمارات، هاجر فهد بن دغيم مع أنصاره وابنا مجلاد مع الدهامشة شمالاً، وانتقلوا في صيف عام1920م إلى منطقة الانتداب الفرنسية. ومع أنهم عادوا من جديد إلى ما وراء الحدود في الشتاء، فإنهم رجعوا عام 1921م مجدداً إلى البادية التدمرية. لكن حكومة العراق نجحت عام 1925م في إعادتهم إلى أراضيها[3].

---

(1) قارن موزيل: رولة، ص521 و619.

(2) فيلبي، الجزء الأول، ص256. الملاحظة الأولى، ص369.

(3) لم يشأ محمد (التركي) ابن مجلاد الإنصياع للانجليز، أي لفهد بن هذال، وانضم إلى الوهابيين. وقد شن غزوات سلب ونهب على قبيلته، أحرجت آل سعود سياسياً فوجب عليه العودة من جديد إلى العراق. أنظر: أم القرى، رقم 161 و165.



مشجرة نسب عائلة شيوخ ابن هذال[1]

وائل
عناز
بشر
عمارة
سهيل
جبل[2]
حبلان[3]
جمعة
عُدينان
هذال
1.عبدالله
2.الحميدي
زيد[4]
3. عبد المحسن
دغيم
4. فهد[5]
توفي 1927
طلال
فهد[6]
متعب[7]
5. مجروت[8]
صحن
شامان

ملاحظات حول مشجرة نسب أسرة شيوخ ابن هذال

1 ـ وصلتنا شجرة النسب من مصدر ثانوي، لذلك أهملنا أعضاءها الذين لم يتأكد انتماؤهم إليها عبر استقصاءات أخرى، وهم: هذال بن عبد الله، صفوق بن ماجد بن عبد الله، فالح بن زيد، الأخوة جدعان، فرحان، مطلق، ومجول أولاد تامر بن الحميدي، وأخيراً نايف بن صقر بن دغيّم.

في ما يتعلق بالأجيال الأقدم، تقارن شجرة نسب العنزة.

2 ـ الأب الأول للجبل.

3 ـ الأب الأول للحبلان. (أ III 1 ألف)

4 ـ مذكور تحت عام 1818م/ 1819م في دوحة صفحة 318.

5 ـ ينحدر ابنه الأخير ـ عطاالله ـ من زواج من قطنه، أخت مجحم ابن مهيد.

6 ـ موزيل: جزيرة العرب. يخلط موزيل بينه وبين ابن عمه فهد بن عبد المحسن، في الفهرس على الأقل.

7 ـ ذكره موسيل مراراً، لكنه توفي في الفترة المنصرمة.

8 ـ ليس "محروث"، كما يذكر من حين إلى آخر. أمه: بنت التمياط (تومان ـ شمّر).

أسرة شيوخ ابن هذال[1]

يرجع التاريخ المثبت لقبيلة ابن هذال إلى عام 1551م، فهي إذن قبيلة قديمة. أما منصب الشيخ، فيبدو أنه تم تناقله بالوراثة من الأب إلى الإبن خلال الأجيال الخمسة الأخيرة ـ وهذا حدث غير عادي أو مألوف إلى أبعد حد. عاش عبد الله في مطلع القرن التاسع عشر على الأرجح، وتظهره إحدى حكايات كتاب فريزر: رحلات في كردستان وبلاد الرافدين... الخ (الجزء الأول، صفحة 381) في واحدة من تنقلاته في منطقة الفرات الأعلى. وبينما تميز ابنه الحميدي كقائد جيش وهابي ضد المصريين عام 1812 ـ 1815م[2]، فإن عبد المحسن ابن الحميدي يدخلنا إلى عمق القرن التاسع عشر، ويصل ابنه فهد بنا إلى الزمن الحالي. كان فهد بيك سياسياً رصيناً وأريباً، عينه الأتراك، كأبيه قبله، قائمقاماً على الرزازة، حيث عاشت أسرته الموسرة[3]. وقد رافق عام 1905م حملة عسكرية تركية من النجف إلى القصيم، وقدم فيما بعد خدمات طبية إلى الانجليز، إلى أن مات يوم 28/ 8/ 1927م وهو في الثمانين من العمر[4].

---

(1) لا مكان لبعض أفراد الأسرة من القدماء في شجرة النسب، مثل جديع ابن هذال، الذي قتل عام 1781م في معركة ضد المطير، ومشعان بن مغيلت بن هذال، الذي قتل بعد أربعين عاماً في معركة ضد القبيلة ذاتها. أنظر روضة الفكر، 1195هـ، وديوان وسط جزيرة العرب، رقم 62. موزيل: شمال نجد، ص271.

(2) تابع بوركهاردت، ص309، عنوان، ص105. في شتاء 1818م/ 1819م نصب مضاربه أمام نجد. دوحة الوزراء، ص315.

(3) سالنامة بغداد 1324هـ، ص285. ليس موقع المكان بعيداً عن كربلاء.

(4) الشرق الحديث، الجزء السابع، ص506.

حسنة

الحسنة هي أول قبيلة من قبائل عنزة تحصل على حق المواطنة في سورية. حدث هذا في بادية تدمر، التي كانت خاضعة حتى ذلك الوقت لسيطرة الموالي. ورث الحسنه منطقة انتشار سابقيهم وحق فرض الضرائب على قوافل طريق البصرة ـ بغداد ـ دمشق، وحلب[1]، وورثوا حق تقديم الجمال إلى حجاج بيت الله الحرام[2]. هذه الموارد المتنوعة، إلى جانب تنظيمها العسكري الخاص[3]، مكنا الحسنه من تحقيق تفوق طويل الأمد على أبناء قومها، الذين جاؤوا المنطقة بعدها، قبل أن يلعب عدد القادمين الجدد دوراً رجح كفتهم بالتدريج، إلى أن نجح ولد علي حوالى عام 1790م والفدعان والسبعة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، في إزاحتها عن مواقعها[4]. منذ ذلك الوقت، إنحدرت الحسنة بسرعة، حتى انها اعتبرت في السبعينيات "خائفة" من الحكومة، وأوشكت أن تذوب قبل الحرب العالمية في قبيلة ولد علي، التي

---

(1) منذ عام 1760م تقاسموا هذا الحق مع البشر، وبالتحديد منهم الفدعان، وفيما بعد مع ولد علي والعمارات. أنظر بوركهاردت، ص5. روسو: ص123

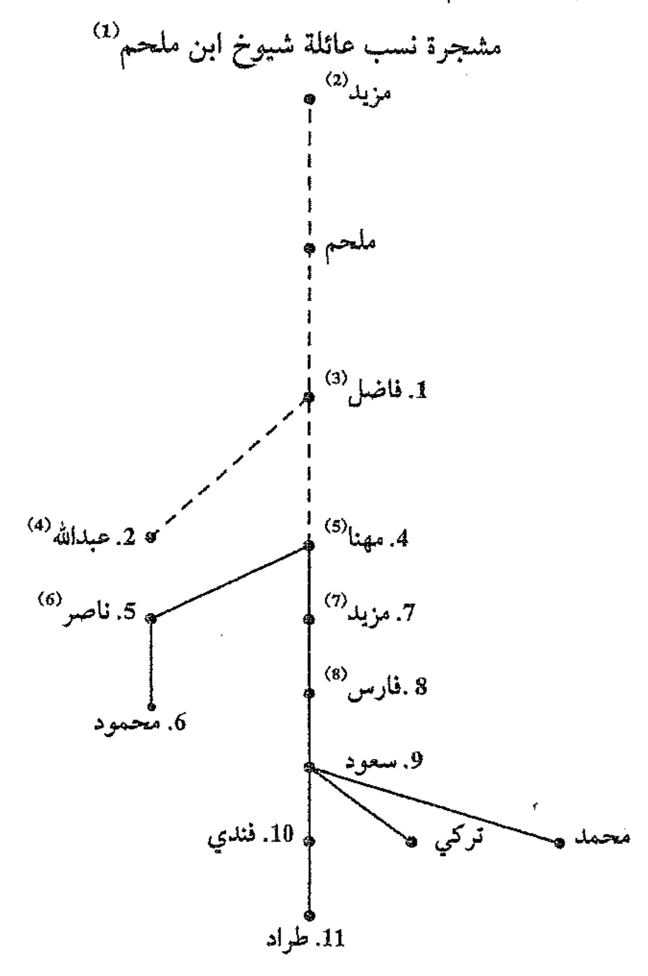
(2) عند داموازو، الجزء الثاني، ص117. بوركهاردت، ص308 يتحدث على كل حال عن صرة (مقدارها 50 كيساً = 1000 استرليني) بينما تذكر إيزابيل بورتون (1870م): الحياة الداخلية في سورية، فلسطين والأرض المقدسة، الجزء الأول، ص68، أن الحسنة يتلقون 180000 قرش، ظاهرياً مقابل تقديم 150 جملاً، وفعلياً بطريقة لا شرعية.

(3) كان المساليخ مرتزقة عند أسرة شيوخها. بوركهاردت، ص5.

(4) بوركهاردت، ص109 و249. رحلات السيدة استير ستانهوب، الجزء الثاني ص93 و175. ايربي ومانجلز: رحلات في مصر والنوبة، سورية وآسيا الصغرى، 255. يجد المرء صدى هذه المعارك في التقرير المدهش لحكاية فتح الله صغير، لامارتين ص299.

كانت تربطها بها صلة قرابة وثيقة. لكن الشيخ طراد الملحم، زعيم القبيلة النشيط، نجح في وقف أفولها، مستغلاً الأوضاع التي تغيرت آنذاك لصالح مربي المواشي الصغار. فيما بعد، توحدت قبيلتا الحجاج والمساليخ مع الحسنة من جديد، بعد أن كانتا تميلان إلى ولد علي. ومنذ عام 1923م انضم إلى طراد أقسام من النعيم والفواعرة، وكذلك أنصار عمر الملحم، لاعتقادهم أن حمايته لهم تقيهم من الغزوات. وفي رحلة الشتاء عام 1925م/ 1926م انضم إلى الحسنة الجزء الأكبر من هاتين القبيلتين، لكن هذا الدعم القوي خسرته القبيلة مرة أخرى عندما طالبهم طراد بدفع أتاوة مقابل حمايته لهم.

مشجرة نسب عائلة شيوخ ابن ملحم[1]



ملاحظات حول مشجرة نسب أسرة شيوخ ابن ملحم

1 ـ يشكل جدول ورد في كتاب رينود ومارتينه الموسوم: بدو دمشق (صفحة 15) أساس شجرة النسب التي بين أيدينا، ويضم أسماء أحد عشر شيخاً حاكماً من حسنه. ليست الفروع مذكورة، للأسف، في الجدول.

2 ـ لو لم يكن أقدم الشيوخ المعروفين، الشيخ فاضل، مذكوراً في روضة الفكر تحت اسم مزيد، لحاولنا ربط اسم الأسرة بالشيخ مزيد الأقل سناً. بالمناسبة، هل ينتمي بنو مزيد، الذين يذكرهم نيبور، إلى هذه الأسرة؟. (أنظر كتابه، صفحة 66).

3 ـ المقصود كابر عند هوفل ص274 (1778م)، وكذلك عند دوحة. ص226 (1800م)..

4 ـ لا يرد اسم عبد الله الفاضل إلا في جدول الشيوخ، أما من يليه، "عيدي القبلان الشهير بـ أخو مودي" فيصعب إدراجه ضمن الجدول. لذلك يسقط رقم 3 من شجرة النسب.

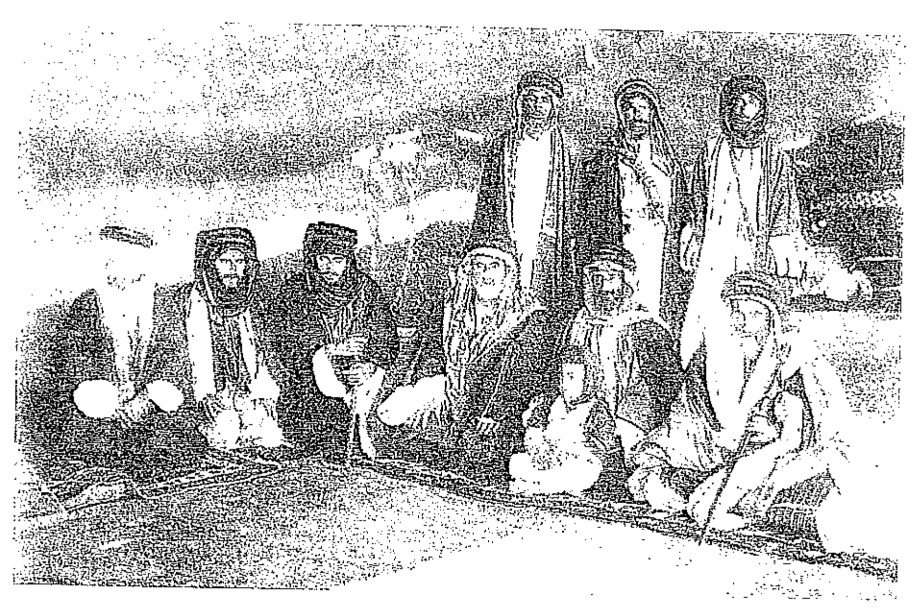
5 ـ مهنا الفاضل في جدول لامارتين. يذكر لأول مرة عام 1808م (روسو، ص123) ولآخر مرة عام 1818م (ايربي ومنجلس، ص260).

6 ـ تولىَ الحكومة في حياة أبيه، ويرجح أنه ذلك الشيخ الذي أعدم في الثلاثينيات إبان حكم إبراهيم باشا، واستبدل بابنه محمد. أنظر: دوكارامان، رحلة من حمص إلى تدمر (1837م) في مجلة الجمعية الجغرافية، باريس 1840م، صفحة 329.

7 ـ رحلات السيدة ايستر ستانهوب. الجزء الثاني، صفحة 123.

8 ـ قابل عام 1870م الليدي بورتون (حياة داخلية، الجزء الأول، صفحة 68) وعام 1878م بلنت (الجزء الثاني، ص92).

لا زال الحسنة في الطور الأول من التوطين. فهم رحل لكنهم يمتلكون قرى شرقي حمص، تزرع على يد أبناء القبيلة وبعض فلاحي الجوار. في الصيف، يقيم جزء من الحسنة في أراضيهم، وجزء آخر قرب بحيرة قطينة وإلى جوار بعلبك في البقاع. في أيلول، وعندما تكون المراعي قد استنفدت، ينقل هؤلاء خيامهم نحو الجنوب، إلى حسيه وصدد، ليغادروا بعد شهر أو شهرين المنطقة المزروعة إلى الحماد عبر الحوارين والقريتين وعين البارده والهلبا. عموماً، لا يتجاوز الحسنه منطقة الطنف جنوباً، وإن كانوا قد اصطحبوا أعوام 1925م/ 1926م و1929م/ 1930م الرولة إلى جبل عنازة.



سعود المزيد . شيخ مشايخ حسنه . عنزة (1899م)

أسرة شيوخ الحسنة

تعتبر أسرة شيوخ الحسنة، التي يحمل أفرادها اسم ابن ملحم المزيد، قديمة جداً. وقد حافظت على احترامها وسمعتها الطيبة رغم التراجع الذي عرفته القبيلة. عاش الشيخ فاضل، الذي ترجع الأسرة إليه، في القرن الثامن عشر. وكان رجلاً بعيد النظر أدرك أهمية الوهابية في طور مبكر، وتواصل مع مؤسس مذهبها[1]. أما خليفته الثالث مهنا وأبناؤه، فعرفوا بفضل حكاية فتى الله (Fatalla) الصغير الرومانسية، التي أوردها لامارتين في "رحلته إلى الشرق"، وذكريات رحلة الليدي ستانهوب. بعد هؤلاء، يصعب إيجاد شيء يستحق الذكر حول شيوخ الأسرة، ذلك أن سعود ابن ملحم صار شخصاً حضرياً على وجه التقريب، لم ير الصحراء الداخلية إلا عندما كان فتى صغيراً، ثم مرة أخرى وهو شيخ، عند بدء الحرب العالمية[2]. ما زال فندي، ابن سعود، على قيد الحياة (1929م)، لكنه تنازل عن منصب الشيخ لطراد الشاب الذي سبق وتحدثنا عما قدمه للحسنة من خدمات جليلة. يعتبر طراد صديقاً للفرنسيين وقد انتخب عام 1936م نائباً في البرلمان.

---

(1) روضة الأفكار، الفصل الثالث.

(2) موزيل، الجزيرة العربية، ص388 وما بعدها.

ولد علي

ولد علي هي القبيلة الوحيدة من قبائل عنزة التي يمكن تحديد طريق ترحالها بدقة كبيرة. فقد تبعوا طريق الحج القديمة التي تمر بتيماء، وباير وأزرق[1]. وقد كانت معان أول الأمر حدهم الشمالي، الذي بلغوه حوالى عام 1700م[2]، ثم صار فيما بعد قلعة الزرقا[3]، وأخيراً سهل حوران، الذي بقي مقرهم الصيفي إلى يومنا هذا. يمضي ولد علي منذ وقت طويل الشتاء في الصحراء السورية، وكانوا يعودون من قبل إلى موطنهم القديم في هذا الوقت من العام. تفسر روابطهم هذه مع الحجازالمهمة التي تولوها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، أعني مرافقة قافلة الحجاج حتى مدائن صالح وتأمين الجمال اللازمة لذلك[4]. بهذا العمل

---

(1) تابع راسوان: مناطق القبائل وخطوط الهجرة لبدو شمال جزيرة العرب، المجلة الجغرافية، الجزء 20، ص498.

(2) شارك ولد علي بالتأكيد في الغارات المذكورة أعلاه، فيما بعد خيمت عشيرة الحمامدة بمفردها في معان. بوركهاردت، ص4. أيوب صبري: مرآة الحرمين، الجزء الثالث، ص269.

(3) يكتسب المرء من بوركهاردت، ص3 الإنطباع بأن قلعة الزرقا كانت الحد الجنوبي لولد علي، لكن صبري يذكر أن خيراً كانت هذا الحد. هاتان المعلومتان أخذتا من مرجع (غير معروف) من القرن الثامن عشر، إستخدمه هذان المؤلفان في مجالات أخرى أيضاً. وقد حاول بوركهاردت التوفيق بين الملاحظة المعنية وبين ظروف عصره، التي شهدت تقدم ولد علي إلى حوران، بينما تركها أيوب صبري دون تغيير.

(4) هذا ما قاله أول الأمر مايو: البدو، الجزء الأول، ص122. تابع بوركهاردت، ص3.

المربح، وبحق الصره[1]، بقي ولد علي لوقت طويل القبيلة السائدة جنوب دمشق. ولكن في منتصف القرن التاسع عشر أدخل إلى منطقتهم شركاء جدداً هم الرولة، الذين سعوا إلى الحصول على حق الرعي في حوران. لا عجب إذن أن نشبت الحرب بين القبيلتين الصديقتين، اللتين ربطتهما صلة قرابة وثيقة أيضاً. في 19 تموز من عام 1858م حاقت الهزيمة بولد علي في موقعة تل الجوخدار بالجولان، لكنهم نجحوا بعد قليل في طرد العدو إلى ما وراء وادي اليرموك، بمساعدة سكان حوران[2]. مع ذلك، لم تجد القبيلة طريقة تحمي بها نفسها من الرولة، المتفوقة عددياً وتنظيمياً، فاضطرت أخيراً إلى الإعتراف بحقها في الرعي. بسبب ما ترتب على هذا الإعتراف، وعلى تعميم الزراعة، مما أدى إلى تقليص منطقة انتشارها، بدأت أعراض التدهور تظهر على ولد علي، فقد بدأت بالتخلي جزئياً عن تربية الجمال في السبعينيات، وبدأت تنتقل إلى الزراعة الحقلية في الثمانينيات[3]. وحين حرمها تشغيل خط الحجاز عام (1908م) من الإمتيازات المرتبطة بالحج، سقطت من صفوف قبائل الدرجة الأولى. ومع أن الشيخ رشيد ابن سُمير حاول إعادة إحيائها، فإن مسعاه ذهب أدراج الرياح. ثم فقدت القبيلة بعد موته تلاحمها، فلم يبق في رعايا أسرة ابن سُمير غير المستقرين من أبناء القبيلة، بينما تبع قسم آخر من رحلها أسرة الشيوخ الثانية، أسرة الطياروانضم قسم ثالث إلى الرولة.

تقع منطقة انتشار واستقرار ولد علي القديمة والحالية في النقرة، بين نوى ومزيريب، وتصل في الغرب إلى نهر الرقاد، أي إلى أراضي الجولان[4]، التي

---

(1) لاحظ معلومة بوركهاردت الغريبة (ص4)، التي تقول إن عشيرة طلوح كانت تتلقى الصرة من القسطنطينية مباشرة.

(2) فيتسشتاين: حوران، ص130. موزيل، الذي جمع التركة الشعرية لهذه الحقبة، يقول في كتاب الرولة إن الحرب دامت من عام1850م إلى 1864م تابع فون كريمر: وسط سورية ودمشق، ص201.

(3) بلنت، الجزء الثاني، ص121. تابع موزيل: صحراء جزيرة العرب، ص391 ـ شوماخر: عبر الاردن، ص110.

(4) شوماخر، ص104 والخارطة التي يوردها.

تنطلق منها في شهر آب، لتتبع أطراف اللجاة في طريقها إلى بحيرات المروج قرب دمشق، حيث يقام بين قريتي الكفرين والجديدة سوق بني سُمير، الذي يستمر طوال ستة أسابيع، فيعود بأرباح وافرة على التجار الدمشقيين، ولكنه يضايق الفلاحين إلى أبعد الحدود[1]. من جانبها، دأبت أقسام صغيرة من ولد علي، وخاصة منها الطيار، على قضاء الصيف في أراضي الحسنة، إلى الشمال من هذه المناطق. في وقتنا الحالي، تخيم مجموعة الطيار من جديد قرب الضمير، شمال شرق دمشق.

(1) فيتسشتاين: حوران، ص140.



سطّام الطيار ـ شيخ مشايخ ولد علي ـ عنزة (1899م)

أُسر شيوخ ولد علي

تمتلك ولد علي أسرتي شيوخ مختلفتين، مثلها في ذلك مثل الفدعان والسبعة والعمارات، هما ابن سُمير والطيار، اللتان لا تتعامل إحداهما مع الأخرىٰ بوصفهما قائدتين متساويتين لمجموعتين مستقلتين بهذا القدر أو ذاك، بل كشيوخ مشايخ وعقداء[1]. ذلك ما كان عليه الحال في السابق على الأقل. أما مؤخراً، فقد تطور لديهم تعايش شبيه بذلك الذي حدث عند القبائل الأخرىٰ.

يدين ابن سُمير بمكانتهم إلى علاقة وطيدة تربطهم بباشاوات دمشق عامة، وإلى العائدات التي يحصلون عليها من امتياز الحج خاصة. ليس بحوزتنا وصف للشيخ دوخي، أقدم شيوخ ابن سُمير. بالمقابل، توجد تفاصيل كثيرة عن ابنه محمد، الذي حكم ما يقارب نصف قرن[2]، أكثرها دقة ما كتبته الليدي بورتون (حياة داخلية، الجزء الأول، ص66) حول "تاليراند الأسود"، الذي كان في الجزء الأخير من عمره رجلاً مهيباً يبعث على الرهبة، فرض احترامه حتى على الموظفين الأتراك.

توفي محمد عام 1895م، ولحقه ثلاثة من أبنائه بسرعة إلى الموت. أما رابعهم، بندر، فقد تولى الحكم عام 1899م (رأيته يخيم آنذاك في النقرة، بجوار

(1) بوركهاردت، ص241.

(2) بلنت، الجزء الثاني، ص100. شوماخر: عبر الاردن، ص105.

الرولة). كان رشيد، خليفة بندر، على قدر عظيم من الاهتمام السياسي، وإن افتقر إلى حسن التقدير. وقد ألقى بنفسه بعد الحرب في أحضان الفرنسيين، دون أن ينجح في جعل قبيلته تحتل موقعاً قيادياً بالمقارنة مع قبيلة ابن الشعلان (الرولة). لذلك، إنسحب، تملاؤه الخيبة إلى عين ذكر، قرية أسرته في الجولان، حيث توفي عام 1922م. أما ابنه عناد، فليس اليوم أكثر من مجرد تابع لنوري ابن شعلان.

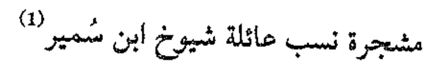
في عشرينيات القرن، حاولت أسرة الطيار إضعاف سلطة آل "ابن سُمير"، بعد أن استقلت بمجموعة خاصة بها من القبيلة: وفي نهاية التسعينيات، عبأ سطام ابن الطيار، الذي اختلف مع فدغم ابن سُمير حول اقتسام غنيمة حرب، قسماً من ولد علي. تدخلت الحكومة، عندئذ، وأجبرت سطام على التنازل عن مطالبه، وكلفته بمرافقة قافلة الحج بعائد قدره 60000 قرش[1]، على أن يتقاسمه مع أحد أقربائه[2]. وسقط سطام عام 1901م في معركة مع الدروز، تاركاً وراءه ولدين هما محمد وسلطان، مات أكبرهما بعد والده بقليل، فتولى ثانيهما مشيخة قبيلته.

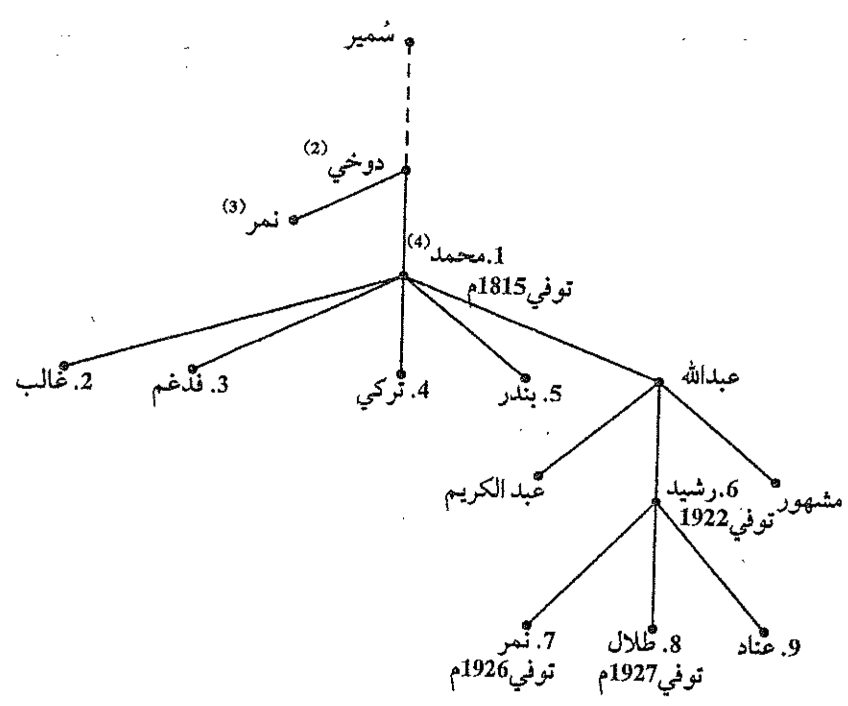
أعطى تنظيم سورية الجديد بعد الحرب العالمية سلطان الطيار فرصة متابعة خطط والده. وقد اختار الوقوف إلى جانب الملك فيصل، وقاتل إلى خريف عام 1920م ضد الفرنسيين، لكنه لم يفز بأنصار كثيرين إلا بعد وفاة رشيد ابن سُمير (1922م). في عام 1925م، ألقي القبض عليه بسبب اشتراكه في ثورة الدروز، ثم أخلي سبيله بعد عام من ذلك.

---

(1) تسجيل من عام 1899م. موزيل: صحراء جزيرة العرب، ص390: 280 ليرة تركية (= 28000 قرش). تابع أيضاً معلومات أقدم، مثلاً لدى شوماخر: عبر الأردن، ص110 (300000 قرش). بورتون: الحياة الداخلية، الجزء الأول، ص68: 200000قرش (إسمياً من أجل تقديم 560 جملاً). بوركهاردت: ص308: 50 كيساً (25000 قرش).

(2) عبطان بن صالح هو، بحسب موزيل، أخ سطام. صالح كان حفيد الشاعر كنعان الطيار، الذي ورد اسمه لدى سيتزن.





ملاحظات حول مشجرة نسب شيوخ ابن سُمير

1 ـ الجيل الأخير بحسب تيرييه. الجيلان السابقان له حسب ملاحظات وضعت عام 1899م.

2 ـ بوركهاردت، ص3، جدول شبرنغر، رقم 145، جدول لامارتين.

3 ـ كان عام 1831م في خدمة إبراهيم باشا. أنظر كادالفين وبارو: تاريخ حروب محمد علي، ص149.

4 ـ بما أنه كان حاكماً في مطلع الخمسينيات، فإن تعاقب الشيوخ أخذ على الأرجح دون انقطاع الشكل التالي: دوخي، نمر، محمد.

رولة(*)

بعد أن غادر الرولة خيبراً[1]، إتخذوا من الطرف الشمالي لصحراء النفود الرملية، الممتد من تيماء في الغرب مروراً بواحة الجوف إلى بئر لين في الشرق، قاعدة انتشار لهم، شملت وادي السرحان وجنوب الصحراء السورية. وفي حين بقيت سورية مقفلة في وجههم أول الأمر، إنفردت قبائل محلف الثلاث (السوالمة، والعبدالله والأشاجعة)، المرتبطة بصلة نسب معهم، في الدخول إلى الحماد الشمالي. غير أن الحروب الوهابية دفعت بالرولة من جديد إلى الشمال. ومع أنهم اعتنقوا المذهب الوهابي حوالى عام1800م، شأن قبائل عنزة الأخرى، فقد حاولوا الفرار من جباة ضرائبهم، بأن جاؤوا المنطقة التركية أو عبروا الفرات[2]. إصطدمت الرولة عام 1809م، بينما كانت تعبر النهر، بقوة مسلحة تابعة لباشا بغداد وأبادتها عند مصب الخابور، ثم أرسلت الغنائم التي وقعت في أيديها إلى الدرعية، عاصمة الوهابيين، مما جعلهم يسارعون إلى قبولها من جديد بين رعاياهم. وفي العام

(*) يختلف لفظ وكتابة اسم الرولا أو رولة من منطقة إلى أخرى، ففي شمال الجزيرة العربية تلفظ بـ روَلة (روّالة) بتشديد الواو واظهار الهاء، أما في منطقة العراق الجنوبي وبعض أجزاء العربية فتلفظ وتكتب بـ رولة. ولمزيد من التفصيل راجع تصدير الطبعة ص25. (شبّر).

(1) تابع حول قصة هجرة الرولة. بوركهاردت، ص249 و308. أيوب صبري، الجزء الثالث، ص270. جارماني: نجد الدنيا، ص195.

(2) أنظر على سبيل المثال روسو: ص58، 82.

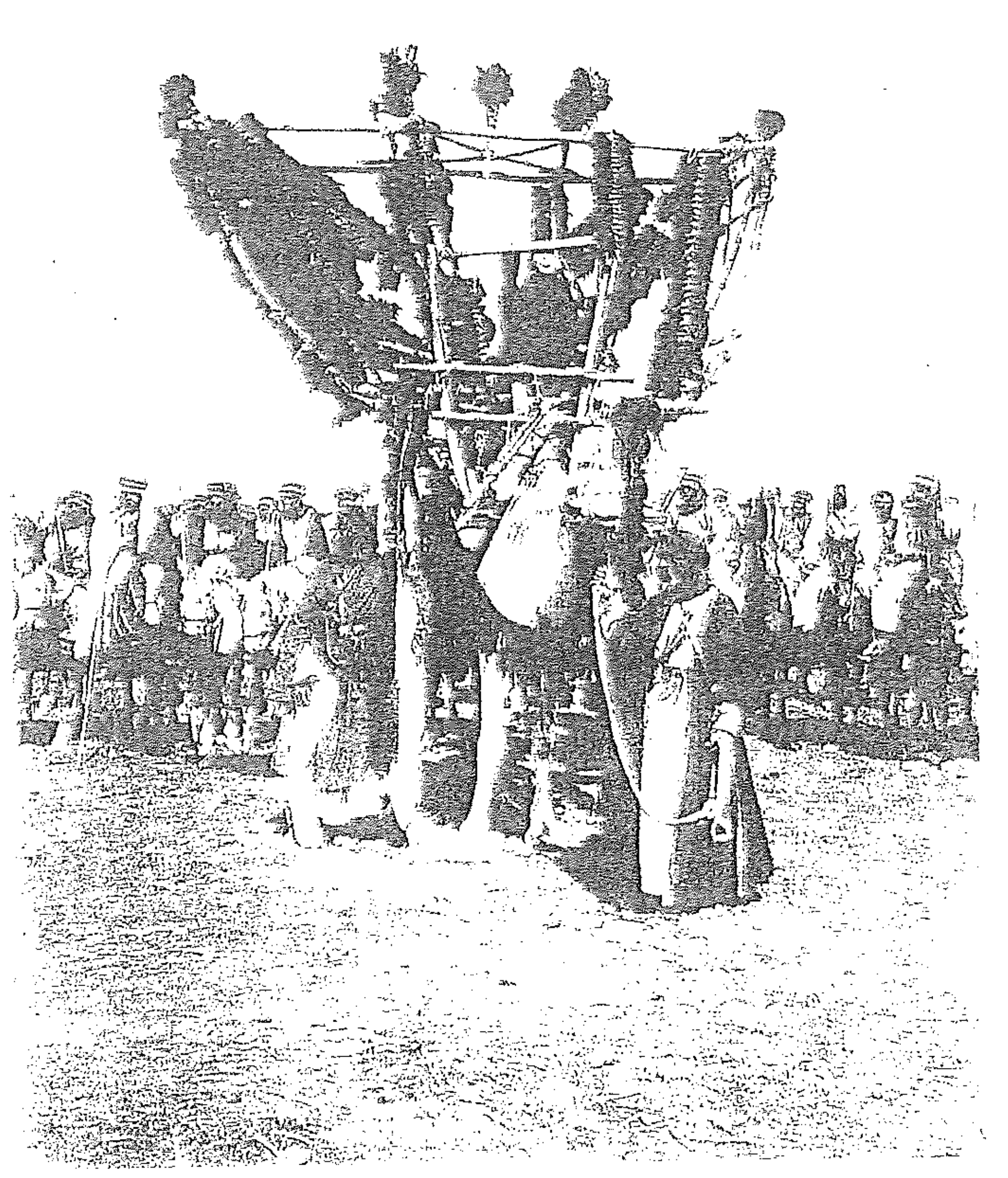
التالي، رافق الرولة آل سعود في غارة على حوران.

في العقود التالية، تزايدت حاجة القبيلة إلى مراعٍ جديدة، نتيجة تزايد قطعانها، خاصة بعد أن حالت هجرة العمارات بينها وبين الفرات. فأين يمكن العثور على مراعٍ كهذه؟. كانت أقرب المراعي تقع في النقرة، التي كانت الرولة تشتري مؤونتها الشتوية منها، حين كانت تنزل فيها فترة قصيرة من كل عام ضيفاً على ولد علي. بما أن بقية سورية كانت موزعة منذ وقت طويل: "البلقاء ممتلئة بأهل الشمال، وحوران بالزبيد، والمرج ينتشر فيه أكثر فأكثر النعيم والعقيدات، وأسعار الحبوب المرتفعة تؤدي إلى عمران القرى القاحلة، وقبائل ديرة الشنبل تحمي مراعيها بالرشاشات"[1]، وبما أن ولد علي كانوا يرفضون منح الرولة حقوقاً إضافية، وأبوا تقاسم منطقتهم معها، فقد نشبت بينهما حرب طويلة إنتهت بفوز الرولة بما سعت إليه. حققت الرولة بعض التقدم في سورية بهذا الأسلوب، ونجحت في حماية حدودها من شمّر داخل جزيرة العرب، حيث تفاقمت تناقضات القبائل بتفاقم التنافس بين أسرتي شيوخ أبناء شعلان وأبناء رشيد، الذين أجبروا واحات الجوف على دفع الضرائب، بمجرد أن أقاموا إمارتهم في حائل (1838)م، ثم ضموها إليهم عام 1853م، وعينوا عليها حاكماً من قبلهم. إعتبر أبناء الشعلان هذا الوضع انتقاصاً من حقوقهم القديمة، رغم أنهم ظلوا كما في السابق يتلقون الخوّة من هناك. في الستينات حاولوا استعادة الجوف ولكنهم لم يحققوا نجاحات دائمة[2]. وبقي الأمر كذلك إلى أن أتاحت لهم الظروف المذكورة في الصفحة 133 أعلاه الإمكانية لشنّ هجوم جديد.

عندما وصل نبأ مقتل الأمير سعود بن حمد بن رشيد في أيلول من عام 1908م إلى الجوف، فر حاكمها إلى الرياض، وأعلن أحد أكثر أعيان الواحة نفوذاً تأييد نوري ابن شعلان، شيخ مشايخ الرولة. رفض نوري التدخل، فما كان من ابنه

(1) كلمات شيخ من الرولة. فيتسشتاين: حوران، ص138.

(2) جارماني، ص196. بلنت: الحج، الجزء الأول ص118. موزيل: نجد الشمالية، ص288. فيلبي في الجزيرة الجغرافية، جزء62، ص243.



مركب (هودج) الرولة ـ عنزة (1899م)

نواف إلا أن لبى النداء، وذهب مع زمرة قليلة من الرجال إلى الجوف، ليحاصر حامية ابن رشيد التي تمترست في أحد الحصون. كان نوري لا يزال ينأى بنفسه عن التدخل، ولم يعلن الحرب على شمّر إلا بعد حصوله على مباركة آل سعود. تواصلت معارك الجوف طوال أشهر، وعندما احتل نواف المكان، كان الرولة قد غادروه منذ وقت طويل إلى مناطق انتشارهم الصيفية[1].

عانت الرولة كثيراً من غزوات شمّر خلال الشتاء التالي، فقرر نوري ابن شعلان القيام بإجراء حاسم، بعد أن ضمن مساعدة فهد ابن هذّال. وقد وضع خطة قامت على التقاء الرولة والعمارات عند ماء الجميمه، في منتصف الطريق بين النجف وحائل لانتظار قوة عسكرية من آل سعود. تلقى ابن رشيد، أو بالأصح الوصي على حائل زامل السبهان، أخباراً عن الخطة، فانقض دون إبطاء على مجنبة عنزة المتقدمة، وغنم قطعان جمال عديدة انتزعها من قبيلتي الصقور والكواكبة، اللتين كانتا جناح الحملة الخارجي. بدأت عنزة عندئذ مطاردتها له. وحين أبلغها رجال الإستطلاع في وقت متأخر من بعد الظهر أنه في وادي الفيحان، إقترح فهد شن هجوم ليلي، وقرر نوري الإنتظار إلى اليوم التالي، كي لا يتمكن العدو من الفرار. من جانبه، سحب ابن رشيد قواته من الوادي ونشرها في التلال. حين شنت هجومها مع الفجر، جوبهت عنزة بمقاومة شديدة من مواقع شمّر الجديدة، واضطرت إلى التقهقر بعد تكبدها بعض الخسائر[2].

تمسك نوري وابن هذال بخطة الحرب الأصلية وأصروا على تنفيذها، رغم كل شيء. يصف الجاسوس الانجليزي ليجمان[3]، الذي رأى جيش عنزة يوم 12 شباط من عام 1910م، إنطباعاته بالكلمات التالية: كانت الصحراء تعج بكتل متموجة من البدو تترامى على مرمى البصر. وقد روى له الشيوخ أنهم لا يستطيعون

(1) موزيل: صحراء جزيرة العرب، ص110 و162 و279 و283 و290 و298.
(2) محمد البسام، خريف 1915م.
(3) الجريدة الجغرافية، المجلد 37، ص267.

تذكر مناسبة أخرى خرجت فيها عنزة بقوة مماثلة إلى الحرب. وصل الجيش إلى بركة الجميمة في الخامس عشر من الشهر. بما أن قادته خشوا أن لا يكون الماء كافياً، فقد سمحوا باستسقاء الناس وجمال الركوب فقط، ومنعوا تقديم الماء إلى حيوانات الحمل. حين بلغهم أن ابن رشيد يقف على مسيرة يومين إلى جنوبهم، أعدوا معسكرهم للحرب. إنضمت إلى الجيش مجموعات قوية حسنة التسليح من المعدان، قدمت من وادي الفرات، فاستقبلوها بهجمات وهمية وطلقات البنادق. أما النيران الكثيفة، التي سمعت أصواتها بعد أيام قليلة من بلوغ الجميمه، وعزيت إلى وصول قوات جديدة، فقد أطلقها في حقيقة الأمر جيش ابن رشيد، الذي كان يقترب وعلى ظهر كل واحد من جماله رجلان. فوجيء العنزة، ووجدوا بالكاد الوقت لجمع جمالهم. وبعد أن فروا جماعات جماعات من المعسكر مخلفين وراءهم نساءهم وأطفالهم، تقدم العدو من الجهة الأخرى مقتحماً الممرات بين الخيام، وأحجم عن ملاحقة مقاتلي القبيلة، بسبب هبوط الظلام. نهبت شمّر المعسكر صبيحة اليوم التالي، وسقط عدد كبير من الأسرى في يديها، بينها كانت تركية أرملة شيخ المشايخ السابق سطام باشا، التي أرسلها الوصي، زامل السبهان، مع كلمات استهزاء من نوري، إلى الجوف، مع النساء الأخريات اللواتي أعادهن إلى أزواجهن.

لم يغير انتصار ابن رشيد الوضع على الحدود[1]. واستمرت غزوات السلب والنهب المتبادلة بين الرولة والشمّر، إلى أن بلغت الحرب العالمية شمال الجزيرة العربية.

وقد وصفت في الصفحة 134 من هذا الكتاب الوضع السياسي وموقف الرولة خلال الحرب. فبعد استيلاء الوهابيين على حائل (تشرين الثاني 1921م)، إختفت مملكة شمّر التي تزعمها أبناء رشيد. وصارت جزيرة العرب، التي توحدت من

(1) أدى هجوم مباغت قام به ابن رشيد في مطلع عام 1914م ضد الجوف إلى احتلال دام أياماً ثلاثة لسكاكا، الواحة الثانية من حيث حجمها في المنطقة.

الآن فصاعداً تحت حكم آل سعود، جار الرولة الجنوبي. في هذه الظروف المتغيرة، إنقلبت علاقة الصداقة بين الجارين إلى نقيضها، وبما أن الشعلان لم يرضخوا عن طيب خاطر لآل سعود، صارت الحرب بينهما حتمية. باغت غزو وهابي، اجتاز في أيام قليلة مئات كثيرة من الكيلومترات تفصل مناطق جزيرة العرب الداخلية عن وادي السرحان، الرولة قرب واحة كاف صباح 16 أيار من عام 1922م، غير أنها صدته وكبدته خسائر فادحة. ذلك كان انتصاراً عابراً لم يمنع ضياع الجوف نهائياً في تموز من العام ذاته[1]، وسقوط كاف، والتنازل في اتفاقية حدّا (2 ـ 11 ـ 1925م) عن كامل أراضي قبيلة ابن الشعلان الجنوبية لآل سعود[2].

تتمتع الرولة بتماسك تفتقر إليه أية قبيلة أخرى من عنزة، يرجع إلى الشخصيات القوية التي أنجبتها أسرة شيوخها. لكن هذا التماسك تراخى في العقود الأخيرة، بسبب الدعاية الوهابية، التي أثرت على الرولة أيضاً وأدت إلى تمزقها السياسي. عام 1916م، إنضم الشيخ درزي ابن دغمي إلى آل سعود، وتبعته قبيلته، الدغمان، عام 1922م، حين احتل الوهابيون الجوف. ومع أن الرولة إعتنقت جميعها الوهابية بعد عام 1926م، فإنها لم تستطع وضع حد لانقساماتها. منذ ذلك الوقت، لم يعد الدغمان إلى سورية من جديد[3]. ولم يقصد الكواكبة الشمال أبداً بعد عام 1925م، رغم المكانة الخاصة التي كانت لهم هناك ـ ولأسباب أخرى[4].

يبدأ ارتحال الرولة في شهر آذار من كل عام، ويتم بصورة بطيئة جداً. وقد درجت على بلوغ مناطقها الصيفية خلال شهر حزيران، ومغادرتها من جديد نحو الجنوب في شهر أيلول، حيث تبقى من تشرين الثاني إلى آذار من العام التالي. تستخدم القبيلة طريقين في ترحالها: واحدة يستخدمها في الآونة الأخيرة عدد قليل

(1) فيلبي في الجريدة الجغرافية، جزء 62، ص243.

(2) الشرق الحديث، جزء 6، ص14.

(3) تيرييه، ص21.

(4) أنظر تحت الملاحظة79 حول الجدول.

من أفخاذها، تقود إلى النقرة عبر وادي السرحان، وأخرى تمر بالحماد ثم تنقسم بمحاذاة دمشق وتذهب إما إلى الشمال نحو تدمر ومن هناك إلى القريتين ـ الضمير، أو نحو الغرب عبر الصيقل إلى خان الشامات ـ الضمير، لتبلغ كتلة الرولة الكبرى من هناك النقرة والجولان (الشيخ سعد ـ تل الجوخدار ـ فيق). بينما يقصد قسم صغير منهم مراعي حمص من القريتين مروراً بالفرقلس، ويتوغل من حين لآخر إلى داخل البقاع.

تراجعت تربية الجمال تراجعاً شديداً منذ نهاية الحرب لدى الرولة، لأن الطلب عليها تناقص بشدة. في السابق، كان الرولة يبيعون من ثلاثين إلى خمسة وثلاثين ألف جمل في الجولان. بينما باعوا عام 1927م قرابة اثني عشر ألفاً منها، قبل أن ينزل العدد إلى حوالى ثمانية آلاف فقط. أما الضرائب التي كانت تجبيها، فلدينا عنها رقمان هما: 3500 ليرة تركية عام 1907م، و2000 ليرة عام 1908م[1].

تسلحت الرولة في أعقاب الإنسحاب التركي (1918م)، ويمكن القول إنه يوجد في كل واحدة من خيامها بندقية حديثة الطراز، فضلاً عن ثلاث رشاشات تمتلكها القبيلة ذاتها[2].

ثمة عروة وثقى تشد المحلف، (السوالمة، والعبدالله، والأشاجعة) إلى الرولة. بل إن القبيلتين شكلتا إلى بداية القرن التاسع عشر قبيلة واحدة هي الجلاس. يخيم المحلف عادة إلى الشمال من الرولة.

(1) موزيل: الرولة، ص58. يرجع الفارق إلى أن قسماً من الرولة خيم في الأعوام الأخيرة مع العمارات، وتطبع بطباعهم.

(2) تيربيه، ص14 و24.



سطام بن شعلان ـ شيخ مشايخ الرولة ـ عنزة (1899م)

أسرة شيوخ الرولة

غدت أسرة ابن الشعلان أكثر أسر شيوخ شمال جزيرة العرب أهمية، وهي مكانة لا تعود إلى نبالة موروثة، بل ترجع إلى السمعة التي اكتسبها شيوخها فيصل، وسطام باشا، والنوري، خلال حكمهم الطويل.

هناك حكاية حول أصلها تقول[1]: كان شعلان راعياً فقيراً يعمل في خدمة المرعض (ب III 1). وبينما كانت الرولة تنصب خيامها ذات مرة قرب واحة في نجد تركت جمالها تلتهم الزرع ثم سرقوا خراف ومعز السكان، ولكن سكان الواحة إستولوا على الجمال وهددوا بتركها تموت جوعاً. أراد شيخ البدو تسوية الموضوع بالحسنى، لكن شيخ القرية رفض مفاوضة أحد غير شعلان، الذي كان من معارفه. وافق الأول على طلب الثاني وأعطى ختمه للراعي، الذي طلب ضمانات من الفرجة والربشان (ب III 3، 4 ح) بتنفيذ ما قد يتم الوصول إليه من اتفاق، وحصل عليها بعد وقت قصير. عندئذ، تم تبادل القطعان المسروقة، وتخلىٰ الفلاحون عن التعويضات التي كانوا قد طلبوها عن حقولهم المخربة. لكن شعلان احتفظ بالختم، ثم تخلص بعد أربعة أعوام من الشيخ بمساعدة الفرجة والربشان وأهل الواحة، وتولى قيادة الرولة. بهذه الطريقة، إنتقلت المشيخة من القعقاع (ب III 4) إلى الشعلان.

تنقسم عشيرة الشعلان إلى خطين رئيسين: المشهور والعبدالله. وقد أزاح

---

(1) موزيل: الرولة، ص51 .

العبدالله المشهور في مطلع القرن التاسع عشر. ومع أننا لا نمتلك معطيات أكثر حول هذا الحادث، فإننا نعرف أنه سبب جفاءً عميقاً بين الأسرتين استمر إلى أيامنا، وتحول في منتصف القرن التاسع عشر إلى حرب دامية حسمتها موقعة تل الجوخدار (1858م)، التي أعقبها تخلي المشهور عن شيخهم الأكبر فيصل بن نايف ابن عبدالله، وانضمامهم في اليوم التالي إلى ولد علي. في هذه الأجواء، أمر فيصل بقتل برجس المشهور، ثم سقط هو نفسه عام 1864م ضحية عمل ثأري[1].

لم يعرف الشعلان تعاقباً وراثياً ثابتاً: فقد أعقب فيصلا ابنه طلال، ثم أخوه هزاع[2]، وأخيراً ابن أخيه سطام، الذي كان والده حاكماً قبل فيصل. عرف سطام، الذي حكم منذ أواسط السبعينيات، كيف يستخدم طريقته الرصينة للحفاظ على مصالح الرولة رغم تعاظم نفوذ الحكومة على البدو. وقد تلقى لقب الباشوية وبعض القرى هدية من السلطان عبد الحميد، وقد زرته شخصياً عام 1899م في النقرة. مات سطام باشا في شتاء عام 1901م في فروع الوديان، في منتصف الطريق بين دمشق ونجد، تاركاً وراءه أربعة أبناء، هم: مشعل ـ أمه ثقلا بنت فايز بن جندل[3] من شيوخ السوالمه ـ خالد وممدوح ـ والدتهما تركية أخت شيخ الفدعان تركي ابن مهيد، وطراد ـ أمه من قبيلة السرحان ـ. تولى مشعل، الإبن الأكبر، الحكم بموافقة الحكومة، رغم أنه تخطى أبناء هزاع، سلف سطام: فهد والنوري. كان مشعل يخيم حتئذ مع فهد ونوري، فانفصل الآن عنهما ولازم زيد والمجول، فخذي الشعلان، اللذين دعما ترشيحه بقوة. وقد أخفقت جميع مساعي فهد ونوري لاجتذابه من جديد إليهما.

ذهب مشعل، ذات يوم، إلى دمشق لأمر يخص القبيلة، يصحبه خمسة فرسان من الرويشدات، فتبعه نوري برفقة اثني عشر محارباً إلى أن أدركه في اليوم

(1) فيتشتاين: حورأن، ص138 . جارماني، ص33 و197 .

(2)حوالى عام 1870م. تابع موزيل. الرولة، ص397 و577 .

(3) كانت متزوجة من سطام عم هزاع قبل ذلك. وكان لها من هذا الزواج ولد هو النوري، وهو أخ غير شقيق لمشعل.

الرابع عند الصيقل، على مسير ست ساعات من الضمير. سقط مشعل في تبادل إطلاق النار الذي تم بين الجانبين (1902م)، فسارع نوري إلى العودة كي يستولي على المركب، علامة المشيخة. لكن تركية، أرملة سطام، عارضته، بدعم من زيد ومجول، وأجبرته على الإنسحاب من المكان، ثم سافرت إلى دمشق كي تعين ابنها خالد في منصب الشيخ. من جانبهما، ذهب نوري وفهد إلى هناك لتمرير مطالبهما[1]. فوض الوالي ـ ناظم باشا ـ متصرف حوران ـ إبراهيم فوزي باشا ـ البتّ في الأمر، لأن الرولة كانت آنذاك في مقاطعته، فنظم استفتاءاً بين قادتها في الجوخدار، وقرر تعيين فهد شيخ المشايخ وألزمه بدفع 300 ليرة تركية سنوياً كتعويض إلى منافسه خالد.

بقي فهد أعواماً ثلاثة سيداً أوحداً للقبيلة. لكنه تشاجر عام 1904/ 1905م مع نوري، الذي سعى بدوره إلى الحصول على تعويض مرتفع منه. إتجه الرجلان، بمجرد أن قادهما الصيف من جديد إلى ضواحي دمشق، إلى الحكومة، حيث حاول كل منهما تقديم عرض ضريبي يغريها بمبالغ أكبر، علّه يكسب بذلك دعم الوالي، الذي حدد من جانبه عائداً ضرائبياً إجمالياً قدره ثلاثة آلاف ليرة تركية، جعلهما مسؤولين كلاهما عن دفعه مناصفة، وترك لهما اقتسام ما يفيض عنه من مدفوعات الرولة. بعد عودتهما إلى مضارب القبيلة، دعا نوري أخاه فهد، الذي كان قد أرسل أبناءه لجباية الضرائب، وأمر رميح ابن المعبهل بقتل فهد خارج الخيمة عقب تناول طعام الغداء. وكان نوري قد استولى في الليلة ذاتها على المركب ووضع يده على قطعان فهد، التي ضمت ثلاثة آلاف جمل وأحد عشر حصاناً. فر أبناء القتيل إلى رشيد ابن سُمير، شيخ ولد علي في عين ذكر، وذهبوا من هناك إلى دمشق لإقامة دعوى قضائية. أجبر الوالي نوري على رد قسم من الممتلكات. لكن السلام لم يستتب بين أسرتي الأخوين، وقد حاول أبناء فهد مرات كثيرة الثأر من نوري، لكن محاولاتهم أخفقت أول الأمر[2]، ثم أدت إلى هزيمته بعد بضعة أعوام.

---

(1) طلب الحزبان عون وجهاء دمشق: تركي عون محمد باشا العظم، ونوري عون عبد الرحمن بيك اليوسف.

(2) كتب الفصل السابق والتالي وفق إخباريات قدمها محمد البسام في تشرين الأول عام 1915م. يقترب

إنفجرت عام 1909م انتفاضة درزية قمعها سامي باشا، الذي ألزم الدروز بتسليم أسلحتهم، ومنع، في الوقت نفسه، البدو من الإنقضاض عليهم، لأنهم أصبحوا شعباً أعزل. عندما اختطفت الرولة في شباط من عام 1910م عدداً من قطعان الدروز، وتعرض نوري للمساءلة، زعم أن برد الشتاء أودى بالقسم الأكبر من المواشي، وأنه لا يستطيع، لهذا السبب، رد القطعان المسروقة. عندئذ، أمر سامي باشا باعتقاله وتسليم قطعانه إلى الدروز، وعين فارس، الابن البكر لفهد شيخ مشايخ على الرولة. بعد موت سامي باشا، في العام ذاته، شعر فارس أنه لم يعد آمناً، ففر إلى رشيد ابن سُمير، الذي كان يتعاطف علناً مع أبناء نوري، الذين كانوا في هذه الأثناء قد تقربوا من أبناء سطام أيضاً، وجد فارس نفسه معزولاً كلياً. وأخيراً هرب وتخلى عن المركب "المشيخة"، لتعود قيادة القبيلة من جديد إلى نوري، الذي صالحه عندئذ. وكان قد صدر عفو عن نوري عام 1912م، قبل فترة قصيرة من نشوب حرب البلقان، توطدت مكانة نوري منذ ذلك الوقت ولم تتعرض لأي اهتزاز، بل إنه منح لقب الباشوية فيما بعد، ودأب في الآونة الأخيرة على أن يكنىٰ بـ"الأمير"[1].

جمع نوري ثروة خاصة كبيرة، رغم ضياع واحتي الجوف والكاف، فهو يمتلك بيتاً في دمشق وأراضي وسيارات عديدة. وقد قدم موزيل في مواضع كثيرة من كتابه الجديد حول رحلاته، وخاصة في البند الخاص بالرولة (الصفحة 58 وما يليها) معلومات دقيقة عن أوضاعه المالية قبل الحرب، تخبرنا أن مصادر دخله الرئيسة كانت واحة كاف، حيث يوجد وكيل ينوب عنه (هو من العبيد بطبيعة الحال)، يقدم له كل عام ضرائب تبلغ خمسمائة مجيدي، مع أنه ـ نوري ـ لا يملك، على ما يبدو، أرضاً في الواحة، بعكس أبناء عائلات الشعلان الأخرى كعائلة سطام وطلال. إلى هذا فرض نوري رسماً يعادل نصف سعر كل حمل ملح يصدر من كاف. وعادت الإضافة التي فرضها على ضرائب الحكومة بربح هائل

عرض موزيل في صحراء جزيرة العرب، ص 238 ، من عرض بسام، لكنه يظهر الميل إلى تبرئة نوري من مقتل أخويه مشعل وفهد.

(1) تيرييه، ص 22: «قدمنا له لقب أمير، الذي كان راغباً هو نفسه فيه».

عليه، قدرته مصادر رسمية بـ 12٪، لكنه رفعه إلى أن بلغ قرابة خمسين بالمائة من قيمتها، كما يقال، وهو سلوك يقال إن الشيوخ المحليين احتذوه فيما يتعلق بالضرائب التي تؤديها قبائلهم. تلقى نوري أيضاً بعض المال من الأتراك، الذين ما لبثوا أن زادوه كثيراً إبان حكم الملك فيصل. بالإضافة إلى ذلك، يجب أن لا ننسى الخوّة المفروضة على المرور في وادي السرحان، ونصيبه من الغنائم، وعائدات قطعانه، التي كان يبيع منها كل عام من عشرين إلى ثلاثين جملاً، ومن أربعة إلى خمسة خيول. هذه الواردات قابلتها نفقات تصل إلى حوالى 1200 ليرة تركية، صرفت من أجل شراء مواد غذائية وعلف خيول وثياب وخيام وذخيرة، دون حساب نفقات الهدايا والضيوف. أخيراً، كان نوري يدفع حصصاً من الإضافات الضريبية تذهب إلى زعماء عائلات سطام (150 ليرة تركية) ومجول (20 ليرة تركية) ومشهور (50 ليرة تركية)[1].

رغم دخله المرتفع، عاش نوري حياة غير مريحة في الصحراء. ذلك أنه فقد سلطته على عائلته، بينما انهمكت نساؤه وعبيده في سرقته، فلم يبق لديه بالكاد أية فرصة لقضاء لحظة هانئة في خيمته، أو لتناول طعامه بهدوء[2].

إستقر نوري بعد الحرب العالمية في دمشق، حيث تعرضت صحة الشيخ الذي تخطى الثمانين إلى متاعب شديدة في سنواته الأخيرة، حتى أن المرض كان قد فتك به عام 1929م، عندما قابلته في بيته الدمشقي، الذي امتنع تماماً عن الخروج منه.

لم يبق من أخلاف نوري المذكور غير حفيده فواز، الذي كان في شبابه بدوياً حقيقياً[3]، ثم تعلم عادات أوروبا الحسنة والقبيحة، بعد أن زارها مرتين. وهو اليوم نائب الرولة في البرلمان.

يعتبر ابن أخ نوري مقحم بن محمد أكثر الشعلان اجتهاداً ونشاطاً.

---

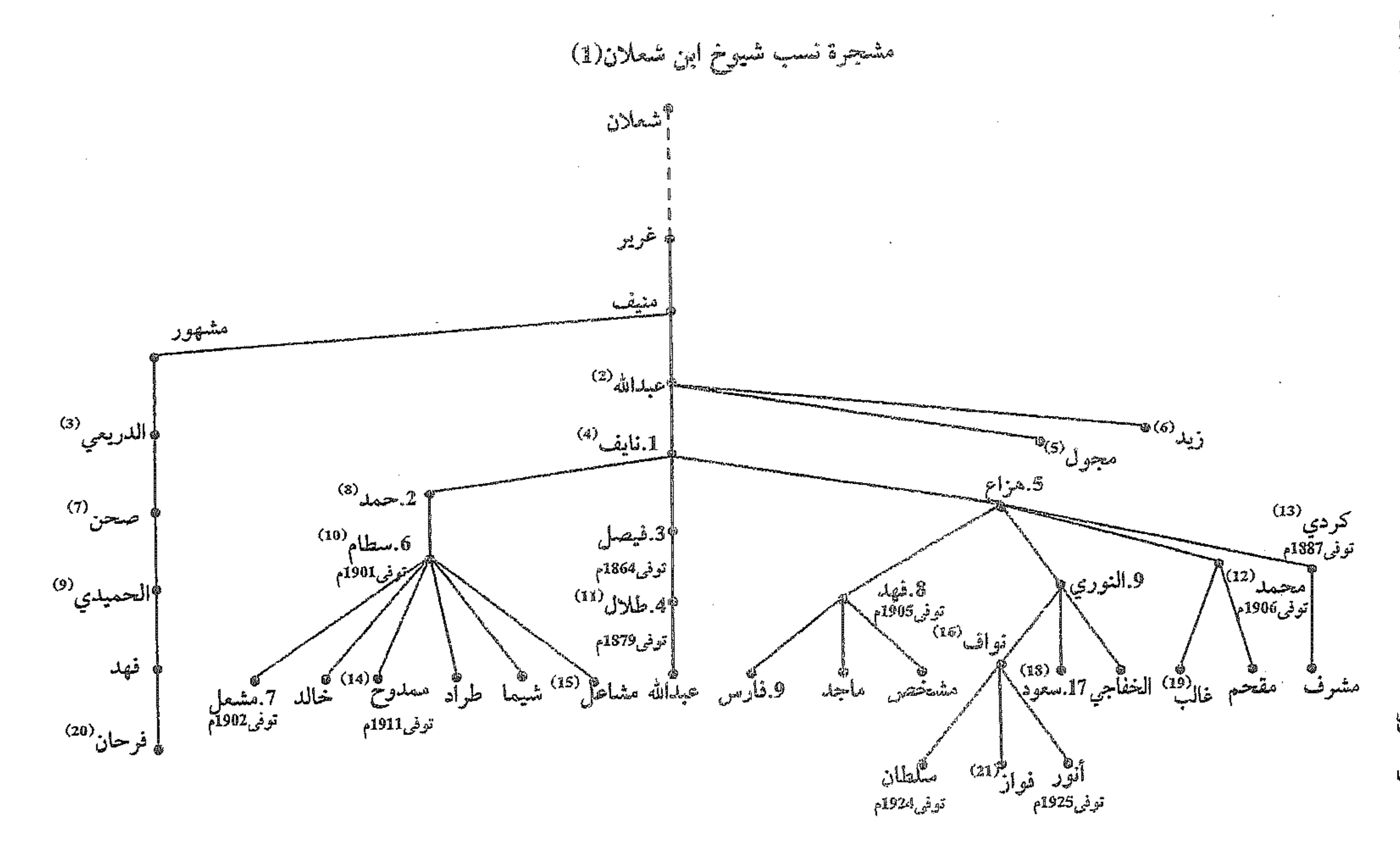
(1) بما أن موزيل يقدر حصة نوري بـ 150 ليرة تركية، يمكننا استنتاج أنه لم يكن يحصل إلا على 12٪ من الضريبة التي كانت تبلغ 3000 ليرة.

(2) صحراء جزيرة العرب، ص294 و316.

(3) راسوان: في أرض الخيام السود.



النوري بن شعلان، شيخ مشايخ الرولة ـ عنزة (1927م)



مشجرة نسب شيوخ ابن شعلان(1)
شعلان
غرير
منيف
مشهور
عبدالله(2)
1.نايف(4)
زيد(6)
مجحول(5)
الدريعي(3)
صحن(7)
الحميدي(9)
فهد
فرحان(20)
2.حمد(8)
6.سطام(10)
توفي1901م
3.فيصل
توفي1864م
4.طلال(11)
توفي1879م
5.هزاع
كردي(13)
توفي1887م
8.فهد
توفي1905م
9.النوري
محمد(12)
توفي1906م
نواف(16)
7.مشعل
توفي1902م
خالد
سمدوح(14)
توفي1911م
طراد
شيما
مشاعل(15)
عبدالله
9.فارس
ماجد
مشخص
17.سعود(18)
الخفاجي
غالب(19)
مقحم
مشرف
سلطان
توفي1924م
فواز(21)
أنور
توفي1925م

ملاحظات حول مشجرة نسب أسرة شيوخ ابن شعلان

1 ـ هو أساس شجرة النسب الموجودة عند تيرييه، لكننا صححناها وفق مصادر أخرى وملاحظات خاصة. تستند الأنساب الموجودة لدى ر. هارتمان في مجلة جمعية الشرق الألمانية، المجلد 84، الصفحة 269، إلى معطيات كتاب موزيل حول رحلته.

2 ـ "كان عبد الله ابن منيف أول شيخ قاد الرولة إلى حوران" (سُطام باشا).

3 ـ حكم أوائل القرن التاسع عشر. جدول لامارتين. شبرنغر، رقم 40.

4 ـ (اخو دنيا). موزيل: الرولة، ص589.

5 ـ موزيل. الرولة، ص53.

6 ـ ينتمي إلى أسرة زيد الشاعر خلف الأذن، الذي قتل شتاء عام 1913/ 1914م في معركة مع شمّر. موزيل: شمال نجد. ص110. أما تاريخ ابنه الغريب، فهو في: صحراء جزيرة العرب، ص240 وما يليها. ص236 وما بعدها والرولة.

7 ـ حدث خطأ في شجرة تيرييه بينه وبين ابنه حميدي، الذي ينتمي إلى جيل سطام، بينما يذكر صحن في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر. أنظر الصفحة 250. نجد الشمالية، ص271.

8 ـ موزيل: الرولة، ص 57.

9 ـ بلنت: الحج، الجزء الأول، ص 249.

10 ـ (أبو منصور). لعبت أرملة سطام تركية دوراً كبيراً في حياة أسرة الشعلان بعد موت عقيلها، لهذا يوصف أولادها دوماً بعيال تركية، أنظر الوصف الهام في صحراء العرب، 216.

11 ـ سقط في معركة ضد ولد علي، بلنت. الحج، الجزء الأول، ص 249.

12 ـ صحراء جزيرة العرب، ص 4.

13 ـ سقط في معركة ضد الفدعان. موزيل، الرولة، ص 597.

14 ـ سقط في معركة ضد شمّر. صحراء جزيرة العرب. ص 421.

15 ـ بنت تركية. تزوجت أول الأمر من محمد ابن هزاع، ثم من نواف ابن نوري، وأخيراً من فارس ابن فهد.

16 ـ تزوجت أول الأمر من نواف ابن نوري، ثم من شيخ الحسنه فندي بن ملحم.

17 ـ تيرييه، ص 23.

18 ـ سقط في معركة ضد الحويطات. الصحراء العربية، ص 421.

19 ـ تسلم مناصب عليا في شرق الاردن. أنظر: الشرق الحديث، الجزء الثاني، ص 110 ـ 229.

20 ـ تحت تأثير التوتر القديم، القائم بين عائلة مشهور وأسرة الشعلان الحاكمة، إنضم فرحان المشهور عام 1925م مع حوالى 150 ـ 200 خيمة إلى الوهابيين. وكان من معارضي سياسة السلام التي اختطها آل سعود، وشارك في الانتفاضة التي قامت ضدهم عام 1929م في نجد. فيما بعد، عاش كلاجئ سياسي في مملكة العراق، ويقال إن فواز، حفيد نوري، قتله قبل فترة (1935م) خلال إحدى الرحلات. أنظر: أم القرى، العدد رقم 170، 175، 236، 249؛ تيرييه، ص 19: الشرق الحديث، الجزء الخامس عشر، ص 212.

21 ـ تزوجت إحدى بناته من الملك عبد العزيز آل سعود عام 1935م، والثانية من ابنه سعود عام 1936م.

مشجرة نسب عنزة

إذا كانت المقاطع السابقة تخبرنا أن بعض أقسام عنزة تعيش حياة مستقلة تمام الاستقلال، فإنه سيكون من الخطأ استخدامها لإنكار وجود أية روابط بينها، تشدها بعضها إلى بعض. إن وعي الإنتماء المشترك لا زال حياً بين هذه الأقسام، رغم تناقضاتها الكثيرة. وتعتبر شجرة نسب القبيلة رمزاً لهذا الوعي، يظهرها بمظهر أسرة كبيرة واحدة.

تتميز شجرة نسب عنزة بقدر عظيم من البساطة، لأن تفريعاتها تشمل أجيالاً ثلاثة فقط، يرجع أصلها إلى عنّاز، الشخص الذي منح القبيلة اسمه. لسنا هنا إزاء جد أول اسمه عنزة[1] كذلك الذي نجده في أنساب العرب القديمة؛ هو أب يجهله أبناؤه الحاليون تمام الجهل، ولا يرون فيه خلفاً لأسد بن ربيعة، بل لشخص آخر اسمه وائل بن قريش. تعتقد عنزة إذن أنها ترتبط بصلة نسب مع قريش، صلة مختلقة في الواقع، تمليها عليها رغبتها في الإنتساب إلى نبلاء الإسلام، باعتبار أن النبي محمداً ينتمي هو أيضاً إلى قريش. أما اسم وائل، فهناك ما يسوغ إضافته إلى شجرة نسب القبيلة، بما أنه "أبو" قبيلة بكر في نظام الأنساب الكلاسيكي، التي كانت قد شكلت مع عنزة جماعة وحدة استمرت فترة طويلة، الأمر الذي نرىٰ فيه

(1) إستبدل بـ"عناز" لأن اسم عنزة كاسم شخص كان خارج التداول. هاتان الكلمتان يجب فصلهما معجمياً عن بعض، ذلك أن عناز يأتي من عنز (معز) ويعني راعي المعز، بينما عنزة تعني السيخ، أو حيواناً شبيهاً بالنمس. ومن المرجح أن الاسم يعود إلى المعنى الثاني

دليلاً على وجود "قرابة" بين القبائل التي تقوم على الجامعة السياسية.

ومن الملاحظ أن أبا القبيلة المزعوم عنّاز بقي مجرد شبح، بينما توجد روايات كثيرة حول وائل، الذي أعطى عنزة اسمه، فسمي أبناؤها أولاد وائل أو وائليين[1]. يقول بوركهاردت: يروي البدو أن سلف عنزة الأول الشهير وائل عرف بمحض الصدفة موعد ليلة القدر (ليلة الخامس أو السابع والعشرين من رمضان)[2]، التي يستجيب الله القدير فيها إلى صلوات البشر. وضع وائل يديه على قسم معين من ناقته ومن شخصه، ثم تضرع إلى الله أن يبارك ما تحت يديه. إستجاب الله لصلواته، فمنحه أسرة كثيرة الأبناء والبنات، وصار أخلافه أغنياء بالجمال.

تنتهي شجرة النسب إلى قبائل عنزة المختلفة، فيمثل الجيلان السابقان الجماعات الأكبر، التي انتمت هذه القبائل إليها أو خرجت منها، وهي البشر، وضنا مسلم، وضنا عبيد، والعمارات، وبني وهب، والجلاس[3]، وهي مجموعات لا تظهر بصفتها هذه، بل تبدو كأحفاد أو أحفاد أول لمن منحوها أسماءهم. إلى هذا، فهي أيضاً تكوينات مختلفة النوع، بما أن البشر والعمارات وبني وهب والجلاس هم ـ أو كانوا ـ قبائل حقيقية، بينما الضنا مسلم، والضنا عبيد ليستا، حسب دلالة كلمة "ضنا" غير "أخلاف" يفتقرون إلى طابع قبائلي خاص بهما[4]. أخيراً، من الضروري تقويم من منحوها أسماءهم بطرق مختلفة: إذ يعتبر

---

(1) Zdmg، الجزء الخامس، ص11 والجزء 22، ص166. دوتي، الجزء الثاني، ص446.

(2) إنه بالأحرى «موعد ليلة القدر»، التي تقع في الليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان. إنها الليلة التي أنزل فيها القرآن.

(3) العمارات معروفة. بالنسبة للبشر: أنظر الملاحظة رقم 34 من الجدول. أما بالنسبة إلى بني وهب، فانظر ص128 هامش 2 و3، والجلاس ص126.

(4) إكتسب مصطلح ضنا مسلم أهمية سياسية، رغم أنه لا يوجد أبداً قبيلة حملت هذا الاسم ـ إن التقسيم إلى "ذريات" موجود بالمناسبة ضمن قبائل عنزة المختلفة، مثل الفدعان وولد علي ـ، أما مصطلح ضنا وائل، الذي نقابله من حين لآخر، فيرجح أنه يصف مجمل قبائل عنزة.

الجد الأعلى الأصل الأول في حالة الضنا مسلم والضنا عبيد، لأنه أعطى الجماعة اسمها. في حين أخذ هو، في الحالات الأخرى، اسمه من القبيلة. بينما تعتبر أسماء كالمجلَس والعمار[1] مختلقة بالتأكيد، أو مركبة بطريقة مصطنعة من الجلاس والعمارات.

يختلف تراتب شجرة نسب عنزة إختلافاً جوهرياً عن التراتب السياسي المعمول به، المصور في الجدول التالي، الذي يذكر مجموعتي بشر (أ) وجلاس العليا (ب)، ويتجاهل المجموعات الدنيا عدا العمارات (أ III)، التي تكتسب الآن طابع قبيلة[2]. فيما عدا ذلك، تتطابق قبائل الجدول مع أعضاء النسق الأدنى من شجرة النسب، فالحجاج والمساليخ (ب I 3، 4)، اللتان تعتبرهما علوم النسب أنداداً للحسنه ـ تتبعان منذ وقت طويل، على كل حال[3]، إلى هذه القبيلة بالذات. كذلك يخلو الجدول من ولد سليمان (كقبيلة قائمة بذاتها على الأقل)، لأن كتلتها لم تشارك في الهجرة الكبيرة، بل بقيت في جزيرة العرب. هذه الفروق تجد تفسيرها الصحيح، إن افترضنا أن علم الأنساب يعكس الوضع الذي كانت عنزة تعيشه قبل الهجرة.

ثمة سبب آخر لظهور ولد سليمان في شجرة النسب، هو أنهم من أصل مغاير لأصل عنزة[4]، فجرى ضمهم إليها على أساس الإنتماء السياسي وحده. تمثل الحسنه، والمساليخ، والحجاج دخلاء من هذا النمط على الأرجح، وذلك لأن اسم النبهان[5] الجماعي، الذي حملته جميعها في الماضي، يصعب فصله عن اسم

---

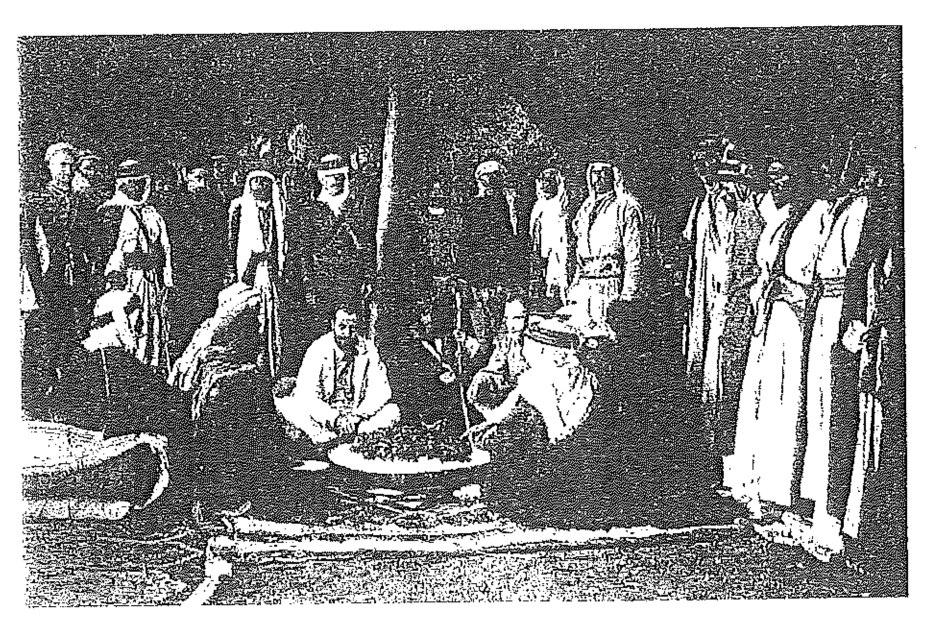
(1) في شجرة نسب ابن هذال: عماره.

(2) ليس لفترة طويلة بعد. أنظر الملاحظة 34 العائدة للجدول.

(3) تابع بوركهاردت، ص4.

(4) حسب الموروثات: جعافرة، أحفاد جعفر بن أبي طالب وبالتالي أبناء عم النبي. أنظر مقالة: عنزة في قسم الحجاز.

(5) يسمون اليوم منابهة، موزيل: صحراء جزيرة العرب، ص84. تابع دوتي، الجزء الأول، ص229. يتضح تغير الاسم بطريقة جد غريبة: من نبهان اخترع اسم منبه، ثم تشكل منه فيما بعد اسم قبيلة جديد هو منابهة.



في خيمة سطام بن شعلان. المؤلف في وسط الصورة (1899م)

قبيلة أخرى تحمل الاسم نفسه جاورت "عنزة" طوال مئات السنين في جزيرة العرب. لكن هؤلاء النبهان ينتمون إلى قوم طي (في جنوب الجزيرة العربية)، ثم ذابوا فيما بعد في شمّر. وإذا كان هذا التخمين صحيحاً، فإن قسماً منهم يكون قد ذاب في عنزة[1].

ينتمي آل سعود، بيت الملوك والحكام الحاليين، إلى المساليخ. هذا ما روجت له عنزة وتبنته سائر المراجع الأوروبية الرصينة منذ بوركهاردت[2]، دون أن يقلل تبنيها من خطأ هذه الفرضية. تقول الأنساب الأصلية التي نشرتها جريدة أم القرى المكية الرسمية يوم 15 حزيران 1928م (العدد رقم 182) بمناسبة وفاة الإمام عبد الرحمن، إن آل سعود ينتمون إلى ربيعة فعلاً لكنهم ليسوا من عنزة، بل من

---

(1) ليس واضحاً ما إذا كان نبهان عنزة أم نبهان شمّر هم من حل عام 1172هـ/ 1759م محل واصف، الجزء الأول، ص149. إن ذكر النبهان هنا إلى جانب عنزة، لا يعني شيئاً.

(2) بوركهاردت، ص381: البدو، الجزء الثاني، ص441. موزيل: الرولة، ص46: شمال نجد، ص270. ريحاني: ملوك العرب، الجزء الثاني، ص152. هكذا أيضاً مجحم ابن مهيد.

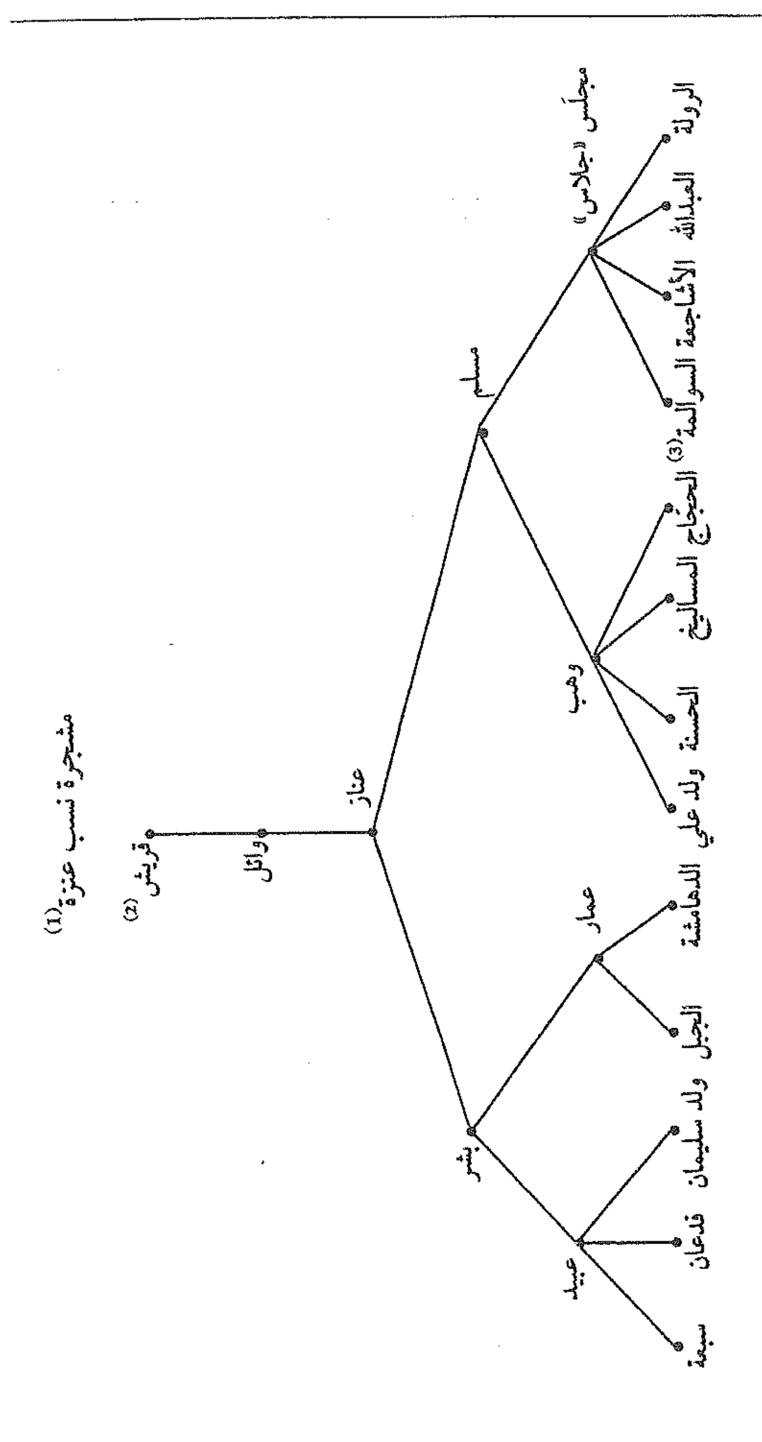
ذهل ابن شيبان من بكر ابن وائل[1][*]. بالمقابل، هناك قرابة حقيقية بين عنزة وبين بعض بيوتات أمراء جزيرة العرب، مثل آل مهنا (أبا الخيل) من البريدة[2]، والصباح في الكويت، وآل خليفه في البحرين. يتحدر البيتان الأخيران من فروع بني عتبه التابعة لجميلة[3]، التي تنتمي إلى عنزة أواسط جزيرة العرب. راجع صفحة 120 أعلاه.

(1) أكده الأمير شكيب أرسلان. تابع أيضاً محمد شكري الآلوسي: تاريخ نجد، ص90. يعتبر الآلوسي منطقة «عنيزة» موطناً لآل سعود.

(*) لقد أكد انتساب آل سعود إلى ربيعة، راشد بن علي بن جريس الحنبلي المتوفى عام 1298هـ في كتابه مثير الوجد في أنساب ملوك نجد ص116 ـ 117، تحقيق محمد بن عمر العقيل. الصادر في الرياض ـ دار الملك عبد العزيز ـ 1999. (شبّر).

(2) مقحم «مجحم» ابن مهيد. ريحاني: تاريخ نجد، ص86. موزيل، الرولة، ص46.

(3) محمد بن خليفة النبهان، الجزء الأول، ص70 و116. بالمقابل، يعدهم مجحم ابن مهيد على البجايدة.



مشجرة نسب عنزة(1)
قريش(2)
وائل
عنز
مسلم
وهب
بشر
عبيد
عمار
مجلس (جلاس)
الرولة
العبدالله
الأشاجعة
السوالمة(3)
الحجاج
المسالخ
الحسنة
ولد علي
الدهامشة
الجبل
ولد سليمان
فدعان
سبعة

ملاحظات حول مشجرة قبيلة عنزة

1 ـ سجل يوم 19 ـ 5 ـ 1913م. الراوي: مقحم بن مهيد. ترجع شجرة النسب التي يوردها تيرييه بدورها إلى مقحم. يقدم اوبتون أنساباً غير كاملة، ص229: أنساب الضنا مسلم: دوتي، الجزء الأول، ص229. عادات الفقرا، ص4. موزيل: صحراء جزيرة العرب، ص14.

يقارن بشجرة النسب تعاقب أسلاف ابن مهيد وابن هذّال، الذي يضم الأجيال القديمة من أجداد القبيلة. وكذلك سلسلة أجداد الفقرا، التي توجد في مقالة "عنزة" في قسم الحجاز.

2 ـ يرد اسم آدم في أنساب الفقرا. حسب دوتي، ولد وائل من اقتران "نشود الجمال" بقحطانية.

3 ـ تحشر أنساب الفقرا اسم منّبه بين حجاج ووهب.

عنزة (1)

آ ـ البشر(2)

I ـ الفدعان(3)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الوِلْد(4)	مقحم بن مهيد	صيفاً: أعالي الفرات والبليخ شتاءً: الصحراء السورية.	2925
أ ـ المهيد	مقحم بن مهيد		400
ب ـ الروس	شاشان الكره(5)		300
جـ ـ الشميلات	منادي بن منيخر(6)		400
د ـ العقاقرة «العجاجرة»	ابن حريميس(7)		750
هـ ـ الساري	جريب بن قاعد(8)		225
و ـ الحماتيش(9)	حمدان بن ضبيب		250
ز ـ الجراح(10)			200
حـ ـ الجدعان	حاكم بن قصير		200
ط ـ الكشور(11)			200
2 ـ الخرصة(12)	عبد العزيز بن قعيشيش	صيفاً: شرق البليخ شتاءً: صحراء سورية	1950

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أ ـ إمارة (الموير)(13)			
ب ـ الجفل	عبد العزيز بن قعيشيش		
جـ ـ ملحود	عبد العزيز بن قعيشيش		
د ـ رمث	عبد العزيز بن قعيشيش		1000
هـ ـ المكاثرة	عبد العزيز بن قعيشيش		
و ـ الخدلات	عبد العزيز بن قعيشيش		
ز ـ الخشتة	عبد العزيز بن قعيشيش		
حـ ـ الغبين	عبيد بن غبين(14)		150
ط ـ العوّاد(15)	عبيد بن غبين		200
ي ـ الجدعة	ابن عرنان		

ملتحق بها(16):

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أ ـ جعافرة (ولد سليمان)	بدر العواجي(17)		100
ب ـ السلمات	ابن جبل الشقاوي(18)		100
جـ ـ الخضاورة			300
د ـ الخمشة	جهبل أبا زهرة		100

II ـ السبعة(19)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أ ـ مجموعة ابن مرشد (القمصة)(20)		صيفاً: قرب سلميه	1150
أ ـ القمصة(21)	راكان بن مرشد	شتاء: الصحراء السورية	
1 ـ البطينات(22)	راكان بن مرشد		
2 ـ الرحمة	ابن سعيد(23)		

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
3 ـ الخمسان	هايس بن شلهوب		
4 ـ السحيب(24)	عزيز بن شتيوي(23)		
ب ـ المواهيب(25)			
جـ ـ الرسالين	ابن عيدة (26)		
1 ـ الشفيع	ابن بغداد		
2 ـ الهويشان	ابن مصلط		
3 ـ الجاسم	ابن نواق(27)		
4 ـ العجلان	ابن عيدة		
هـ ـ المصرب	صالح المصرب(28)		
	راشد المصرب		
2 ـ مجموعة ابن هديب (العبدة)(29)		صيفاً: قرب سلمية	1100
أ ـ المواليقة «المواليجة»	برجس بن هديب(30)	شتاء: الصحراء السورية	
ب ـ العرفه			
جـ ـ الدوام(31)	هزاع الفقفي(32)		
د ـ الوثرة:			
هـ ـ المسكة:	ابن جلادان(33)		
و ـ الرماح	ابن وايل(32)		
ز ـ العبادات	أحمد بن كردوش(32)		
حـ ـ المونيع			
ط ـ البيايعة	فرحان بن موينع(32)		

III ـ عمارات(34)
شيخ المشايخ محروت بن هذال

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الجبل(35)	محروت بن هذال	الصحراء السورية، الجزيرة	2000
ألف ـ الحبلان	محروت بن هذال		400
أ ـ الغشوم			
ب ـ الختارشة			
جـ ـ بسيسات			
باء ـ الصقور(36)			600
أ ـ الدهمان	حويك بن ضلعان(37)		
ب ـ الجلال	دريبي بن موجف(38)		
جـ ـ الزوين	ضبعان بن خضيري		
جيم ـ السلقا(39)			1000
أ ـ الشملان(40)	مرضي الرفدي(41)		250
ب ـ الحسنة	خشم بن تمران		150
جـ ـ المضيان	منضى بن دخيل		150
د ـ المطارفه	برجس أبو طيف(42)		250
هـ ـ البجايده(43)	صنهات بن شامان		200
2 ـ الدهامشه (العلي)(44)	جزاع بن مجلاد(45)	صحراء سورية وشمال جزيرة العرب	3120
أ ـ الزبنة(46)	جزاع بن مجلاد		850
1 ـ الصرمة			
2 ـ العرايف			
3 ـ الركعان			
ب ـ الجميشات			200

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
جـ ـ السويلمات(47)	عايد بن بكر		375
د ـ السلاطين	ابن صبر		375
هـ ـ الوطبة	راضي الديدب		220
و ـ الجلاعيد	بنيدر بن جلعود		300
ز ـ المحلف(48)	ضاري بن ضبيان		800
1 ـ العراضة			
2 ـ الجعبان			

ب ـ ضنا مسلم

I ـ الحسنه(49)

شيخ المشايخ طراد ابن ملحم المزيد

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1ـ الشمسي			
2 ـ العويمر			
3 ـ الحجاج		صيفاً قرب حمص والشتاء في الحماد	40
4 ـ المساليخ(50)	ابن يعيش(51)		100
5 ـ الصقره(52)			60
قبائل ملحقة			
1 ـ عمور(53) الملحم			
أ ـ البرقع			200
ب ـ آل عليوي			
جـ ـ عدوان			
د ـ الفواعرة(53)			
هـ ـ نعيم(53)			

II ـ ولد علي(54)

العشيرة	الشيخ	منطقة تجوال	عدد الخيام
1 ـ مجموعة ابن سُمير(55)	ابن سمير	النقرة	
أ ـ آل عواض(56)	عناد بن سمير		50
ب ـ العطيفات(56)			100
جـ ـ المقيبل(56)			40
د ـ الدمجان	عناد بن سمير		150
هـ ـ الجذالمه	ابن دويخي		60
2 ـ مجموعة الطيار	سلطان الطيار	صيفاً: قرب الضمير شتاءً: الحماد	
أ ـ المشادقة	سلطان الطيار		30
ب ـ الحمامدة(57)			50
جـ ـ الطلوح			30
د ـ الجبارة(58)			50

III ـ الرولة(59)

شيخ المشايخ نوري ابن شعلان

القبيلة	الشيخ	منطقة تجوال	عدد الخيام
1 ـ المرعض	النوري بن شعلان(60)	صيفاً: النقره، الجولان، حمص شتاءً: صحراء سورية وشمال الجزيرة العربية	1130
أ ـ النصير(61)	ابن نصير		250
ب ـ النصير	قرّيص بن نصير		150

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
جـ ـ المعبهل	ابن معبهل		150
د ـ الروضان	ابن صبر		200
هـ ـ العلمة	فدغاش بن جريبه		150
و ـ البنيّة	بشيتان بن بنيّه(62)		70
ز ـ الصبيح	فهد بن صبيح		80
حـ ـ السبتة	جرو(63) ابن سبتة		80
2 ـ الدغمان(64)	درزي بن دغمي	الجوف ووادي السرحان	700
أ ـ الدغمي	درزي بن دغمي		100
ب ـ الصوالحة	شبك بن سليمان		100
جـ ـ الهجشة	ظاهر بن حلاث		150
د ـ المهنا	رشراش بن مصلط		100
هـ ـ الدرعان(65)	جبار بن كنيفي		150
3 ـ الفرجة(66)	نجيم الصليبي الخضع	منطقة المرعض	800
أ ـ الخضعان	نجيم الخضع		60
ب ـ الفلته	مغيّر بن غازي الفلتي		100
جـ ـ الهطلان	معيطان بن حجي الهطل		40
د ـ البادي	هادي بن جرو		30
هـ ـ السمران	حمدان الحمودي		50
و ـ السباح(67)	مغيظ بن عيد		100
ز ـ المشيط	مريح بن برمان		80
حـ ـ الرماح	فرية بن البطران		150
ط ـ العزول	رحيل بن الصغيره		50
ي ـ الجدران	رشيد بن السعيدي		40

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
ك ـ السواحله	دارك ابا سرير		100
4 ـ القعاقعه(68)	مراغ القعقاع	منطقة المرعض	1100
أ ـ المانع	مراغ القعقاع		150
ب ـ العطيه	المطارح بن عياط(69)		60
جـ ـ الرشيد	رخيص بن جفنان		50
د ـ الرشيدان	ابن عبادي		100
هـ ـ الغشوم	مشور بن جرمان بن غشم		200
و ـ الحماميد	فهد بن منور(70)		60
ز ـ الذبن	حشاش بن بطيحه		50
حـ ـ الربشان	مشاتل بن حنيان(71)		200
ط ـ المعيرير	بلهان بن ملاعب		60
ي ـ الوقيت(72)	المنفي بن سليمان		200
ك ـ الجرذي(73)	قعيثم بن سلامه		50
ل ـ العوينان	قليّل بن حشاش(74		50
5 ـ الكواكبه(75)	خلف الكويكب	صحراء سورية وشمال جزيرة العرب	900
أ ـ الكويكب	خلف الكويكب		120
ب ـ الوكلان	ضبعان أبو الوكل		200
جـ ـ الخمسي	الشريفي		150
د ـ العرضان	متروك العريض		100
هـ ـ الوهيب	سلمان الوهيبي		150
و ـ الختام(76)	سعد بن حمد		130

IV ـ السوالمه(77)

شيخ المشايخ: عافت بن جندل(78)

القبيلة	الشيخ	منطقة تجوال	عدد الخيام
أ ـ الجندل	عافت بن جندل		320
ب ـ الملحاق	قرم بن قويفل		
جـ ـ آل هليب		منطقة الرولة	180
د ـ الفراهدة			

V ـ العبد الله

شيخ المشايخ عبد الله بن مجيد(79)

القبيلة	الشيخ	منطقة تجوال	عدد الخيام
أ ـ المجيد	عبد الله بن مجيد		100
ب ـ الحرزة	علي الحرزي	منطقة الرولة	50
جـ ـ القشوش(80)	هطيل النجدي		100

VI ـ الاشاجعة(81)

شيخ المشايخ: فرحان بن معجل(82)

القبيلة	الشيخ	منطقة تجوال	عدد الخيام
أ ـ الحذاق	فرحان بن معجل		150
ب ـ البلاعيس(83)			300
جـ ـ المهيوب		منطقة الرولة	100
د ـ البدور			150
هـ ـ الخليفات			

ملاحظات حول جداول عنزة

1 ـ أثار تشكيل عنزة الإهتمام في مرحلة مبكرة، فقد قدم روسو في "رحلة من بغداد إلى حلب" (1808م) (الصفحة 118 وما يليها) جدولاً عشوائياً جعل عنوانه "العشائر المكونة لقبيلة عنزة"، وقدم في الصفحة 64 جدولاً بالجلاس جاء أفضل قليلاً من الجدول الأول. واستخدم الجدول الذي قدمه بوركهاردت في كتاب "ملاحظات حول البدو والوهابيين"، الصفحة 3 و307 وما يليها إستخدمه كثيراً منذ ظهوره، لأنه يعتمد على لائحة مراجع محلية (لائحة ضريبية)، نقلها بعد ذلك بوقت طويل أيوب صبري، مرآة الحرمين، الجزء الثالث، ص269. أما الجدول الذي وضعه محمد البسام عام 1818م، ونشره شبرنغر في مجلة جمعية المستشرقين الألمان (123)، الجزء السابع عشر، الصفحة 214 ـ 226، ففيه قسم من عشائر عنزة. ينطبق الشيء ذاته على الجدول الملحق ب "حكاية فتى الله صغير" في كتاب لامارتين "رحلة في الشرق". وفي بدايات الستينيات، يقدم كتاب لم يذكر اسم مؤلفه، الذي أصدره قنصل انجلترا آنذاك في حلب بعنوان "جولات في صحراء سورية"، الصفحة 162 وما يليها، توزيعاً موجزاً للقبائل. ثم تلاه كتاب جورماني (1864م) "تقاليد نجد" (il najd settentrionale). مع بعض الملاحظات على الصفحة 195. تتميز اللائحة التي نشرها مارتين هارتمان في مجلة ZDPV، الجزء 18، الصفحة 49 وما يليها، بالتفاصيل الوافية ولكن غير الموثوقة أبداً في كل ما يتعلق بالأسماء وأشكال كتابتها يلتقي كتاب "قبسات من الصحراء": لكاتبه ابتون (1874/ 1875م) في معطياته حول عنزة في جوانب كثيرة من الكتاب المعروف للسيدة آن بلنت، الصادر عام 1877م/ 1878م، والموسوم "قبائل البدو على الفرات"، الجزء الثاني، ص190 وما يليها. يقدم الكتابان تفاصيل تقتصر على الفدعان والسبعة(1). بالمقابل، يحتوي كتاب دوتي "رحلات في جزيرة العرب"، الجزء الأول، ص33 وما يليها، على لائحة مختصرة حول البشر والجلاس. بينما تعتبر لائحة تويدي في كتاب "الحصان العربي" (الصفحة 121) قليلة التفاصيل. بالنسبة للفترة السابقة مباشرة للحرب العالمية، توجد لائحة تفصيلية في الكتاب

الذي شاركت غيرترود بيل في تأليفه، وعنوانه "دليل الجزيرة العربية"، الجزء الأول، ص50، تتضمن أعداد الخيام وأسماء الشيوخ، ولكنها لا تحتوي على لوائح معدة بدقة علمية، مثل التي أرفقها موزيل بكتاب رحلاته الكبير. بالنسبة لحقبة ما بعد الحرب، تستحق اهتمامنا تلك الدفاتر التي أصدرها قسم الإستطلاع العسكري الفرنسي بعنوان «القبائل العربية في سورية»، و"القبائل الرحل ونصف الرحل"، التي نسبناها إلى مؤلفها تيربيه، واكتفينا باسمه عند ذكرها.

بالمقابل، يقدم رينود ومارتينيه "البدو في ريف دمشق"، ص10 وما يليها، معلومات قليلة غير معروفة.

ثمة بضعة تسجيلات عن العنزة ترجع إلى الأعوام 1897م، 1899م، 1913م، 1915م، 1925م، و1927م. فيما يتعلق بوضع الجدول، تمت الإستعانة من حين لآخر بموزيل وتيربيه.

2 ـ كتبت مرة واحدة تحت اسم بُشير، أوردها أيضاً شوماخر في كتاب "عبر الاردن" ص103 و328.

3 ـ أقدم توزيع للفدعان نجده في لائحة شبرنغر، رقم 140: آل غبين، خرصه، ولد، آل مهيد. الجدول الآخر: ابتون، ص235 وما يليها. موزيل: صحراء جزيرة العرب، ص55. رينود ومارتينيه، ص35 وما يليها، تيربيه، ص111 وما يليها، ولدى مؤلفين آخرين ورد ذكرهم في الملاحظة رقم واحد. ثمة تسجيل أجري يوم 28 حزيران من عام 1927م إتخذ كأساس للجدول، رواه مقحم بن مهيد، وهو لا يتضمن أية اختلافات جوهرية عن المعلومات الأقدم التي رواها عام 1913م ابن مهيد، وسليمان بن قعيشيش، وجوهر بن خيري، مربي مقحم.

ممتلكات الفدعان من المواشي هي20 ألف جمل و55 ـ 60 ألف خروف. صيحة الحرب: أنا أخو قطنه. وقطنه اسم امرأة يتكرر كثيراً في أسرة ابن مهيد، لكنه يعني هنا قطعان مواشي الفدعان (موزيل، الرولة، ص600). يجب فهم صيحات الحرب التي تتضمن كلمة "أخوات"... باعتبارها ضرباً من التماهي مع

قطعان الجمال. فالقبيلة تماهي نفسها بعض الشيء مع حيواناتها، كما يبدو من المعنى الذي تفصح عنه عبارة «أخوة قطنه» في أغنية ينشدها الفدعان، أورد موزيل نصها في كتابه.

4 ـ ينقسم الولد في رأي تيريبه إلى مجموعات نسب هي "ضنا منيع" (أ إلى ج) وضنا "فيريف" (د، هـ). أما عدد خيامها فهو 1200 خيمة، وهو رقم أقرب إلى الحقيقة من معلومات مقحم «مچحم» الموجودة في الجدول.

5 ـ أسلافه: أبوه جدوع الكره ـ للروس امتياز يعطيهم الأولوية لدى اختيار الأمهار التي غنمت في المعركة. أنظر: أبتون، ص235

6 ـ تيريبه: اهموخ بن حبيقان. موزيل: ابن حبيشان.

7 ـ أسرة شيوخ قديمة ومهمة، ذكرت لدى روسو (ص 123) وفي دوحة الوزراء، ص 318 ـ إنضم إلى العقاقره قسم من قبيلة الحوازمه المنبوذة.

8 ـ سلفه: فيحان ابن جاعد.

9 ـ موزيل: حناتيش.

10 ـ كانت الجراح ـ في السابق شيخ: ربيّع ابن جدوع ـ عشيرة تابعة للعمور في الأصل. يقارن بها المقال المتخصص في قسم سورية.

11 موزيل: قشور.

12 ـ علامة نسب خرصه هي ضنا ماجد (إستخدمت بطريقة مختلفة لدى بوركهاردت)، التي تنقسم إلى ضنا خريص (من أ إلى ز) وضنا كحيل (من حـ إلى ي). حسب تيريبه، ينقسم الضنا خرصة بدورهم إلى «ليدا» (أ إلى د) المكاشرة (هـ)، مزارعه (و إلى ز) وعربان. عدد الخيام بحسب تيريبه: 900 ـ صرخة الحرب لأبناء قعيشيش: "الروم!".

13 ـ للفروع من أ إلى ج مخاترة يختارهم شيخ المشايخ وهم بالتالي تابعون له مباشرة. هكذا سليمان ابن قعيشيش. تيريبه يقصر وجود المخاترة على الولد وحدهم.

14 ـ حفيد أول للحاكم الأخير للغبين، نايف. أنظر أعلاه ص142. يبدو أن أسرة ابن غافل تنتمي إلى الغبين، وكانت في السابق تقدم عقداء الجدعان ولا زالت تتولى اليوم أيضاً هذا المنصب من حين لآخر. أنظر: بوركهاردت: ص241. وقارن: موزيل: صحراء جزيرة العرب، ص28.

15 ـ أسرة شيوخ قديمة. أنظر: جدول لامارتين.

16 ـ القبائل المندمجة الأربع هي فروع من ولد سليمان. وهم لا يعتبرون جزءاً ثابتاً من الفدعان، بل إلتحقوا بها خلال العقود الأخيرة. عام 1913م، لم يكن قد بقي منهم في الشمال غير الجعافره والخمشه: إلى هذا، ويبدو أن أقساماً من ولد سليمان تنتقل غالباً إلى سورية وبلاد الرافدين «العراق الشمالي»، حيث تنضوي في الفدعان.

17 ـ يبدو أنه يقيم في نجد.

18 ـ وفق موزيل: الرولة. ص648. وعواجي أيضاً. لوصف الجبل، أنظر الملاحظة رقم 63.

19 ـ بما أن التسجيلات حول السبعه ترجع، باستثناء بعض الإضافات، إلى عام 1899م، فقد أخذت جداول موزيل وتيربيه بعين الإعتبار عند وضع الجدول. صرخة الحرب: خيال العرفه سبيعي!.

20 ـ عدد المواشي: 25000 جمل، 30000 خروف ـ وسم الإبن مرشد: ʕ (باكور) على الوجنة اليمنى.

21 ـ يستخدم موزيل قمصة كاسم مجموعة فقط، أما كعشيرة فلها اسم آخر هو عميره (لدى تيربيه هو فرع من قمصة) مع الفروع أ ـ د، والمواهيب (ب).

22 ـ يستخدم أيضاً كاسم لمجموعة ابن مرشد (القمصة).

23 ـ أثبت وجود أسرتي الشيوخ عام 1870م من خلال جدول هارتمان.

24 ـ موزيل: السحيم.

25 ـ بقي القسم الأكبر من المواهيب في جزيرة العرب، وانضم هناك إلى قبيلة بلي. أنظر: قسم الحجاز من هذا الكتاب.

26 ـ وسم: ╋ على لوحي الكتف. في جدول لامارتين هناك شيخ مشايخ للسبعه اسمه ابن عيده.

27 ـ أثبت ابتون وجود أسرة الشيوخ هذه عام 1875م (مجلة فريزر، الجزء15، ص442).

28 ـ ينتمي الشيخ مجول إلى أسرة مصرب، وقد تزوج في ستينيات القرن التاسع عشر المغامرة الجميلة ليدي ديجبي. تتجاوز إيزابيل بورتون عمداً اسم مواطنتها، عندما تتحدث في كتابها: "حياة سورية الداخلية" (الجزء الأول، ص127) عن ابن مجول. أما بلنش في كتابهما "رحلة إلى نجد"، فيكتبان عن نفسها بحرية أكبر. إن المنازل التي امتلكتها ليدي ديجبي في دمشق وحمص ما زالت قائمة، كما أن قبرها موجود في المقبرة البروتستانتية في دمشق. وسم المصرب: مشط على الوجنة اليمنى.

29 ـ يقسم موزيل المجموعة إلى موايقه (أ) والعبده (ب ـ د) ومسيكه (هـ ـ ي). عدد المواشي: 30000 جمل، و50000 خروف ـ وسم الابن هديب: على الورك الأيمن.

30 ـ توفي في شباط من عام 1936م. خليفته صالح ابن هديب.

31 ـ وسم على من الورك الأيمن.

32 ـ تثبت لائحة هارتمان أن الشيوخ الأربعة، الذين تنطبق عليهم هذه الملاحظة، كانوا أحياء عام 1870م.

33 ـ تيريية: لكنه حسب التدوين ابن كردوش. وكذلك يرد عند بلنت.

34 ـ تقوم لائحة الجبل على تسجيل تم عام 1913م واستكمل عام 1925م، ويقوم جدول الدهامشه على تسجيل تم يوم 15 أيلول عام 1915م، رواه: محمد

البسام ـ وهناك لوائح خاصة بالعمارات لدى موزيل: جزيرة العرب، صفحة 52. وتيرييه، ص50 (مصدرها شخص واحد على الأرجح)؛ رينود ومارتينيه، ص14. يعتبر بوركهاردت ودوتي (الجزء الأول، ص331) عشائر العمارات فروعاً من البشر، ويعرّفها بلنت وزوجته كـ "عنزة بن هذال" فقط. لم يندمج العمارات في قبيلة واحدة إلا في فترة حديثة، بينما شكلوا في السابق مجموعة نسب وحسب. ـ وسم الإبن هذال: على الجانب الأيسر من العنق. صرخة الحرب: أنا خيّال العليا!.

35 ـ الجبل هو مفهوم نسب، واسمها كجماعة سياسية هو العمارات. هذا يعني أن العمارات تستخدم بمعنيين: ضيق وواسع.

36 ـ يرد أقدم ذكر لها لدى روسو (1808م)، ص 65.

37 ـ موزيل: مطعان بن ضلعان.

38 ـ موزيل: رافع ابن "موزف".

39 ـ بوركهاردت، ص309 (قارن صفحة 7) لا يقصر فروع السلقا على الحسنه والمضيّان والمطارفه، بل يضم إليها ولد سليمان، وهو ما يبدو أنه كان متفقاً مع ظروف تلك الأيام.

40 ـ لائحة شبرنغر، رقم 75.

41 ـ يقتبس بلنت (الجزء الثاني، ص 192) من ابتون (مجلة فريزر، الجزء 15، ص441) معلومة تقول إن الرفيده هاجرت أول ما هاجرت حوالى عام 1866م. لكن رامبلس، ص276 و لايارد: نينوى وبابل، ص260، يدحضانها.

42 ـ موزيل وهاند بوك يكتبان اسم أسرة الشيخ: ابن وطيف. بالمناسبة، يذكر روسو بدوره المطارفه (يكتبها موستافيريه)، ويقول إن شيخها اسمه: ابن طيف.

43 ـ لا وجود لها لدى موزيل وفي الدليل. أنظر الملاحظة رقم 3.

44 ـ يسقط مفهوم الدهامشة من المصادر القديمة، شأنه في ذلك شأن

العمارات والجبل. بالمقابل، يذكر دوتي في الجزء الأول، ص331. كان العلي يملكون في السابق واحة حايط، غير البعيدة عن خيبر. لكنهم هاجروا في عهد حكومة طلال بن رشيد (1847 ـ 1868م) إلى الفرات. أنظر: هوبر: رحلة وسط جزيرة العرب، ص129. في الدليل يقال إن العلي عشيرة من عشائر الدهامشة.

45 ـ وسم ابن مجلاد هو الهلال ⊇ . يرد ذكر ابن مجلاد في "ديوان من وسط جزيرة العرب"، رقم 35.

46 ـ يقسم موزيل الزبنه إلى : السبابيح (جزّاع بن مجلاد)، الصرمة: (برجس ولد صريم)، الجميزات (العربيدي).

47 ـ يقسم موزيل السوالمة إلى: السلاطين، المحيسن (مشعان ابن صابر)، الوطبة (مشعان ابن بكر)، الحماطره (عسكر الحميطري)، الهمل (جهيم بن دواي) الجلاعيد (ابن زعير).

48 ـ ويقسم موزيل المحلّف إلى: المحينات (أبا الروس)، آل شلخان (دهلوس الشليخي)، الذوايده (صنيدح الذايدي)، العياش (ضاري ابن ضبيان).

49 ـ بما أن تسجيل 1915م إعتبر الحسنة والمساليخ عشائر من ولد علي، وبما أن تسجيل 1897م تقادم ولم يعد صالحاً، وجب اعتماد تصنيف تيربيه (ص33) كأساس. وهو أمر معمول به منذ عام 1925م/ 1926م. إنه لا يتضمن من عشائر بوركهاردت السبع سوى ثلاث فقط (دون المسالخه). بذلك تكون بنية الحسنه قد تغيرت بصورة جذرية. عدد الخيام: 300 دون خيام المنضمين إليهم.

50 ـ موزيل: "مصاليح".

51 ـ عائلة الشيوخ القديمة الثانية هي الابن رشود.

52 ـ بحسب الأصل مساليخ.

53 ـ قارن: المقالات التي تحمل الاسم نفسه في قسم سورية.

54 ـ بسبب تراجع ولد علي في الآونة الأخيرة، غدت تسجيلات عامي 1899م و1915م قديمة. لذلك يتبع الجدول لائحة تيريبه (ص27)، التي تأخذ الظروف بعين الإعتبار منذ عام 1923م. يقدم موزيل في صحراء جزيرة العرب (ص84) تقسيماً للأنساب يشمل ولد علي الذين بقوا في الجزيرة العربية، مع مجموعات ضنا مفرج وآل آيده (أيده، أيدا). ثمة تطابق جوهري بين تقسيم بوركهاردت والتقسيم الراهن. هكذا تكون بنية ولد علي قد حافظت على نفسها رغم سقوطهم.

55 ـ إنتسب إليها قبل عام 1923م جميع العشائر باستثناء المشادقة. أنظر تيريبه، ص108، وكذلك بوركهاردت، ص3 ـ وسم الابن سُمير: Ψ على الورك الأيمن.

56 ـ جاءت القبائل الثلاث جميعها من عشيرة المشطة السابقة، التي لا تزال قائمة لدى ولد علي أواسط الجزيرة العربية، قارن: بوركهاردت، ص4، ومقالة "عنزة" في قسم الحجاز. وسم العطيفات (ب III ب)، الدمجان ب (III د): باب ⌒ على الجانب الأيسر من العنق.

57 ـ يسمى أيضاً حماميد. عائلة شيوخهم كانت الآيدا (بوركهاردت)، التي لا تزال أسرة شيوخ ولد علي أواسط الجزيرة العربية.

58 ـ الوسم:)(على الورك الأيمن.

59 ـ بحسب تسجيلات من عامي 1915 و1925م. تنحدر الأولى من محمد النعمان، السكرتير السابق لشيخ المشايخ، وتنحدر الثانية من حمدان الحمودي (3 و). نجد تفاصيل قليلة حول ذلك لدى تيريبه، ص 21، وتفاصيل وافيه لدى موزيل: جزيرة العرب، ص14 وما يليها. عام 1915م، أعطي رقم أكبر بعض الشيء لعدد الخيام، الذي هو أصغر بكثير لدى تيريبه.

الوسم ╥╥. صرخة الحرب: أنا خيّال العليا رويلي! . العليا هو اسم الأم الأولى لقطيع مؤلف من جمال بيضاء كانت تمتلكها الرولة (العليان هو "أمير الجمال").

60 ـ تعتبر أسرة الشيوخ فرعاً من المرعِض. يقدر تيرييه عدد خيامها بـ 700، بينما يقدر عدد خيام المرعد بـ200. وسم ابن الشعلان ال (رديني)، بين الأذن اليمنى والعين.

61 ـ ربما كان يرتفع في التصنيف على (ب) وفرع آخر من النواصرة.

62 ـ ابن بنيّة هم أسرة عقداء الرولة.

63 ـ يكتب سكرتيري العربي جرو بحرف جيم (معطشة) چ.

64 ـ يرجع الدغمان والمرعض بنسبهم إلى جمعان بن مسلم، ويسمون أنفسهم جمع جمعان، وهذا لا يعني بطبيعة الحال "جمعية الجمعيتين"، كما يعتقد تيرييه، بل جماعة الجمعان. قارن: موزيل، الرولة، ص589.

65 ـ ورد ذكرهم عام 1915م كعشيرة وليس كفخذ، تحت قيادة الشيخ سالم ابن مسلط، أي تحت حكم أحد أعضاء أسرة شيوخ(د).

66 ـ يورد موزيل وتيرييه فخذاً من فريجه هو الجوفان.

67 ـ موزيل: "الصباح".

68 ـ يصنف موزيل القعاقعة ضمن المانع والربشان، فيضع تحت المانع (ب ـ د)، ويضع تحت الربشان (ط ـ ل).

69 ـ سلفه: أبوه عياط المطالع.

70 ـ 1915م: فظاخ الحمادي.

71 ـ إسم العائلة.

72 ـ موزيل: الوقيد (آل وقيد).

73 ـ موزيل: "الجرّي". تيريه: «جيردي». تسجيل 1915م: "الجرزي".

74 ـ سلفه (أبوه) حشاش بن عوينان.

75 الكواكبه هم، حسب نسبهم، قحطانيون. وقد هاجروا في القرن الثامن

عشر من نجد إلى النفود، حيث اصطدموا بالرولة. بعد موقعة مناخ الزيرين الأسطورية، إنتهت الحرب بزواج ابنة شيخ الشريفي من شيخ الرولة فهد ابن معبهل. منذ ذلك الوقت، إلتحق الكواكب بالرولة، بينما التحق قسم صغير منهم (زياد) بالضفير. أنظر: موزيل: رولة، ص52، شمال نجد، ص168.

نلفت النظر إلى أن موزيل، الذي يعرف بدقة كيف يغلق القبيلة بعد تصنيفها بحرص، يعطي الكواكبه 150 خيمة فقط. بعد تجميع معلومات دقيقة، تميل أعداد الخيام دوماً إلى التناقص.

76 ـ موزيل: "الحطّام".

77 ـ يحالف تيربيه الصواب، حين يرى في قبائل السوالمة والعبدالله والاشاجعة توابع تدور في فلك الرولة. إن التسجيل الذي بحوزتنا عنها يعود إلى عام 1915م، لذلك يراعي الجدول معطيات موزيل في جزيرة العرب (ص14) وتيربيه 211 وما يليها. صرخة حرب السوالمة: خيال البلها.

78 ـ تعد أسرة ابن جندل واحدة من أقدم أسر شيوخ عنزة. تذكر لائحة شبرنغر (رقم 146) أفراد الأسرة، وكذلك تفعل لائحة لامارتين، وفيتسشتاين في كتاب: حوران، ص139، وجورماني، ص198، مجلة ZDPV، جزء 23، ص53.

79 ـ واحد من ابن مجيد. المرجع ذاته، ص54.

80 ـ موزيل: كشوش. ويسمون كذلك نجاده، طبقاً لأسماء أسرة شيوخهم.

81 ـ لقب: شنهاب. موزيل: الرولة، ص632, العشائر 1 ,2 ,4 مأخوذة عن جورماني، ص198.

82 ـ إبن عمه غضبان هو قائد غزوات معروف. يذكر جدول شبرنغر (رقم 147) أعضاء أسرة ابن معجل، وكذلك تفعل لائحة لامارتين. أنظر مجلة ZDPV، الجزء 23، ص53.

83 ـ يرد ذكره في لائحة لامارتين.



مشعل باشا، شيخ مشايخ شمَّر (1929م)

شمّر

بدأت شمّر هجرتها، في الوقت نفسه تقريباً الذي بدأت فيه جارتها عنزة إنتقالها نحو الشمال. وفي حين قطعت عنزة خلال القرن الثامن عشر المسافة الهائلة بين خيبر وحلب، تقدمت شمّر إلى العراق فقط، قبل أن تحملها العاصفة الوهابية على عبور الفرات حوالى عام 1800م، والتقدم إلى سفوح جبال كردستان في سنوات قليلة. منذ ذلك الوقت، وشمّر تمثل ثاني أقوى قبيلة بدوية في الشمال، بعد عنزة. بالمقابل، تفوق أقسام شمّر التي بقيت في جزيرة العرب في عددها أقسام عنزة، أو إنها كانت تفوقها عدداً طوال فترة قيام إمارة نجد، التي أسستها أسرة شيوخها من آل رشيد (1838 ـ 1921م).

يقع موطن شمّر في الهضبة الوسطى من شمال جزيرة العرب، التي تبلغ ذروتها في جبلي أجا وسلمى، وتحمل اسم جبل شمّر على الخرائط. وقد ارتبط الاسم في الأصل بأجا، لأن أعيان القبيلة حصروا إقامتهم في العصر الوسيط في هذا القسم من الجبل. ترى المصادر التي أخذنا معلوماتنا عنها[1] بأن شمّر جزء من

(1) هو نشوان ابن سعيد (توفي عام 1107م) لدى موردمان ـ مولر: تماثيل سبئية، ص30. ياقوت (توفي 1229م)، الجزء الأول، ص887 ـ يعرف العارفون العرب بالتاريخ من أمثال الأمير شكيب أرسلان هذه الواقعة. تابع أيضاً Zdmg، الجزء 17، ص225. أما فرضية كايتاني في "حوليات الإسلام"، الجزء الأول، الفقرة31، ص63 (بالإيطالية) حول تكوّن شمّر فهي مرفوضة. تفتقر كذلك مزاعم بلغريف حول تكون شمّر في الجاهلية من اتحاد قبائل تغلب وعبس وهوازن وطي إلى أية أدلة.

بني زهير، وهؤلاء جزء من قوم طي في جنوب جزيرة العرب، أقام في تلك الجبال خلال القرنين الأولين الميلاديين. أما الجد الأول للقبيلة، فربما كان قيس ابن شمّر، الذي مدحه الشاعر الشهير إمرؤ القيس (في مطلع القرن السادس)[1]. من الثابت إذن أن شمّر عرب جنوبيون (طي)، وأن اسمهم عربي جنوبي بدوره. من هنا، فإن شمّر يرعش «يرعاش» ويهرعش في الكتابات تكوين معروف في الحكايات والتاريخ اليمنيين.

لم يتطور المتحد القبلي الحالي من بطون بني زهير المتواضعة وحدها بطبيعة الحال. ذلك يناقض جميع الملاحظات حول تشكل مثل هذه الإتحادات، ويتناقض مع سائر المرويات، التي ترى جميعها في شمّر قوماً مختلطاً، يمثل بالدرجة الأولى مجموعات ربطتها بها صلة قربى؛ حملت أسماء نبهان وربيعة وغيثّ، كانت ذات يوم لعشائر طي[2]، وتحملها اليوم أفخاذ شمّر[3].

يمتلك الشمّر أنفسهم نظرة غامضة تماماً حول نسبهم؛ نظرة تسمح عموماً باستنتاج رابطتهم مع طي[4]، بيد أن مفاهيمها تحجب في تفاصيلها هذه الرابطة. وذلك أمر لا يثير عجبنا، إذا ما أخذنا بعين الإعتبار الهوة الكبيرة التي تفصل أخبار العصر الوسيط عن العصر الحديث.

تضعنا المراجع، التي تبدأ مع القرن السابع عشر[5]، أمام مشكلة توسع شمّر نحو العراق. تتصف مقدمات هجرة القبيلة بالوضوح: فالعراق كان السوق الأقرب إلى جبل شمّر، وصار السوق الوحيدة، مذ أغلقت عنزة طريق سورية في مطلع القرن الثامن عشر. وكانت أرض العراق الخصبة تغري بالإقامة الدائمة، كما يثبت

(1) في طبعة ألورد للشعراء الستة، رقم20، البيت 57. تابع: إبن دريد، ص233.

(2) فوستنفيلد، جدول 6، 14 و15، تابع أيضاً مجلة Zdmg المجلد 65، ص176.

(3) أنظر مقالة شمّر في قسم جزيرة العرب.

(4) أنظر مقطع "نسب شمّر".

(5) تكتفي الملاحظة الأقدم بعض الشيء في جهان نامه، ص530، بالقول إن الجبل ملك شمّر.

وصف فالين[1] التالي، الذي نعتقد أنه يرجع إلى القرن السابع عشر، رغم أنه كتب أول الأمر في منتصف القرن السابق له: "يهاجر الأفراد والعائلات بصورة يومية تقريباً من هنا (جبل شمّر) إلى بلاد الرافدين، حيث يلتحقون بأقاربهم ويواصلون حياة الترحال على ضفاف الفرات ودجله، أو يستقرون تدريجياً في القرى". في سنوات الجفاف، تهاجر قبائل بأسرها إلى الشاميه، أي إلى إقليم العراق الواقع على هذا الجانب من الفرات، حيث يكون عليهم التفاهم مع سادة هذه الأراضي[2]. هذه القبائل تحمل اليوم اسم عنزة. وكان اسمها في القرن السابع عشر قشعم (غازيه). ليس مصادفة إذن أن أول تقرير وردنا عن شمّر في العراق يربط بينها وبين غازيه، ففي كتاب تاريخ بغداد لنظمي زاده[3] أن القبيلتين اجتازتا معاً عام 1696م الفرات عند الفلوجة ونهبتا الأرض، قبل أن يطردهما باشا بغداد. في السنوات التالية، تراكمت مثل هذه الأحداث، وأظهرت شمّر ميلاً خاصاً إلى القلاقل، حين هاجم نادر شاه العراق عام 1733م. كما وسعت غزواتها إلى بغداد، حتى أثناء حكم سليمان أبو ليلى الشديد الصرامة (1749 ـ 1762م)[4].

للقيام بهذه الغزوات الدائمة، التي شهدتها مطالع القرن الثامن عشر، كان من الضروري أن تقوم أقسام من شمّر بتحركات متواصلة بين هيت وكربلاء في منطقة غرب الفرات. ذلك ما يؤكده، على كل حال، نيبور (1765م)[5]، الذي يطلق على هؤلاء شمّر العراق، تمييزاً لهم عن أخوتهم الذين بقوا في نجد. ويخص بالذكر منها عشيرتي الزغاريت والأسلم[6]، قبل أن يضيف: أن الزغاريت يسكنون اليوم

---

(1) Jrgs، الجزء 24، ص187.

(2) ليشمان في الجريدة الجغرافية، عام 1911م، ص265.

(3) نظمي زاده، ص116 تذكر أيضاً شمّر وغازية معاً في عام 1739م.

(4) گلشن ص13 (1725م/ 1726م) ودوحة الوزراء ص40 (1733م). لونكريك، ص156 (1736م). دوحة، ص49 (1739م) 148 (1756م).

(5) جزيرة العرب، ص392.

(6) يذكر الأسلم أيضاً في دوحة الوزراء، ص49، وعند كابر (قام برحلته عام 1778م) لدى هويل، ص262.

الشامية أيضاً، بينما ضم الأسلم إليهم في وقت لاحق ما يسمى بالجربا «الجربه»، وواصلوا ارتحالهم بصحبتهم إلى بلاد الرافدين (الجدول ب 2 ب). ويورد أن من بقايا شمّر العراق هؤلاء اسم شمّر طوقه سكان القسم الأدنى من مصب ديالى على الضفة الشرقية لدجلة[1].

بينما تلاشت موجة ترحال شمّر الأولى دون أن تترك آثاراً باقية، أعادت موجة ثانية صياغة خارطة بدو بلاد الرافدين بصورة جذرية. إنها هجرة شمّر الجرباء[2]، التي يبدو أن اسمها كان يعود بالأصل إلى الأسرة القائدة، لكنه امتد ليشمل جميع القبائل المشاركة في الهجرة، التي لا نستطيع فهمها ما لم نتجه بأنظارنا من جديد إلى نجد، حيث توسعت حركة الوهابيين الدينية، ومملكة آل سعود التي حملتها، منذ أواسط القرن الثامن عشر، وبقي الجبل خارج اهتماماتها، إلى أن وضع الوهابيون أقدامهم مع نهاية ستينيات القرن في منطقة القصيم، التي كان قسمها الشمالي منطقة ترحال شمّر. تذكر كتب التاريخ المعاصرة شمّر، أول ما تذكرهم، بالإرتباط مع أحداث القصيم، وتصفهم بأعداء الوهابيين (1780م أو 1782م)[3]. منذ ذلك الوقت، نجد شمّر بصورة متكررة محاطة بأعدائها، سواء كانت في ركاب بني خالد، أو المنتفق، أو شريف مكة الأكبر. تعرضت شمّر لحملات انتقامية منذ عام 1791م، حين كانت معسكرة عند آبار عدوا (على بعد قرابة 70 كيلومتراً جنوب حائل)، فباغتها آل سعود وأنزلوا بها هزيمة نكراء، سقط خلالها قائدها الملقب بـ "حصان إبليس". وبعد أن استعاد البدو قوتهم، إنتقلوا إلى الهجوم المعاكس، جاعلين صفوف جمالهم حاجزاً يستترون وراءه. وقد تقدم مصلط[4]،

(1) سندرس في قسم العراق شمّر طوقة والزغاريت وغيرها من فروع شمّر المستقلة (مسعود)، وكذلك زوبع التي تتجول جنوب الفلوجة، التي انتمت جزئياً أول الأمر للجربة.

(2) تعني جربه «الجربانة»، ولا علاقة لها بكلمة جربوع.

(3) حول هذا الفارق، أنظر مقدمة قسم جزيرة العرب.

(4) لا زالت أبيات مصلط تروى اليوم أيضاً. أنظر مونتانيه: قصص بدوية شاعرية، 13، جريدة الدراسات الشرقية، الجزء الخامس.

ابن الشيخ مطلق الجرباء (الجربه ـ هذه أول مرة يذكر فيها اسم الأسرة في مرجع ـ، جماعته إلى معسكر الأعداء، حيث قتل بواسطة محراك خشبي لتقليب النار. غير أن تضحيته ذهبت عبثاً، لأن القبيلة هزمت من جديد[1]. عندما احتل الوهابيون بعد فترة قصيرة الجبل، إنصاع قسم من سكانه لهم بقيادة الشيخ ابن علي. أما مطلق الجرباء «الجربة»، وأتباعه فقد تركوا موطنهم وهاجروا إلى حدود الفرات، حيث استأنفوا قتال الوهابيين تحت الرايات التركية.

سقط مطلق عام 1798م[2]، فتولى القيادة أخوه الأصغر فارس، الأب الأول لأسرة الشيوخ الحاكمة حالياً، الذي تابع سياسة أسلافه، وسار عام 1801م على رأس حملة تركية انتظرت الوهابيين أمام كربلاء[3]. بعد ذلك، أي في مطلع العام التالي على الأرجح، عبرت شمّر الجرباء الفرات وتوغلت في الجزيرة. وفي شتاء عام 1802/ 1803م، وصلت أخبار عن وجودهم في منطقة جنوب سنجار[4]. مهما كانت الخدمة التي أداها عبور الفرات للقبيلة، فإنه كان تدبيراً حكومياً بالدرجة الأولى، كما يقول روسو عميل فرنسا في بغداد، في واحدة من ملاحظاته: "إنفصلت شمّر الجرباء قبل حوالي عام عن الوهابيين، هرباً من ضرائبهم المجحفة، وخضعت لحكومة بغداد، التي أذنت لها بعبور الفرات، كي تضمن انصياعها التام لها[5]، "وتقلع عن استفزاز الوهابيين"، كما يجب أن نضيف، آخذين بعين الإعتبار حادثاً مشابهاً، جرى مؤخراً في الموقع ذاته، عندما توغل الوهابيون مطلع عام 1920م في جبل شمّر، وفر قسم من عشائر المنطقة إلى عنزة (عمارات) في العراق. بعد حين، شن المهاجرون غزوات ضد الوهابيين، فرد عليهم هؤلاء بأعمال مشابهة حتى كادت تشتعل بينهم حرب حدود. عندئذ فكر

---

(1) عثمان ابن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد، ص43 و45 و51. روضة الأفكار حول عام 1205. مانجان: تاريخ مصر في ظل محمد علي، الجزء الثاني، ص504.

(2) مانجان، ص516.

(3) دوحة، ص229.

(4) دوحة، ص239 (نهاية 1217هـ).

(5) وصف باشوية بغداد، باريس 1809م، ص141.

مفوض الإنتداب السامي في بلاد ما بين النهرين، السير بيرسي كوكس، بنقل شمّر إلى منطقة الحلة عبر الفرات؛ فخفف انتقالها التوتر بالفعل[1].

لقد أصبحت هجرة شمّر الجرباء إلى الجزيرة، سواء فيما يتعلق بتوقيتها أم بأسبابها واضحة. وأنه لأمر يثير العجب أن تستبدل جميع الأعمال الرصينة على وجه التقريب، بما في ذلك عمل وضعه خبير ممتاز ببلاد الرافدين هو لونكريك، هذه الوقائع الحقيقية بما ذكرناه في المقدمة عن عنزة (ص129) من أخطاء تاريخية تزعم أولاً باستيلاء شمّر على الصحراء السورية واحتلال تدمر في القرن السابع عشر، ثم بقيام عنزة بطردها إلى بلاد الرافدين في القرن الثامن عشر.

والأقل غرابة، أن الرواة وضعوا أيديهم على المادة الغنية المتعلقة بهجرة الجرباء «الجربة»، واختلقوا حولها أسطورة تروى اليوم أيضاً، بالطريقة ذاتها التي كان الكوماندر ج. ف. جونز قد سمعها عام 1848م[2]: غادرت عائلتان من شمّر نجد وسكنتا عند العبيد جنوب سنجار[3]. ذات يوم، دعا هؤلاء حُماتهم إلى وليمة عامرة قدموها على مسطح خشبي هائل الحجم. عندما عاد العبيد إلى خيامهم، كانوا عاجزين عن إيجاد الكلمات التي تستطيع وصف كرم الشمّر وقِدْرِهم العملاق. غير أن الشكوك ملأت نفس شيخ أشيب رفض المشاركة في الوليمة وطالب بقتل الغرباء، زاعماً أن القِدْر الكبير يقول ما فيه الكفاية، وهو أن أصابع غريبة ستمتد إلى قدر العبيد قبل أن يمر وقت طويل. لم يصغ أحد إلى نبي الشؤم. وبعد أشهر قليلة، تدفقت شمّر عشيرة إثر أخرى، إلى أن وجدت العبيد نفسها مجبرة على هجر مطارحها وتركها لهم.

---

(1) الشرق الحديث، الجزء الثالث، ص295 ـ هؤلاء الشمّر عادوا قبل سنوات قليلة إلى نجد.

(2) جونز: ذكريات، ص19.

(3) في تأليف حديث للحكاية تم استبدالهم بطي، الذين كانوا أقرب من العبيد إلى نفس الراوي، وهو شيخ كردي. وفي تأليف ثالث (الراوي عجيل الياور) الضيوف من طي والعبيد، والناصح الشيخ اسمه أمين بن ملحم، شيخ الجبور.

ثمة قدر كبير من الصحة في هذه الحكاية. فقد اضطرت شمّر أول الأمر إلى الإلتحاق بـ العبيد، أعظم قبائل بلاد الرافدين العراق، ثم أخذت الأحداث المنحى التالي: كان العبيد على وئام مع الحكومة، التي غالباً ما عملوا كميليشيا في خدمتها. لكن علاقتهم بها اضطربت واختلت عام 1802م. وفي العام التالي له، قامت القبيلة بثورة قمعتها الحكومة بواسطة شمّر. وفي عام1805م[1]، فاجأت شمّر العبيد عند مصب الخابور وهم يهمون بعبور الفرات هرباً من هجوم باشا بغداد، وأنزلوا بهم هزيمة ماحقة عجزوا عن استرداد قواهم بعدها، وأخيراً، إختفوا من الجزيرة[2]. منذ ذلك الوقت، إمتلكت شمّر المنطقة إلى الجنوب من سنجار، وتغلغلت في مرحلة مبكرة إلى أعالي بلاد الرافدين، حتى بلغ نفوذها البليخ عام 1809م، حيث أبادت تقريباً التركمان الذين كانوا هناك.

جاءت شمّر البلاد كحليف للأتراك، وقدمت لهم خدمات جليلة ومفيدة عامي1803م و1805م، إبان ثورة العبيد وغارات الوهابيين. لكنها سببت قلقاً واضطراباً دائمين في جو الجزيرة، الذي كان هادئاً إلى حد بعيد حتى ذلك الوقت، وفي العراق، حيث قصدت مقراتها الشتوية كل عام. وزادت متاعب الحكومة وحيرتها، التي ترتبت على علاقات القبائل الصعبة هناك. في ظروف كهذه، لا يثير العجب أن يرى عبد السلام أفندي، مؤلف تاريخ ماردين[3]، في شمّر عقاباً إلهياً كالطاعون والجراد (1828)م ـ بعث المظهر الخارجي للقادمين الجدد، الذين اختلف لباسهم وسلوكهم اختلافاً جلياً عن لباس وسلوك بدو الفرات، بعث الخوف والرعب في نفوس سكان المدن. وأفزع شيخ شمّر موزيل إلى حد أن الباشا أمر له بمرافقة عسكرية تحميه من مضايقات أبناء القبيلة[4].

(1) لونكريك، ص224، 1804. تابع كذلك دوحة، ص244.

(2) تابع فصل العبيد في مقالة الزبيد.

(3) مقتطفات مترجمة بحوزة وقفية ماكس فرايهر فون اوبنهايم.

(4) ريش: حكايات من مقر في كردستان، الجزء الثاني، ص110. تابع: وصف باشوية بغداد، ص142.

كان قد تكرس وضع طبيعي بين شمّر والحكومة، حين أخلّت إصلاحات السلطان محمود بالتوازن القائم. لتعزيز المركزية، سعى السلطان إلى الإطاحة بسلالة باشاوات ولاية بغداد، الذين حكموها، مع بعض الإنقطاعات، منذ بداية القرن الثامن عشر، بدعم من مماليك جورجيين. وبما أن داوود باشا (1817 – 1830م)، والي بغداد آنذاك، رفض إخلاء موقعه، تلقى خلفه المفترض علي رضا الأمر بإخراجه منه بقوة السلاح. عندئذ، إنضمت شمّر بقيادة الشيخ صفوق إلى القوة التأديبية. لكن علي رضا رفض إعطاءها المكافأة الموعودة، عقب احتلال بغداد (1831م)، فما كان منها إلا أن تمردت عليه. نزلت القبيلة قبالة بغداد خلال إقامتها الشتوية في العراق، وسدت الطرق والدروب المؤدية إليها. لجأ علي رضا إلى الوسائل التركية المألوفة، وأمر بتعيين بديل عن شيخها هو (شلاش ابن عم صفوق)، كما عبأ العنزة (العمارات) ضدها، عندما اجتازت الفرات في الخريف، جرياً على مألوفها. وهكذا انسحبت شمّر، لكن الحكومة وجدت نفسها مكرهة على تحمل إزعاجات عنزة طوال الشتاء؛ وقد بلغت حداً جعل بغداد تسمح بعودة شمّر إلى البلاد في العام التالي. غير أن عنزة لم تخل الساحة، بل استأنفت في الخريف التالي (1834م) إقامتها السنوية القصيرة في العراق[1] إستمرت اضطرابات شمّر في حياة الشيخ صفوق؛ وحين قتله الأتراك عام 1847م، إنفجر تمرد جدي عمّ بلاد الرافدين بأسرها، حتى لم يعد سكان المدن يجرؤون على الخروج من بيوتهم. أخيراً، أعدم عبد الكريم ابن الشيخ صفوق (حوالى عام 1870م)، فانهارت قدرة القبيلة على المقاومة.

إنقسمت شمّر في السبعينيات إلى مجموعتين: شمّر الغربية بزعامة الشيخ فارس، الذي اتخذ من منطقة نصيبين مقراً صيفياً له، وشمّر الشرقية بزعامة الشيخ

(1) تستند رواية هذه الأحداث على فريزر: رحلات في كردستان، بلاد ما بين النهرين. . . الخ، الجزء الأول، ص271 و317 و347. يصير تقرير فريزر ذا معنى إذا ما ربطناه بالترحال الشتوي للقبيلتين ـ لطفي، تاريخ، الجزء الثالث، ص127، الجزء الرابع، ص112، يعزو فشل الحكومة إلى غيرة باشا الموصل من زميله البغدادي.

فرحان، الذي خيم قرب الموصل[1]. هذا الإنقسام أدى إلى انهيار سريع في قوة شمّر، جعلها عاجزة عن القيام بأي تمرد. مع ذلك، عانت الحكومة الأمرّين عند جباية الضرائب[2]، وبدت غير قادرة (وربما غير راغبة) على منعها من الإقتتال مع جيرانها، الذي كثيراً ما كان يتكرر، لأن شمّر لم تكن بأي حال من الأحوال السيد الوحيد في الجزيرة. ومع أنها أخضعت أنصاف الرحل بين الخابور ودجلة، فقد بقي سنجار مغروساً كإسفين في منطقتها، وبقي سكانه من اليزيديين «الإيزيديين» المحاربين مستقلين بصورة دائمة تقريباً[3]. إلى هذا، ناصب الدليم الرحل في الجنوب شمّراً العداء، وشكلت الأقوام الكردية، التي سكنت منطقة لا يشاركها فيها أحد، حاجزاً على حافة الجبل في الشمال، حاولت شمّر تخطيه، دون جدوى في معظم الأحيان، إقتربت عنزة في الغرب من شمّر إلى درجة تنذر بالخطر، مذ احتل الفدعان المخروط الواقع بين الفرات والبليخ وتقدموا عبر الأخير نحو الشرق (في نهاية القرن الماضي). وإن كانت الجيرة الوثيقة قد أدت أحياناً إلى قيام صلات حميمة بين أقسام من القبيلتين المتعاديتين.

على خطئ الشيشان في ستينيات القرن التاسع عشر شكل القوقازيون عدواً جديداً لشمّر في منطقة الخابور الأعلى، قرب رأس العين، الموقع الذي كانت الحكومة قد أسكنتهم فيه. وكان القوقازيون، قوماً ألفوا الحرب في موطنهم الأصلي، فطاب لهم بسرعة طعم الأسلوب البدوي في خوضها، ألا وهو الغزو، خاصة وأن الحكومات أطلقت يدهم أو آزرتهم ضد القبائل. لكن شمّر أثبتت هنا

---

(1) تابـع: زاخاو: رحلـة في سورية وبلاد الرافدين، ص301. فرايهرفون اوبنهايم: من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، ص61، حيث تستبدل التفرقة المستخدمة هنا بين شمّر شمالية وجنوبية بشمّر شرقية وغربية، وهي الأصح.

(2) كان لا بد من تجهيز حملة لتحصيل التأديات المتأخرة عام 1911م. وقد باغتت شمّر الشرقية قرب خرائب الحضر وحققت النجاح المطلوب. أنباء جمعية الشرق الألمانية حزيران 1911م، ص38.

(3) على الأقل داخل الجبل، أما القرى على الحافة فقد دفعت خوة إلى الشمّر قبل الحرب العالمية.

أنها الأقوى. نورد في ما يلي واحداً من التقارير التي جمعناها خلال تنقيباتنا في تل حلف حول المعارك بينها وبين الشيشان، يعكس بدقة سلوكها حيالهم: في بداية الثمانينيات، توحدت مجموعتا شمّر ورابطتا قرب منبع السويدية (شرقي نصيبين)، لكن خلافات برزت بينهما، ففكر فارس، قائد شمّر الغربية، بالعودة مع جماعته إلى الجغجغ في الغرب، لتهيئة أنفسهم للحرب. طلب فارس مساعدة الشيشان، ثم تقدم في اتجاه أخوته من القبيلة، بمجرد أن وضع الشيشان قرابة مائة خيال ومجموعة من العرب تحت تصرفه. لكن العاصي، الإبن البكر لفرحان، الذي كان قد فارق الحياة في هذه الأثناء، وقائد شمّر الشرقيين، واجه الخطر من خلال إقناع فارس بخيانة حلفائه: حين أتت لحظة الصدام، تخلى شمّر فارس عن الشيشان، فسقطوا في الفخ وأصبحوا صيداً سهلاً لجماعة فارس، ولم ينج منهم غير قلة.

بين جميع أقوام الشمال الكردية، إنفرد إتحاد الملّي، المنتشرون من قرة داغ بين أورفة وماردين وحتى جبل عبد العزيز، بالتفوق على شمّر، بعد أن حولهم قائدهم إبراهيم باشا إلى قوات غير نظامية سميت الحميدية، زودتها الحكومة بأسلحة حديثة (قبل 1900م)[1].

وقد كانت لغزوة شمّرية قادها الشيخ علي الشيوخ ضد الملّية نهاية مخزية[2]، إذ سقط الشيخ أسيراً وسلمه إبراهيم إلى السلطات، التي أرسلته بدورها إلى القسطنطينية. بعد ذلك بفترة قصيرة أطلق سراحه، فاستعان لتوّه بابن عمه محمد الشيوخ من أجل شن حملة جديدة ضد الملّي في العام التالي. عرف إبراهيم باشا، الذي كان معسكره لصيقاً برأس العين، بالمخطط، فسار بقومه الليل بطوله وانقض صباح اليوم التالي على شمّر في تل حرمل (شرق رأس العين)، التي تخلى رجالها عن معسكرهم وقطعانهم وفروا مذعورين.

---

(1) أنظر مقالة الأفواج الملّية والحميدية في مقالة الأكراد، ص25.

(2) مصدر التقرير التالي هو محمد العقوب، أحد شيوخ حرب. أما التصحيحات فهي لعثمان آغا شيخ أكراد الخلديان (كيكي)، وكان شاهد عيانٍ على ما جرى. التسجيل من عام1913م.

عندئذ، تدخل شيخا شمّر الكبيران: العاصي وفارس، اللذان وحّدا قواهما وحشدا مجموعات مقاتلة من أكراد الدقوري والكيكي، ومن طي، والجبور، وحرب والشرابين[1]. وعندما تحرك جيشهما العرمرم بنسائه وأطفاله، خيامه وقطعانه، نحو الشرق، غطى الأرض من زرقان إلى الهلالية. وبما أن الوقت كان في الربيع (1901م)، فقد دمروا المحاصيل، ثم حاصروا ـ عبثاً ـ طوال ستة أيام قصر حصن القانجو في الهلالية[2]، وكان صاحبه زعيماً يزيدياً «إيزيدياً» اعتنق الإسلام وصار أقرب مساعدي إبراهيم باشا، الذي توجه، بمجرد أن بلغه نبأ وصول الجيش المعادي، إلى قرجه داغ، غير السالكة بالنسبة إلى البدو، والواقعة إلى الشمال من عاصمته ويرانشهر، حاشراً بذلك بين الحصن والأرض الوعرة القبيلة التي كانت تفكر بالإستيلاء على المدينة من الشمال. أصدر إبراهيم باشا أمر الهجوم، في اللحظة التي تحرك فيها معسكر شمّر نحو هدفه، وحسم المعركة بفضل الأرض الملائمة وتفوق أسلحة قواته النارية. هذا ما قاله محمد العقوب. أما في الحقيقة، فقد خسرت شمّر المعركة بسبب الخيانة، كما يروي عثمان آغا، الذي يعترف أنه اتفق وشيخ طي مع إبراهيم باشا، وأبلغاه بخطة الحرب وبمواقع قواتهما. عندما انتقل إبراهيم إلى الهجوم، ترك رجالهم مواقعهم دون أن يطلقوا طلقة واحدة، وتجنبوا الإنضمام إلى الملّية، كي لا يشك الشمّريون فيهم ويتعرضوا لانتقامهم ـ كانت الهزيمة رهيبة، ولاحق الملّية شمّراً إلى ما بعد رأس العين. بعد المعركة، إنصب حقد المهزومين على أبناء قبيلتهم من الثابت والفداغه، الذين كانوا قد رفضوا الإشتراك في الحملة.

كان لسلوك عشيرتي الثابت والفداغة ما يبرره، فقد أقامتا غرب الخابور،

---

(1) عثمان آغا: «كان الشمّر يعتزمون في سرهم نهب حلفائهم، بمجرد أن ينتهوا من إبراهيم باشا. لذلك تبعهم هؤلاء مكرهين».

(2) عثمان آغا: "توقف الجيش هناك ليلة واحدة فقط، لأن شيوخ شمّر كانوا يلحون على شن هجوم سريع على إبراهيم. إن القصر المنيع الذي بني فيما بعد في السهل لم يكن قد وجد بعد آنذاك، وكان يوجد بناء آجري على تل الهلالية".

بعيداً عن بقية الجرباء، وكانتا معرضتين لهجمات عنزة فدعان بالدرجة الأولى، المتقدمة نحو البليخ[1]. لم يكن بمقدور العشيرتين معاداة الملّية، حلفائهما الطبيعيين، فآثروا البقاء خارج المعركة وعسكروا أثناءها قرب قلعة شرقاط على نهر دجلة، بعيداً عن مراعيهم الأصلية.

بعد وقت قصير، جرت أحداث عزلت العشيرتين طوال سنوات عن أبناء قبيلتيهما: فقد توفي فارس، شيخ شمّر الغربية، في الشتاء عام 1901 ـ 1902م، دون أن يخلف وراءه أبناء يافعين. في الوقت نفسه تقريباً، إنفجر نزاع في بيت فرحان[2]، قاد في النهاية إلى قتال مفتوح بين العاصي وأخيه جارالله. إنحاز الثابت والفداغة، وقد جعلهما موت فارس دون رئيس، إلى جار الله، الذي ناصرته عشيرة العبدة، بينما ناصر باقي الشمّريين عاصي. دارت الأعمال العدائية بين الجانبين في منطقة نصيبين، وفشلت الغزوة الأولى التي قامت بها شمّر ضد المنشقين، لأن هؤلاء تلقوا عون الملّيه. في الإشتباك التالي، قتل الهادي، ابن عاصي، بيد محارب الفداغة عزو المحمود. ثم قتل بعد ذلك مباشرة فرد آخر من أسرة الشيوخ (شمّر الغرب) هو متعب ابن علي الشيوخ[3]، فألقى ثأر دموي بثقله على الثابت والفداغة، اللتين غادرتا نصيبين وعادتا إلى مراعيهما القديمة، حيث كانتا تتمتعان بالأمان تحت حماية إبراهيم باشا. بدوره، تصالح جارالله مع العاصي، فضمن السلام للعبده.

بعد سقوط قائد الملّية الكبير (1908م)، سعت الثابت إلى دعم الفدعان، إلا أن زعيم القبيلة الأخيرة، حاكم ابن مهيد، لم يكن راغباً في زيادة توتير علاقات عنزة وشمّر، وعمل عوضاً عن ذلك على مصالحة الثابت مع العاصي. وحين رفض مسعاه، ترك الأمور تأخذ مجراها. وكانت الثابت تشن غزوات ضد رفاقهم في القبيلة، جُرّت الفدعان شيئاً فشيئاً إلى النزاع. بهذه الطريقة، إنضوت الثابت في

(1) تابع. ابتون، ص222.

(2) تسبب به هادي ابن عاصي وابن عمه نايف ابن جارالله. تابع الملاحظة الخامسة حول شجرة نسب بيت محمد (الفرحان) ـ هنا تستكمل رواية الملّي برواية شمّر.

(3) أسقط من شجرة النسب.

جبهة عنزة، بينما تقربت الفداغة مجدداً من قبيلتها الأصلية، وإن بقي القائد عزو المحمود، المثقل بذنوب خاصة من الأحداث السابقة، مع أنصاره عند الملّية[1]. فيما بعد، عادت الفداغة أيضاً ومعها الثابت إلى شمّر.

إستجابت شمّر أول الأمر لنداء الجهاد الذي أطلقه الأتراك خلال الحرب العالمية. وشاركت وحدة منها في معركة الشعيبة (12/ 14 نيسان 1915م)[2]. ثم أخذت فيما بعد بسياسة ذكية ترمي إلى إقامة صلات مع الجانبين، فبقي الحميدي، شقيق عاصي وخريج مدرسة القبائل في القسطنطينية، على علاقة وثيقة مع الأتراك، بينما قدم شقيق آخر هو فيصل ولاءه إلى شريف مكة الثائر[3]. لم تحل أحداث الحرب، ولم يحل احتلال بغداد (11 آذار 1917م) بين شمّر وبين هجرتها الشتوية إلى العراق؛ فكانت تجتاز الجبهة في الخريف، بقوة ألفي خيمة، وتعود إلى المنطقة التركية في الربيع، رغم أنها كانت تتلقى معونات إنجليزية.

بعد الحرب، زار عدد من مشايخ القبيلة الموصل بناء على طلب إنجليزي، جيث تم احتجازهم أول الأمر. إنحاز حميدي وحده إلى جانب الانجليز، في حين فر الشيخ النافذ عجيل الياور وأعتبر خارجاً عن القانون. لم تخضع إذن شمّر الشرقية بأسرها، خاصة وأن زعيمها عاصي لم يكن يفكر أصلاً بربط نفسه بالانجليز. في أيلول من عام 1919م، باغتت شمّر قافلة كبيرة بين الموصل ودير الزور، ردت الحكومة عليها بتدابير عقابية لم تكن مؤثرة أول الأمر. ولكن بعد ذلك أرسل عاصي حفيده دهام إلى الموصل، وأعلن عزمه التخلي عن المشيخة لصالحه. فرض الانجليز غرامة على دهام، ووعدوه بأن يعترفوا به شيخ مشايخ بعد دفع الغرامة. لكن الأحداث السياسية، التي كانت تنذر بقدوم ثورة بلاد الرافدين الكبرى (11 كانون الأول 1919م وقع حادث دير الزور)، جعلته عازفاً عن الثقة

---

(1) مزيد من المعلومات في الملاحظة العاشرة حول الجدول.

(2) قرب بصرى.

(3) Review، ص42 ـ وصلت رسائل الشريف الكبير عام 1916م إلى شمّر، ولم يبق تصرف الأتراك العنيف ضد الوجهاء العرب في سورية دون أثر (عجيل الياور).

بالانجليز، وميّالاً إلى التردد في تنفيذ التزاماته حيالهم. أخيراً، إنتقل الرجل إلى الأراضي التركية.

إقتصرت مشاركة شمّر على المرحلة الأولى من الثورة، التي انفجرت مطلع عام 1920م، لأن نقطة ثقل المعارك سرعان ما انتقلت إلى العراق[1]. عندما تحولت، بعد خمود الحركة، منطقة الانتداب إلى مملكة وأعلن فيصل ملك سورية السابق حاكماً جديداً عليها (توج ملكاً يوم 23 آب من عام 1921م)، إنصاعت شمّر الشرقية دون مقاومة للظروف الجديدة[2]، ثم عاد الشيخ دهام عام 1922م إلى الأراضي العراقية، لكنه استبدل في العام نفسه بعمه عجيل الياور، الذي هو الآن الزعيم الأكبر لشمّر مملكة العراق جميعهم.

من جانبه، أبدى مشعل ابن فارس، شيخ شمّر الغربية، العداء حيال الانجليز، وشارك في الصدامات الأولى قرب البوكمال (بداية 1920م)، وأقام صلات مع البعثة العسكرية الفرنسية، التي وصلت عام 1920م إلى دير الزور. وتمتع حتى عام 1929م بثقة حكومة الانتداب ثم واجه صعوبات معها جعلته يجتاز الحدود عام 1930م إلى العراق. عام 1937م عاد من هناك، عندما تراخت السيطرة الفرنسية بعض الشيء، ليتولى شؤون مجموعته، التي كان يقودها في ذلك الوقت قريبه مزار ابن عبد المحسن.

يبدو أن تنظيم الجرباء كما يسمى شمّر بلاد الرافدين تميزاً لهم عن أبناء قبيلتهم الذين بقوا في جزيرة العرب، لم يشهد تبدلات كبيرة منذ الهجرة. أما أكثر عشائرهم أهمية فهي الخرصة، ذات الارتباط الوثيق بأسرة شيوخهم، ثم العبده والصايح والثابت والفداغة والعامود.

بالمناسبة، لا تلعب عشائر شمّر أي دور سياسي خاص، فذلك حق تحتكره

(1) Review، ص138.

(2) الشرق الحديث، الجزء الثاني، ص298 .

مجموعات القبيلة الكبيرة، التي تتمحور، بحسب مقتضيات الحال، حول واحد من شيوخهم. هذه الظاهرة ذات الطابع الخاص، ربما كانت ترجع إلى أن العشائر لم تهاجر بكاملها، بل هاجرت أجزاء منها فقط، مما منح القيادة وزناً أكبر مما لدى غيرها من القبائل، أمكنت ملاحظته منذ أول ظهور للجرباء في بلاد الرافدين، حيث آزرت شمّر بنيّة ابن عم فارس، وتقاسم صفوق سلطته في الجيل الثاني مع أبناء عمومته شلاش ونجرس. نشأت بعد موت صفوق مجموعات أربع قادها الأخوة فرحان، وعبد الكريم، وعبد الرزاق، فضلاً عن عمهم محمود الفارس. ثم أخذ تقسيم جديد يشق طريقه في السبعينيات، فتجمع شمّر الشرقيون حول فرحان وأخلافه، وتجمع حول فارس، الأصغر سناً منه، شمّر الغربيون، الذين يجب أن نحسب في عدادهم شمّر محمد الشيوخ وعلي الشيوخ: أخلاف مجموعات عبد الكريم وعبد الرزاق[1].

تجاوز شمّر الغربيون والشرقيون الحرب العالمية. ومنح رسم الحدود بين منطقة الانتداب الفرنسية ومنطقة الانتداب الإنجليزية، التي تحولت في وقت لاحق إلى مملكة العراق، منح مجاميعهما وزناً متعاظماً، خاصة بعد أن حملت شمّر الغربية الجنسية السورية وشمّر الشرقية الجنسية العراقية. سيكون من الأجدى، من الآن فصاعداً، التحدث عن شمّر سورية (جدول أ) وشمّر العراق (جدول ب)، مع أن الثانية أقوى بكثير من الأولى، التي فقدت منذ وقت طويل الحجم الذي كان لها في ظل فارس. ثمة مجموعة ثالثة (ج) تكونت بعد الحرب من شمّر شمال سنجار السورية، لكنها فقدت أهميتها بدورها منذ أن بدأ أفرادها يدفعون الضرائب للعراق، حيث يمضون الشتاء.

تنقلت شمّر سورية (شمّر الغربية) إلى ما قبل عقد من السنين على مقربة من الحدود التركية في الصيف (نص تل، على بعد45 كيلو متراً من حران ـ نصيبين). ويقال إنها أخلت المنطقة مؤخراً، وشرعت تقيم إلى الجنوب منها. أما في الشتاء،

(1) محمد هو ابن عبد الكريم، وعلي ابن عبد الرزاق.

فهي تنصب خيامها في منطقتي العقيق والروضة، جنوب غرب سنجار، بينما يجتاز معظمها الحدود العراقية.

تمتد منطقة الانتشار الصيفي لبقية شمّر من جغجغ، وتلتف حول سنجار لتصل إلى الموصل وتكريت. لكن عشيرة الصايح تجتاز معظم الأحيان دجلة وتتنقل من الزاب الأدنى إلى ديالىٰ. على أن منطقة انتشارها الشتوية تمتد من الجزيرة إلى ما بعد بغداد بكثير (بغيلة ـ ديوانية). وتتوغل العبدة أكثر من غيرها جنوباً، حتى إنها غالباً ما تنصب خيامها في الشامية (جنوب الفرات). تتم عودة بقية شمّر في وقت مبكر، فلا تأتي نهاية آذار إلا ويكون معظمهم قد بلغوا تل أعفر «تلعفر».

تل أعفر «تلعفر» ـ هي "بوابة شمّر"، وهي السوق الرئيسية للقبائل في الشرق وهناك سوق أخرى هي: بلد سنجار. وثمة أسواق أخرى على دجلة هي: الموصل وتكريت وسامراء، وعلى الفرات أسواق راوه، وعانه، والرمادي. وفي الأراضي السورية أسواق دير الزور، والحسكه، والقامشلي، التي حلت محل نصيبين، بعد ضمها إلى تركية.

ربما تكون مداخيل شمّر قد تراجعت كثيراً في ظل النظام الجديد. لقد مضت الأزمنة التي كانت فيها مناطق كحران ونصيبين وتكريت تدفع خوة[1]، وكانت رسوم القوافل تعطي عائداً مالياً كبيراً (سبعة قروش للجمل الواحد، حسب أرقام زاخاو (ص 306). إعترفت منطقة الانتداب البريطانية السابقة بحق أسرة عاصي في فرض الخوه، ما دام يقتصر على البدو (لا الفلاحين)[2]. أما المنطقة الفرنسية فلم تتخذ قراراً حاسماً في هذا الشأن. والحق، أن البقارة والشرابين لا زالتا تدفعان هذه الإتاوة، في حين ترفض قبائل الشيتي والمرسيني والكيكي الكردية دفعها منذ سنوات، وتفتقر أسرة مشعل إلى القوة اللازمة لتحصيلها.

---

(1) جونز: ص23 و26. زاخاو، ص128. فرايهر، الجزء الثاني، ص64.

(2) Review، ص52. كانت الخوة تبلغ خروفين ونعجتين ولادتين، وأربعة حملان و6 مجيديات لكل قطيع غنم.

لم تتحقق إلى الآن رغبة الحكومتين السورية والعراقية في دفع شمّر إلى الاستقرار. صحيح أن شيوخ المشايخ (الكبار) يمتلكون أراضي واسعة، لكن هذه لا يزرعها أبناء القبيلة، بل فلاحون وأنصاف رحل.

يصعب كثيراً تقدير قوة شمّر العسكرية، وربما كان عجيل الياور يمتلك قوة تقترب من 20 ألف بندقية، لأنه ليس زعيم شمّر العراق وحدها، بل يطيعه شمّر سورية كذلك، وعلى أقل تقدير في الشتاء. يضاف إلى ذلك فلاحوه وبعض أنصاف الرحل كجبور دجلة، المرتبطين بشمّر.

أسرة شيوخ شمّر

يختلف تنظيم شمّر اختلافاً جوهرياً عن تنظيم العنزة. فبينما تنقسم الأخيرة إلى سلسلة عشائر مستقلة تخضع كل واحدة منها لشيخ خاص بها، يعترف شمّر بلاد الرافدين جميعهم بحكم أسرة شيوخ واحدة. لذلك، يبرز هنا الإنقسام إلى مجموعات تكونت بصورة مصطنعة بدل الإنقسام إلى وحدات نمت بشكل طبيعي، وترتكز المجموعات على رابطة شخصية تشدها إلى أعضاء مختلفين من أسرة شيوخ شمّر، أي إلى وقائع ترتبط بالظروف الخاصة التي تمت في ظلها هجرات شمّر، من جهة، وإلى احترام الشمّريين غير العادي لأعضاء أسرة شيوخهم من جهة أخرى، حتى "لو أن طفلاً منهم ضرب أرفع الشمّريين منزلة، لما رفع هذا يده دفاعاً عن نفسه" (زاخاو). هذا الموقع الامتيازي الذي تحتله الأسرة، يثير الاهتمام، خاصة وأنها لم تنبثق من صفوف شمّر نفسها.

ترجع أسرة شيوخ شمّر إلى محمد ابن فضل، فهي إذن من نسل الفضل، الذي كان يتولى قيادة طي السورية في العصر الوسيط[1]. صلة النسب هذه لا تعود إلى فترة بعيدة، كما يبدو للوهلة الأولى، لأن شيوخ الفضل سكنوا جبل شمّر خلال القرن الرابع عشر[2].

---

(1) أنظر فيما بعد شجرة نسب بيت محمد وسلسلة أخلاف عجيل.

(2) أنظر مقالة فضل في قسم سورية.



الشيخ عجيل الياور وولده أحمد (1937م)

تحمل أسرة شيوخ شمّر اسم آل (بيت) محمد تيمناً بأبيها الأول. ويتكنى أعضاؤها بلقب الجرباء «الجربة» المعروف.

ليس هناك معلومات دقيقة حول الأجيال القديمة من الأسرة، لذا يبدأ تاريخها بالنسبة لنا مع الشيخ مطلق الجرباء، الذي سقط في نهاية القرن الثامن عشر خلال قتال ضد الوهابيين، فأسس شقيقه وخلفه فارس الفرع الحاكم حالياً من الأسرة[1].

أمضى فارس قسماً من حياته رهينة في الدرعية، عاصمة الوهابيين[2]، لأن آل سعود درجوا على ضمان ولاء البدو لهم بأخذ رهائن منهم[3]. مع وصول نبأ موت مطلق (1798م)، فر فارس إلى العراق، ثم تولى قيادة القبيلة المتيتمة التي كانت تقيم آنذاك في الشامية. فيما بعد، مكنته ظروف ملائمة من إقامة علاقات وثيقة مع الحكومة: لدى تغيير الباشا عام 1802م، سقط مستشاره للشؤون البدوية محمد بيك شاوي زاده من قبيلة العبيد ضحية للصراع الوظيفي، فاختير فارس خلفاً له، لإلمامه الدقيق بالشؤون الوهابية، التي كانت على قدر خطير من الأهمية بالنسبة لولاية بغداد. عرف فارس كيف يوحد بمهارة مصالح الأتراك ومصالح قبيلته. إن حق شمّر في عبور الفرات هو أحد إنجازاته، وكذلك الحملة ضد العبيد، التي ضمنت حق شمّر في استيطان الجزيرة. وكذلك تحريض سليمان باشا الصغير، الذي كان فتى قليل الخبرة، على إرسال حملة إلى الشمال عام 1809م أوصلت حكم شمّر إلى البليخ، باعتبار أنها اخترقت منطقة سنجار من أجل تأديب اليزيديين. تلقى الباشا في هذا المكان نبأ انفجار تمرد في المنطقة بين ماردين وديار بكر، فاتجه بقوته الرئيسة نحو الشمال، تاركاً لفارس شرذمة صغيرة متحركة، إلى جانب جماعات دعم كردية وعربية، وأمره بمواصلة سيره إلى البليخ. بيد أن الحملة تحولت إلى

(1) أنظر لوحة النسب في مقطع: مشجرة نسب بيت محمد.

(2) دوكورانسيه: تاريخ الوهابيين، ص47 (بالفرنسية).

(3) تابع بوركهاردت، ص243.

كارثة، بسبب عجز قائدها التركي، الذي شتت البدو المعادون قواته[1].

لم يتأثر مركز فارس بهذا الفشل، وحافظ على منصبه في بغداد إلى أن تولى السلطة سعيد باشا (عام 1813م)، الذي رفعه شيخ قبيلة المنتفق القوية إلى سدة الحكم. ظهرت نتائج تجميد فارس شتاء عام 1814/ 1815م بسبب غارات شنتها شمّر، تلتها في الشتاء التالي عمليات نهب شملت ضفاف الفرات من الحلة إلى الديوانية، قامت بها في ركاب جيش تركي كان يقمع انتفاضة بدوية في العراق. إستعان سعيد باشا، عندئذ، بالمنتفق، فوحد هؤلاء قواهم وقوى الضفير، أعداء فارس، وهزموا شمّر والقبائل العراقية المتحالفة معها قرب لملوم[2]. بعد وقت قصير، وعلى أي حال قبل عام 1818م مات الشيخ فارس[3][4]، الذي لا شك في أنه كان أكثر ساسة أسرة شيوخ شمّر نجاحاً، رغم أن شهرة ابن أخيه[5] بنيّة الحربية عتمت في وقت مبكر على انجازاته.

هناك بضعة أخبار حديثة وسلسلة من القصص المتأخرة حول بنيّة، جمعها روس عام 1836م[6]، تمجد كرمه وشجاعته، وتضفي عليه، من جانب آخر، مسحة

(1) إن تاريخ رسول حاوي أفندي، الذي أخذ التقرير منه، يسمى الضفير كعدو لشمّر في هذه المعركة، وهي قبيلة هاجرت بدورها من نجد إلى الشامية. بينما يذكر مرجع آخر معاصر هو لغة العرب، 1911م، رقم3، ص97 إلى جانب الضفير عنزة أيضاً. يرجح أن تكون هذه المعركة هي التي تكللت بذلك النصر الذي أحرزته عنزة عام 1809م عند مصب الخابور على شمّر والأتراك (بوركهاردت، ص236، 308). فالتاريخ يتطابق تماماً والمكان تقريباً.

(2) دوحة، ص280. ثمة عرض تفصيلي لهذه الأحداث في قسم العراق.

(3) في الجدول الذي وضعه شبرنغر في العام ذاته يذكر اسم عمر الجربا كزعيم لشمّر، ربما كان الاسم منقولاً عن عمر أو عمير، تابع لوحة النسب في مقطع شجرة بيت محمد ولايارد: نينوى وبقاياها. الجزء الأول، ص93.

(4) دفن فارس في الخثال في نجد (خارطة موزيل: شمال الجزيرة العربية)، حيث أمضت شمّر من حين لآخر الشتاء هناك.

(5) المراجع المعاصرة صحيحة، دوحة، ص280. ريش، الجزء الثاني، ص110.

(6) Jrgs، الجزء التاسع، ص453.

من الوحشية تجافي عادة طبيعة البدوي. بين هذه القصص واحدة تستحق أن تساق هنا: كان بنيّة يجالس ذات مرة أبناء قبيلته في خيمة، عندما لاحظ عيوناً تنظر عبر الحصيرة التي تفصل قسم النساء عن قسم الرجال. فما كان منه إلا أن التقط مدق مهباج القهوة الحديدي، وتلاعب به للحظات ثم قذفه نحو الحصيرة، متظاهراً أنه يفعل ذلك بمحض المصادفة. تبع ذلك صيحة. وحين تبين القوم حقيقة الأمر، وجدوا زوجته ممددة وراء الحصيرة وقد تهشم رأسها. هناك أيضاً قصص أسطورية حقيقية حول شجاعته. فقد غطى انسحاب الأتراك في معركة مصب الخابور[1]، وقاد شمّر مراراً وتكراراً إلى انتصارات على عنزة: عدوها اللدود. قتل بنيّة في معركة لملوم (1815م)[2]، عندما انزلق حصانه على أرض بللها المطر الغزير. وقد عثر بعض مقاتلي المنتفق عليه مصاباً بجراح شديدة، فأعطاهم اسمه ورجاهم استدعاء شيخهم. غيرأن قائد المجموعة المعادية رفض رجاءه، لاعتقاده أن شيخه سيبقي عليه، وقتله بطعنة رمح، ثم قطع رأسه وأرسله إلى بغداد، حيث أمر الباشا بإلقائه إلى أسد، فلم يجرؤ على الإقتراب منه، بل تقافز كالمجنون في قفصه، ولم يعد إلى هدوئه إلا بعد أن أبعدوا الرأس عنه.

إنتقل التمجيد غير المحدود، الذي خصت شمّر بنيّة به أثناء حياته، إلى ابنته عبطه، التي كانت تعقد اجتماعات إستشارية كالرجال، وتفرض كلمتها كقانون.

خضعت شمّر خلال العقود الثلاثة التالية لحكم صفوق، ابن فارس، الذي لم يكن أقل أهمية من أبيه. تقرّب صفوق مجدداً من الحكومة، وقدم بعض العون لداوود، آخر باشا مملوكي في بغداد، كما فعل عام 1821م خلال غزوة فارسية للعراق[3]. وعندما عزل داوود عام 1830م، كان الشيخ قد انضم إلى علي رضا باشا، الذي ما لبث أن أزاح معارضيه بقوة السلاح، ورافق طلائع تركية إلى

(1) بوركهاردت، ص236.

(2) دوحة، ص280. وما يلي تبعاً لروس.

(3) لونكريك، ص245.

بغداد[1]، حيث سلكت سلوك المنتصرين في مدينة محتلة. رداً على ذلك، إنفجرت انتفاضة في المدينة استمرت إلى أيلول من عام 1831م. ويبدو أن علي رضا حمل الشيخ صفوق مسؤولية الأحداث، ورفض منحه مكافأة مالية كان قد وعده بها. إنتهى تمرد شمّر الذي تلى ذلك إلى تعيين شلاش، ابن عم صفوق، شيخاً للقبيلة بدلاً منه، لكنه استعاد مكانته سيداً أوحد لشمّر، عندما قتل شلاش في معركة ضد عنزة 1834م[2]، رغم أنه بقي رجلاً مشبوهاً في نظر الأتراك. وعندما حطم الوزير الأكبر السابق رشيد باشا سلطة كبار الاقطاعيين في أعالي بلاد الرافدين، إعتقل صفوق بين من اعتقل وأرسل إلى القسطنطينية (1836م)[3] . حين أطلق سراحه بعد حين، وانفجرت اضطرابات شمّرية جديدة[4]، لجأ نجيب باشا بغداد (وكان قد عيِّن عام 1842م في هذا المنصب) إلى وسيلة مجربة ونصب شيخاً بديلاً اختاره من أبناء عمومته هو نجرس[5]، الذي انحازت أغلبية شمّر إليه، فلم يجد لايارد بصحبة صفوق غير عدد قليل من الأتباع، حين قام بزيارته عام 1846م. حاول صفوق عبثاً الحصول على مساعدة باشا الموصل، وقد بلغت أحواله عام 1847م درجة من التردي أجبرته على الهرب إلى بدر خان بيك، زعيم حصن كيف الكردي، الذي كانت سمعته قد بلغت الحضيض بدورها، بسبب المذابح التي قام بها ضد المسيحيين عامي1843و 1846م. هنا، نجح صفوق في إقامة صلة مع نجيب باشا، وفي الحصول على اعترافه به كشيخ مشايخ. لذلك قرر التخلص مرة واحدة وإلى الأبد من منافسه، ودعاه إلى مداولات في خيمته. وحين لم يقدم، أمر ابنه فرحان باحضاره، فأبى هذا تنفيذ رغبة أبيه، إذا لم يَعِد بحماية ضيفه من أي سوء. إستجاب نجرس بتردد للدعوة، بسبب ثقته بحماية فرحان. أثناء الحديث في خيمة صفوق، حدثت مشادة نجمت عن استفزازات صفوق لضيفه. حاول فرحان عبثاً

---

(1) لونكريك، ص268.

(2) حول قبره، أنظر موزيل الفرات الأوسط، ص149.

(3) روس في Jrgs، الجزء التاسع، ص457.

(4) لايارد: مغامرات مبكرة، الجزء الثاني، ص199.

(5) ليست المرويات الحالية واضحة فيما يتعلق بدرجة القرابة.

الوقوف بين الرجلين، لكن صفوقاً شهر سيفه وانقض على نجرس ثم قتله، حين رفض قريب كان معه تلبية رجائه وتقديم حمايته له ـ أخرج انتهاك حقوق الضيافة شمّرا عن طاعة صفوق، الذي طلب عون نجيب باشا، عسى أن يساعده في استرداد سطوته، فأمده هذا بقوات غير نظامية قادها ضد قبيلته، لكنه قتل بعد ذلك في الطريق بأمر من الباشا نفسه[1].

على الرغم من عقوقه، لم يفتقر صفوق حتى في أشد اللحظات قتامة إلى أنصار مطيعين. وبينما صار فارس وبنيّة نصف منسيين، بقيت ذكريات صفوق الرهيب حية في أيامنا أيضاً.

شحنت عمشة، ابنة شيخ طي حسن وزوجة صفوق الرئيسة[2] في أعوامه الأخيرة، أبناءها الثلاثة منه: عبد الكريم وعبد الرزاق وفارس شحنتهم بالحقد على الأتراك، الذين اعترفوا بفرحان، بن صفوق البكر، المتحدر من زواج آخر وذي الطبيعة المسالمة، شيخاً للقبيلة[3]. لم يجد هذا غير قليل من الأنصار بين شمّر، لذلك آلت قيادة القبيلة إلى أخويه عبد الكريم وعبد الرزاق. مات عبد الرزاق وهو فتى: فقد أهانه حاكم ماردين وقتله عندما حاول الإنتقام لنفسه. هكذا كان على عبد الكريم الإنتقام لأبيه وأخيه. وقد فعل ذلك بطريقة حاسمة، ألقت بلاد الرافدين في حمأة اضطرابات دامت سنوات طويلة، فر في نهايتها إلى العراق طالباً حماية المنتفق. ويقال إن أخاه فرحان أخبر الأتراك بمكان إقامته، فأمروا بالقاء القبض عليه، وجلبوه إلى الموصل وشنقوه على جسر دجلة (حوالى عام 1870م)[4].

تعتبر ظاهرة عبد الكريم اللامعة فريدة بين تجارب الأجيال اللاحقة من الأسرة. إذا كان لنا أن نثق بالقصص المنتشرة حوله[5]، وجب علينا أن نرى فيه

---

(1) لايارد: نينوى وبقاياها، الجزء الأول، ص94 و111.

(2) المرجع ذاته، ص100.

(3) جونز: ص370.

(4) بلنت، الجزء الأول، ص317. زاخاو: ص302. حول التزمين، تابع ابتون: ص224 ومجلة Zdpv، الجزء 23، ص56.

(5) تم تقديم واحدة منها في الصفحة 143 أعلاه.

تجسيداً حقيقياً لفضائل ومُثل البدوي الرومانسية العليا، كما يلخصه حس البطولة، والنبل، والكرم.

بموت عبد الكريم، تمكن أخوه الأكبر فرحان من التمتع أخيراً بحقوقه. ومع أنه تلقى في السبعينيات لقب الباشوية وراتباً شهرياً من الحكومة، فإنه لم يحظ أبداً باحترام حقيقي في قبيلته. وزاد الطين بلة أنه واجه منافساً جديداً هو أخوه الأصغر فارس، الذي ترعرع بين شمّر نجد، حيث كانت أمه عمشة قد أرسلته إليهم بعد موت أبيه صفوق. عاد فارس عام 1875م، وسرعان ما كون مجموعة خاصة به، وأقام علاقات طيبة مع الأتراك، الذين عينوه قائمقاماً أول الأمر، ثم أنعموا عليه بلقب باشا، وجعلوه نداً لأخيه فرحان[1].

توفي فارس[2] عام 1319هـ/ 1901 ـ 1902م. بما أن أولاده كانوا فتياناً صغار السن، ذهبت السلطة إلى نسل فرحان، الذي سبق أن توفي بدوره عام 1880م، تاركاً وراءه عدداً كبيراً من الأبناء، الذين تقاتلوا فترة طويلة حول التركة، إلى أن تغلب في نهاية المطاف الأخ الأكبر عاصي، "المتمرد" الذي ينطبق معنى اسمه على أبناء فرحان جميعهم، كما تلاحظ غيرترود بل بحق[3].

يبدو أن الأتراك لم يعترفوا أبداً بمشيخة عاصي. أما هو، فلم يبذل بدوره أي جهد من أجل الحصول على اعتراف كهذا، ورفض إقامة أية علاقات مع السلطات، تاركاً لأقاربه مهمة تمثيل القبيلة عندهم. حتى عام 1917م، تولى أربعة من أخوته على الأقل مشيخة شمّر الشرقية، فضلاً عن واحد من أولاده اسمه هادي[4]. كان الحميدي بن فرحان آخر شيخ مشايخ اعترف به الترك. ثم نقل

(1) بلنت، الجزء الأول، ص320. فرايهر فون اوبنهايم، الجزء الثاني، ص41. لا يذكر ابتون، الذي قام برحلته عام 1875، فارس بعد. وقد زرت فارسا عام 1893م وهو في أوج قوته في مضرب شمّر في مقره الصيفي غير بعيد عن نصيبين.

(2) يقع قبره في الطايره غير بعيد عن نصيبين.

(3) Review، ص42.

(4) تظهر الأسماء وتتابعاتها في شجرة نسب بيت محمد (الفرحان).

الانجليز عام 1919م لقب الشيخ إلى دهام ابن الهادي، حفيد عاصي، ليحل محله عام 1922م، أي بعد فترة قصيرة من بداية حكم الملك فيصل، أحد أبناء أخ عاصي: عجيل العبد العزيز الفرحان.

يعتبر عجيل الياور[1]، زعيم شمّر العراق، أكثر شخصيات أسرة الشيوخ الحالية أهمية. فقد عرف كيف يتكيف بحنكة مع ظروف العصر ويجني موارد ضخمة عززتها إعانة حكومية شهرية تبلغ 150 ديناراً، حين كلفته الحكومات والشركات بحماية منابع وأنابيب النفط في بلاد الرافدين، وتجنيد عمال من أجل بناء السكك الحديدية بين ضفة دجلة اليمنى والموصل. تتكون ثروة عجيل من العقارات بالدرجة الأولى. فقد ورث أراضي واسعة عند قلعة شرقاط وتكريت، كان السلطان عبد الحميد قد أهداها إلى جده فرحان، فضلاً عن أراض اشتراها هو نفسه في منطقة تل أعفر «تلعفر»، وأخرى يمتلكها في بغداد والموصل، وبيوت في تل أعفر «تلعفر» وقرية قلعة شرقاط[2]، يسكن فيها من حين لآخر.

يقيم عجيل الياور مضاربه عادة قرب تلعفر، وأحياناً قرب بلدة سنجار أيضاً. ويتابع أعماله في الموصل بنفسه، بينما يمثله لدى حكومة بغداد[3]، إذا كان هناك ما يمنعه من القدوم إليها، ابن عمه مشعان بن فيصل[4]، المشرف على أملاكه عند قلعة شرقاط.

قام عجيل برحلة إلى أوروبا عام 1937م، قادته إلى حفل تتويج الملك في

---

(1) اطلق العاصي لقب الياور (وهي كلمة تركية تعني المرافق) على عجيل بينما كان لا يزال في سنوات شبابه الأولى. كان عجيل آنذاك محل ثقة عمه فيصل وكان غالباً ما ينجز أعماله لدى العاصي.

(2) وجدتُ عام 1893م في قلعة شرقاط بيتاً بناه فرحان بناء على رغبة السلطات التركية، ولم يستخدمه علي الإطلاق تقريباً. تابع: فرايهر فون اوبنهايم، الجزء الثاني، ص209.

(3) يمثل شمّر في مجلس النواب عم عجيل الحميدي، الذي يعيش في أملاكه قرب سامراء، ومصدرها هدايا السلطان عبد الحميد.

(4) زرت والده فيصل عام 1893م قرب قعلة شرقاط، فرايهر أوبنهايم، ص207.

لندن وإلى المانيا، حيث ترك بقامته الباسقة، وكبريائه، وطريقته النبيلة والمحببة، انطباعاً عميقاً لدى كل من التقاه.

بالمقارنة مع عجيل، يبقى مشعل ودهام، زعيما شمّر سورية، محدودي الأهمية. يبلغ مشعل الآن الخامسة والخمسين. وقد وصفنا في مكان آخر سياسته الموالية للفرنسيين، التي عادت عليه بباشوية منحه إياها الجنرال غورو عام 1921م، وبوسام شرف ناله بعد ذلك. عام 1927م، انتخب مشعل ممثلاً لبدو الزور في الجمعية التأسيسية السورية، وانتسب إلى الحزب الوطني. ومع أنه كان صاحب قصر في الحسكة وأرض على الخابور، فإنه خسرهما بسبب مصاعب سبق ذكرها. أقام مشعل في العراق بين عامي 1930م و1937م، حين أصبح ميزر بن عبد المحسن، حفيد عبد الكريم، قائداً لشمّر سورية. وهو يتلقى الآن إعانة سنوية تبلغ 1800 ليرة سورية، بوصفه سياسياً قريباً من الوطنيين، بينما يحصل ميزر، الذي يلعب دوراً قيادياً في الحركة من أجل الحكم الذاتي، 2300 ليرة سورية[1].

يمتلك دهام، قائد المجموعة (جـ) منذ عام 1922م، قرية الشلاقة (على بعد 50 كيلومتراً إلى الشرق من نصيبين)[2]. ويمثل شمّر في البرلمان ويتلقى معونة مماثلة لمعونة ميزر. يخيم دهام آناً قرب ضمير كابو (الرميلان)، وآناً آخر قرب نصيبين/ القامشلي، وله من العمر سبعة وثلاثون عاماً.

كانت علاقات دهام وعجيل متوترة في الماضي، لكنها تحسنت كثيراً في الفترة المنصرمة. بينما يسود التفاهم صلات مشعل مع عجيل ويسود التنافس في علاقته مع دهام.

(1) ألف ـ باء. دمشق، 1 شباط، 1938م.

(2) مونتانيه: حكايات بدوية شاعرية.

مشجرة نسب بيت محمد

يستطيع شيخا مشايخ شمّر الغربيين والشرقيين، مشعل باشا وعجيل الياور، العودة بأسلافهما سبعة عشر جيلاً إلى الوراء. تتكون سلسلة نسب عجيل من عجيل ابن عبد العزيز بن فرحان بن صفوق بن فارس بن الحميدي بن مقرن بن مشعل بن قرينيس «گرينيس» بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن مشعل بن شلاش بن سالم بن محمد. . . ابن فضل. . . ابن معن[1]. ويتحدر معن، ككل شمّر، من قحطان: العرب الجنوبيين.

تتطابق معطيات مشعل حول سلسلة نسبه مع معطيات عجيل، إلا في نقطتين: فهو يضيف في نهاية السلسلة اسم عباس، الأب الأول للعباسيين (العرب الشماليين)، ويؤكد، ثانياً، أن موقع معن بين الأعضاء الأخيرين ليس أكيداً.

هذا التباين طبيعي، بسبب تداخل تصورين لدى مشعل: أولهما (الذي يتبناه عجيل وحده) حيث يتحدر بيت فضل، الذي يعود إليه آل محمد بنسبهم، من نسل طي بني معن القديم. وينحدر في التصور الثاني من العباسيين[2]. يرجع تصور شمّر الثاني إلى تاريخ قريب، وهو متأثر بالتقاليد المماثلة لأسر الشيوخ السورية (أبوريشة، فاعور)، التي ترجع نسبها إلى الفضل، شأنها في ذلك شأن آل محمد[3].

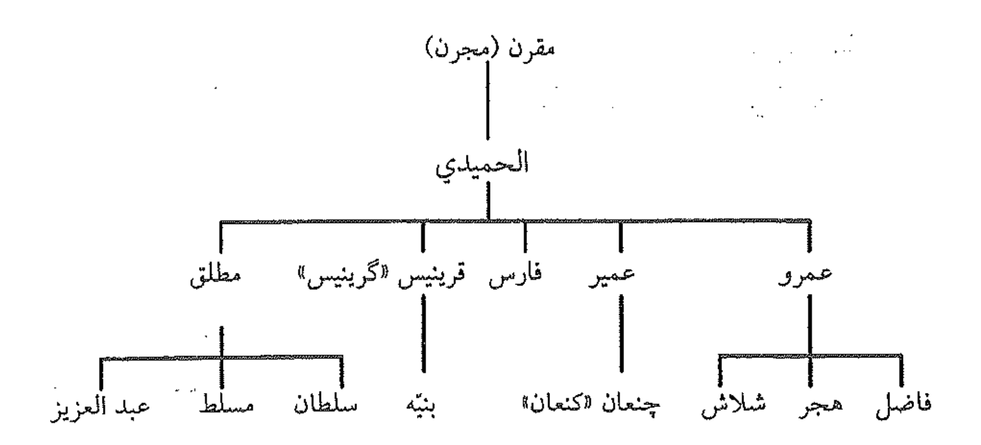
تعرف شمّر تفريعات بيت محمد بدءاً من حميدي. وهي تبدو على النحو التالي في الأجيال الأولى:

---

(1) عقيل بن عبد العزيز بن فرحان بن صفوق بن فارس بن الحميدي بن مقرن بن مشعل بن قرينيس بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن مشعل بن شلاش بن سالم بن محمد. . . ابن فضل. . . ابن معن.

(2) تم منذ العصر الوسيط إثبات كلا التصورين حول أصل الفضل. أنظر الملاحظة الثانية حول شجرة نسب آل فضل وآل علي في قسم سورية.

(3) مما يؤيد ذلك أن مججم ابن مهيد، شيخ الفدعان، أعلن بأن آل محمد هم أخلاف للأبوريشه. أنظر زاخاو: ص300.



تبين شجرتا النسب كلتاهما ذرية فارس، وتظهران أن عبد العزيز ومسلط وبنيَّه وچنعان وشلاش وهجر لم يرزقوا بأبناء، وأن ثمانية عشر خلفاً لفاضل وسبعة لسلطان ما زالوا أحياء، يحتل أهمية خاصة بينهم سطام بن كردي بن سميط بن فهد ابن سلطان.

أخذت معطيات المقطعين السابقين من شجرة نسب أرسلها إليّ من بلاد الرافدين بطريقة تستحق شكري عجيل الياور مع صفوق: إبنه البكر[1]، قبل طباعة هذا الكتاب مباشرة. لكن قصر الوقت المتاح حال، للاسف، بيني وبين التعامل النقدي مع شجرة النسب الجديدة، واضطرني للإكتفاء بطباعتها دون تغيير. تضم الشجرة تقريباً جميع أبناء حميدي بن مقرن الذكور، وعددهم كبير بدرجة مخيفة. من ذلك، على سبيل المثال، أن أبناء فرحان من جيل الهادي بن عاصي[2]، يعدون 114 عضواً (قتل أو مات منهم 38)، بينما يعد جيل دهام بن الهادي 123 عضواً (مات منهم تسعة)، ويضم الجيل الأخير (ليس موجوداً بعد في شجرة النسب القديمة) 16 عضواً.

تعتبر شجرة نسب شمّر الجديدة فريدة في طابعها التفصيلي. ويرجح أن

(1) درس صفوق سنوات عديدة في الجامعة الأميركية ببيروت.

(2) مشجرة نسب بيت محمد (الفرحان).

يكون تنظيمها قد تطلب الكثير من جهد واضعها. والحق، أنها شجرة مهمة، تسمي بطريقة مميزة أعضاء القبيلة الذين ماتوا ميتة طبيعية، أو سقطوا في المعارك، أو لا زالوا أحياء.

لم نعرج هنا على الفروق بين أشجار الأنساب التي نمتلكها وسلاسل الأنساب لدى مونتانيه (وهي غير كاملة)[1]. إن شجرة النسب التي رسمها هذا على قدر كبير من القيمة، لكونها تذكر قسماً كبيراً من الأمهات، اللواتي كن، بالمناسبة، شمّريات حصراً كما تذكر عضوات في آل فرحان كن في الغالب من الأسرة ذاتها.

ملاحظات حول مشجرة نسب بيت محمد (آل عمشة)

1 ـ ثمة معطيات تشير إلى أن شجرة نسب شمّر من وضع عبد الرزاق بن محمد الشيوخ (1913م). وقد زودها مشعل باشا عام 1929 بإضافات تتعلق بالجيل الأخير من عائلته. تنصب الأرقام، بدءاً من عبد الكريم، على شمّر الغربية وحدها. وضع رقم (6) بين قوسين لدى ميزر، لأن مشعل كان قد تولى المشيخة في هذه الأثناء. توفي 1937م.

2 ـ ينقسم بيت محمد، بدءاً من صفوق، إلى آل فرحان، الذي يتبعه أيضاً أخلاف عبد الرحمن والمعجون، وآل عمشة، وتنتمي إليهم أسر عبد الكريم وعبد الرزاق وفارس.

أنظر حول عمشة: الصفحة 239. كانت أم فرحان ابنة شيخ فداغة المقيم في بغداد. وكانت أم عبد الرحمن والمعجون ابنة شيخ الفضول (بني لام).

3 ـ ترك ذرية كثيرة العدد، بقي منها ولدان و13 حفيداً و14 ابن حفيد. وقد تزوجت واحدة من بناته بالتتابع شيخي السبعه سليمان وبطين ابن مرشد. بلنت: الجزء الثاني، ص 116.

4 ـ أنظر مشجرة نسب الفرحان.

---

(1) حكايات بدوية شاعرية، الملحق 2.

ملاحظات حول مشجرة نسب بيت محمد (آل فرحان)

1 ـ الراوي: عبد الرزاق ابن محمد الشيوخ. وقد سقطت منها أسماء كثيرة كأسماء بعض أبناء الشيخ شلال، واسم صبي ثالث لفيصل (مشعان). أنظر أيضاً الملاحظتين 3 و4. إلا أن ابن أخيه (من الدرجة الثانية) أحمد عجيل الياور يطالب بصفته وريث أبيه بهذا المنصب.

تنصب الأسماء على شمّر الشرقية، بدءاً من فرحان (وقد حشر اسم عبد الكريم هنا خطأ).

2 ـ ولد حوالى 1810م. أنظر أوشير ـ ايلوا، روابط السفر إلى الشرق، من 1830م إلى 1838م. الجزء الأول، ص116 وما يليها. ينحدر أبناء فرحان الثلاثة الأول من زواجه بشمّرية من عشيرة عامود اسمها جزعة بنت لعيبي، ويتحدر الثلاثة الذين تلوهم مباشرة من درّة، ابنة شيخ طي سليمان، والثلاثة الأخيرون من فلْوه، ابنة شيخ الزوبع محمود. أما أم سلطان فهي بهيمه بنت ابن قشعم، وأم مطلق هي نوير بنت العيط (الجرباء). وقد تزوجت أم الأبناء الخمسة الصغار الكردية فصل بنت سعدون الجرجاري، من فارس شقيق فرحان، بعد موت هذا الأخير. بما أن هذا الزواج بقي بلا أطفال، عادت عام 1893م إلى العيش من جديد لدى أبنائها من زوجها الأول.

3 ـ الأبناء: (1913م) سليمان، عبيد، محمد، علي.

4 ـ الأبناء (1913م) عماش، زيد، سالم، صعب.

5 ـ غير صحيح. إنهم أبناء عاصي ـ وقد قتل محمد بالرصاص خلال النزاع الذي أتينا على ذكره في ص228، وتسبب به نواف ابن الجار الله.

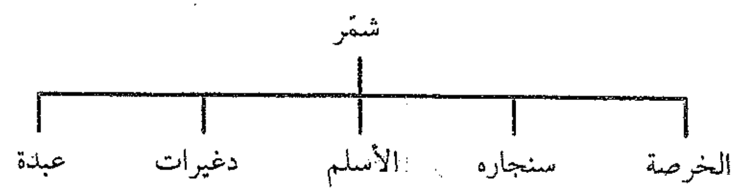
6 ـ لعجيل الياور الآن (1937م) ستة أبناء. صفوق (23 عاماً)، أحمد (12 عاماً) مشعل، محمد، حميدي، ومحسن. أم أحمد ومحمد هي آسيه بنت الحميدي ابن فرحان. وأم مشعل هي ابنة شيخ العبدة ابن عجل. أما الصبيان الأخيران فهما من منيفه بنت هايس بن فرحان.

أنساب شمّر

بعكس عنزة، تفتقر شمّر إلى نظام أنساب موحد. ربما كان نظام كهذا قد قام ذات يوم ـ سيكون في هذه الحالة قد دمر بسبب التمزقات التي أبعدت أجزاء القبيلة بعضها عن بعض ـ. وإن كان من المرجح أن شمّر افتقرت إليه دوماً، بدلالة أن محكياتها حول نسبها لا تختلف في بلاد الرافدين عنها في نجد وحسب، بل هي متناقضة بذاتها أيضاً.

تملأ محكيات شمّر نجد أشجار نسب ثلاثاً قام هوبر برسمها[1]، علينا، إذا كنا نريد فهمها، الإنطلاق من وجهة نظر عامة ترى أن نسب أية قبيلة يعكس غالباً تراتباً (سياسياً) قديماً، وفي الحقيقة أن هجرات شمّر في مجموعات مختلفة الحجم أدت إلى تمزقها. من هنا، يمكن للأسماء ذاتها أن تصف وحدات عليا في نجد ودنيا في بلاد الرافدين، وبالعكس.

مشجرة النسب الأولى:

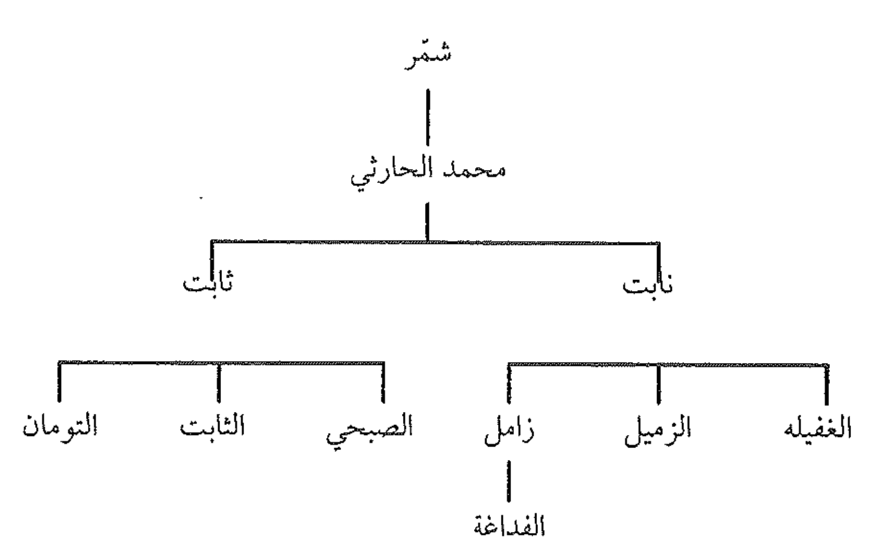


لا تظهر هذه الشجرة أي تراتب نسبي لأنها تمثل وضعية حديثة نسبياً، لأن

(1) تقرير عن رحلة في جزيرة العرب، 670، 232.

عبدة، سنجاره، وأسلم ليست غير الاتحادات الثلاثة الكبيرة التي تشكل شمّر نجد، بينما تمثل خرصة شمّر بلاد الرافدين[1]. ويتطلب إدخال الدغيرات في المشجرة حسب علاقات أقدم[2]، بالنظر إلى تبعيتها حالياً إلى العبدة. ينطبق الشيء ذاته على من أعطى القبيلة اسمه: شمر، وعلى اسم عناز في شجرة نسب عنزة: إنه اسم مختلق، وشمر[*]، كاسم شخص لم يستعمل منذ وقت طويل.

مشجرة النسب الثانية:



تعدنا هذه المشجرة بمعلومات أكثر، رغم أنها تنصب على قسم من قوم شمّر فقط. هنا أيضاً، يقف شمّر على رأس المشجرة. لكن أبا القبيلة الصحيح الأول هو محمد الحارثي، الرجل المعروف في بلاد الرافدين أيضاً، الذي لا نعلم ـ للأسف ـ

(1) يمكن أن يكون مقصوداً بذلك الأجزاء الباقية في نجد من القبيلة، المنضمة الآن إلى السنجارة.

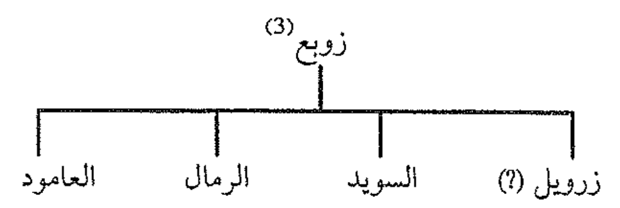
(2) حوالى منتصف القرن التاسع عشر، أنظر: جارماني، ص179.

(*) يذكر د. عبد العزيز نوار: أن شمّر سميت شمّر لأن رجالها كانوا يشمرون عن ساعد الجد خلال الأزمات. لكن قوله هذا ليس معللاً إلا إذا اعتبر أن كلمة شمّر هي اسم أو صفة مشتقة من فعل شمّر. (عبد العزيز نوار المنقول بواسطة أنور عبد الحميد في كتابه شمر وأمراؤها ص49) (شبّر).

عنه سوى أنه "كان محارباً عظيماً زمن الإسلام الأول" (على حد قول الشيخ هجر ابو وتيد من الفداغة). أما في الصف الثالث، فإن ثابت يصبح الشخص الذي يمنح القبيلة اسمه. لكن نابت موجود بدوره، إن لم يكن في نجد ففي بلاد الرافدين، حيث يمثل عشيرة فرعية من الفداغة[1]. أخيراً، يعتبر أعضاء الصف الأدنى أجزاء من اتحاد سنجارة[2]، عدا الثابت وصبحي والفداغه، التي لا تعود أسماؤها تذكر في جدول الأخيرة. لأنهم ليسوا ممثلين تقريباً في نجد. إذا ما تأملنا السلسلة في علاقتها بتراتب شمّر الجرباء، نراها اكتسبت وجهاً آخر، فالثابت والفداغه قبيلتان قويتان في بلاد الرافدين، والزميلات والغفيلة قبيلتان فرعيتان من الفداغه، بينما ليس ثمة ذكر للتومان، في حين أن الصبحي تشكل قسماً من الصايح.

وبصرف النظر عن الصبحي، التي سنبين موقعها فيما بعد، تقدم لنا العلاقة بين شجرة النسب وتراتب القبائل حقيقة جلية، هي أن الأنساب تنطلق من وضع أساسه انفصال القبائل. في ذلك الوقت، كان في نجد اتحاد يتكون من التومان والثابت والفداغة والزميل والغفيله. ثم هاجرت الفداغه والثابت بقضهما وقضيضهما على وجه التقريب، وهاجرت أقلية وحسب من الزميل والغفيله، ما لبثت أن انضمت إلى قبيلة الفداغه الشقيقة. ذلك الإتحاد حمل اسم سنجارة، الذي ستسمى به الثابت والفداغة في بلاد الرافدين أيضاً.

مشجرة النسب الثالثة:



---

(1) ليس من النادر أن تخضع مجموعات أعلى نسباً لمجموعات أدنى منها، أو أن تتساوى معها، من الناحية السياسية. هذه الظاهرة المستغربة لأول نظرة فسرها براونليش، دائرة المعارف الإسلامية، الجزء السادس، ص100.

(2) يعتبر التومان منذ وقت قريب اتحاداً قائماً بذاته.

(3) وضع هوبر نفسه علامة الإستفهام.

تنتمي الحلقات الثلاث من الصف الأدنى ـ الحلقة الرابعة مفقودة ـ بدورها إلى السنجارة[1]. وتعكس وضع الاتحاد الحالي، بمجرد أن نضيف إليها قبيلتي الزميل والغفيلة المذكورتين أعلاه، اللتين خرجتا من قبيلتي الثابت والنابت. ويبدو أن انقسام السنجارة إلى مجموعتي نسب أمر غريب[2]، وأشد إثارة للإستغراب أن علم الأنساب يخلو تماماً من تعبير السنجارة. بالمقابل، ليس الزوبع كياناً فارغاً على الأقل، فهناك قبيلة تحمل الاسم نفسه قرب بغداد، سنتطرق فيما بعد إلى علاقتها بشمّر.

سوف نتخذ من الآن فصاعداً نظام انتساب الجرباء[3]، الذي يقسم شمّر إلى ثلاثة أقسام[4]: "ضنا زايده"[5]، وضنا رضا، وضنا زوبع. تحسب إثنتان من قبائل الجرباء الست، هما خرصة وعامود على ضنا زايده، بالإضافة إلى صبحي، التي تشكل جزءاً من الصايح. هذا الترتيب لصبحي وعامود هو أقدم من الترتيب تحت الثابت والزوبع، الوارد في أشجار نسب نجد، فمن غير المقنع أن نفصل في بلاد الرافدين الصبحي والعامود عن الثابت والزوبع، طالما كانا في الأصل على علاقة بهاتين القبيلتين. بالمقابل، يصير موقعهما في نظام نجد مفهوماً على الفور، إذا ما أقمنا صلة بينهما وبين نظام انفصال القبائل: لقد كانت مجموعتا عامود وصبحي الباقيتان في نجد ضعيفتين، لذلك سعتا إلى الإلتحاق بغيرهما، وانضمت إحداهما (زوبع) إلى الرمال، وانضمت الأخرى في أغلب الظن إلى التومان (ثابت. بعد ذلك، عبرت الأنساب عن هذا الانضمام في صورة قرابة.

تتوزع بقية القبائل من شمّر بلاد الرافدين على ضنا رضا وضنا زوبع:

---

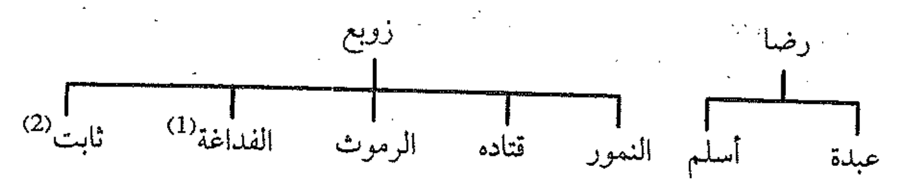
(1) العامود منضوون فيهم وحسب.

(2) خاصة عندما نأخذ بعين الإعتبار مكانة الرمال. فهم شيوخ الغفيلة وشيوخ مشايخ السنجارة.

(3) المصادر: مشعل باشا، عجيل الياور.

(4) تابع حول هذا التعبير مقطع: شجرة نسب عنزة "في المقالة السابقة".

(5) من الغرابة بمكان أن أبا شمّر ذاته يسمى زايد.



تشمل ضنا رضا بالإضافة إلى العبده[3] الأسلم أو القسم الثاني من الصايح (الأول هو الصبحي، الذي ينضوي في الضنا زايدة)[4]. هذا الوضع المتساوي للأسلم وعبدة يستحق الانتباه، لتطابقه مع التراتب الحديث لشمّر نجد، وإثباته أن هذا أقدم من انفصال القبيلة.

يتميز تركيب الضنا زوبع بقدر كبير من الخصوصية، فالرموث وآل قتاده (= المثلوثه) هما فخذان من الخرصة، بينما لا يمكن العثور على النمور على الأقل بين شمّر. لنتأمل الآن تنظيم قبيلة الزوبع، فإننا لن نجد هناك النمور وحدهم، بل كذلك الفداغه، والقتاده ونابت[5] ولهذا، فإن ضنا الزوبع وقبيلة الزوبع هما شيء واحد إلى حد بعيد من ناحية النسب.

لو قارنا الآن موضع ثابت والفداغة مع محكيات نجد، لعرفنا ـ أولاً ـ أن التعبير الأنسابي الزوبع يغطي تقريباً التعبير السياسي سنجارة[6]، ولتعزز ثانياً، إنطباعنا بأن انضمام الثابت/ نابت إلى شمّر حدث بصورة مصطنعة[7]، أو بكلمات أخرى، إن مجموعة زوبع/ سنجارة بأسرها لا تنتمي بالأصل إلى شمّر. وأن بوسعنا القيام بخطوة أخرى والقول: إن قبيلة زوبع لا تنحدر من شمّر، بل من طي. وبما أنه

---

(1) يحسبهم هوبر في الصفحة 600 على زوبع.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) يربط العبده بالعبيدة أيضاً، وهم عشيرة من قحطان الحديثة. دوتي، الجزء الثاني، ص37.

(4) ليس للصايح وجود من ناحية النسب. في موروثات أخرى يجب تصنيفهم في مرتبة أعلى من الزوبع والأسلم، ومساوية لمرتبة العبدة. هذه النظرة نجدها أيضاً لدى روبرت مونتانيه: (ملاحظات حول الحياة الإجتماعية والسياسية لجزيرة العرب الشمالية. شمّر نجد. باريس 1932م.

(5) أنظر صفحة 249 أعلاه.

(6) لدى مونتانيه يأتي ترتيب سنجارة (تومان) تحت الزوبع.

(7) لاحظ أن الانضمام غير موجود أيضاً في شجرة النسب الثالثة.



هجر ابو وتد (في الوسط) شيخ فداغة . شمّر (١٩١١م)

يستحيل فصلها عن ضنا زوبع شمّر، فلا بد أن ينطبق الشيء ذاته على هذه الأخيرة. لذلك يبقى على الأقل أثر من الأصل الحقيقي لشمّر في تاريخ نسبها.

علينا أن نتتبع وبشكل خاص النسب الذي حصلت عليه شمّر الجرباء لدى شمّر الغرب[1]، يقسم هذا النسب شمّر إلى هاشميين (ضنا زايدة) وقحطانيين (ضنا رضا وضنا زوبع). ينتمي الهاشميون إلى فخذ هاشم، الذي انحدر منه النبي محمد، فهم إذن عرب شماليون، بينما القحطانيون[2] عرب جنوبيون. بما أن شمّر لا ترتبط بأي رابط مع الهاشميين، فإن أخذها بهذا المفهوم يعني، أول ما يعنيه، إستبدال النبالة البدوية بالنبالة الدينية/ الإسلامية[3] وهذه ظاهرة أصبحت ذات انتشار واسع في الأنساب الحديثة. يقترن إدعاء النسب الهاشمي بموروث يسعى إلى ربط أسلاف أسرة شيوخ الجرباء بسلالة بني العباس[4]، الذين كان أبوهم الأول ابن عم النبي، وبالتالي هاشمياً.

---

(1) المرجع: مشعل الباشا. أكده مجحم ابن مهيد شيخ الفدعان.

(2) يوجد في قسم جزيرة العرب شرح لعلاقة المفاهيم النسبية التي تربط قحطان مع القبائل الأحدث التي تحمل الاسم ذاته.

(3) أخذت عادة شكل الانتساب إلى أحفاد النبي (أشراف، سادة). أحياناً، تأخذ شكل انتساب إلى قريش، كما هو حال عنزة على سبيل المثال.

(4) تابع مقطع شجرة نسب بيت محمد.

شمّر(1)

أ ـ شمّر سورية (شمّر الغرب) (2)

شيخ المشايخ: مشعل باشا الفارس(3)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1- الثابت (4)	متعب الحدب (5)	صيفاً : الخابور شتاء: الجزيرة السفلى	1600
أ ـ الجاسم	متعب الحدب		
ب ـ العمار	غربي بن محيثل مطلق المجرش		
جـ ـ البقعة	ظاهر الرويسي		
د- الدجاره	شفق بن راضي (6)		
هـ ـ العيسان	عناد بن عزام (7)		
و- الكذيان (8)	علي بن كذيان (8)		
2 ـ الفداغة (9)	هجر ابو وتيد(10)	صيفاً على الخابور شتاء جنوب سنجار	1500
أ- الغريب	هجر ابو وتيد		100
ب- المطعات	غربي الفديغي		100
جـ ـ السيد	سليمان بن جابر		100

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
د ـ الثابت	مسهوج بن عيار		360
هـ ـ الزميلات	غضوى الحبيس (11)		500
و ـ الغفيلة	ثلاج الطويل		
ز ـ القدور	خليف بن عبهول		
حـ ـ الرثعة			
3 ـ العامود			
أ ـ الخلف	حسن بن عامود	الصيف على الخابور	800
ب ـ الغضا	حسن بن عامود	الشتاء جنوبي سنجار	
ج التجاغفه	حسن الفند		
	شاشان بن مصيول		

ب ـ شمّر العراق (شمّر الشرق)

شيخ المشايخ: عجيل الياور(12)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الخرصة (13)		صيفاً: شمال سنجار	1650
أ ـ البريك	قناع القعيط	شتاء: الجزيرة الدنيا	450
1 ـ السعدي	متيوت بن صحن		
	السعدي (14)		
2 ـ القعطه	قناع بن نصار القعيط		
3 ـ البهيمان			
ـ الخضير	سباح البهيمان		
ـ الغربة	عقيدي بن غراب		

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
ب ــ الهضبة (15)			
1 ــ السويحان	بردان بن جليدان		
2 ــ الكداية	حواس بن فلاج		500
جـ ـالمثلوثة (16)			
1ـ الرموت (17)	متعب بن مطرود (18)		
2 ـآل قتاده (17)	ثامر الذويلف (19)		
د ـ العليان	حسان بن دايس (20)		300
1 ـ العليان	حسان بن دايس		
2 ـ السبية	ذياب بن حواس السبيه		
هـ ـ الغشم			150
ـ الغشم	حاكم بن عشم		
ـ الملحام	هايل بن سليم		
2 ـالصايح (21)	كنعان الصديد (22)	صيفا غرب الموصل / تكريت شتاء جنوب بغداد شرق دجلة غالباً	3500
أ ـالصبحى (23)			
1 ــ الشبيش	كنعان الصديد		600
2 ــ الحريرة	بشير الزعيلي (24)		500
3 ــ الميامين	سليمان الصهيبي		500
4 ــ الخماس	عراك المعكي		400
ب ــ الاسلم			
1 ــ النبيقان	ذياب بن حسان (25)		600
2 ــ الجحيش	خلف بن عيادة (26)		400
3 ــ البعير	مذري بن سراي	صيفا غرب الموصل / كريت شتاء جنوب بغداد	500
3 ـالعبده (27)	عقاب بن عجل (28)		3000

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أ ـ الاحيا (29)	عقاب بن عجل		600
	عبيد بن ابي الميخ (30)		400
ب ـ الدغيرات	حواس بن هثمي (31)		
	كساب الدوح		
ج ـ الجعفر	ابن علي		
د ـ العفاريت	تركي بن سوفي (32)		
ا ـ الويبار	تركي بن سوقي		600
أ ـ المفاضلة	تركي بن سوقي		200
ب ـ القعودات	دهام بن حريز (33)		
جـ ـ المجادعة	بصيلان بن رحيمان		200
	العفين المجيجيم		
2 ـ الساعد	صلال بن دخيل		200
	الضفيري (34)		
هـ -الجدي	نشمي بن طلاع (35)		400
1- الجدي	نشمي بن طلاع		
2- العنيزان	عياده بن عنيزان		

جـ ـ شمّر دهام ابن الهادي(36)

شيخ المشايخ: دهام ابن الهادي. منطقة الإنتشار: جغجغ/ دمر قابو

ملاحظات حول جداول شمّر

1 ـ توجد أقدم المعطيات الإحصائية حول شمّر لدى روسو (رحلة: 1808م، ص66 وما يليها)، حيث ترد أسماء الثابت والعبدة والصايح وسلسلة من العشائر. بعد ذلك، يأتي كتاب: «سياحت نامه وحدود» لخورشيد أفندي، الذي وضعه بالإرتباط مع أعمال اللجنة الدولية لترسيم الحدود بين تركيا وفارس (1850م). يختلف تقسيم خورشيد عن التقسيم الذي اعتمدناه في نقطة واحدة، وهي أنه يستبدل اسم الخرصة باسم الزيدان. عدا ذلك، نجده يورد بدوره اسم أسرة شيوخ (آل محمد) وعدد الخيام (200) بصورة مستقلة.

تثير الاهتمام أيضاً قائمة لايارد، التي وضعت في الوقت نفسه تقريباً، ونشرت في كتاب: "نينوى وبابل"، ص260، حيث يذكر خرصة وعامود بالتراتب نفسه، الذي هي عليه اليوم. بين أيدينا أيضاً جدول بيترمان من عام 1852م: "رحلات في الشرق"، الجزء الثاني، ص36 وما يليها، وهي تركيب عشوائي تقريباً من أسماء قبائل وأسر شيوخ، نجد بينها بعضاً من العنزيين أيضاً. يتضمن تعداد بلنت (الجزء الثاني، ص188)، أسماء الشيوخ وأعداد الخيام. ينطبق على الجدول التركي لمجلة ZDPV الجزء 23، ص57 وما يليها، الشيء نفسه، الذي قلناه حول جدول عنزة. بينما تتسم لائحة الدليل، ص80، بعموميتها. ويتعاطى تيريبه (ص 119) مع قبائل شمّر الموجودة في منطقة الإنتداب الفرنسي دون غيرها، في حين يراعي تقرير لجنة... دراسة الحدود بين سورية والعراق (سلسلة إصدارات جمعية الأمم 1932، الجزء السادس آ) المجموعة التي تعيش في مملكة العراق. من جانبه، يحاول مونتينه في "قصص بدوية شاعرية"، مجلة الدراسات الشرقية، المعهد الفرنسي بدمشق، الجزء الخامس (سنة الإصدار 1935م) تقديم كتابة صوتية للأسماء.

يرتكز جدولنا على تسجيل من صيف عام 1929م (الراوي: مشعل باشا)، تم تحسينه في آب من عام 1937م في ضوء معطيات قدمها لنا عجيل الياور. أما عدد الخيام، فقد اقتبسناه من تسجيل قديم يرجع إلى عام 1911م (الراوي: شيخ الفداغة هجر أبو وتيد). تمثل المجموعات (آ، ب، ... الخ) وحدات عرضية تماماً،

يمكن أن تتغير بتغير الظروف السياسية الداخلية أو الخارجية. بالمقابل، تعتبر التقسيمات الأخرى (2,1. . . الخ) ثابتة.

عدد الخيام في جدول شبرنغر هو 3200 محارب. ولدى خورشيد أفندي: 3450. وفي مجلة ZDPV 5000، وعند بلنت 12000. أما عدد جدولنا فهو 12050، لكنه، فيما عدا الخرصة، عدد مبالغ به.

2 ـ يسميهم الفرنسيون "شمّر الزور".

3 ـ صيحة حرب أسرة شيوخ (آل محمد): سيافه، سيافه. ووسمهم: T محجان.

4 ـ وفق تسجيل من عام 1911م، ينقسمون إلى أربع فرق هي: نجم، (د، هـ، و)، عمار، ضراعه (أ، جـ)، الشمالات، يظهر منها هنا العمار وحدهم.

صرخة الحرب الثابت: جدعا! جدعا!

5 ـ المقصود باسم جزار الأحدب لدى بلنت أبوه جزّاع الحدب.

6 ـ يذكر التسجيل القديم بين شيوخ فرقة نجم شيخاً اسمه مشحن الراضي.

7 ـ متوفى. يذكر التسجيل القديم شيخاً اسمه عناد بن عزو تحت نجم.

8 ـ يورد التسجيل القديم شخصاً اسمه بن ثديان تحت نجم، لذا يجب قراءته «كذيان».

9 ـ صرخة الحرب: غوش! غوش!.

10 ـ إبنه محمد مثله، شخص نافذ. كان المحارب المذكور أعلاه (ص228 وما يليها) عزو المحمود، قريب هجر. بعد أن وجد ملجأ لدى الملّي، قام بغزوات سلب ونهب ضد الفدعان. لكنه أساء بذلك إلى الملّي، بعد أن وجدت السلطات نفسها مجبرة على التدخل، فاضطر الفدعان إلى دفع تعويض عن الأضرار التي تسبب بها، في حين بقي هو بمنأى عن العقاب[1]. وقد غادر عزو برفقة الهجر ابو وتيد إلى شمّر الشرق، الذين رفضوا استقباله، فانقلب عليهم وأخذ يغزوهم، كما

(1) مزيد من التفاصيل في مقال جيس.

سرق للصايح حصانين وأربعين جملاً (في كانون الثاني من عام 1913م). حمّل المعنيون هجراً مسؤولية ما جرى، إلا أنه فر ذات ليلة من المضارب، تاركاً وراءه خيمته وجماله، في حين ألقي القبض على ابنه، الذي كان رفيق غزواته. شن عزو عندئذ حملة جسورة انتزع خلالها جمال هجر من بين قطعان شمّر، ثم استعاد شيخ الفداغة بقية أملاكه بناء على تدخل عبد الرزاق (ابن محمد الشيوخ). قتل عزو فيما بعد خلال عملية غزو.

11 ـ يذكر الحبيس لدى بيترمان أيضاً.

12 ـ صيحة الحرب: عصلان! عصلان!.

13 ـ ليس للخرصة شيخ خاص بهم، لأنهم أقرب أقارب بيت محمد. يخيم مع الخرصة القسم المترحل من عشيرة الزوبع، المرتبط بصلة قرابة مع شمّر. إلى هذا، يلاحظ تيريبه (ص 45) أن مجموعة من بني خالد، عدد خيامها مائة وخمسون، قدمت من نجد وانضمت إلى الخرصة. ربما تعلق الأمر هنا بأعضاء من العشيرة المحسوبة على الضفير.

صرخة حرب الخرصة: سيافه سيافه.

14 ـ السعدي أسرة شيوخ وقضاة قديمة. أنظر لايارد: نينوى وبابل، ص238، 261، 294، 305.

15 ـ هو ابن جليدان لدى بلنت.

16 ـ حول نسبها، أنظر أعلاه.

17 ـ الفرعان مذكوران كلاهما لدى روسو.

18 ـ 1911م: شاهين بن مطرود.

19 ـ 1929م: هميسان الضويلف.

20 ـ ضايس؟. أنظر: بن تايس عند بيترمان.

21 ـ صرخة الحرب: صبحي!. صبحي!.

22 ـ أسرة شيوخ قديمة.

23 ـ يلفظ أيضاً صُبحي.

24 ـ 1911م: محسن الزعيلي.

25 ـ 1911م: جده جزاع بن حسان.

26 ـ 1929م: أبوه دليان بن عيادة.

27 ـ ينقسم العبدة، من حيث نسبهم، إلى إحيا وربيعية. يشمل الأولون الفروع من أ إلى ب، والأخيرون الفروع، ج، د، هـ، وكذلك الزغاريت، الذين يشكلون الآن عشيرة قائمة بذاتها أنظر صفحة 219.

صرخة حرب العبدة: سناعيس! سناعيس!

28 ـ هاجر قبل فترة قصيرة من نجد. قارن مقال شمّر في قسم جزيرة العرب. قبل ذلك، حكمت أسرة ابا الميخ. وقبلها بعقود بن شريّم من فخذ السنان.

29 ـ يكتبه تسجيل 1911م و1929م: «اليحيا». ويكتبه موزيل في كتاب شمالي نجد، ص30: "آل يحيا".

30 ـ أسرة الشيوخ مذكورة حتى عند بيترمان.

31 ـ ابن هثمي عند بيترمان.

32 ـ 1929م: أبوه مبرد. 1911م: جده مناور بن سوقي.

33 ـ 1929م: علي بن حريز.

34 ـ 1929م محمد الضفيري.

35 ـ سابقاً ابن جدي.

36 ـ تصفها المراجع الفرنسية بـ"شمّر الحدود". وهي تشمل جميع المنتمين إلى المجموعة ب، إذا كانوا ينصبون خيامهم في المنطقة السورية صيفاً. وهذا ينطبق بالدرجة الأولى على الخرصة.

طـي

طي قبيلة متوسطة الحجم تسكن منطقة شرق نصيبين، تتخطى شهرتها العالم العربي. وهي البقية الباقية من قوم يعتبر من أقدم الأقوام العربية وأكثرها قدرة على تكوين القبائل: تفرع عنها إلى جانب شمّر عدد كبير من القبائل. تدين طي بشهرتها إلى رجل نسجت الأساطير حول كرمه هو حاتم، يعتبر إلى جانب عنترة بطلاً قومياً عند العرب، عاش في بداية القرن السادس الميلادي. كان حاتم زعيم أسرة شيوخ معروفة وشاعراً ذا شأن، نسب إلى نفسه كرماً غير محدود في قصائد أسهمت أبياتها في نشر أخبار جوده، حتى تحول شخصه إلى أسطورة عكست التعليقات على ديوانه[1] حكايات لا زالت حية في الموروث الشفهي لزماننا، وبينها واحدة يمكن الرجوع إليها في مكتبة هيربلوت الشرقية (ص406)، ربما كانت تعود إلى قصة من الديوان تحمل الرقم 12: تعرض حاتم ذات يوم لغارة شنتها على مضاربه قبيلة غريبة، فسار القتال لغير صالحه، وتشتّت طي واضطر هو نفسه إلى الفرار. حين أعاد نصب مضاربه، جاء مبعوثو القيصر هرقل من بيزنطه ليشتروا منه فرساً ذائعة الصيت. بما أنه لم يجد شيئاً يؤكل في الخيمة، ولم يمتلك حيواناً آخر غير الفرس، فقد أمر بذبحها وتقديمها لضيوفه. بعد مرور بعض الوقت، أخبره الضيوف بطلبهم، فقال إن الفرس ليست للبيع. رفض الضيوف كلامه، وطلبوا منه أن يهديهم الفرس بموجبات

(1) فريدريش شولتهيس: ديوان الشاعر العربي حاتم طي.

حق الضيافة، فأخبرهم عندئذ أنه ذبحها وقدمها وليمة لهم[1].

دخل جاتم أدب الشعوب الشرقية بوصفه رمز الكرم والجود. ودخل كذلك أدب الشعوب الغربية عبر ديوان غوته الشرقي/ الغربي. من الطبيعي أن النموذج الذي مثله لقي مناهضة في الشرق، كما تؤكد حكاية أوردها سعدي الشيرازي، شاعر عصر الحروب الصليبية الفارسي، في "گلستان" «روضة الورد»: "سئل حاتم الطائي إن كان رأى أحداً أو سمع بأحد يفوقه نبلاً في العالم، أجاب: ذبحت، ذات يوم، أربعين جملاً وخرجت بصحبة أمراء العرب إلى مكان بعيد في الصحراء، حيث التقيت بجامع أشواك وقد كدس كومة من الشوك. خاطبته متسائلاً: لم لا تذهب إلى وليمة حاتم، الذي جمع الناس كلهم حول مائدته؟. أجاب: من يكسب خبزه بيديه، ليس بحاجة إلى حاتم الطائي. هذا الرجل هو أشد كبرياءً وأعظم نبلاً مني"[2].

تعرضت شخصية بطلنا إلى تحوير خاص في رواية حاتم الفارسية[3]: يخضع حاتم، وهو هنا ابن ملك جنوبي اسمه طي، لاختبارات سبعة، بينما كان يساعد صديقه الأمير منير على الزواج من الأميرة حُسنَ بانو، فتسدد خطاه أصوات خفية وتؤازره حيوانات متوحشة كسب ودها بنبله واستعداده للمساعدة. يكتشف حاتم حلول المسائل المطلوبة خلال قتاله ضد عمالقة وشياطين، ويفوز بالأميرة لصديقه، ثم يعود إلى وطنه، ليجد والده وقد تخلى له عن الملك. هكذا جعلت الحكاية هنا من الزعيم البدوي فارساً تائهاً، وعمقت المثل الأعلى للرجل العربي القديم من خلال أفكار العفة، والتضحية، والعمل من أجل الضعفاء: بشراً كانوا أم حيوانات.

نلتفت الآن إلى أشهر ممثل لقوم طي وهو طي نفسها:

يرى الموروث المحكي في طي واحدة من القبائل التي هاجرت من جنوب

---

(1) تحكى قصص مشابهة عن بنية وصفوق وغيرهما من شيوخ شمّر (بوركهاردت، ص276). وقد لفت ريشر في كتاب الإسلام، الجزء السادس عشر، ص154، النظر إلى تشابه هذه القصص مع قصص بوكاشيو.

(2) غراف: گلستان «روضة الورد» سعدي، ص145.

(3) مغامرات حاتم طي، ترجمة دانكان فوربس.

جزيرة العرب. وهو محق في ذلك[1]، فقد كان الطائيون في فجر الإسلام كهنة الإله يغوث في جُرش على حدود اليمن الشمالية[2]. هناك، في أرض مذحج، أقرباء طي، يجب البحث عن مكان سكن القبيلة الأصلي، الذي تنقله إلى الجوف جنوباً، حيث منخفض مأرب[3] حكاية تعتبر انهيار منشآت ري هذه المدينة السبئية الملكية القديمة سبب هجرة قبائل جزيرة العرب الجنوبية. تخبرنا الحكاية أن الطائيين تركوا موطنهم وساروا نحو الشمال الغربي، مقتفين أثر جمل كان يختلط كل عام بقطعانهم ثم يختفي. هذا الأثر قادهم إلى جبال أجا وسلمى، أو جبل شمّر الحالي في شمال نجد، فامتلكوا المنطقة التي حملت اسمهم، وعرفت منذ ذلك الوقت بـ"جبلي طي".

تمكننا أخبار مؤرخي العصر القديم المتأخرين من تحديد تاريخ هذه الهجرة، ووضعها في سياقها التاريخي الصحيح. في الحوار الشهير حول القدرة، الذي تركته لنا مدرسة الغنوصي السوري بارديسانيس الأدويسي[4] يذكر الطائيون، إلى جانب السارازين، باعتبارهم من أقوام شمال جزيرة العرب. ويظهر القومان كلاهما في الكتابات المسيحية القديمة[5] التي دونت في الألواح اليهودية، وفي "الأخبار العربية" لاورانيوس، التي يستشهد بها ستيفانوس البيزنطي[6]. بما أن هذه الأعمال ترجع إلى القرن الثالث بعد الميلاد، وكذلك حوار بارديسانيس الذي يعود إلى مطلع هذا القرن أيضاً، فإن علينا أن نعتبر هجرة الطائيين تعود إلى القرن الثاني، لاسيما وأنهم "كالسارازين" أقدم ممثلي الشريحة المهاجرة، التي تدفقت على

(1) من الجلي أن اسم طي (في الحقيقة: طيّء) عربي جنوبي. لذلك يسخر من الجهود التي يبذلها اللغويون المحليون للاشتقاق اللفظي.

(2) فيلهاوزن، بقايا، ص131

(3) فوستنفيلد: سجل، ص436. لا بل إلى شحر، ياقوت، الجزء الأول، ص127.

(4) كيرتون: خصائص سورية (باللاتينية)، ص16: طيايه.

(5) وجد نسب طي في نقوش عربية شمالية قديمة أيضاً.

(6) ثمة خلاف حول عمر الجغرافي أورانيوس. تابع: موردتمان في موردتمان وميتفوخ: نقوش سبئية، ص7، ملاحظة رقم2.

شمال جزيرة العرب بعد انهيار مملكة النبطيين (106 ميلادية)، وامتصت القبائل الأقدم، الآرامية إلى هذا الحد أو ذاك، وأسست أول دول عربية نقية في الشمال. هذا كله أدى إلى استخدام اسم طي في بلاد الرافدين وفي المجال اللغوي السوري، مثلما استخدم اسم «سارازين» في الغرب، للتعبير عن "العرب" بوجه عام. ثم انتقل من السوريين بهذا الاستخدام إلى الفرس (تازي).

لم يكن موطن طي الجديد واسع الأرجاء، فقد اقتصر على أجا وسلمى والعوجا، الواقع إلى الغرب منهما (يسمى اليوم جبل مسما، ويقتصر الاسم القديم على نهايته الشمالية). لو رسمنا خطاً جعلناه يمر من مسما، عبر واحة جبة، الواقعة في القسم الجنوبي من النفود، إلى البقعا ثم يعود من هناك عبر فيد وسميرا إلى مسما ثانية، لحصلنا تقريباً على حدود طي، إنها أرض خصبة نسبياً، لا زالت تضم اليوم أيضاً سلسلة من المستوطنات وبعض مرافق الري، التي وجدت حتى في تجاويف جبل أجا[1]. لهذا، نجد قسماً من طائيي تلك الأزمنة مزارعين ومربي نخيل.

كان موطن طي جزءاً من دائرة مصالح ملوك الحيرة[2]، وبالتالي من دائرة مصالح الامبراطورية الساسانية. ثم خضعت في نهاية القرن الخامس الميلادي لحكم أمراء كنده في أواسط جزيرة العرب. لكن الوضع القديم سرعان ما عاد، مع انهيار مملكة كنده في مطلع ثلاثينيات القرن السادس، حتى أن أحد الطائيين، واسمه إياس بن قبيصه، حكم الحيرة بين عامي 602م و611م. إعتبر الغساسنة، أتباع البيزنطيين، الطائيين أعداء لهم[3]. بالمقابل، ليس لدينا معلومات كافية حول علاقة طي بالأقوام المجاورة لها: كلب في الشمال، غطفان في الجنوب الغربي، وأسد في الجنوب الشرقي، لأن موروثاتها المحكية ضاعت. وإن كنا نعلم أن طي كانت حليفة أسد في فجر الإسلام[4].

---

(1) دوتي، الجزء الأول، ص581.

(2) في نقوش قبر الملك امرؤ القيس لعام 328 لا يذكر الطائيون كرعايا له.

(3) عبيد ابن الأبرص، ديوان، رقم 18. حاتم: ديوان، رقم 24 و25.

(4) طبري، الجزء الأول، ص1889م.

إنقسمت طي إلى مجموعتين: الغوث والجديله. من قبائل غوث النبهان وبني ثعل، وقد سكنت الأولى السلما والأخيرة الأجا. أما أفخاذ بني ثعل فمنهم السنبس، عدي ابن أخزم (سبط حاتم) وسلامان[1]. لم تكن العلاقة طيبة بين المجموعتين، بل إن قتالاً نشب في نهاية القرن السادس بين غوث وجديله، اضطر أجزاء منهما إلى الهجرة موقتاً نحو الجوف وحوران[2]. من جانبه، سبب الإسلام انقسامات إضافية فيهما، إذ اختارت أغلبية القبيلة الدين الجديد، بينما رفضه آل عدي بن أخزم وغيرهم من الأقوياء، ممن لا نجد لهم تمثيلاً في الوفد الذي قاده زيد الخيل[3]، شيخ النبهان، إلى المدينة في العام التاسع للهجرة من أجل مبايعة النبي. بعد ذلك بوقت قصير، جاءت القوات لكسر مقاومة الأقلية وتحطيم صنم القبيلة «فلس»، الذي كان على شكل كتلة حجرية شبيهة بالإنسان ويعبد في أجا. فرّ عدي، ابن حاتم، الذي كان مسيحياً، إلى سورية، وأسرت أخته وأحضرت إلى النبي، فأحسن معاملتها وكرمها وأعادها إلى شقيقها، فما كان منه إلا أن قصد المدينة واعتنق الإسلام[4] وبذلك اكتمل خضوع القبيلة.

كانت مشاركة طي ضعيفة في جيوش الفتح الإسلامية[5]. أما هجرتها، فقد بدأت، بالتدريج، واستمرت إلى عتبة العصر الحديث، علماً بأن هدفها لم يكن العراق، بل سورية، حيث كان للقبيلة علاقات قديمة، على كل حال، ونشأ مستقر لها جنوب حلب منذ الحقبة ما قبل الإسلامية[6]، قد يفسر وجوده توجه قسم من هجراتها إلى منطقته[7]، حيث يرد ذكرهم هناك تحت حكم معاوية، ثم في ظل

---

(1) تابع لوحة النسب عند فوستنفيلد، جدول رقم 6 و7.

(2) ليست التلميحات المعنية في ديوان حاتم مفهومة، للأسف، بسبب الإفتقار إلى موروثات نثرية مطابقة. كما أن الشروح المذكورة في الحماسة (ص176 وما يليها) عن "حرب الفجار" لا تقدم شيئاً مفيداً.

(3) يظهر من اسمه "زيد الخيل" أن تربية الخيول لعبت في نجد آنذاك دوراً ما. لا يجوز أن يفكر المرء طبعاً بخيول كتلك التي كانت لابن رشيد في القرن التاسع عشر.

(4) ويلهاوزن: تخطيطات وأعمال أولية، الجزء الرابع، ص163.

(5) طي في معركة القادسية. أغاني، الجزء 16، ص51.

(6) البلادزوري «البلاذري»، ص145.

(7) حسب الهمداني، ص129، كان طريق الهجرة يقود عبر تيماء، وأبائر (باير) وحوران.

سيف الدولة الحمداني (توفي عام 967 م)[1] حيث كانوا من أتباعه.

مارست فلسطين الجنوبية جاذبية خاصة على طي، حيث نزلت قبائل سنبس وأقسام من سلامان، هي الدرما والزريق، والجرم المحسوبة على غوث. عام 1050م، نقل الفاطميون السنبس إلى البحيرة في مصر الدنيا، حيث شاركوا في حكم السلطان معز الدين آيبك (1250م ـ 1257م)، في ثورة قام بها عرب مصر، الذين رفضوا الخضوع لحكم "عبد". غير أن الإنتفاضة فشلت، وكادت السنبس أن تفنى في حملات القمع الدموي الذي تعرضت له ولكن كان ثمة بقايا منها وجِدت عام 1400م في إقليم الغربية[2]. أما بنو حارثة، وهم فخذ من السنبس، فقد بقوا في فلسطين، واستوطنوا فيما بعد شمال نابلس، في منطقة تحمل اسمهم إلى اليوم. بينما كانت أسرة شيوخهم القديمة، التي حملت لقب الإمارة، قد انقرضت قبل عقود قليلة.

إنتهى المطاف بالدرما والزريق إلى النزول بأرض مصر. بينما بقي الجرم في فلسطين، لكنهم فقدوا تماسكهم كقبيلة. وهم يواصلون وجودهم اليوم من خلال الجرامنة والعبيدية، وعبر بعض الأسر، التي انضمت إلى قبائل غريبة[3].

تدفقت، في زمن القرامطة (القرن العاشر الميلادي)، موجة الهجرة الثانية من جبال طي إلى مشارف سورية الجنوبية. وشارك فيها بنو معن بالدرجة الأولى، وهم من سلامان. هذه الشريحة من المهاجرين إتسمت بفاعلية سياسية عظيمة تحت قيادة بني جراح أولاً، ثم تحت قيادة الفضل. وسنعرج عليها بصورة منفصلة في القسم التالي تحت عنوان "فضل" (طي السورية).

شهد الطائيون الذين بقوا في نجد تبدلات هائلة في العصر الوسيط. فقد تمكنوا من توسيع مناطق انتشارهم توسيعاً غير محدود، نتيجة الفراغ البشري الذي

---

(1) إبن دريد، ص235: فرايتاغ مختارات من تاريخ حلب السابق، ص9 (باللاتينية).

(2) المقريزي: قبائل عربية، ص45. قلقشندي، ص245.

(3) البشاتوه وعباد على سبيل المثال.

أحدثته الهجرات، واتجهوا بصورة خاصة نحو الغرب، الذي انفتح أمامهم بعد اختفاء غطفان. وما إن حل القرن التاسع الميلادي، حتى بلغت منطقتهم طريق الحج الكوفي في شقوق (جنوبي زبالا) وبلغت منجم النقرة «نجرة» القديم، شمال شرق المدينة[1]. وغدت منطقة واحة الجوف في الشمال ملكاً لهم[2]، بعد أن أخلتها كلب وقصدت شمال غرب تيما[3] التي غادرها سكانها اليهود بقوة القانون الشهير الذي أصدره الخليفة عمر. بعد حين، تباعد الطائيون بعضهم عن بعض وتفرقوا في هذه الأرجاء الفسيحة، ونشأت سلسلة من العشائر الجديدة والمستقلة، كالغازية، الذين خرجوا من بني معن السابق ذكرهم، وبني لام، الذين انحدروا من أسرة شيوخ قديمة تحمل الاسم نفسه من قبيلة الجديله. هاتان العشيرتان تكونتا من بدو رحل، كانت الأولى تتنقل من شرق النفود إلى الفرات الأوسط، والأخيرة بين أجا والحجاز الشمالي ـ في وسط الحجاز، عند منطقة الأعلى، تشكلت قبيلتا الضفير وبني صخر، اللتان لم تحملا دماً طائياً صافياً. ولم يبق في موطن طي القديم غير النبهان وبقايا من السلامان، وخاصة الزهير، الذين خرجت شمّر منهم في بداية العصر الحديث والتي استعرضنا تاريخها في المقال السابق. هذه القبائل اختفت جميعها فيما بعد من جزيرة العرب، باستثناء شمّر نجد. لذلك، يسكن بنو صخر الآن شرق الاردن، والضفير الصحراء إلى الجنوب من الفرات الأدنى، في حين إجتازت الغازي الفرات، وبنو لام وآل كثير (النبهان) دجلة وتقدموا حتى حدود لُرستان.

لم تحافظ أية قبيلة من طي على اسمها الأصلي، باستثناء طي بلاد الرافدين (موضوع هذه المقالة)، التي تمسكت أيضاً بتقاليدها بصلابة تستحق الإعجاب، ولا زالت صيحة الحرب لديها: معن، وهي لفظة تشير إلى الجد القديم الشهير، الذي

(1) الاصطخري، الجزء الأول، ص22. فيما بعد إنتشروا إلى ما وراء شقوق. تابع فوستنفيلد: المدينة، ص66 (نقلاً عن بكري).

(2) ياقوت، الجزء الأول، ص122، الجزء الرابع، ص76. القريات تعني الواحات الثلاث: دوما (الجوف بمعنى الكلمة الضيق) وسكاكا والقارة.

(3) فوستنفيلد: سجل، أنظر طيي.

لا زالت ذكراه حية لديها بصور وأشكال متنوعة. وفي الحقيقة يستحقه عشيرة زبيد وحدها لأن زبيد هو الذي تقول الأنساب أنه ابن معن[1]. أما العشائر الأخرى كالسنبس وحريث فليست من بني معن (يرجح أن تكون الأخيرة من النبهان)[2].
ترجع ذكريات القبيلة التاريخية إلى زمن موغل في القدم. وقد روى لي عبد المحسن، شقيق شيخها الحالي، أن أسلافه جاؤوا إلى بلاد الرافدين، عندما كانت لا تزال تحت حكم الأميرين قريش ومقن من عبادة[3] ـ المقصود بذلك هما أميرا عقيل اللذان يحملان الاسمين نفسيهما[4]. هذا يعني أن هجرتهم حدثت بين عام 1051م و1061م (زمن حكم قريش). لكن الوقائع التاريخية تؤكد أن الهجرة أقدم من ذلك، لأن طي كانت موجودة خلال القرن العاشر في بلاد ما بين النهرين[5]، حيث كانت تغلب تسيطر هناك، قبل أن تضطرها عقيل إلى إخلاء مواقعها، بعد ذلك بفترة قصيرة. ما إن سقط أمراء عقيل في نهاية القرن الحادي عشر، حتى اختفت قبيلتهم بدورها من الجزيرة[6]، وسيطرت طي بمفردها على الساحة.

ستغيب طي بلاد الرافدين من الآن فصاعداً طوال نصف قرن عن أنظارنا، لتظهر في القرن السابع عشر من جديد في منطقتها القديمة. في هذه الأثناء، كان قد مر عليها أتراك ومغول، تركمان وأكراد، دون أن يزحزحوها عن أملاكها، وهي التي ترحلت من الخابور إلى ما وراء دجلة وصولاً إلى جبل حمرين، وجاءت أحياناً إلى بغداد ذاتها[7]. في نهاية عام 1623م، وبعد أن احتل الشاه عباس الكبير

---

(1) قلقشندي، ص224.

(2) يتكرر الاسم كثيراً في هذه القبيلة. أنظر إبن دريد، ص236 (مرتين). أغاني، الجزء 16، ص56.

(3) إن الإضافة الساذجة "خلال الحكم العثماني" معبرة عن مفهوم البدو للزمن.

(4) أنظر مقالة عقيل في قسم جزيرة العرب.

(5) عام 321هـ/ 933م، هزمت طي، التي كانت متحالفة مع أسد وبني ثعلبة (أي منهم؟) على يد بني مالك، العشيرة القيادية في تغلب، قرب الموصل. ابن الأثير، الجزء 8، ص203.

(6) حسب المحكيات القبيلية، قتلت طي قريشاً ومقن، وطردت عبادة (عقيل).

(7) نظمي زادة: گلشن.

العراق، قام مائة من فرسان طي بغزوة على الفرس غنموا خلالها مائتي جمل وعدداً من أصائل الجياد عادوا بها إلى مضاربهم قرب ماردين[1]. ثم كلفت القبيلة في القرن الثامن عشر بحماية الطريق من ماردين إلى الموصل ضد يزيديي سنجار اللصوص، وسمح لها أن تفرض، مكافأة لها على عملها هذا، رسم مرور على المسافرين[2]. وشغل شيخ مشايخها منصب بيك سنجار (أو الخابور)، الذي تلاعب الأتراك بواسطته بزعماء العشائر الطامعين بالسلطة وضربوهم واحداً بالآخر[3].

شق تقدم شمّر في مطلع القرن التاسع عشر طي إلى مجموعتين، إقتصر وجود الأولى منهما على منطقة القبيلة الأصلية حول سنجار، والثانية على ضواحي أربيل، في الجانب الآخر من دجلة. سنتحدث الآن عن الأولى، التي تمضي الصيف بين خط سكة الحديد وأرض الجغجغ وصولاً إلى جدول دمير قابو، والشتاء عند أقدام جبل سنجار، والتي انصرف قسم منها إلى الزراعة منذ وقت طويل، فزرع القمح والشعير والأرز شرق وجنوب شرق نصيبين، حيث بنت عشيرة الغنّامة ثلاث قرى، ويعيش الطائيون أيضاً داخل مستوطنات أخرى في المنطقة، بينما تعيش عشيرة الجوالة حياة ترحل (الخريف: وادي الرميلان. الشتاء: سنجار، العجيج).

تقيم طي علاقات حسنة مع جيرانها، بمن فيها اليزيديون «الإيزيديون»، الذين كانوا يدفعون لها خوّة في الماضي[4]. غير أنها على عداء مع بعض شمّر العراق، وجيس حرّان، التي يعود عداؤها لها إلى أقدم الأزمنة.

---

(1) بتشوي: تاريخ، الجزء الثاني، ص396. إشترى المؤلف، الذي واجه آنذاك الفرس باعتباره بيلربيك للرقة، جزءاً من غنيمة طي، وحقق صفقة رابحة.

(2) نيبور: وصف رحلة، الجزء الثاني، ص38. حسب روسو: وصف باشوية بغداد، ص94 كانت طي معفاة من دفع أية ضرائب أو إتاوات؛ ولكن أنظر نيبور، نفس المصدر، ص384..

(3) راشد، الجزء الثاني، ص121. نيبور: جزيرة العرب، ص391.

(4) كامبانيلا: تاريخ منطقة كردستان، نابولي، 1818م، ص58 (بالإيطالية). مجلة الإدارة المدنية لبلاد الرافدين، ص50 و52 (بالانجليزية).

في سنوات الاحتلال الفرنسي الأولى، تحولت منطقة طي إلى بؤرة قلاقل، غذاها الأتراك بحمية وتصميم. لكنها خمدت عام 1928م، مع انتقال المتمردين، ومعظمهم من عشيرة الجوالة، إلى الأراضي التركية.

إذا ما نظرنا إلى طي نصيبين بمنظار تركيبها، وجدناها جماعة متعددة الألوان، ووجدنا أن عشائر العساف والزبيد والحريث وحدها تضم طائيين أقحاحاً، بينما يضم الآخرون أجزاء متناثرة من عشائر بلاد الرافدين المختلفة، كما سيظهر بجلاء في الملاحظات حول الجدول. يبدو أن هذا هو حال طي الشمامك، التي يقتصر الطائيون الأقحاح فيها على عشائر الحريث والسنبس واليسار[1].

ترجع أسرة شيوخ طي بلاد الرافدين نسبها إلى عساف ابن سياله[2]، وفي نهاية الأمر إلى حاتم الطائي. وتربطها علاقات مصاهرة مع أسرة شيوخ شمّر، وتمارس ضرباً من نفوذ أبوي على عشائر اليان وتشيتي الكردية المجاورة. من أجيال الأسرة الأحدث، التي يجب التوقف عندها هو الشيخ عبد الرحمن باشا، حاكم القبيلة منذ سنوات كثيرة، الذي كنا قد تعرفنا على شقيقته عمشه، زوجة صفوق شيخ شمّر[3]، ومات حوالى عام 1910م. خلال أعمال التنقيب في تل حلف، كان يتولى حكم القبيلة ابنه سليمان، الذي كان لا يزال حياً عام 1929م، لكنه فقد منصبه منذ وقت طويل لصالح أخيه محمد، الذي اختلف عام 1923م مع الفرنسيين، فنفوه إلى مدينة بانياس (على الساحل السوري) ثم سمحوا له بعد أشهر قليلة بالرجوع إلى قبيلته. في السنوات التالية، أحدث تذمره من الاعانة المقررة له صعوبات إضافية، إنتقل بسببها إلى الأراضي التركية في أيار من عام 1928م. عينت حكومة الانتداب عندئذ شقيقه طلال شيخاً للقبيلة، وحين توفي عام 1936م، طالب

---

(1) يوجد حريث ويسار في العراق أيضاً. وكذلك الفرير القدماء (فوستنفيلد، جدول رقم 6 و17، والشيء ذاته في منطقة المدينة، ص56 و157) ما زالوا موجودين بلاد الرافدين.

(2) سياله عند نيبور. جزيرة العرب، ص 391.

(3) أدلى عبد المحسن بملاحظة غدت محل افتخار طي تقول: «إن أبناءها عبد الكريم وفارس وعبد الرزاق هم أكثر كرماً من بقية شيوخ شمّر، لأن أقارب أمهم من طي!».

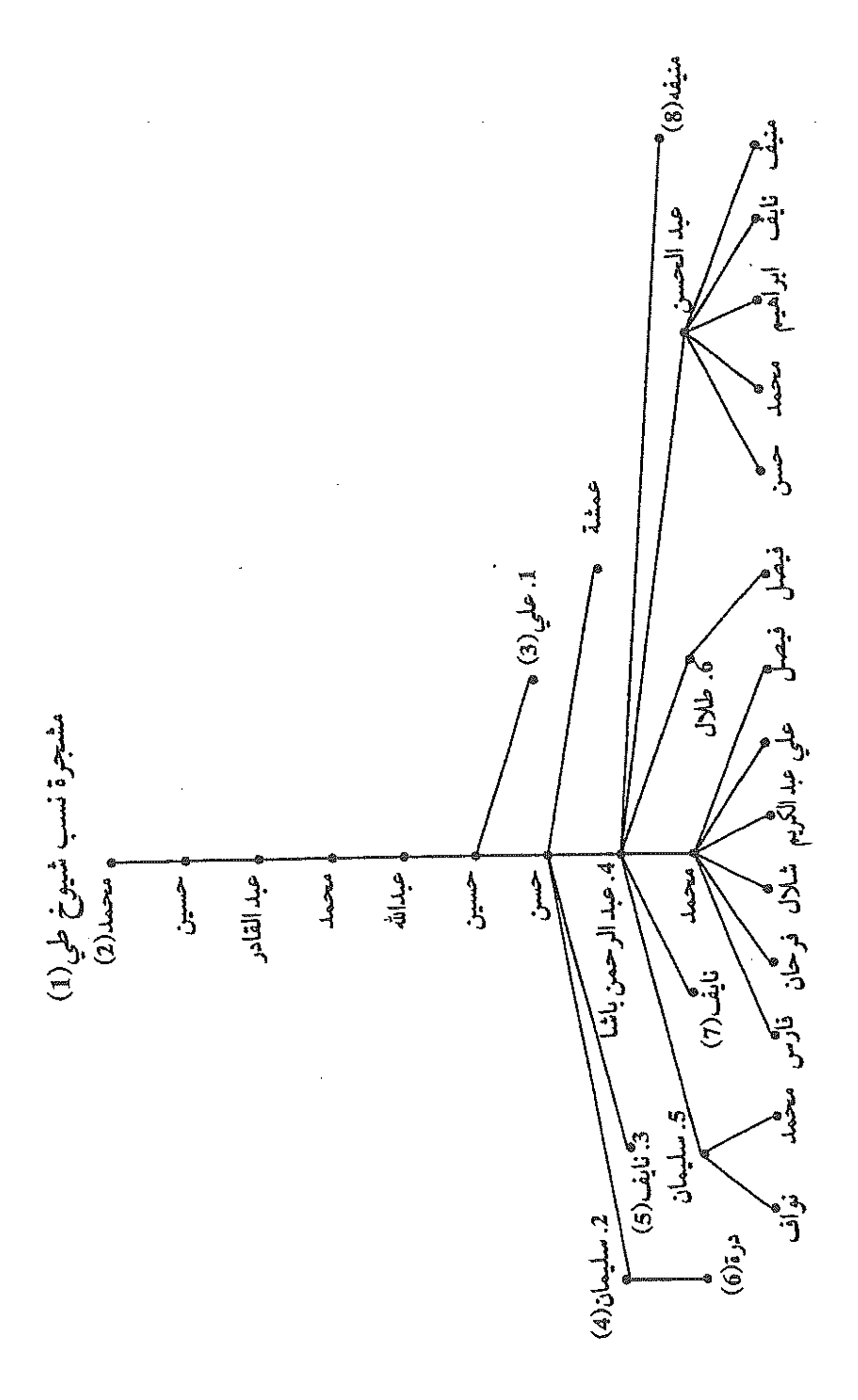
محمد بالقيادة، وعندما رجحت كفة ابن عمه حسن السليمان لدى الحكومة السورية الجديدة، إنضم إلى المطالبين بالإستقلال[1].

لا نعرف إلا القليل عن ظروف حياة طي شمامك، كما يسمى ذلك القسم من طي، المخيم قرب أربيل، والذي يذكره لايارد من حين لآخر[2]، ويمجد خورشيد (ص 237) شمائله الرقيقة.

---

(1) تيرييه، ص146 ـ الشرق الحديث، عام 1937م، ص377.

(2) نينوى وبابل، ص168.


مشجرة نسب شيوخ طي(1)
محمد(2)
حسين
عبد القادر
محمد
عبدالله
حسين
حسن
1. علي(3)
عمشة
2. سليمان(4)
درة(6)
3. نايف(5)
4. عبد الرحمن باشا
5. سليمان
محمد
نواف
نايف(7)
محمد
فارس
فرحان
شلال
عبد الكريم
علي
فيصل
6. طلال
فيصل
عبد المحسن
حسن
محمد
ابراهيم
نايف
متيف
متيفة(8)

ملاحظات حول مشجرة نسب أسرة شيوخ طي

1 ـ معلوماتنا حول نسب الخط الرئيس والجيل الأخير مأخوذة من عبد المحسن، شقيق شيخ المشايخ. أما الأعضاء الآخرون، فالمعلومات عنهم مأخوذة من مصادر مختلفة.

2 ـ يتماهى بالتأكيد مع شيخ طي محمد الذياب، الذي يخبرنا مؤرخ الامبراطورية راشد (الجزء الثاني، ص121) أنه عين عام 1127هـ/1715م بيكاً على سنجار.

3 ـ إستكملت وفقاً لبيترمان، الجزء الثاني، ص36 (هكذا يكون قد حكم عام 1853م).

4 ـ يبرز سليمان الحسن كشيخ لطي في الجدول الذي وضعه هوارت عام 1865م. قارن: سوسين ـ سستومه: ديوان من أواسط جزيرة العرب. رقم 112، حيث يجب أن نقرأ في البيت رقم 12 عمشه بدلاً من عمشر.

5 ـ إستقبل الزوجين بلنت عام 1878م.

6 ـ تزوجت من شيخ شمّر فرحان.

7 ـ عام 1929م، ألب نايف قسماً كبيراً من القبيلة على شقيقه محمد، فاتفق هذا مع الأتراك على سجنه وقتله في نصيبين. تيرييه، ص146.

8 ـ تزوجت من شيخ شمّر عبد الكريم.

طـــي

أ ـ طي نصيبين(1)

شيخ المشايخ: محمد بن عبد الرحمن(2)

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ العساف(3)	محمد بن عبد الرحمن	30
2 ـ الحريث	جاسم المقطف، محمد النهاب	300
3 ـ زبيد(4)	محمد الفارس	200
4 ـ الراشد(5)	محمد سعيد بن حسّو	500
5 ـ الجوالة(5)	سلوم الحميد(6)/ محمد الدندح	1000 (؟)
6 ـ حرب(7)	احمد العبد الله	400
7 ـ بني سبعة(8)	محمد الغنام/ اسعد الظاهر	600
8 ـ الغنامة(9)	حمود اليوسف	200
9 ـ المعامرة(10)	أحمد العازل السموري	80
10 ـ البقارة(11)	سمعو الملوح	100
11 ـ البوعاصي(12)	سحل الجمعة	150

ب ـ طي الشمامك(13)

شيخ المشايخ: حنش الحمود

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ سنبس		200
2 ـ الحريث		100
3 ـ اليسار		100
4 ـ الراشد(14)		200

ملاحظات حول جدول طي

1 ـ سجل عام 1929م. الراوي: عبد المحسن، شقيق شيخ المشايخ. راعينا في الملاحظات تسجيلات أقدم تمت عام 1927م، وكذلك تيرييه، ص145، الذي تتفق معطياته إلى حد بعيد مع التسجيلات الجديدة. أما جدول عام 1865م، الذي نشره هوارت في الجريدة العلمية بعنوان "تدوينات حول القبائل العربية في بلاد الرافدين" (ص 11 وما يليها من الطبعة الخاصة) فلا يتضمن غير العشائر 2 و4 ـ 6 من جدولنا، الأمر الذي لا يعني شيئاً بالنسبة لوضع طي آنذاك، بما أن بيترمان، الذي قام برحلته عام 1853م، يورد على وجه التقريب أسماء جميع العشائر التي تظهر هنا. (الجزء الثاني، ص36). يتضمن الجدول الأقدم، الذي وضعه روسو (رحلة، ص60) إسم السياله. ويورد راشد، فضلاً عن ذلك، اسمي قبيلتين كرديتين.

أرجح أن أعداد الخيام مرتفعة جداً، لأن تيرييه يذكر ألفي خيمة، وهذا رقم لا يتفق مع العدد الذي يعطيه هو نفسه حول الرجال القادرين على حمل السلاح (1000)، أو مع أعداده الأخرى المختلفة (ومجموعها 2850).

2 ـ أي حسن السليمان.

3 ـ أسرة الشيوخ. يضاف إلى ذلك بحسب تسجيل عام 1927م عبيد الأسرة، السريج، مع 400 خيمة.

4 ـ يمكن إثبات وجودهم في منطقتهم الحالية منذ النصف الأول من القرن الثاني عشر. أنظر: ابن سعيد عند القلقشندي، ص224.

5 ـ نُعيم.

6 ـ إنتقل عام 1928م مع فرع البو شريف من قبيلته إلى الأراضي التركية.

7 ـ هي عشيرة الفارس من قبيلة حرب.

8 ـ زبيد. ليسوا بطبيعة الحال من نذكرهم في الجدول تحت رقم 3، بل قبيلة بلاد الرافدين الكبيرة.

9 ـ يسمون أيضاً حياليين تيمناً بأبيهم الأول حياله. يزعمون أنهم أخلاف الصوفي الشهير عبد القادر الجيلاني، فهم ينتسبون إذن إلى السادة، أي انهم من ذرية النبي.

10 ـ عبيد.

11 ـ بقارة الجبل، فخذ البوشِهاب. يعملون في أراضي شيخ المشايخ.

12 ـ بقارة الجبل.

13 ـ يتبع الجدول لائحة هوارت، إسم شيخ المشايخ وحده يرجع إلى استقصاءات شخصية.

14 ـ أنظر الملاحظة رقم 5.

في الختام، لا بد أيضاً من ذكر فخذ من طي، يزرع أراضي قرية سلوق (جنوب حران). إنه يسمي نفسه حييّ وكانت له 50 خيمة عام 1913م. وقد سكن الحييّ تلك المنطقة منذ عام 1880م، وكانوا قبل ذاك في خنيس من أعمال البليخ الأدنى، حيث لا زال لهم بعض خيام هناك. وقد عاشوا في خونيس منذ ثمانية أجيال، إلا أن إبراهيم باشا نقل بعض أسرهم من هناك إلى ويرانشهر. حسب اسمهم، يعتبر الحيّي بدورهم من بني معن. أنظر فوستنفيلد، الجدول 6، 24.

جحيش

الجحيش قبيلة تعيش في عدة مئات من الخيام[1]، تتنقل من المنحدر الشمالي كراجوك إلى الممالح الواقعة إلى جنوب سنجار، وتقيم صلات وثيقة مع طي نصيبين. يسكن الجحيش كذلك وراء دجلة، في قرى مثل النايفه والنمرود. ويخيم اليوم عدد كبير منهم قرب تل أعفر أما "المتيفيد" المذكورون في المجلة "ريفيو" ص53 فليسوا غير موالي الجحيش.

إلتقيت عام 1892م الجحيش بين سنجار ودجلة. وكان شيخهم آنذاك علو الصالح، وهو صغير القامة يكاد يكون قزماً، لكنه رجل قوي البنية[2]. وكان الجحيش آنذاك في عراك دموي مع اليزيديين «الإيزيديين»، وقد هاجموني ومن معي لاعتقادهم أننا ننتمي إليهم.

---

(1) ذكرها أول الأمر نيبور، جزيرة العرب، ص391، وقال إن لها 200 إلى 300 خيمة.

(2) تابع ماكس فرايهر فون اوبنهايم: من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، ص145.

زبيد

يرجع قسم كبير من بدو بلاد الرافدين، ومناطق شمال سورية وأراضي العراق المحاذية له بنسبه إلى زبيد جنوب جزيرة العرب. وتفخر قبيلة زبيد، التي تعيش في منطقة بغداد، بانتسابها إلى الأصل ذاته. هناك قبيلتان تحملان اسم الزبيد، تسكنان كلتاهما المناطق الطرفية الغربية من جزيرة العرب، في حوران و شمال فلسطين، يمكن إرجاع نسبهما إلى هذا الاصل[1]، أما بالنسبة إلى زبيد ضواحي مكة فمن المؤكد أنهم ينتسبون إليها. رغم تنوع الزبيد وانتشارهم الواسع، يصعب أن نعتبرهم قوماً واحداً، لأن قبائلهم تفتقر إلى علاقات تشدها بعضها إلى بعض، وإلى موروثات ومحكيات مشتركة، وهذا نقص يرجع بالتأكيد إلى أن الزبيد كانوا دائماً مستقرين، وبقوا كذلك في قسمهم الأكبر.

إنتسب الزبيد القدماء إلى مذحج[2] وعاشوا شرق ما يسمى اليوم بلاد عسير. وقد كانوا محاربين أشداء، وشنوا مع أقاربهم من القبائل الأخرى غزوات قادتهم إلى أواسط جزيرة العرب[3]. في فجر الإسلام، كان زعيمهم عمرو بن معدي

(1) لا يؤكد تماثل الأسماء وجود القرابة. إن الزبيد، الذين ينتمون إلى طي، لا تربطهم رابطة بقبيلتنا هذه.

(2) فوستنفيلد، الجدول 7 و15 أو 21 (إلى كهلان). تضع الأنساب البدوية الحالية حمير في مكانه.

(3) يوم الكلاب مثلاً. أنظر كوسان دون بيرسيفال، الجزء الثاني، ص582. يوم فيف الريح، نقائض جرير والفرزدق، الجزء الأول، ص469.

كرب، المحارب ذائع الصيت، الذي شارك في معارك حاسمة ضد البيزنطيين والفرس[1]، الجاهلي الوحيد الذي بقيت آثاره حية في محكيات الزبيد الحاليين.

يبدو أن حركة الهجرة الكبرى التي تلت غزوات الفتح، لم تشمل الزبيد أول الأمر، الذين غادروا موطنهم، أول ما غادروه، حوالى سنة 900 ميلادية، بصحبة حرب، القبيلة الأخرى من جنوب جزيرة العرب، التي شاركوها احتلال المناطق الخالية إلى الشمال من مكة[2] والتي بقوا فيها حتى اليوم. لكن قسماً من القبيلة بقي في مواضعه القديمة، إلى أن أبعد في وقت لاحق نحو ساحل عسير[3].

لا نستطيع متابعة هجرة الزبيد إلى مناطق الأطراف الشمالية لجزيرة العرب إلا مرحلة بعد أخرى، لأننا نجهل، على سبيل المثال، في أي تاريخ وعلى أي طريق بلغوا حوران ودمشق، وأين شكلوا عام 1200م تلك المجموعة التي كانت على قدر عظيم من القوة والبأس[4]، التي وصل المنتمون إليها في القرن الرابع عشر الميلادي إلى الرحبة على الفرات[5]. بالمقابل، ثمة معلومات تخبرنا أن تدفق

(1) أسلم عمر بن معدي كرب في العام التاسع أو العاشر للهجرة. لكنه ما لبث أن ارتد، لأنه شعر أنه أقل شأناً من زعيم مذحج آخر. ثم انضم إلى نبي دجال هو ذو الخمار الذي تمكن من إخضاع اليمن بكامله لبعض الوقت. عند استرداد النظام ألقي القبض على عمر وأرسل إلى المدينة، فأعفي عنه وأعيد لوقت قصير إلى موطنه، ثم انضم بعد ذلك إلى الجيوش الإسلامية. فوستنفيلد: سجل، ص75. فلهاوزن، تخطيطات، الجزء الرابع، ص168، والسادس، ص29 و32 و35.

(2) أخذ هذا التاريخ من الحمداني، ص120 و130، والاصطخري، ص22. صحيح أن الكلام يقتصر هنا على حرب، لكن الإعتقاد بقيام القبيلتين بهجرة مشتركة هو أمر لا غبار عليه، لأن الحمداني (الذي كان في النصف الأول من القرن الثالث عشر مهماندار في البلاط في القاهرة) عرف الزبيد باعتبارهم عضواً في اتحاد حرب. أنظر: صبح، الجزء الأول، ص341.

(3) كتاب الجيب، الجزء الأول، ص478.

(4) يذكرها أول الأمر الحمداني (صبح، الجزء الرابع، ص214)، ثم العمري وقلقشندي (نفس المصدر)، وأخيراً مؤلف المقصد (القرن 15). يؤكد القلقشندي أن من سبقوه لم يذكروا شيئاً عن أصل المجموعة، لكنه يشير إلى أنه هو نفسه يعتبر زبيد عرب الجنوب القبيلة الأم التي ينتسبون إليها. وتؤكد حكايات زبيد الرافدين هذا الرأي.

(5) قلقشندي، والعمري.

الزبيد على بلاد الرافدين تزايد حتىٰ شمل أعداداً كبيرة من زبيد حوران، وتحوّل من بقي منهم هناك إلى حفنة صغيرة من قبائل الرعاة[1]، وتفرعوا في بلاد الرافدين إلى ست قبائل كبيرة هي الولدة، العفاضلة «العفادلة»، السبخة، وهي تشكل مجتمعة اتحاد البوشعبان، والجبور والدليم والعبيد، التي لم تعد وحدة واحدة، وإن ارتبطت بموروثات ومحكيات مشتركة.

إنتشرت زبيد بلاد الرافدين خلال القرون الأخيرة في الأراضي المجاورة أيضاً، حتى وصلت البوشعبان إلى ضواحي حلب، والجبور والدليم إلى العراق، وأقسام منهم إلى فلسطين[2] هي الزبيدات ولهيب وسمكية[3]. وتفتقر هذه العشائر الثلاث، الصغيرة، افتقاراً تاماً إلى مرويات، وإن كانت قرابتها مع زبيد بلاد الرافدين مؤكدة ولا شك فيها. إذ إن الزبيدات ولهيب تتبنيان صيحة حرب الجبور: (أولاد) جابر! ووسمها: ⊓ ؛ وصيحة حرب سمكية: "البوشعبان"!

من المنطقي أن ننسب قبيلة الزبيد، التي تسكن إلى الجنوب من بغداد، إلى زبيد منطقة بلاد الرافدين العليا، بالنظر إلى أن علاقات السكان في العراق، وخاصة تلك المتعلقة بمستوطنات الجبور والدليم الموجودة هناك[4]، تؤكد إمكانية وقوع هجرة كهذه. مع ذلك، هناك طريقة أخرى لتفسير نشوء القبيلة، ذلك أن العراق شهد خلال القرن السابع عشر ـ ليس الزبيد هناك من زمن أقدم ـ تنظيماً جديداً للعلاقات البدوية أدىٰ إلى انبعاث قبائل كانت قد هاجرت إليه زمن الفتح، لكنها اختفت منذ وقت طويل. هذه الظاهرة الخاصة ستحظى باهتمامنا في القسم الخاص بالعراق، لذلك نكتفي هنا بالإشارة إليها لدى لونكريك: أربعة قرون من العراق الحديث، ص77.

بعد هذه اللمحة العامة عن انتشار الزبيد، نستطيع الآن تركيز اهتمامنا على

---

(1) أنظر مقالة عرب الجبل.

(2) ربما كان الإنفصال قد حدث في حوران.

(3) أنظر قسم فلسطين (الزبيدات مذكورون هناك تحت صخر وقبائل أصغر على الشاطئ).

(4) سنعرج عليهم في قسم العراق.

مجموعة بلاد الرافدين. يرجح أن يكون البوشعبان أولاد قبيلة الزبيد الأقدم (القرن الرابع عشر)[1]، أما الجبور والدليم والعبيد فمن المحتمل أن تكون قد هاجرت في زمن أحدث. يرجح ذلك ارتباطها بصلة قرابة وثيقة، ووجود أسطورة تجعل من ثلاثة أخوة ثلاثة أسلاف لها هم: جبر، وثامر وعبيد، أبناء معدي كرب الزبيدي[2]، تخبرنا الحكاية أنهم هاجروا من اليمن إلى نجد فالصحراء السورية، وأن أخلافهم انتقلوا من هناك إلى الفرات. وكذلك وجود مكان لصيق بموروثاتها المحكية هو: محيوز[3]: بئر في وادي حوران، الذي يؤكد موقعه الافتراض الشائع، وهو أن الزبيد انتقلوا إلى بلاد الرافدين عبر حوران.

يبدو أن القبائل الثلاث بلغت الفرات عند منطقة البوكمال، حيث بقي الدليم. بينما استقر الجبور إلى الأعلى، في اتجاه تيار النهر الصاعد، وتوغل العبيد إلى داخل الجزيرة. غير أن مواطنها هذه تغيرت بسبب هجرات البدو الكبيرة التي حدثت في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، فسكن الدليم منذ ذلك الوقت قرب الرميلان، والجبور على الخابور وقسم منهم على دجلة، والعبيد وراء النهر قرب كركوك.

(1) أنظر المقالة التالية.

(2) الجد الأول المقصود هو بالتأكيد عمر ابن معدي كرب.

(3) هذا ما يقوله هاند بوك على الأقل، ض53وهو يروي حكاية هجرة الدليم. بينما تذكر حكاية الجبور بئر هدّاج التي لا تزال ملكاً لها إلى اليوم. لكن هذا لا يساعدنا كثيراً، لأن الحداج هو البئر الشهيرة لواحة تيماء الواقعة في غرب جزيرة العرب، حيث لا وجود للجبور. هل بئر الحداج ـ خارطة موزيل في شمال جزيرة العرب ـ هي المقصودة؟ (إن البئر الموجودة بالاسم ذاته في بلاد الرافدين الشمالية ليست مقصودة على الإطلاق).

جبور

سكن الجبور بالأصل في مياذين، بين دير الزور والبوكمال، وجاوروا، نزولاً مع مجرى النهر، الدليم، قبيلتهم الشقيقة، وصعوداً على النهر: البوشعبان. وفي منتصف القرن الثامن عشر، فرضت نفسها على المنطقة الفاصلة بين الجبور والدليم قبيلة جديدة هي العقيدات، التي طردت الأولى في اتجاه الجنوب والثانية نحو الشمال. تموضع الجبور عندئذ، في منطقة الخابور، حيث وجدوا مأوى غير آمن إلى حد بعيد، بسبب تعرض المنطقة لغزوات عنزة المتواصلة. أخيراً، وفي مطلع القرن التاسع عشر، توجهت مجموعات من الجبور إلى دجلة في الشرق، كان أولها مجموعة شمطة، التي كانت تسكن في الأصل في دير الزور[1]، ثم لحقت بها، في الثلاثينيات، جموع القبيلة الكبرى. لم يجد غير قسم من المهاجرين الجدد مكاناً له في المستقر الجديد، فعاد القسم الآخر أدراجه إلى الخابور. في هذه الأثناء، كانت المنطقة قد امتلأت بالعقيدات، فقامت الجبور ببعض الجهد من أجل طردهم منها[2]. منذ ذلك الوقت، لازم الجبور أرض الخابور، وتراخت علاقاتهم مع من هاجروا من قومهم إلى دجلة، إلى أن انقطعت تماماً.

---

(1) كان ريش أول من أكد وجودهم على دجلة (1821م، الجزء الثاني، ص133. ذهب قسم آخر من الشمطة إلى منطقة ويرانشهر وأنضم إلى اتحاد الملّي.

(2) لايارد: نينوى وبقاياها، ص220. نينوى وبابل، ص175 و205 و215.



مسلط باشا مع عائلته، شيخ مشايخ الجبور (1929م)

يقطن جبور دجلة على ضفتي النهر، من مصب الزاب الكبير وحتى الزاب الصغير. وهم مستقرون وعازفون عن الحرب. وتخضع أقسام منهم لشيخ شمّر، عجيل الياور، الذي يزرعون أراضيه. من جانبهم، يمضي جبور الخابور نصف الرحل الصيف في حقولهم، التي تبدأ في وادي الجغجغ عند الحمدي، وتمتد على الخابور من تل الرمان ثم تماشي تيار النهر إلى الشيخ حمد (فوق الصوأر)، ويقضون الشتاء في السهب الممتد على جانبي النهر، دون أن يبتعدوا أكثر من مسيرة يومين عنه.

يشكل الجبور حالياً عنصر استقرار وأمن في الجزيرة (تيربيه)، مع أنهم عرفوا في الماضي كيف يدافعون عن أنفسهم ببسالة، مثلما حدث عندما وقع في نيسان من عام 1913م صدام بينهم وبين شمّر انتهى إلى هزيمتها. تواصل بعد الحرب العداء بين القبيلتين، إلى أن سوي آخر صدام بينهما في مؤتمر عقده زعماء القبيلتين عام 1929م في الحسكة، بدعوة من حكومة الإنتداب.

إكتسب شيخ مشايخ الجبور مصلط بن صالح المحمد أمين شهرة مدوية،

بسبب نشاطه المديد كشيخ للجبور، الذي جعل السلطان عبد الحميد يمنحه لقب باشا. وقد بلغ عمره عام 1929م ثمانين عاماً، فتولى منصبه في الحقبة التالية ابنه الثاني جميل. عرف من أسلافه محمد أمين بحسب لايارد[1]، الذي لم يكن على وفاق معه. هناك أيضاً أسرة شيوخ أخرى هي ابن عبد ربّه، يأتي لايارد على ذكر جدها الأول، ويبدو أنها انقرضت في هذه الأثناء أو فقدت مكانتها.

---

(1) نينوى وبقاياها، ص45 و216. نينوى وبابل، ص207. أنظر بخصوص قبر محمد أمين، كتاب: من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، ص22، وجون هوغ سميث في مارك سايكس، دار الإسلام، ص280.

دليم

الدليم هي القبيلة الأقوى بين قبائل الزبيد الثلاث، بل إنها القبيلة الأقوى في القسم الجنوبي من الجزيرة. يعيش ربع أعضاء الدليم تقريباً كبدو رحل، أما الباقون فمستقرون. لذلك يميزون بين دليم رُحّل (كوشر) ودليم الفلاليح (الفلاحين)[1]. أما المستقر الرئيس للقبيلة، فهو قلعة الرمادي على الفرات.

سكن الدليم بالأصل قرب القايم، لكن العقيدات أزاحوهم في نهاية القرن الثامن عشر عن مواضعهم[2]، وأجبروهم على الهجرة جنوباً، في اتجاه تيار النهر، فدفعوا بدورهم الإشجرية والجنابيين أمامهم ووصلوا إلى الفلوجه، حيث شعروا بوطأة قربهم من أجهزة الحكومة، التي أثقلت كاهلهم بمطالبها الضريبية، وكسرت مقاومتهم بالقوة، حين حاولوا المقاومة[3]، فقد جاءت عام 1799م قوات كبيرة من بغداد إلى جبّه (فوق هيت) واستولت على كثير من قطعانهم، فألقوا سلاحهم واستسلموا. غير أن شتاء عام 1819م/ 1820م شهد صداماً دامياً، عبأ الدليم قواهم

---

(1) كوُشر هو كلمة تركية ومعناها رجل. فلاليح جمع فلاح.

(2) يقول خورشيد أفندي في سياحت نامه، ص191: "في ظل حكومة سليمان باشا الكبير في بغداد، أي بين 1780م و1802م".

(3) دوحة الوزراء، ص227 و306 و322. ضرائبياً تبعت الدليم عانة وبالتالي بغداد. خورشيد، ص191.

فيه من أجل معركة مفتوحة. عندما اجتاحت القوات الحكومية مواقعهم المحصنة، أنقذوا أنفسهم بعبور الفرات سباحة إلى الضفة السورية، تاركين وراءهم عدداً كبيراً من النساء والأطفال، الذين سقطوا في يد القوات التركية. يعتبر الدليم قبيلة خاضعة[1] منذ حكم نجيب باشا (حاكم بغداد من 1842م إلى 1849م)، وإن كانت الحقبة التالية لا تخلو من شكاوى حول امتناعهم عن دفع ما عليهم من ضرائب وقيامهم بنهب القوافل. أخيراً، في عام 1910م، حطم ناظم باشا قوتهم بصورة نهائية[2]، فلم يواجه البريطانيون صعوبات تذكر معهم، سواء عندما احتلوا منطقتهم في خريف عام 1917م، أو خلال ثورة العراق الكبرى عام 1920م[3].

تتكون الدليم، بالأصل، من أربع عشائر: البوعلوان، والبوفهد، والبورديني، والمحامدة. وبعد تغيير مكان ديرتهم، إنضم إلى اتحادهم. البوعيسى والجميلة، اللتان كانتا تسكنان جنوب الفلوجة؛ فكان هذا التغير الوحيد الذي أصاب تركيبة القبيلة، والذي يمكن أن يحجب عنا الحقيقة، وهي أن أعداد البورديني زادت منذ ذلك الحين كثيراً بالمقارنة مع أعداد الآخرين، وأن الزيادة جعلتها تتخطى إطارها كعشيرة[4]. ـ لا يتعين مجال نفوذ الشيوخ بحجم عشائرهم أو مجموعاتهم، بل بلحظة جغرافية هي موقعهم من الفرات الذي مارس البو ذياب (ب أولاً 4أ، ب) حردان العيثة ومطلق الشاوش، سلطتهما على ضفته اليسرى، وحكم علي بن سليمان البكر من البوعساف ضفته اليمنى ـ ينتمي هؤلاء الثلاثة جميعهم إلى البورديني ـ. بالمقارنة مع هذه الوقائع على الأرض، لم يكن للفصل بين بدو رحل وبدو مستقرين، دليم رحل ودليم فلاحين، أية أهمية سياسية.

يسكن الدليم المستقرون ضفتي الفرات بين هيت والفلوجه، ويتخطون هذا

(1) خورشيد أفندي، ص192.

(2) هاند بوك، الجزء الأول، ص53.

(3) مجلة Review، ص34 و135 و147.

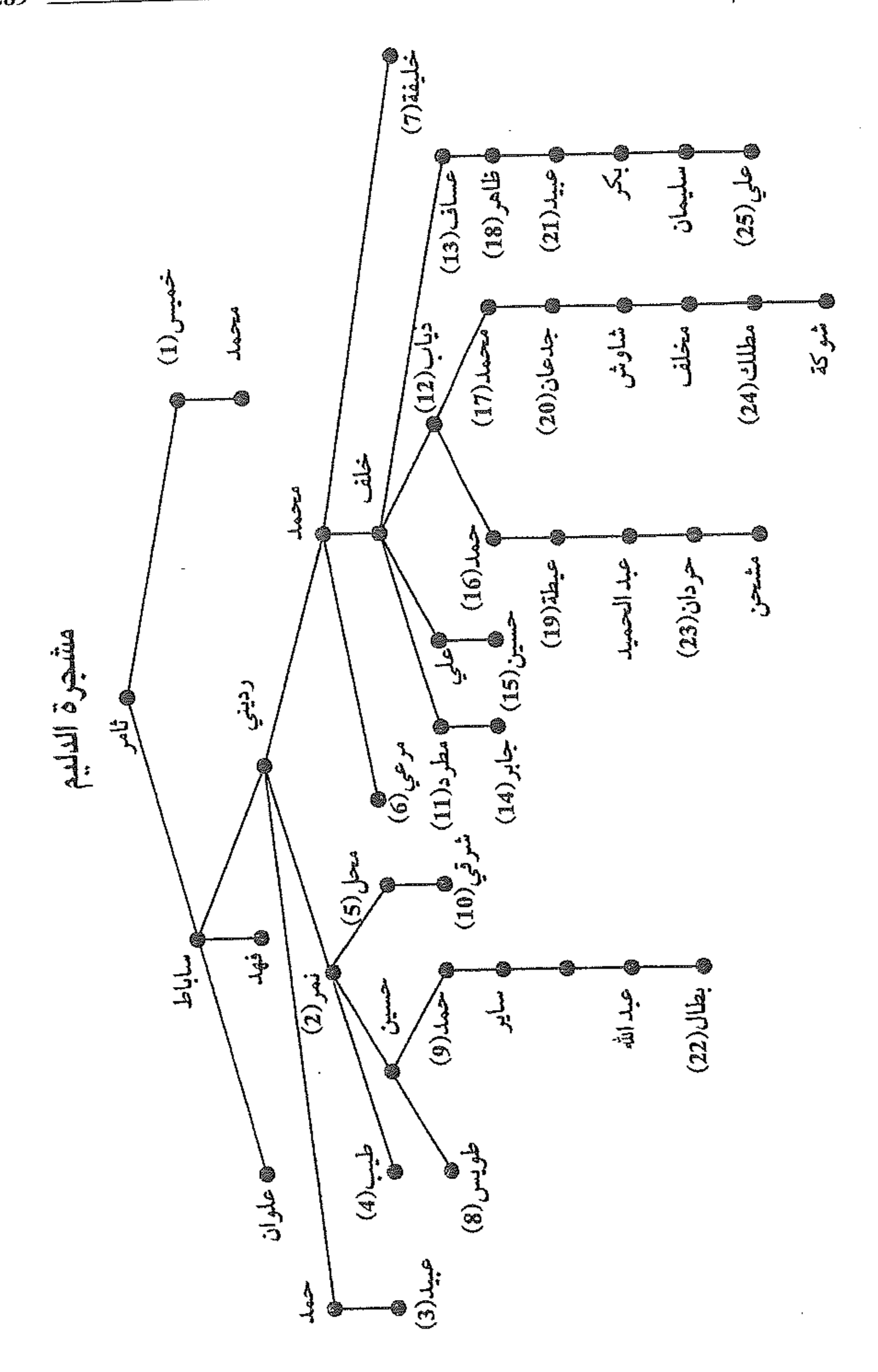
(4) لهذا توصف فيما سيلي كمجموعة، وكذلك الخمس الأخرى، رغم أن هذه الأخيرة لها أهمية العشائر لا أكثر.

المكان على ضفته اليمنى. وهم يبيعون منتجات اقتصادهم الزراعي في هيت وبغداد وواحات الشامية[1]. أما الدليم الرحل[2] ـ مربو الخراف في معظمهم[3] ـ، فهم يحتلون منطقة انتشار توسعت كثيراً بعد أن غادر العبيد الجزيرة (حوالى عام 1815م)، تبدأ في الغرب عند الفحيمي (جنوب عانه)، وتتجاوز في الشرق خط سامراء ـ الفلوجه، وتصل في الشمال إلى الحضر. وفي الربيع يخيم الدليم في الصحراء السورية أيضاً.

(1) المقصود هنا وفي النص التالي الولاية العراقية الواقعة على ضفة الفرات اليمنى مع مدينتي النجف وكربلاء.

(2) تشمل العشائر ب أولاً 1 . 3 من الجدول وكذلك أقساماً من البوعساف (6). لاحظ أيضاً الملاحظات: 22، 26، 33، 34.

(3) تابع هاندبوك (كتاب الجيب)، الجزء الأول، ص53. موزيل: البادية التدمرية، ص152.



مشجرة الدليم
ثامر
ساباط
فهد
علوان
خميس(1)
محمد
رديني
نمر(2)
حمد
عبيد(3)
طيب(4)
محل(5)
شرقي(10)
حسين
حمد(9)
طويس(8)
ساير
عبد الله
بطال(22)
محمد
مرعي(6)
خلف
خليفة(7)
مطرود(11)
جابر(14)
علي
حسين(15)
حمد(16)
عيطة(19)
عبد الحميد
حردان(23)
مشحن
دياب(12)
محمد(17)
جدعان(20)
شاوش
مخلف
مطلك(24)
شوكة
عساف(13)
ظاهر(18)
عبيد(21)
بكر
سليمان
علي(25)

ملاحظات حول مشجرة نسب الدليم

1 ـ يجب أن نشتق منه البوخميس أيضاً، الذين يخيمون اليوم في شمال سورية، لكنهم حسب حكاياتهم المتوارثة دليم. أنظر مقالة : عشائر حلب الرحالة الصغيرة.

2 ـ عنه أخذ البونمر ب أولاً 1 اسمهم.

3 ـ عنه أخذ البوعبيد ـ ب أولاً 5 اسمهم.

4 ـ عنه أخذ البوطيب ب أولاً 2 ب اسمهم.

5 ـ عنه أخذ البومحل ب أولاً 2 اسمهم.

6 ـ عنه أخذ البومرعي ب أولاً 11 اسمهم.

7 ـ عنه أخذ البوخليفة ب أولاً 10 اسمهم.

8 ـ عنه أخذ الطويسات ب أولاً 2 حـ اسمهم.

9 ـ عنه أخذ البوحمد الحسين ب أولاً 2 ب اسمهم.

10 ـ الجد الأول لأسرة شيوخ البومحل.

11 ـ عنه أخذ البومطرد ب أولاً 12 اسمهم.

12 ـ عنه أخذ البو ذياب ب أولاً 4 اسمهم.

13 ـ عنه أخذ البوعساف ب أولاً 6 اسمهم.

14 ـ عنه أخذ البومطرد والبوجابر اسمهم.

15 ـ عنه أخذ البوحسين العلي ب أولاً 3 اسمهم.

16 ـ عنه أخذ البوحمد الذياب ب أولاً 4 أ اسمهم.

17 ـ عنه أخذ البومحمد الذياب ب أولاً 4 ب اسمهم.

18 ـ قارن أولاً، ب.

19 ـ عنه أخذ فخذ البوعيثة من البوذياب اسمهم.

20 ـ عنه أخذ فخذ البوجدعان من البوذياب اسمهم.

21 ـ عنه أخذ البوعبيد ب أولاً 6 أ اسمهم.

22 ـ شيخ فرع للبوحمد الحسين.

23 ـ شيخ البوحمد الذياب.

24 ـ شيخ البو محمد الذياب.

25 ـ شيخ البوعساف وشيخ مشايخ الدليم.

ثمة عداوة بين الدليم وشمّر، التي تجتاز الجزيرة الدنيا في الربيع والخريف. والدليم على عداء كذلك مع جيرانهم في الجنوب: قبائل الشامية الشيعية كبني حسن. لكنها متحالفة، بالمقابل، مع العمارات ـ عنزة، الذين لهم حق الرعي في مناطقها.

يحكم علي بن سليمان البكر، أعظم شيوخ الدليم نفوذاً، منذ فترة ما قبل الحرب. وهو، بعكس أبيه، حريص على إقامة علاقات طيبة مع الحكومة أياً كانت. وقد وضع نفسه تحت تصرف الإنجليز بعد احتلالهم الرمادي، ودعمهم خلال الاضطرابات التي انفجرت شتاء عام 1919/ 1920م على الفرات، ومهدت لنشوب الثورة العراقية. بسبب نفوذ الشيخ، بقيت هيت هادئة آنذاك، مع أنها كانت قد أخليت من القوات العسكرية[1]. إستقر الشيخ في الرمادي، حيث يمتلك بيوتاً وبساتين نخيل[2].

(1) هالدن: عصيان في بلاد الرافدين عام 1920م. ص105.

(2) إرتقى المكان كثيراً بفضل مدحت باشا (في بغداد من عام 1869م ـ 1872م). قبل ذاك سميت الدائرة (أو بالأحرى السنجق)، الذي تكون الرمادي مركزه، الدليم. موزيل: الفرات الأوسط، ص33. خورشيد، ص189.

إنفرد الشيخ حردان العيثة دون شيوخ الدليم الكبار جميعهم بإثارة المتاعب في وجه الإنجليز. أما نجرس بن قعود «گعود»، شيخ البونمر (ب أولاً 1)، فبقي موالياً للأتراك حتى نهاية الحرب، مع أنه كان ألد أعدائهم في الماضي.

مشجرة نسب الدليم

توحد شجرة نسب الدليم أنساب الأشخاص والقبائل بالطريقة ذاتها التي توحدها بها أشجار النسب العربية القديمة. في الأسطر الثلاثة العليا يوجد نسب القبيلة الصرف، أما الأسطر الدنيا فتقدم لنا هيكلها الرئيس من خلال سلاسل أسلاف بعض شيوخها المهيمنين.

عرف أبو القبيلة ثامر بفضل حكايات الهجرة. بينما أعطى ساباط وخميس اسميهما لأولاد ساباط وأولاد خميس، وهي مجموعات لم تعد اليوم جماعات حية. لذلك لا تذكر في الجدول. تمثل أسماء الصف الثالث مجموعات الدليم الأربع الموجودة في أيامنا: البوعلوان، البوفهد، البورديني، والمحامدة. أما التفريعات اللاحقة على رديني بسبب أهمية المجموعة التي تحمل اسمه. هنا، تظهر معظم العشائر وعدد كبير من الأفخاذ التي أوردناها في الجدول تحت اسم آبائها الأوائل[1]. وكما في أشجار نسب القبائل التي سبق وناقشناها، لا يتطابق نظام النسب هنا أيضاً مع النظام السياسي. من الأدلة على ذلك، مثلاً، أن محل هنا هو ابن نمر، لكن مكانة البومحل تتساوى مع مكانة البونمر في الجدول. نرجح أن الأمر يتعلق في هذه النقطة بتطور حديث جداً، ما دام البومحل قد ذكروا عام 1912م باعتبارهم فخذاً من البونمر.

(1) أنظر الملاحظات حول مشجرة النسب. لا وجود لآباء الأفخاذ باء أولاً 3، 7، 9 (ولكن أنظر الملاحظة 29 العائدة للجدول و.13

عبيد

العبيد هم القبيلة الزبيدية الوحيدة التي تمتلك ماضياً عظيماً. إذا كان انتشارها يقتصر حالياً على ضفة دجلة الشرقية، فإنها كانت ذات يوم سيدة الجزيرة بأسرها، باعتبار أن صعودها تلازم مع تراجع الموالي من الفرات الأوسط (النصف الثاني من القرن السابع عشر)، وانحدارها مع قدوم شمّر.

يرد اسم عبيد، أول ما يرد، في تواريخ بغدادية[1] من عام 1119هـ/ 1707م. يبدو أن القبيلة كانت حينذاك على قدر من الأهمية عاد بلقب البيكوية على الشيخ عبد الله الشاوي، وأدخله في حاشية باشا بغداد، وجعل أخلافه وسطاء رسميين بين الحكومة وبين السكان المحليين، مما أضفى مكانة خاصة على قبيلتهم بالنسبة لبدو بلاد الرافدين، ومكنها من توسيع منطقة انتشارها توسيعاً كبيراً، ومدها من نهر الخابور إلى أبواب بغداد، ومن تكريت إلى الشامية، مع أنها لم تكن تضم في الأصل غير الأراضي الواقعة جنوب الخابور[2].

وبسبب مكانة الشاوي زاده ـ اللقب الذي أطلقه الأتراك على أسرة شيوخ العبيد ـ في بلاط باشا بغداد، كان من الطبيعي أن يستخدم الأتراك رجال قبيلته كقوات عسكرية غير نظامية[3]، ويشترك فوج منهم عام 1798م/ 1799م في الحملة

---

(1) دوحة الوزراء، ص50.

(2) تابع روسو: وصف باشوية بغداد، ص92 و114.

(3) يبدو أنهم كانوا لهذا السبب معفيين من الضرائب. تابع ليكلاما آنيخولت: رحلة في روسيا والقوقاز وفارس، الجزء الثالث، ص220.

التي أرسلتها بغداد ضد الوهابيين في شرق جزيرة العرب، وتكليف القبيلة بحماية الحدود عند اقتراب الخطر الوهابي[1]. وقد قاتل العبيد لآخر مرة دفاعاً عن الحكومة خلال الثورة الكبرى التي عاشها العراق عام 1816م[2].

يدين العبيد بصعودهم إلى علاقات شيوخهم بأصحاب الدولة في بغداد، مثلما يرجع تدهورهم إلى هذه العلاقات ذاتها. الشاوي زاده كانوا ككبار رجال الدولة العثمانيين يتعرضون لنوبات الرضى والغضب المفاجئة، فانعكست مصائرهم على القبيلة، التي كانت تنتفض ضد الحكومة كلما سقط شيخ من شيوخها ضحية مكيدة من المكائد الكثيرة، إلى أن نزفت قواها في هذه المعارك. كان شنق الشيخ عبد الله الشاوي عام 1769م إشارة على انطلاق أول انتفاضة قامت العبيد بها وانتهت بانتصار سهل حققه الأتراك عليها في العام ذاته. وعندما نقم الأتراك عام 1785م على ابنه حاجي سليمان، إنتفض العبيد للمرة الثانية، واتعبوا الباشا، حيث امتد ميدان الحرب هذه المرة من الدجيل إلى الشامية، وهدد البدو بغداد ذاتها لبعض الوقت. إنفجرت آخر ثورات العبيد[3] الكبيرة بعد شنق اثنين من أخوة سليمان شتاء عام 1802م/ 1803م. فقد حرض علي باشا، باشا بغداد أول الأمر أكراد الملّية[4]، أعداء العبيد القدماء، ضدها، حين كانت تقيم في منطقة الخابور. لكن الهزيمة حاقت بهؤلاء وعجز الباشا نفسه عن فعل أي شيء ضد العبيد، الذين عبروا الفرات إلى الصحراء السورية. وحين عاودوا الظهور عام 1805م على الخابور، تلقى أميران كرديان تابعان هما باشا شهرزور وكويسنجق، الأمر بطردهم، غير أن الخطة فشلت بدورها، لأن الأميرين الكرديين انتهزا الفرصة وشرعا يصفيان حساباتهما القديمة، فقتل باشا شهرزور زميله ودعا العبيد إلى كركوك للإستعانة بهم ضد حملة تأديبية

---

(1) لونكريك، ص215. دوحة، ص229. تابع أيضاً روس، ص447.

(2) دوحة، ص280.

(3) دوحة، ص240 ـ 245.

(4) يسكن الملّيه الجبال إلى الشمال من ويرانشهر، لكنهم يذهبون في الشتاء إلى الخابور في الجنوب الشرقي.

تركية تتهدده. عندما اقتربت الحملة، تخلى العبيد عن حليفهم وعادوا من جديد إلى الجزيرة، عاقدين العزم على عبور الفرات والبحث عن ملاذ في الصحراء السورية. عرف الباشا بالأمر، فأمر فصيلة من عقيل بقطع طريق انسحاب العبيد[1]، بمساعدة شمّر، التي كانت قد قدمت قبل سنوات قليلة من نجد، وعبرت الفرات وأقامت جنوب سنجار. أدركت عقيل وشمّر العبيد الهاربين بينما كانوا يهمون بعبور الفرات، وأنزلت بهم هزيمة ماحقة، قتل فيها شيخهم ضامن المحمد.

هذا الحدث، الذي جرى عام 1805م[2] كان حدثاً مهماً في تاريخ بدو بلاد الرافدين، لأنه يمثل يوم انتقال السيطرة من العبيد إلى شمّر. وقد حاول العبيد عبثاً إسترداد مكانتهم القديمة بمعونة الوهابيين[3]، قبل أن يجبروا على إخلاء الجزيرة بصورة نهائية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتنفك غشائر عديدة عن اتحادهم[4]، فتهاجر اللهيب إلى منطقة حلب، وتعيش الغرير على الفرات تحت الفلوجة، وتقصد البو حمد منطقة الموصل[5]، وتعبر جموع القبيلة ذاتها دجلة وتختار الإقامة في المنطقة التي يحيط بها الزاب الصغير ونهر العظيم.

في هذه الأرض، التي تسمى حويجة العبيد، تسكن القبيلة اليوم أيضاً، ويمارس قسم منها كعشيرة البوهيازع الزراعة الحقلية، بينما يعمل آخرون كمربي جمال أو كانوا كذلك إلى أمد قريب. بقي العبيد محاربين أشداء، وقد أوردت الصحف العراقية عام 1912م نبأ يقول إنهم قاموا بغزوة[6]، وإن مائة وخمسين رجلاً منهم لبوا نداء الجهاد عام1914م.

---

(1) وحدة غير نظامية مكونة من أهل نجد. أنظر المقالة المتعلقة بذلك في قسم جزيرة العرب.

(2) حسب دوحة؛ لونكريك: 1804م.

(3) نهب العبيد عام 1870م بقيادة لطوف بيك وفي ركاب الوهابيين بلدة عانة. أنظر باكينغهام: أسفار في بلاد الرافدين، الجزء الأول، ص243. (بالانجليزية).

(4) يظهر قوامها الأصلي من الملاحظة رقم 46 من الجدول.

(5) يعالج اللهيب في مقالة قبائل حلب المتجولة الصغيرة، والبوحمد في مقالة قبائل في وادي دجلة، والغرير في قسم العراق.

(6) عالم الإسلام، الجزء الثاني، ص37.

أسرة شيوخ العبيد

تذكرنا مكانة أسرة الشيوخ آل مشهد لدى العبيد[1] بمعنى من المعاني، بمكانة أسرة شيوخ بيت محمد لدى شمّر. فقد اضطر شيخ المشايخ السابق ـ حسين ابن علي ابن سعدون أن يتقاسم تدريجياً سلطته مع اثنين من أقاربه هما متعب بن عبد الله وجاسم بن محمد بن سعدون. حدث هذا، بخلاف ما عرفته شمّر (انظر صفحة 142، 144)، بسبب بروز جاسم ومتعب عند البوعلي وعند البو هيازع (ج4) كقادة إلى جانب الشيوخ المحليين. وقد نبعت مطالبتهما بالسلطة من السمعة التي كانت الأسرة قد كسبتها في الماضي.

تعرفنا قبل قليل على اسم أقدم شيخ تذكره المراجع هو الشيخ عبيد الله بيك الشاوي، الذي رافق عام [*]1707م باشا بغداد حسن في حملة تأديبية ضد زبيد العراق، إنتهت بانتصار باهر عاد الفضل فيه إلى جسارة الباشا[2]. غير أننا لا نعلم،

---

(1) في زمن أقدم، كما تؤكد المراجع الأدبية، كان اسمهم آل شاوي. هذا الاسم إقتصر لاحقاً على القسم المديني من الأسرة. أما الاسم المشترك بين الفرع البدوي والمديني فهو آل شاهر.

(*) تولى الوزير حسن باشا الحكم بين عام 1689م ـ 1690م أما باشا بغداد عام 1707م فهو حسن باشا الجديد. تميزاً عن حسن باشا الأول. (شبّر).

(2) لدينا تقرير عن ذلك من فم عبيد الله نفسه، إقتبسه المؤرخ عبد الرحمن السويدي في يومياته حديقة الوزراء:

"كنا نحن الأربعة، بمن في ذلك الباشا، منخرطين في حديث. وكانت قواتنا قد غابت عن نظرنا عندما اكتشفنا فجأة طلائع الزبيد. أردت العودة على الفور، لكن الباشا رفض

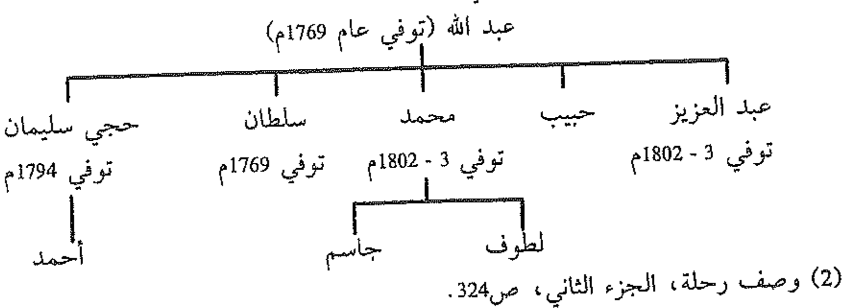
للأسف، شيئاً عنه أو عن أخلافه المباشرين.

إنقسمت الشاوي في منتصف القرن الثامن عشر إلى أسرتين تولت أقدمهما منصب المشيخة، بينما انتقلت الأخرى إلى بغداد، حيث خدم أفرادها طوال سبعين عاماً كـ"باب العرب"، أي كمفوضين للسكان الأصليين، حيث مرت قضايا البدو جميعها بين أيديهم، وقدموا مبعوثي القبائل إلى الباشا، وأداروا المفاوضات، وسووا الخلافات... الخ. كان مجال عمل الشاوي زاده كبيراً، لأن باشاوات بغداد كانوا يحكمون آنذاك مناطق تمتد من ماردين إلى البصرة، وإن كانت المناطق الخارجية المتطرفة لم تكن دوماً تابعة لهم من الناحية الرسمية. كان منصب باب العرب وفير العائد وخطيراً، يمكن أن يسقط شاغله في أي وقت ضحية دسائس وشكوك العثمانيين ضد العرب، أو ضحية قلة فهمهم لمستلزمات حياة البدو.

كان عبد الله بيك الأب الأول لشاوي زادة بغداد[1]، وهو أخ أصغر لشيخ مشايخ العبيد الحاكم. عندما مر نيبور ببغداد[2] كان عبد الله يحمل رتبة مقدم في اللاوند (ميليشيا) ويتمتع كمستشار سياسي باحترام يتخطى كثيراً منصبه، حتى إنه كلف عام 1768م بالتوسط بين حاكم البصرة وبين المنتفق، أقوى قبائل دائرته، وبعقد سلام بينهما. ومع أن مهمته حققت الهدف منها، فإن السلام لم يعمر

ذلك، وقفز لملاقاة الأعداء، الذين اعتقدوا أن القوات وراءه مباشرة، وولوا هاربين، فسادت الفوضى صفوفهم وأربكوا قوتهم الرئيسة. في هذه الأثناء، وصلت الوحدات وحسمت المعركة لصالحنا" (دوحة، ص50).

(1) تبدو لوحة نسبها على النحو التالي:



(2) وصف رحلة، الجزء الثاني، ص324.

طويلاً، لذلك انطلق باشا بغداد شخصياً عام 1769م على رأس جيش إلى منطقة المنتفق، يصحبه عبد الله. وفي الطريق أمر الباشا فجأة بالقبض عليه وشنقه، بتهمة أنه لم يسلك أفضل السبل خلال مفاوضات العام الماضي. سارع أولاد عبد الله حجي سليمان بك وسلطان بك إلى تعبئة قبيلتهم، وأثاروا الاضطراب في منطقة بغداد، فعاد الباشا بسرعة إلى عاصمته وشتتهم في معركة وقعت قرب المنطقة. فر حجي سليمان، لكن شقيقه سقط أسيراً في يد الأتراك، فقتله الباشا طعناً بالخناجر[1].

لم يدم السخط فترة طويلة على الشاوي. فقد استعادوا نفوذهم وزادوه إلى أن صار عظيماً خلال الاضطرابات التي هزت العراق بين عامي 1775م و1780م. كان الحكام يتبدلون آنذاك بسرعة، والمعزولون لا يسلّمون دوماً مراكزهم إلى الحكام الجدد. حين نشب عام 1777م/ 1778م قتال شوارع بين أنصار حزبين متنافسين، أراد كل واحد منهما إيصال وزير باشا سابق إلى كرسي الحكم، استدعي سليمان الشاوي كي يحكم في الأمر، فأخذ بتكتيك ناجح، ذكي ومفعم بروح الدعابة. في النهاية، عينت إسطنبول باشا جديداً وكلفت سليمان بأن ينوب عنه إلى حين وصوله. بما أن الباشا ما لبث أن لاقى بدوره مصير سابقيه، فقد كان على سليمان أن يحتل موقعه من جديد[2]، ريثما يُعين خلفٌ له. وكان الخلف سليمان باشا الكبير (1780م ـ 1802م)، الذي نال حجي سليمان ثقته طوال خمس سنوات من حكمه، قبل أن يسقط على يد أحد منافسيه، وتصادر ممتلكاته ويمنع من الإقامة في بغداد. إنسحب حجي سليمان إلى هور عقرقوف، غرب بغداد مباشرة، حيث حشد قبيلته. وحين أتت القوات لتفريق الحشد، ذهب إلى وشيل[3] جنوب الجزيرة، ثم لحق بالعبيد إلى الخابور، يتبعه أخوته، الذين كانوا حتى ذلك الوقت في بغداد. في الشتاء التالي (1786م/ 1787م)، عبر حجي بقبيلته إلى ضفة الفرات اليمنى إلى الشامية، وعندما بلغ النبأ الحكومة، إجتازت قوات تركية النهر بدورها،

(1) دوحة، ص160. يقع مكان المعركة فوق بغداد على نهر دجلة. تابع، جهان نامه، 464.
(2) لونكريك، ص180. دوحة، ص176.
(3) خارطة موزيل: الفرات الأوسط e10.

غير أن ابن حجي سليمان ردها على أعقابها في المنطقة الواقعة وراء الفلوجة. شعر حجي سليمان، عندئذ، أنه قوي بما فيه الكفاية، وأن عليه غزو الباشا في عاصمته. وهكذا، ظهر العبيد ذات مساء بالقرب من إمام موسى، الاسم الذي يطلقه الأتراك على الكاظميين، وتقدموا خلال الليل إلى قبر الحلاج في جانب الكرخ. سارع الباشا إلى جمع ما استطاع من قوات، ضغط بها بشدة على سليمان، الذي تخلى أخوته عنه ووجد نفسه مرغماً على الإنسحاب إلى الشامية، فيما وراء الفرات، حيث نصب معسكره في مخيم فوق شثاثة. لحق الجيش التركي بحجي سليمان، ثم نشب بينهما قتال لم يرجح كفة أي منهما. أدرك سليمان أنه لا يستطيع كسر شوكة الأتراك بقوى العبيد وحدهم، لذلك ترك قبيلته وذهب إلى المنتفق. إن الحشد العملاق، الذي عبأته هذه القبيلة في صيف عام 1787م كان من صنعه. لكنه هنا أيضاً لم يحقق نجاحاً دائماً، لأن المنتفق ما لبثوا أن هزموا في تشرين الأول، وفر هو نفسه إلى الصحراء. وبعد فترة من الزمن طلب حجي العفو، فناله وردت إليه ممتلكاته، بيد أنه ألزم بالإقامة في كرا اورمان «قره اورمان»، خارج بغداد[1]. وقد بلغ من ذيوع صيته أن إشاعة سرت أثناء التمرد تقول إنه كلف بمنصب رفيع.

إنخرط حجي سليمان مرة أخرى في صراع مع السلطات، عندما آوى فاراً كان قد عاث فساداً في بغداد قبل عام 1870م، ورفض تسليمه إلى الباشا. في النهاية، اضطر الشيخ إلى الفرار مع ضيفه والأتراك في إثره حتى بلغوا مصب الخابور. لكنهم لم يتمكنوا من إدراكه، واكتفوا بأسر عائلته واقتيادها إلى بغداد. ظهر حجي عام 1792م من جديد على حدود العراق، وفشلت محاولة جديدة للإمساك به. ثم حاول من جديد كسب أتباع له على الخابور، لكن العبيد رفضوا الإنصياع له فأصبح منبوذاً من الجميع، وقتل حجي سليمان عام 1794م على يد ابن أخ له - هو يوسف الحربي - وأبنائه[2]. فكان موته نهاية أعظم شاوي زاده.

---

(1) دوحة، ص199، 206. لونكريك، ص186، 201، 203، 205. - إن المكان الذي يسميه الأتراك قره اورمان هو، حسب خورشيد، ص189، بلدة بنّان (الواقعة تحت هيت مباشرة).

(2) دوحة، ص211.

في السنوات الأخيرة، تولى الأمور في بلاط سليمان باشا شقيقا حجي، محمد وعبد العزيز، وهما رجلان على قدر رفيع من الكفاءة السياسية، كان أولهما ديبلوماسياً في فارس، ثم قاد فيما بعد فوج العبيد، الذي شارك في الحملة ضد شرق جزيرة العرب، واعتبر أقوى عربي بين رعايا سليمان باشا (خلافاً لحال المماليك الجيورجيين والشركس)، والمرشح الأبرز لخلافته. لكن الخلافة نالها علي باشا، الشخص الذي بادله مشاعر الشك والكراهية منذ لقائهما الأول. إتهم علي باشا محمد بتأييد انتفاضة الإنكشارية، التي رافقت استلامه منصبه، وشرع يتحين فرص التخلص منه. أثناء زيارة قام بها في شتاء عام 1802/ 1803م إلى مقاطعات ولايته الشمالية، طلب إلى الشاوي زادة مرافقته خلالها، ثم ألقي القبض عليهم في تل أعفر «تلعفر» وشنق محمد وعبد العزيز، في حين فر جاسم، أحد أبناء محمد، إلى قبيلته، التي قدمت حمايتها له، وبذلك بدأت تلك الحرب الكبيرة، التي انتهت بطرد العبيد من بلاد الرافدين[1] «أي منطقة العراق الشمالي»[*].

حاول جاسم، وريث الشاوي زاده، دون جدوى استعادة مكانة آبائه. فقد تنقل طوال سنوات بين القبائل، محرّضاً على التمرد تارة وممثلاً لمصالح الحكومة تارة أخرى، قبل أن يختفي عام 1818م دون أن يترك وراءه أثراً[2].

بسقوط حكم المماليك (1831م)، فقدت الشاوي زاده أي أمل في الحصول على نفوذ سياسي جديد. وزاد من يأسهم تخلي الحكام الجدد، الذين عينتهم إسطنبول، عنهم كوسطاء مع البدو. ما زالت أسرة شاوي زاده تسكن بغداد إلى اليوم، وما زالت حريصة على رعاية ذكرى أسلافها العظام.

---

(1) دوحة، ص176، 229، 231، 240. قارن لونكريك، ص220، 223.

(*) إن المنطقة الممتدة من فلوجة إلى سامراء شمالاً وصولاً إلى نصيبين وماردين هي بلاد الرافدين، أما المنطقة الواقعة جنوبي الخط الممتد من فلوجة إلى سامراء جنوباً وصولاً إلى الخليج العربي فيسمّيها المؤلف العراق. (شبّر).

(2) دوحة، ص278، 280، 310. لونكريك، ص240. تولى في هذه الأعوام عبد الله الشاوي منصب باب العرب. دوحة، ص301، 307، 314.

زبيد(1)

ألف ـ الجبور(2)

I ـ جبور الخابور(3)

شيخ المشايخ: جميل بن مصلط باشا(4)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ البوخطاب(5)	محمد العبيد الهلوش	الحمدي	280
2 ـ المعامرة	حمود المعروف	الحسكة	200
أ ـ العيادة	سالم الدريس		
ب ـ الشبلي			
جـ ـ العلوة			
د ـ العلي الجدعان			
3 ـ البقا	عقلي العبد الله	طابان	80
4 ـ الحسون	شهاب المسمار	طابان	90
	خلوف العطية		
5 ـ العلي الحمد(6)	سلطان العلي	عجاجة	100
6 ـ الهزيم	العيسى	عجاجة	170
	عبد الصويلح		
7 ـ البومانع(7)	حسين المشيخ	أم رقبة	120

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
8 ـ البومهنا	شويش العثمان	الحمرا	90
	أحمد المدحي		
9 ـ المحاسن	حمود الإبراهيم	شدادة	200
	شيخ العوض	شدادة	
10 ـ معامرة الدندل(8)	علي العزاوي	العلوى	70
11 ـ أولاد الشيخ عيسى(9)	السيد أحمد العبد الله	الفدغمي	100
12 ـ الصبح	عليوي العبيد		120
	مذرى الخضير(10)	الشميساني	
13 ـ الحليبيين	صالح الخليف	الشميساني	150
	عليوي البلال		
14 ـ المحمد الحسوني	محمد العوض(11)	الدشيشة	200
15 ـ الجحيش	جلود المنديل الصليبي	مرقدة	150
16 ـ القضاة	مشلاة الحردان	الشيخ حمد	90
	علي الحمادة		

II ـ جبور دجلة(12)

على الضفة اليمنى(13)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ العجل	وقاع الزرزور	الشورى	500
	طابور الحسين	القيارة	100
2 ـ المعتوق	جاسم العبيد	الشحلة	100
3 ـ الامام	عبد الحمد	الجرناف الغربي	150

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
4 ـ لهيب(14)	زويد الحسين	الحورية	60
5 ـ الجميلة(15)	علي الحمادة	الحورية	100
6 ـ الحجاج	علي العبيد	الجمسه	60
	طه المسمار	الجرناف الشرقي	150
	خلف الفرج	بعاجة	40
	صالح الدخيل	(الشرقات)	70
	سيد موسى الخضران	الخانوقة	16
	شميل العبد الرحيم	النمل	12
	بنيان السلطان	المكحول	100
	خلف الحماد	المسحق	30
	خلف العلي	الخرنينة	200
	جاسم الحمادة(16)	الخرنينة	50
7 ـ أبو طعمة	محمد الحمد	الخرنينة	50

على الضفة اليسرى(13)

القبيلة	الشيخ	منطقة تجوال	عدد الخيام
8 ـ الدويزات(17)	معيد	الحاج علي	20
9 ـ الخماسات	عقيل الشلال	قنعوص	120
10 ـ الرملي	حماد العنقود	سديرة	30
	صحن العبد الله	سديرة	
11 ـ البغزات	محمد الصالح	الشق	40
	عطية اليونس	شريعة(18)	50

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
12 ـ عكله	سعيد العليوي	الهيكل	120
	عيسى الترك	الحلوة	150
13 ـ الصقر	حسن المحمد	تل علي	80
	عبد الله الحسن المهيري	تل علي	250
14 ـ البوجبر	خلف العبس	غريب	120
	رجب المساعد	غريب	250

باء ـ الدليم(19)

شيخ المشايخ: علي بن سليمان البكر

أولاً ـ البورديني

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ البونمر	نجرس القعود	جنوب الجزيرة	380
أ ـ البوهلال		جنوب الجزيرة	
ب ـ البوحمد الحسين	فهد الهلال	جنوب الجزيرة	
جـ ـ الطويسات		جنوب الجزيرة	
د ـ البوغنام	تركي الدخيل(20)	جنوب الجزيرة	370
2 ـ البومحل(21)	عفتان الشرقي(22)	جنوب الجزيرة	
أ ـ البوعبد	عفتان الشرقي	جنوب الجزيرة	
ب ـ البوطيب	حسين العزبا	جنوب الجزيرة	
جـ ـ البو طعيمه		جنوب الجزيرة	

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
3 ـ البوعلي قاسم	أبو شوكة ابن مطلق(23)	جنوب الجزيرة	70
4 ـ البوذياب		ضفة الفرات	
		اليسرى، مقابل	
		الرمادي	
أ ـ البوحمد الذياب(24)	حردان العيثة		450
التحق بها			
1 ـ البوصقر(25)			
2 ـ القرطان(26)			
ب ـ البومحمد الذياب	مطلق الشاوش		250
التحق بها			
1 ـ البوفراج(27)			
2 ـ البومقبل(28)			
5 ـ البو عبيد(29)	نومان بن خلف	ضفة الفرات اليسرى	
		تحت الرمادي	300
أ ـ البوبالي			
ب ـ "البوبادلي"			
6 ـ البوعساف	علي بن سليمان البكر		200
أ ـ البوعبيد			
ب ـ البوحديد الظاهر		ضفة الفرات اليمنى	
جـ ـ البوسودا(30)		عند الرمادي	
د ـ القراغول(31)		ضفة الفرات اليمنى	60
7 ـ البوهزيم (30)		عند الرمادي	100
8 ـ البوحسين العلي			70
9 ـ البوكليب(32)			100

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
10 ـ البوخليفة		ضفة الفرات	200
11 ـ البومرعي(33)		اليمنى عند	160
12 ـ البومطرد		الرمادي	80
13 ـ الخلابسة(34)			160

التحق بها(35)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الجغايفة(36)		أسفل الجزيرة	1200
أ ـ البوعجاج	بطاح السلامة	أسفل الجزيرة	
ب ـ البوخلف	قرين السطم	أسفل الجزيرة	
جـ ـ البودعيكل	علي العياش	أسفل الجزيرة	
د ـ	عنتر ابن عاشق	أسفل الجزيرة	
2 ـ البوحيات(37)		أسفل الجزيرة	100
2 ـ الموالي(38)		أسفل الجزيرة	

ثانياً ـ البوفهد(39)

الشيخ: عبد المحسن الفرحان

منطقة الإنتشار: ضفة الفرات اليمنى تحت الرمادي

عدد الخيام: 600

ثالثاً ـ البوعلوان(40)

الشيخ: جاسم المحمد

منطقة الإنتشار: ضفة الفرات اليمنى عند الرمادي والفلوجه

عدد الخيام: 200

رابعاً ـ المحامدة(41)

الشيخ: حبيب الشلال

منطقة الإنتشار: ضفة الفرات اليسرى فوق الفلوجة

عدد الخيام: 600

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ البوعكاش	حبيب الشلال	ضفة الفرات اليسرى شمال الفلوجة	600
2 ـ البوشهاب(42)	حبيب الشلال		
3 ـ الشيحة	حبيب الشلال		
4 ـ الفلاحات	حبيب الشلال		
5 ـ البقارة(43)	حبيب الشلال		
6 ـ المصالحة	حبيب الشلال		

خامساً ـ الجميلة(44)

الشيخ: عباس الجسام

منطقة الإنتشار: ضفة الفرات اليمنى عند حصي

عدد الخيام: 400

سادساً ـ البوعيسى(45)

الشيخ: هراط الجاسم

منطقة الإنتشار: ضفة الفرات اليمنى عند حصي

عدد الخيام: 800

جيم ـ العبيد(46)

شيخ المشايخ: عاصي العلي(47)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الشاهر(48)	عاصي العلي	حويجة العبيد	500
	ملتحق بها		
أ ـ لهيب	حسين العلي	حويجة العبيد	
ب ـ الجوالة(49)	حسين العلي		1000
جـ ـ قراغول	حسين العلي		1000
2 ـ البوعلي(50)	إبراهيم الفدغم		
3 ـ العلقا(51)	شجاع العلي السبع		300
4 ـ البوهيازع(52)	عليوي المقرن	العيط/ دلتاوه	1500
5 ـ البومفرج(53)		كركوك/ دلتاوه	300
6 ـ البورياش(54)			200

ملاحظات حول جداول الزبيد

1 ـ جميع المراجع المتخصصة تذكرقبائل زبيد بلاد الرافدين منفردة.

2 ـ يرد ذكر الجبور في جملة من المراجع القديمة: نيبور: جزيرة العرب، ص393. بوركهاردت: ص25. هوارت: ص20، بلنت: الجزء الثاني، ص193. هاند بوك: الجزء الأول، ص53 فقط بصورة مختصرة. بالمقابل، يقدم تيرييه (ص125) جدولاً تفصيلياً، يتطابق تقريباً مع الجدول ألف 1، الذي يستند على معطيات قدمها محمد بك سلطان، أحد أبناء أخ مصلط باشا، في تموز من عام 1929م، ووردت في تسجيل يعود إلى عام 1912م. أما جدول موزيل: الفرات الأوسط، ص83، فقد أخفق، إذ إن عشراً من العشائر السبع عشرة المسجلة هناك أورد أسماءها بقارة، ويصعب التعرف إلا على عدد قليل من السبع الأخرى.

صيحة الحرب: جبر! جبر!، الوسم: [illegible].

3 ـ مرتبة من الشمال إلى الجنوب. وإذا لم تظهر الأماكن على هذه الخارطة، فإنها توجد عند موزيل: جنوب بلاد الرافدين. وتوجد أم رقيبة والعلوا على خرائط قوات الشرق الفرنسية 1/ 500000، ومنطقة الحمرا على خارطة الإستطلاع دون غيرها: 1/ 200000. صفحة الحسكة.

4 ـ لأسرة الشيوخ، واسمها آل ملحم، خمسة فروع، أبرزها: الحريث (الحريف) وسلطان.

5 ـ صيحة الحرب: ملابيس!.

6 ـ 1911م في التنينير عند منتصف الطريق بين الحسكة وطابان.

7 ـ بقارة.

8 ـ هذا يعني الفرع المسمى الدندل من المعامرة ألف 1، 2، وقد سكن عام 1911م ألف 1، 2 في المجرجح قرب الحسكة.

9 ـ أسياد. الوسم: العلَم، وهو يأخذ شكل يد بأصابع ممدودة.

10 ـ 1912م: أبوه خضيِّر الضاهر.

11 ـ شويش العوض.

12 ـ سجل يوم 7 أيار عام 1912م في قلعة شرقاط. يأخذ التسجيل بعين الإعتبار قسماً فقط من جبور دجلة. وهي تبدأ تحديداً، حسب التحقيقات التي أجريت عام 1893م على الضفة اليمنى قرب جهينة (على مسير خمس ساعات من جنوب الموصل)، على الضفة اليسرى قرب حميرا (على بعد أربع ساعات من الموصل) ويبدو أنها ما زالت ممثلة، فضلاً عن ذلك، في مناطق إلىٰ الأعلى من المدينة عند اسكي موصل وحاوي زمار.

13 ـ مرتبة من الشمال إلى الجنوب، ولكن حورية تقع جنوب جرناف الشرقي. باستثناء حورية وجمسة ـ فإن جميع الأماكن مسجلة على الخارطة المرفقة أو على خارطة طريق رأس العين ـ الموصل ـ سامراء: 1/ 40000 ـ تجدر الإشارة إلى أن جبور دجلة لا يصنفون بحسب عشائرهم، بل بحسب زعماء قراهم.

14 ـ موجودون كذلك على الخابور.

15 ـ يضاف إلى هذا 30 خيمة على الضفة اليسرى.

16 ـ تسجيل: حمادة (الف 1؛ 16) والف 2؛ 5، 10.

17 ـ يضاف إلى ذلك 30 خيمة على الضفة اليمنى.

18 ـ يقع هذا المكان والأماكن الصغيرة التالية على الزاب الصغير، عدا الهيكل، الذي يجب البحث عنه تحت جنعوص على دجلة. أنظر: صحائف فتاة، قلعة شرقاط وشورا: خريطة بلاد الرافدين ـ فارس: 1/ 126720.

19 ـ المادة، الموجودة في تسجيلات ثلاثة (1912م ـ 1929م)، هي على قدر من الثراء فرض علينا إجراء انتقاء منها، كي لا يتضخم الجدول كثيراً. لهذا أوردنا فقط أفخاذ العشائر الأكبر، وأسقطنا تماماً بعض الأفخاذ الدنيا الموجودة.

حول الجداول الأقدم للدليم. أنظر: شبرنغر، رقم 122. خورشيد،

ص190. جونز، ص382. ومن الجداول الأحدث. أنظر: سالنامة بغداد (1324هـ) ص275/ 280. هاند بوك، الجزء الأول، ص54. موزيل: الفرات الأوسط، ص143. يقدم شبرنغر وخورشيد التقسيم الأساسي فقط، ويقدم جونز والجداول الأحدث تفاصيل أكثر إلا إنها لا تمكننا من معرفة بنية القبيلة. تتراوح أعداد الخيام بين 1760 (جونز) و5000 (شبرنغر)، بينما يقدم الجدول رقماً هو 5490 (دون الملتحقين بها). ـ بحسب موزيل، يتحدر ثلثا سكان هيت (5000 نسمة) من الدليم.

صيحة الحرب: أولاد ناصر!.

20 ـ 1912م: والده دخيل السهو.

21 ـ بقي قسم من هذه القبيلة إلى الأعلى من القائم في موطن الدليم القديم، حيث يمارس الزراعة.

22 ـ 1912م: أبوه فرحان الشرقي

23 ـ 1912م (أبوه) مطلق الحمزه.

24 ـ مع الملاحمة والبوطعيمه، حيث الأولون ردينيو الأصل، بينما الأخيرون محامدة (ب رابعاً).

25 ـ أصل غير مؤكد، بدو رحل في نطاق الثرثار. ثمة قسم آخر من البوصقر يبدو أنه مستقل.

26 ـ "قرطان" روسو (ص71) هم بقايا السكان ما قبل الدليم، من أصل قيسي (عرب شماليون). يعيش العدد الأكبر من القبيلة في العراق.

27 ـ عزة من شرق دجلة. أنظر: قسم العراق «الجنوبي».

28 ـ ولدة من الفرات الأعلى، أنظر المقالة التالية.

29 ـ يعيش نصف القبيلة كبدو رحل.

30 ـ يسكن قسم صغير على الضفة اليسرىٰ.

31 ـ ملتحقون فقط بالبوعساف. سنتحدث في قسم العراق بتفصيل أوسع عن القبائل التي تحمل الاسم التركي كراول (قراغول).

32 ـ ينتمون نسباً إلى البوحسين العلي، ويعدون منهم بين حين وآخر.

33 ـ آل «مرا»: في الخرائط الأقدم.

34 ـ تسجيل: حلبسة. أنظر موزيل.

35 ـ هذا يعني أنه تبع الشيخ علي بن سليمان البكر.

36 ـ سالنامة وموزيل: «جفايفة». يعتبر أبو القبيلة محمد أخاً لجابر، وثامر وعبيد، أجداد قبائل الزبيد الثلاثة. الجغايفة بدو رحل، إلا أنهم يزرعون الأرض عند سوسه (مقابل البوكمال).

37 ـ موزيل: "البوحياط". قارن خورشيد، ص214. بدو رحل، يمارسون بعض الزراعة في الجبه.

38 ـ فرقة من القبيلة السورية الشمالية، وصلت ذات مرة إلى منطقة عانه وحديثه.

39 ـ يسكنون في أملاك الدولة، ويسكن قسم صغير منهم على الضفة اليسرى للنهر. ليس للشيخ حول ولا قوة، أو هذا ما كان عليه زمن الأتراك على الأقل، حين كان ريع الأرض يذهب مباشرة إلى الشيوخ الفرعيين، وكان يخسر، بهذه الطريقة، المبلغ الإضافي المخصص له.

40 ـ يعملون جزئياً في أراضيهم الخاصة.

41 ـ يوجد قسم من القبيلة على الضفة اليمنى.

42 ـ البوشجيل، المذكورون في سالنامة بغداد، هم فخذ منهم.

43 ـ لديهم فخذ هو البوبدران. بما أن هذا الاسم يرد لدى بقارة أعالي بلاد

الرافدين، فإنهم بالتأكيد فرع من هذه القبيلة.

44 ـ لا ينتمون نسباً إلى الدليم. لكن موزيل يعتبرهم عرباً جنوبيين.

45 ـ أفخاذ البوعيسى هم في جزء منهم عرب شماليون، وفي جزء آخر زبيد، وهؤلاء ليسوا أقارب صميميين للدليم.

46 ـ بحسب استقصاءات متنوعة، وإن كانت تنقصنا، للأسف الشديد، تسجيلات من فترة ما بعد الحرب. من الجداول الأقدم ـ روسو، ص67. شبرنغر، رقم 128. خورشيد، ص235. جونز: ص389 ـ يظهر تقسيم جونز (1854م) التوزيع نفسه تقريباً، الذي في جدولنا، في حين يعرض روسو (1808) تركيبة العبيد قبل انحلال اتحادهم، ويذكر بالإضافة إلى الأفخاذ 1، 3، 4 كلاً من اللهيب والعزير والبوحمد.

47 ـ سلفه: حسين بن علي بن سعدون بن مصطفى بن علي بن حمد بن ضامن بن نصيف بن ضاهر بن حمد بن مشهد بن شاهر ـ يذكر جدول هوارت (ص24) أبا حسين، علي، كشيخ للعبيد، ويرد اسم جده سعدون لدى كل من جونز واوشيه ـ ايلوى «رواية عن رحلة في الشرق من 1830 إلى 1838م، الجزء الأول، ص104. من أسلافه، يمكن أيضاً إثبات وجود علي الحمد، الذي حكم حوالى عام 1800. أنظر: دوحة، ص125، وروسو، ص67.

48 ـ فضلاً عن المشهد، وهم أسرة الشيوخ، يتصل نسب أربعة أفخاذ أخرى بشاهر، أحدها فخذ حربي، الذي التقينا به آنفاً.

49 ـ أنظر: الملاحظة 31.

50 ـ يمارس قسم منهم الزراعة على دجلة. قارن أيضاً: من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، ص213 وما يليها: مضرب البوعلي عند اللقلق.

51 ـ وضعها نيبور في الجدول رقم 61 من وصف رحلته إلى الشمال من

بغداد على ضفتي دجلة. خورشيد (ص191 وما يليها) وجدها بخيامها الأربعمائة في قيود عانه الضريبية.

52 ـ يجعلها نيبور إلى شمال القبيلة التي سبق ذكرها، ويقول خورشيد كان لها 600 خيمة (ص191). ربما كانوا هم القبيلة التي يسميها شبرنغر البوأهياً.

تقيم أقسام كبيرة من البوهيازع على دجلة، تحت الدور وفوق سنديه، وتقيم أقسام أصغر في الجزيرة. قارن: من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، ص218 و232.

53 ـ خورشيد، ص235 وما يليها. قارن، 215، 217، 227، يقدر عدد خيامهم بمائتين. في الماضي، حين كانوا تابعين لبغداد، طلبوا حماية العبيد من ابتزازات الباشا.

54 ـ جونز يضعهم في اللقلق. فهل تراهم يتماهون مع البورياش، الذين يجعلهم روسو (ص71) في منطقة الفرات الأعلى؟.

البو شعبان

البوشعبان إسم مشترك لقبائل ثلاث هي الولدة، والعفاضلة «العفادله»[*]، والسبخة، التي تقطن وادي الفرات الأعلى من شاش الكبير إلى تبني قرب دير الزور. ومع أن بعض القبائل المجاورة، كالبوبنا والفحل[1]، ترجع في أصولها إلى البوشعبان، فإنها لم تعد تحتسب اليوم في عداد اتحادها.

يعتبر البوشعبان أنفسهم زبيد، لكنهم لا يملكون معطيات أدق حول أصلهم. أما معلومات المصادر عنهم، فترجع إلى القرن الثامن عشر[2]، وإن كان ثمة براهين تثبت أنهم أقدم من ذلك بكثير. تعرفنا في فقرة سابقة (ص281) على قبيلة البوسمكية ـ التي تعيش في فلسطين، ويجب أن يعود نسبها إلى البوشعبان، بالنظر إلى صيحة الحرب التي تتبناها: عيال شعبان!، ووجود عشيرة اسمها البوبنا في صفوفها. وبالنظر إلى وجود مصادر تركية من القرن السابع عشر[3] تخبرنا أنه كان آنذاك قبيلة اسمها بني سَمِك في منطقة البوشعبان الحالية، لذلك يجب اعتبار هذه

(*) تلفظ عفادلة، حيث أن الضاد يخفى في اللفظ وقد سجلت بعض الكتب الحديثة عن الأنساب بـ عفادلة وليس عفاضلة كما هو الحال في كتاب عشائر الشام واعتقد لصعوبة لفظ الضاد. (شبّر).

(1) أنظر مقالة قبائل في وادي الفرات.

(2) نيبور، جزيرة العرب، ص393.

(3) جهان ـ نامه، ص445، 597. اوليا: سياحت نامه، الجزء الثالث، ص162.

الأخيرة القبيلة الأم للبني سَمِكية، والنظر إلى البوشعبان والبني سِمَك بوصفهما قبيلة واحدة، بغض النظر عن العلاقة القائمة اليوم بينهما. لا بد إذن من القول بوجود البوشعبان في القرن السابع عشر، والإعتقاد بأنهم كانوا جزءاً من أولئك الزبيد، الذين تذكر المراجع العربية وجودهم على الفرات في القرنين الرابع والخامس عشر الميلاديين (أنظر ص281)، وتقول إنهم سكنوا دائرة الرحبه، تحت الدير. وانتشر أخلافهم المحتملون من بني سِمك حتى عانه، ثم صعوداً مع تيار النهر إلى الرقة، وعلى ضفاف البليخ، وكانوا تابعين للموالي، وإن اعتبروا في الوقت نفسه ميّالين إلى الحرب ومسلحين أحسن تسليح[1]. ليس لدينا غير تخمينات وحسب حول اختفاء القبيلة ـ أو لنقل بحذر أكبر: إختفاء اسمها ـ الذي ربما نجم عن حرب نشبت بينها وبين الموالي، ومن الضروري أن يكون لدى البوشعبان ما يقولونه حولها.

تقلصت منطقة انتشار بني سِمك، أو البوشعبان، تقلصاً كبيراً مع هجرات البدو الحديثة. فقد فقدوا وادي الفرات تحت الدير في القرن السابع عشر(؟) لصالح الجبور والدليم والعبيد. وأخذت العقيدات منهم في القرن الثامن عشر المنطقة الواقعة بين تبني ودير. هذه الإنزياحات أدت إلى انفصال بعض القبائل كالبوشيخ والبوسبيع عن اتحادهم، وانتقالها إلى منطقة حلب[2].

تعيش القبائل الثلاث التي لم تغادر مناطقها: الولدة، والعفاضلة والسبخة، بسلام بعضها مع بعض، لكنها تفتقر إلى رابط سياسي يوحدها، وإن كان سوغان آغا[3]، شيخ السبخة، المتوفى أخيراً، كان له نفوذ على المجموعة بمجملها.

(1) إن الستة الآف بندقية، التي يزعم إوليا وجودها لديهم، هي كثيرة بعض الشيء. !

(2) أنظر مقالة قبائل مستقرة قرب حلب.

(3) صوّره بريستيد: أسلاف الرسم البيزنطي الشرقيون، ص73.

الولدة

يسكن الولدة[1] وادي الفرات بين شاش الكبير والرقة. وكانوا في السابق يسكنون إلى الشرق من النهر فقط، ثم عبر قسم منهم حوالى عام 1850م بحثاً عن ملجأ يرد عنهم أذى شمّر، التي كانت تطارد الشيخ محمد الغانم بسبب ثأر دموي[2]. بعد العبور، إنقسمت القبيلة إلى مجموعتين: ولدة الجزيرة وولدة الشامية، الذين لم تعد تربطهما أواصر قوية بعضهما إلى بعض. في الآونة الأخيرة، تشكلت مجموعة ثالثة بسبب تدابير إدارية فصلت العشائر القاطنة إلى الشمال من مسكنة عن الشامية، وضمتها إلى منطقة باب منبج. ثمة مجموعة رابعة استوطنت قبل مائة عام جنوب حلب، ليست على صلة مع المجموعات الأخرى.

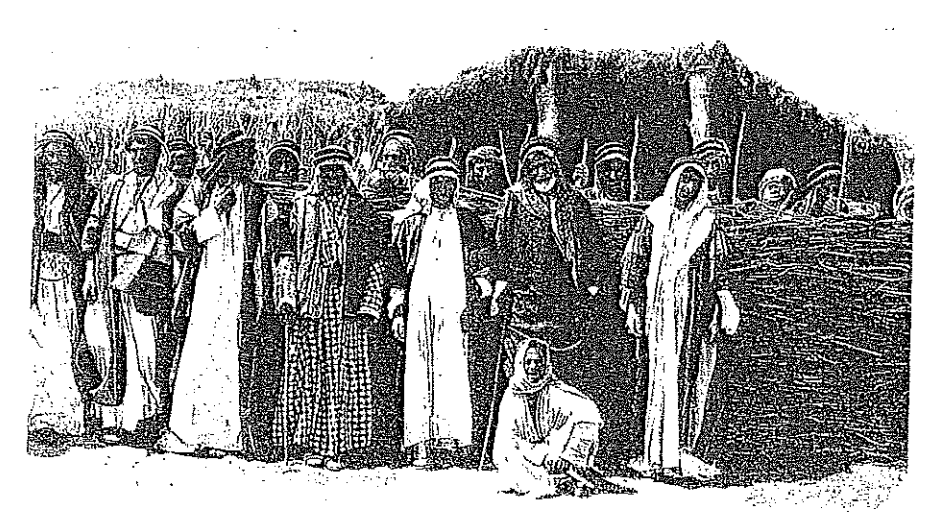
الولدة نصف مستقرين. صحيح أنهم يسكنون الخيام في الشتاء، لكنهم لا يقومون بأية تحركات مكانية ذات شأن. تعد الزراعة أكثر ما تكون تطوراً لدى ولدة باب منبج، إلا أن أفراد هذه المجموعة بالذات لهم دائرة ارتحال واسعة تأخذهم إلى جبل البشري شتاء. ـ ثمة عداء مستحكم بين الولدة والملّية وجيس حوران، بينما كانت إلى ما قبل فترة قصيرة على تفاهم متين مع عنزة[3].

---

(1) أقدم من ذكر لهم نيبور، جزيرة العرب، ص389.

(2) رامبليس في سورية، ص14، 178 ـ 180.

(3) أنظر الصفحة 149 أعلاه.



سباط. الولدة (1911م)

يحكم كل واحدة من مجموعات الولده الثلاث شيخ مستقل. ويحظى شيخا ضفة الفرات السورية، محمد الفرج (السلامه) و"فاسي" الجاسم المحمد الغانم، باحترام أعظم من ذاك الذي يحظى به "خاوك" البرصان على ضفة بلاد الرافدين؛ وينتمي الثلاثة إلى أسرة الدندل، التي يورد بوركهاردت اسمها في كتابه[1]. محمد وخاوك أولاد عم، أما "فاسي" فتربطه بهما قرابة بعيدة؛ كان جده محمد الغانم ابن أخ شيخ المشايخ سلامه الدندل[2].

من الضروري أن نسجل هنا وجود بقايا هجرات سابقة حافظت على نفسها بين الولدة. من ذلك الفخذ الذي يحمل اسم خفاجة، ويرجع في نسبه إلى قبيلة بدوية شهيرة كانت تتنقل خلال الحروب الصليبية على ضفة الفرات اليمنى بين

(1) ص25: تنقسم قبيلة الولدة إلى عرب الفحل وعرب الدندل ـ إستقل الأولون في الفترة المنصرمة، تابع ص315 وما بعدها.

(2) تابع أسماء شيوخ في الملاحظات 4 و10 و12 وكذلك رامبليس، ص15، ابتون في مجلة فريزر. الجزء 15، ص437.

الرصافة والكوفة. لذلك قد يكون هناك بعض الحقيقة أيضاً في ادعاء الولدة أن فخذ البوجابر ينحدر من قبيلة بني هلال. صحيح أنه من الصعب الاعتقاد بوصول بني هلال المعروفين إلى هذه المناطق، لكن توجد أدلة كثيرة تثبت أن أقاربهم "القشير" عاشوا في قلعة جعبر. وسوف نتناول بتفصيل أكثر خفاجة وقشير في مقالة العقيل وجيس.

العفاضلة

تلتصق منطقة العفاضلة بمنطقة الولدة. وتمتد من الرقة إلى تل الحميضة على ضفة نهر الفرات في العراق، حيث تبدأ البقارة. في حين تشمل على الجانب السوري قرى قليلة تقع مقابل الرقة. وتضم، فضلاً عن ذلك، البليخ الأدنى، حيث يشكل تل الحمام حدها الشمالي.

العفاضلة نصف مستقرين، يسكنون القسم الأكبر من السنة في السباط: وهي أكواخ تغطى بالقصب أو بالاثل. عانى العفاضلة كثيراً في الماضي من عنزة[1]، ما زالوا على عداء حتى اليوم مع الفدعان، لأنهم قتلوا ابن أخ مجحم «مقحم» ابن مهيد، لأنه أراد فرض الخوّة عليهم (1924م)[2].

ليست سلطة الشيخين بشير ومحمد مستتبة، رغم انتساب أسرتهما إلى أصول محترمة بالقياس مع مثيلاتها من أسر شيوخ أنصاف الفلاحين. أما شجرة نسبها فهي: بشير بن هويدي بن شلاش بن علي بن مشلب بن درويش بن محمد الذياب. يروي العفاضلة أشياء عجيبة عن سلطة وصيت شيخهم محمد الذياب، لكن شيخهم مصطفى حجي محمد، الذي زاره إليوت حوالى عام 1820م، كان صعلوكاً فقيراً.

(1) إليوت عند فريزر: رحلات في كردستان وبلاد الرافدين، الجزء الأول، ص370 و378 و381 ـ تخبرنا محكيات القبيلة عن معارك مع بني ربيعة، ينفرد نيبور وحده بذكرها في كتاب جزيرة العرب، ص394.

(2) تيربيه، ص129.

السبخة

يعتبر السبخة[1]، الذين يحتلون ضفة النهر السورية المقابلة للعفاضلة من الرقة إلى تبني، أكثر قبائل البوشعبان الثلاث تمدناً. ويثبت لقب الآغا، اللصيق بشيوخهم، أنهم كانوا على صلات وثيقة بالأتراك. وهم يعيشون في سلام مع جميع القبائل المحيطة بهم.

إنفكت عشيرة البوسبيع، مؤخراً، عن اتحاد السبخة، وأسست جماعة خاصة بها. والبوسبيع أنصاف رحل، يمضون الصيف في قريتي تبني ومعدان، ويعبرون الفرات شتاء فيصلون إلى الشامية (15 كيلو متراً إلى شمال شرق طوال العُباه) وجبل عبد العزيز (تيربيه، ص129 وما يليها).

(1) اقدم إشارة إليهم: روسو، فوياج ص70.

البوشعبان(1)

ألف ـ الولدة(2)

1 ـ ولدة الباب ـ منبج(3)

شيخ المشايخ "فاسي" الجاسم(4)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الغانم المحمد 2 ـ البومسرة 3 ـ البوصالح(5) 4 ـ الوردات 5 ـ البوحسن 6 ـ الصعب	فاسي الجاسم(4) غنام ابن حمد العجوز الحاج أحمد محمد(6) خلف الفرج(7) علي الأحمد(8)	تحت الشاش الكبير	1500

2 ـ ولدة الشامية(9)

شيخ المشايخ: محمد الفرج(10)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الحويوات 2 ـ الخفاجة		سهل صفين	700

3 ـ ولدة الجزيرة(11)

شيخ المشايخ: "خاوك" البرصان(12)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الشفرات(13)	البرصان	من شمس الدين إلى الرقة	1800
2 ـ البوجابر	احمد المبروك(14)		
3 ـ العلي(15)			
4 ـ العجيل(16)	محمد		
5 ـ الجعبات	عمر اليوسف(17)		
6 ـ البوظاهر	مبروك السليمان		
7 ـ العامر			
8 ـ المرادات	المراد		

باء ـ العفاضلة(18)

شيخ المشايخ: بشير الهويدي(19)

محمد الهويدي

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الموسى الظاهر(20)	بشير الهويدي(19)	تل السمن	500
2 ـ الشبل	أحمد العبد الخلف(21)	الحلو	30
3 ـ الذياب(22)	بشير الهويدي	درعية	800
البوحمادي			20

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
4 ـ الغانم الظاهر	علي	الحسانية	200
5 ـ المدلج	مشلب الدرويش(23)	الحمرا	600
6 ـ البريج	يوسف الذيب	الفاطسة	1000
7 ـ الحوس	عبد الله العقيل(24)	الخس	1000

جيم ـ السبخة(25)

شيخ المشايخ: علي بن سوغان آغا

منطقة الإنتشار: ضفة الفرات اليمنى من الرقة إلى تبني

عدد الخيام: 1200

ملاحظات حول جدول البوشعبان

1 ـ يذكر شبرنغر البوشعبان في الجدول رقم134، ويقدر عدد مسلحيهم بـ700 رجل، إلى جانب الولدة والعفاضلة.

2 ـ توجد لوائح تفصيلية بالولدة لدى موزيل: الفرات الأوسط، ص188 (عام 1915م)، وتيريبيه، ص104، 130 وما يليها. بما أن التسجيل تم عام 1911م فقد أصبح قديماً وأن جدولنا يعتمد على تيريبيه. هناك مجموعة أخرى من الولدة سنعرج عليها في مقالة: قبائل حلب المستقرة.

صيحة الحرب: حرشا وأنا ابن ناحرا.

3 ـ عدد المواشي: 500 رأس إبل، 25000 رأس غنم، 200 ثور.

4 ـ 1911م: ناصر المحمد الغانم.

5 ـ موزيل: "البوصلاح".

6 ـ موزيل: خطّاب بن عبد الله. على العكس من موزيل، يسجل تيريبيه وجود عشيرة اسمها الحطبة شيخها "حميدي الحطاب" إلى جانب الوردات.

7 ـ موزيل: فرج العبد القادر.

8 ـ 1911م: خلف الأحمد.

9 ـ عدد المواشي: 10000 رأس غنم، حوالى 100 حصان.

10 ـ 1911م احمد الفرج (الدندل). 1870: فرج السلامة (الدندل) صفحة ZDPU, Bd XXIII, 540. سالنامة حلب 1287هـ.

11 ـ عدد المواشي: 25000 رأس غنم، حوالى 100 حصان.

12 ـ 1911م: أحمد البرصان.

13 ـ تيريبيه: أُميرات «عميرات» Omeirat.

14 ـ 1911م: مبروك السطام.

15 ـ عام 1911م، الشيخ نصر أحمد الراشد. وعند موزيل ابنه علي الناصر.

16 ـ موزيل: العقيل.

17 ـ 1911م: إبراهيم يوسف السيباط.

18 ـ يعود تسجيل العفاضلة إلى العاشر من تموز عام 1911م. الراوي: حسين الدرويش (قارن الملاحظة رقم 23). وقد تم استكمال أسماء الشيوخ بالإستعانة بتيريبيه (ص127 وما يليها)، الذي لا يأتي على ذكر العشيرة رقم 3، ويقدم عوضاً عنها عشيرة "المجدم"، التي لا بد أن تكون هي ذاتها عشيرة المجادمة الواردة عند موزيل تحت الولدة. الجدول منظم وفق اعتبارات جغرافية، فتذكر أول الأمر عشائر البليخ ثم الفرات. تقع منطقة الحلو قرب تل سمن، درعية قرب الرقة، وكذلك الحسّانية.

تبدو أعداد الخيام مرتفعة بالنسبة لـ 3 و6 و7، ومنخفضة جداً بالنسبة لـ2.

تعطي أرقام تيرييه التفصيلية رقماً إجمالياً يبلغ 2250، وهو في اعتقادنا أقرب إلى الحقيقة من رقم 4150.

عدد المواشي: 200 جمل، 20000 رأس غنم.

صيحة الحرب: البوشعبان!

19 ـ 1911م: (أبوه) هويدي الشلاش. يبدو أن بشير استبدل في هذه الأثناء بابنه مجحم «مقحم». على أي حال فإن هذا (ومحمد الفرج) يمثلان بدو الرقة في البرلمان.

20 ـ تسكن مجموعة من الموسى الضاهر مقابل الرقة، على ضفة الفرات اليمنى. عدد خيامها 150.

21 ـ 1911م (أبوه) عبد الخلف الكنعان.

22 ـ سميت باسم الأب الأول لأسرة الشيوخ.

23 ـ 1911م: حسن الدرويش.

24 ـ 1911م (أبوه): عجيل الحمله.

25 ـ من عشائر السبخة الثلاث، التي يسميها تيرييه (ص129)، لا يذكر موزيل غير الزيارات (ص186) ـ يضاف إليها أيضاً البوسبيع، التي نمت في الآونة الأخيرة إلى قبيلة مستقلة تضم مضاربها 470 خيمة. عدد مواشي السبخة: 20000 رأس غنم وحوالى 100 حصان.

عقيدات «عگيدات»

يمثل العقيدات، سكانُ الفرات الأوسط، أكبرَ قبيلة في بلاد الرافدين، وهم، إلى هذا ميّالون جداً إلى الحرب ومحاربون أشداء، وسّعوا منطقتهم عبر حروب متواصلة، ودافعوا عن حريتهم ببسالة، ضد الأتراك أول الأمر، ثم ضد الانجليز والفرنسيين في الحقبة الأخيرة.

يلف الغموض عمر القبيلة، ونشأتها، وموطنها. يزعم تيرييه أن العقيدات تحدروا جميعهم من أسرة واحدة، وجاؤوا في منتصف القرن الثامن عشر[1] بقيادة عبد الله الهفل من نجد إلى بلاد الرافدين، لكن في زعمه كما يبدو قليلاً من الصواب، لأن القبيلة غدت بعد عقود قليلة من هذا التاريخ أكثر قبائل الفرات جبروتاً[2]، ولأن هناك ارتباطاً جلياً بين أسماء قبائل العقيدات وأماكن دير الزور (البوسرايا ـ البسيره ـ البوكمال ـ ابوكمال ـ الدميم ـ دميم ـ البوخابور ـ خابور)، يشير إلى كونهم من سكان المنطقة الأصليين. ويوجد، فضلاً عن ذلك، عقيدات في سورية، تدل تسمياتهم ومحكياتهم على أنهم يشاركون قبيلتنا دماءها[3]. يعتقد

(1) بودنا أن نعرف من أين أتى تيرييه بهذه الأرقام وما يشبهها. عندما يحدد البدو الأحداث زمنياً، فإنهم يفعلون ذلك بحسب الأجيال أو حسب أزمان عامة جداً مثل "قبل العصر العثماني" أو "في حكم السلطان مراد"، وهي معطيات تثير ترجمتها سوء الفهم على الدوام.

(2) يذكر جدول شبرنغر لعام 1818م حوالى 2800 مقاتل لها.

(3) أنظر مقالة: قبائل صغيرة في حماه وقبائل صغيرة في دمشق.

بوركهاردت (ص9) أن العقيدات موالي. يفسر هذا، إن كان صحيحاً، إنقسامهم إلى فرع يسكن سورية وآخر بلاد الرافدين، باعتبار أن الموالي أقاموا فعلاً على الفرات وفي سهب حماه. بغض النظر عن القرابة التي يزعمها بوركهاردت، يحسن بنا تصور عقيدات الأزمنة القديمة كواحدة من القبائل الصغيرة التي عاشت على الفرات تحت حكم أمراء الموالي. وللعلم، فإن معلومات تيريبه تندرج ضمن هذا السياق[1]، خاصة وأن منتصف القرن التاسع عشر لم يشهد تأسيس، بل صعود، القبيلة المفاجئ بقيادة أسرة هفل، القادمة من جزيرة العرب.

بدأ العقيدات توسيع منطقتهم بعد عام 1750م بفترة قصيرة: فطردوا الجبور من مياذين إلى الخابور، وأقسام البقارة والبوشعبان من الدير إلى حلب. وبلغوا خلال مائة عام حدودهم الحالية: تل الشيخ حمد على الخابور، حيث تماسهم مع الجبور، وتبني على ضفة الفرات اليمنى والحويجة الواقعة إلى الجنوب على ضفته اليسرى، حيث يجاورهم السبخة والبقارة.

ما إن انتهت معاركهم مع القبائل المجاورة، حتى اصطدم العقيدات بالحكومة، التي عززت في بداية الستينيات مواقعها على الفرات ببناء المعسكرات، ورفع دير الزور إدارياً إلى مرتبة سنجق (لواء)، الأمر الذي أجبر حكامها الجدد على خوض معارك عنيفة مع البدو، إستمرت إلى عام 1876م، عندما تم إخضاع العقيدات، غير أن انفجار الحرب العالمية أطلق أيدي القبائل من جديد، الذين تحالف الانجليز معهم، بالنظر إلى ضعف قواهم العسكرية المدافعة عن خط الفرات.

تحول دير الزور إلى ميدان اضطرابات عام 1919م، لعب العقيدات دوراً رئيساً فيها تحت قيادة رمضان شلاش[2]، سليل أسرة شيوخ البوسرايا المعروفة،

(1) هنا نصادف الحالة التي ينقل فيها موروث أسرة الشيوخ إلى القبيلة.
(2) بالنسبة إلى الأحداث التالية، نوجه عناية القارئ إلى الوصف الحي الذي قدمته لها السيدة بل في مجلة رفيو، ص133.

الذي كان ضابطاً في الجيش التركي، لكنه إلتحق خلال حصار المدينة بقوات الشريف حسين. وانضم إلى جمعية "العهد العراقي"، التي ضمت ضباطاً وموظفين ولدوا في بلاد الرافدين، حين أعلن الأمير فيصل حكومة وطنية في دمشق بعد دخول القوات الحليفة إليها. ظهر رمضان مطلع عام 1919م على الفرات، بتكليف من الجمعية، لتحريض العقيدات والقبائل المجاورة على المطالبة بضم السنجق إلى الدولة السورية الجديدة. وبينما كان فيصل يقيم في باريس، وكانت القوى الكبرى تتفاوض من فوق رأسه على مصير البلدان العربية، تلقى رمضان الأمر باحتلال الدير، فدخلها العقيدات يوم 11 كانون الأول، وتبعهم هو نفسه بعد حين. لم يفكر الضابطان، والعدد القليل من العرب الذين شكلوا القوة الانجليزية في المدينة، بالمقاومة، فأسروا وأبعدوا بعد أسبوعين إلى البوكمال. في هذا الوقت، إتفقت بريطانيا وفرنسا على اعتبار الخابور خط حدود بين منطقتي مصالحهما؛ وهو حلٌ شق منطقة العقيدات إلى نصفين، فما كان منها إلا أن ردت عليه بهجوم شنته في كانون الثاني عام 1920م على البوكمال، دفع الانجليز إلى احتلال الصالحية الواقعة، صعوداً مع مجرى النهر. وفي شباط، إجتاحت العقيدات البوكمال للمرة الثانية، ثم انتهت هذه الحرب الصغيرة باتفاق عقد يوم 5 أيار من عام 1920م بين مبعوثي فيصل ولجنة انجليزية، رسم حدوداً تمر على بعد ثمانية كيلومترات جنوب البوكمال، تلبي مطالب العقيدات.

بعد نصف عام، وجدت القبيلة نفسها إزاء عدو أقوى. فقد دخلت بعثة عسكرية فرنسية إلى دير الزور في تشرين الثاني من عام 1920م، وقد أحدث قدومها هيجاناً شديداً قامت بها العقيدات بدعم وتأييد القوميين الأتراك. وجدت حامية المدينة نفسها في موقف عصيب، ولم تنجح في صد هجمة عاصفة شنها عليها محاصروها (في كانون الثاني من عام 1921م) إلا بشق الأنفس. كما تكبدت خسائر فادحة خلال محاولة قامت بها يوم 10 أيلول لمغادرة المدينة. ثم، بعد أيام قليلة، سقط المطار بطائراته في أيدي القبيلة، مما أجبر الفرنسيين على الإنتظار إلى نهاية تشرين الثاني، قبل انتقالهم إلى الهجوم بواسطة قوات كانت قد وصلت المدينة حديثاً. قاتل العقيدات بشجاعة وحنكة، لكنهم اضطروا في النهاية إلى إخلاء آخر

مواقعهم في بسيرة والفرار عبر الخابور[1].

العقيدات أنصاف مستقرين، يقيمون صيفاً على ضفاف النهر، حيث حقولهم وأكواخهم. وينتشرون شتاء كالأشعة على البقاع الداخلية: فيتنقل عقيدات الخابور حتى أقدام جبل سنجار، وتترحل عشائر منطقة المياذين في جبل البشري، وتخيم أقسام من العشائر الأبعد على مجرى الفرات في منطقة الممالح، وأجزاء أخرى إلى الجنوب من خط البوكمال ـ عانه أي في المملكة العراقية.

ينقسم العقيدات إلى مجموعتي نسب: والبوكامل والبوكمال[2]، اللذين يرجعان في أصولهما إلى أخوين شقيقين هما كامل وكمال. حافظت عشيرة واحدة على اسم البوكامل، بينما لا يحمل أحد اسم البوكمال، الذي نراه مدوناً في الخرائط القديمة.

يمتلك شيخ المشايخ، جدعان الهفل، السمعة التي تليق بعراقة أسرته، لكن نفوذه السياسي لا يتعدى عشيرته.

---

(1) تابع دو فيجاريه: بلاد الرافدين، ص17 ـ 28 ـ كانت لرمضان شلاش علاقة بهذه الثورة أيضاً. في عام 1925م برز كذلك لدى نشوب ثورة الدروز. أنظر الشرق الحديث، الجزء الأول، ص414 و523 و595.

(2) يشمل الأولون، بحسب موزيل، العشائر 6 ـ 4، 1 من الجدول، والأخيرون 11 ـ 7 أما 2 و3 فيجملهما موزيل تحت اسم بكيّر.

العقيدات "العگيدات" (1)

شيخ المشايخ: جدعان الهفل(2)

القبيلة	الشيخ	مكان الإقامة(3)	الأسر
1 ـ البوسرايا	فياض الناصر(4)	ضفة الفرات اليمنى من تبني إلى دير الطريف	500
	داموق البهلول	الطريف	
	حمود الشلاش	الشميطية	
	ريس العبد السلام	الشميطية	
	فياض الناصر	الشميطية	
	أحمد الصالح	الخريطة	
	توفيق الشلاش	عياش	
	سعود الحمد	البغيلية	
	علي العطيش	بقرس	
2 ـ البوخابور(5)	خزام العساف	ضفة الفرات اليمنى تحت الدير :	1000
أ ـ البومعيط	طراد بن فيحان	المريعية	
ب ـ البوعمر	جنيد الجاسم	العبد	
جـ ـ البوحليحل	خزام العساف	موحسن	
د ـ البوليل(6)	موسى الصالح	القطعة، الطوب	
3 ـ بكير	سليمان	ضفة الفرات اليسرى من الدير حتى بسيرة :	970
	شبل الجار الله(7)	الخشام	
	جدعان الحسين(8)	الجديد	
	سرور الدلي(9)	البريهة	

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	الأسر
		ضفة الفرات اليمنى	
		فوق مصب الخابور	
	حميدي العبد الجليل	الطوب	
	صالح العبد	سعلو	
	أحمد العلي	على الخابور:	
	فرحان الكسار(10)	البسيرة	
	هنيدي الخلف	الحريجية	
	محيمد الكريم	الحريجية	
	فرحان الملحم(11)	معيجل	
	رزق الشهاب	معيجل	
4 ـ البوكامل	جدعان الهفل	على (الخابور)(12):	2340
	دوش الزعال(13)	الحريجية	
	طابان الهفل(14)	المويلح	
	بطمان الدهام	غريبة	
5 ـ المشاهدة	عبيد الكلش(15)	الصبحة(16)	360
6 ـ الشعيطات(17)		تحت مصب الخابور حتى	1240
		البوكمال	
7 ـ العظار(18)	تركي بك بن علي	المكان نفسه	1750
	ابن نجرس(19)		
8 ـ الدميم	فارس بن صايح	على الفرات تحت مصب الخابور	500
9 ـ الحسون	مشرف بن دندل(20)	حتى البوكمال	1200
10 ـ البوحردان	عقلي بن سبيحان(21)		240
11 ـ المجاودة	سالم		140

ملاحظات حول جداول العقيدات

1 ـ كل ما يتعلق بالعشائر من 1 إلى 5 في هذا الجدول وضع بالإستناد إلى تسجيل يعود إلى عام 1911م. أما الباقي فمرجعه موزيل: الفرات الأوسط، ص73 وما يليها. وتيرييه، ص123. يحيد التسجيل عن غيره في نقطة رئيسة، فهو لا يقسم العشائر بحسب أفخاذها بل بحسب أماكن إقامتها أو زعماء قراها. هذا الترتيب تمت المحافظة عليه، لأنه يأخذ بالحسبان الاستقرار المتزايد للعقيدات، ويؤكد معطيات الجدول التركي من عام1870م، الذي نشره هارتمان في مجلةZDPV، العدد 23، ص37. يجب أن نضع في الاعتبار أن بعض الأسماء ربما تكون غدت قديمة، أما أسماء الشيوخ الفعليين فقد تمّ تدقيقها في كل مكان بما ينطبق والوضع الراهن. .

العدد بحسب تيرييه 9220 أسرة. عدد المواشي: 71800 رأس غنم، 1300 جمل.

صيحة الحرب: الأبرز!.

2 ـ يسكن في ذيبان مقابل المياذين.

3 ـ تذكر معظم الأماكن في خرائط موزيل: شمال جزيرة العرب وجنوب بلاد الرافدين. غير أن موزيل يقدم في حالات كثيرة أسماء مغايرة.

4 ـ إلى جانبه، يمتلك حمود الشلاش بعض النفوذ.

5 ـ إقتبسنا هذا المفهوم من تيرييه. صحيح أنه لا يسمّي الأفخاذ من أ إلى د، ومع ذلك فإن انتماءها إلى البوخابور جلي، يؤكده توافق المعطيات التالية: أولاً تماهي اسم الشيخ الذي ذكره تيرييه مع اسم شيخ الفخذ ج. ثانياً تتطابق معطيات مجلة ZDPV الجزء 23، ص37 بالنسبة لأماكن سكن البوخابور مع المعطيات الواردة في التسجيل حول الأفخاذ المقدمة.

6 ـ زبيد.

7 ـ موزيل: "صبين" ابن جار الله شيخ الخلف.

8 ـ شيخ المشرف (موزيل).

9 ـ شيخ كبيسة (موزيل).

10 ـ شيخ الشعبان (موزيل).

11 ـ شيخ الفرج.

12 ـ يبدو أن أقساماً أخرى من البوكامل تسكن على الفرات.

13 ـ شيخ الدعيشل (موزيل).

14 ـ شقيق شيخ المشايخ.

15 ـ سلفه: كلش الجاسم.

16 ـ على ضفة الفرات اليسرى فوق مصب الخابور.

17 ـ إلى جانبهم، يذكر تيرييه عشيرة باسم شعيط.

18 ـ هذا ما يقوله موزيل. تيرييه يذكر عوضاً عن ذلك "ثولتس".

19 ـ نائب في البرلمان. سلفه: علي بن محمد بن نجرس.

20 ـ سلفه: محمد بن دندل.

21 ـ سلفه: سليمان بن سبيحان.

جيس (قيس)

يعتبر جيس حوران أقدم القبائل التي تعيش حالياً في بلاد الرافدين، فهم أخلاف مهاجرين قدموا إلى هنا في القرن الأول الهجري، كما يمكن أن نستنتج من اسمهم، فجيس ليست غير طريقة عامية في نطق اسم قيس الكلاسيكي، القبيلة التي خرج منها قسم كبير من أقدم المهاجرين المسلمين.

سكنت قيس في فجر الإسلام وسط جزيرة العرب، بين جبال شمّر وطويق والحجاز واليمامة. وتبين جداول فوستنفيلد (د ـ هـ)[1] توزيعات أنسابها، وتذكر فيها أسماء تلك القبائل، التي صار لها علاقة مع الجيس اللاحقين، وهي عبس وذبيان وسليم، والقبائل التي تنسب نفسها إلى عامر (ابن صعصعة)، وهي : نمير، وكلاب، وعقيل وقشير. كانت قبائل قيس مستقلة سياسياً تمام الإستقلال بعضها عن بعض، الأمر الذي انعكس في سلوكياتها حيال النبي، وفي الردة الكبيرة التي انفجرت بعد موته مباشرة في جزيرة العرب. كما كان القيسيون أضعف تمثيلاً في جيوش الإسلام من سكان جنوب جزيرة العرب وقبائل الحدود الشمالية. وقد بدأت هجرة قيسية واسعة إلى سورية وبلاد الرافدين، بعد فتحهما، ثم انفصلت أسر متفرقة عن

---

(1) ثمة معلومات أدق حول تاريخ قيس الأقدم أيضاً في المقال الممتاز الذي كتبه آ. فيشر في مجلة الانسكلوبيديا الإسلامية.

قبائلها[1]، وواصلت سيرها نحو الشمال. إختارت عبس وذبيان غالباً أراضي سورية الجنوبية مكاناً لإقامتهما، بينما فضل العامريون والسلاميون منطقة قنسرين العسكرية، التي تعادل تقريباً ولاية حلب الحالية، وضفة الفرات. شرعت قيس في استيطان هذه المناطق منذ عام 638م، وواصلت استيطانها فيها بصورة منهجية فيما بعد. فكانت قرقيسياء[2] على مصب الخابور في الفرات، التي تتطابق مع منطقة البصيرة الحالية، مكان سكنها الرئيس، فضلاً عن أنها عاشت، فيما وراء الفرات، مع قادمين من قبيلتي تميم وأسد، اللتين تنتميان، مثلها، إلى مجموعة مضر العربية الشمالية[3]. أما في سورية فقد التقت قيس مع القبائل العربية التي كانت قد قدمت إليها قبل الفتح، وفي مقدمتها كلب، التي جعلت من تدمر منطقة سكن رئيس لها في العصر الإسلامي.

أحدثت الهجرة تبدلات عميقة في نظام المجتمع البدوي. إذا كانت قبائل قيس قد اتخذت في جزيرة العرب موقفاً يتسم بالغرابة، إن لم يكن بالعداء، بعضها حيال بعض، نتيجة لاختلاف مصالحها، فقد وجدت نفسها مجبرة على التوحد في مناطقها الجديدة، للدفاع عن نفسها في وجه القبائل المتماسكة القاطنة هناك، وهي كلب في سورية، وتغلب المسيحية في بلاد ما بين النهرين، التي نقلت منطقة انتشارها زمن الفتوحات من الفرات الأوسط إلى الجزيرة الشرقية. بقيت تغلب قليلة الشأن سياسياً، بينما برز نفوذ كلب على الدولة وقضاياها خلال حقبة الأمويين الأوائل، الذين ارتبطت معهم بعلاقة مصاهرة، وقدمت عدداً من كبار موظفيهم. أثار هذا الواقع غيرة قيس فرفضت عام 64هـ/ 683م مبايعة ابن الخليفة الأموي الثاني يزيد(*) وأعلنت تأييدها لابن الزبير، الذي أعلن نفسه منذ بضعة أعوام خليفة بديلاً

---

(1) بلد سوري، ص150 "أناس لم يكونوا على ملاك الجيش، إنفصلوا عن بدو قيس"، تابع المرجع ذاته، ص150 و178.

(2) الطبري، الجزء الثاني، ص72 بالنسبة إلى عام 45 للهجرة.

(3) لذلك سميت الأرض بين الفرات والبليخ ديار مضر.

(*) تولى يزيد بن معاوية الخلافة بعد أبيه عام 60 هـ. ثم مات عام 64 هـ. قتل الحسين بن علي(ع) عام 61 هـ، وعام 63 هـ استباح المدينة وتسمى واقعة الحرّة ثم بعدها حاصر الكعبة ورماها بالمنجنيق ومات والكعبة محاصرة. [تاريخ الخلفاء للسيوطي] (شبّر).

في مكة. بالمقابل، بقيت كلب موالية للأسرة الحاكمة القديمة. أخيراً، إلتقى الحزبان عام 64 للهجرة في مرج راهط قرب دمشق وسلاح كل منهما بيده. وقد قاتل إلى جانب ابن الزبير سليم وعامر وذبيان، وهم جميعهم قيسيون وافدون، وقاتل مع الأمويين كلب وغسان وتنوخ، وهي من قبائل سورية القديمة. إنتهت المعركة بهزيمة نكراء حلت بقيس[1]، وبذلك توطد حكم الأمويين في سورية لكن الحرب لم تنته. ذلك أن قائد القيسيين، ظفار بن الحارث، ذهب إلى قرقيسياء وصمد فيها حتى صيف عام 691م. ثم بادر، حين تركه الأمويون بسلام، إلى خوض حرب صغيرة ضد كلب، بدأها بهجوم على مستقر لها في الصحراء السورية قتل خلاله عشرين من رجالها. فما كان من كلب إلا أن ثأرت لنفسها بقتل ستين نميرياً ممن كانوا يشاركونها السكن في تدمر. بعد ذلك بفترة قصيرة، غادر بضع مئات من رجال سليم صفوف الجيش الأموي وانضموا إلى ظفار بن الحارث. إستقر الجمع عند الخابور الأعلى[2]، حيث انخرطوا في صراع مع تغلب: صاحبة المكان، فحل من الآن فصاعداً عراك دام سنوات كثيرة بين قيس وتغلب محل الحرب بين كلب وقيس. ولم يعد الهدوء إلى الصحراء، إلا بعد استسلام قيس في قرقيسياء عام 691.

عندئذ، عقد قادة قيس سلامهم مع الأمويين، وحافظوا على ولائهم لهم[3] حتى عند سقوط سلالتهم (132هـ/ 750م). لكن الكره القبلي بين قيس وكلب (يمنيون)[4] واصل تضخمه، وعبر عن نفسه لاحقاً من خلال الثورات التي عرفها النصف الأول من القرن التاسع في أواسط سورية وفلسطين لصالح أمويين حقيقيين أو مزيفين، من أمثال من يسمون بالسفيانيين[5]. هذا التناقض توارى وراء سمات

---

(1) فلهاوزن: الإمبراطورية العربية وسقوطها، ص106. وص125 بالنسبة إلى ما يلي أنظر. موزيل: بادية دمر، ص257.

(2) الهمداني، ص132 يذكر سُليم في أورفة وحران.

(3) إبن الأثير، الجزء الخامس، ص331.

(4) أي عرب جنوبيين. وكان منهم كلب وأتباعها وقد تبنوا تقاليد غساسنة جنوب الجزيرة العربية، الذين كانوا قبل الفتح على رأس القبائل السورية.

(5) السفيانيون هم ذلك الخط من الأمويين، الذي أزاحه المروانيون عام 64 هجرية. منذ ذلك

دينية/ سلالية، ثم بهت فيما بعد وتحول إلى مجرد تنافس صرف بين المجموعتين، اللتين سمّى أنصارهما أنفسهم قيسيين ويمانيين، دون أن يقصدوا من خلال هاتين الكلمتين سوى التعبير عن عداوة قديمة. حملت الأجيال القديمة هذا التناقض إلى الأماكن والأراضي التابعة لها، لذلك بقي حياً إلى اليوم في بعض مناطق فلسطين وسورية، منها لبنان على سبيل المثال، مع أنه انطفأ في الصحراء منذ العصر العباسي.

لا نعرف الكثير عن طريقة حياة قيسيي سورية وبلاد الرافدين في القرون الثلاثة الأولى للهجرة. ربما كان علينا أن نتصورهم، بطريقة ما، كأعيان مدن أو كملاّك أرض كبار، بدلالة السيطرة الأبوية التي كانت لأسرة من عقيل في الفرات الأعلى، حيث امتد نفوذها من مكان سكنها قرب سميساط إلى قرقيسياء. كان أعضاء هذه الأسرة أتباعاً أوفياء للأمويين، وظلوا حتى عهد المأمون(*) (813 ـ 833) يقاتلون من أجل الحفاظ على التركة الأرستقراطية "للإمبراطورية العربية" ضد ماهية العباسيين الفارسية[1]. وقد استسلم آخر أفرادها، ابن صفوان، عام 269هـ/ 882 ـ 883م في قرقيسياء[2]. أما رعاياها، قيس ديار مضر فقد عاشوا حياة متواضعة كمربي أغنام أنصاف رحل[3]، بينما كان قيسيّو سهوب ضفة الفرات الغربية قد تحولوا إلى بدو رحل حقيقيين. هذه الأنماط المختلفة من الحياة، عمقت من جديد الحدود الفاصلة بين القبائل، التي كانت قد امّحت منذ وقت طويل

الوقت دعا السفيانيون إلى حاكم منهم، منحوه، طبقاً لتقاليد العصر، منزلة دينية، وقالوا إنه المهدي المنتظر، الذي يقيم مملكة العدل ـ بعد انتصار العباسيين خرجوا من السرية. حدثت أول انتفاضة قام بها سفياني عام 132، والإنتفاضة الثانية في أعوام 195 ـ 198 هجرية، والثالثة عام 227 للهجرة. أنظر إبن الأثير، الجزء الخامس، ص332، الجزء السابع، ص172. الطبري، الجزء الثالث، ص1319.

(*) بويع الأمين بالخلافة سنة 193هـ ـ 809م وقتل عام 198هـ ـ 813م. أما المأمون فإنه بويع للخلافة عام 198هـ ـ 198هـ ـ 813م وتوفي عام 218هـ ـ 833م، مدة حكم المأمون 20 عاماً. (شبّر).

(1) إبن الأثير، الجزء السادس، ص216.

(2) أنظر التفاصيل في مقالة عقيل في قسم جزيرة العرب.

(3) إبن حوقل، ص155

لدى القيسيين الآخرين؛ فانقسم قيسيو سورية الشماليةفي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) إلى خمس قبائل مستقلة هي: نمير، كلاب، عقيل، قشير، والعجلان، عبرت معظمها الفرات في منتصف القرن الحالي وانتشرت في الجزيرة الشمالية. إنفردت كلاب بالبقاء في منطقتها بين حلب والرحبة، حيث ظهرت منها سلالة بني مرداس، التي حكمت حلب بين عامي 416هـ/ 1025م و472هـ/ 1080م[1]. إستمرت القبيلة إلى الحقبة الأخيرة من العصر المملوكي. وكانت قد امتزجت بعناصر تركمانية خلال الحروب الصليبية، وأخذت تتكلم باللغة التركية منذ القرن الثالث عشر، كما تولت حراسة حدود الدولة المملوكية ضد آسيا الصغرى، لما لها من بأس كقبيلة محاربة. في نهاية العصر الوسيط، كانت مضارب كلاب منتشرة في منخفض العمق غربي حلب، وعند قلعة جعبر على الفرات[2]. وربما تكون قد ذابت، آخر الأمر، في تركمان شمال سورية.

كان بنو نمير أول من عبر الفرات من القبائل الشقيقة لكلاب المذكورة أعلاه. عام 331هـ/ 942 ـ 943م، كان هؤلاء في منطقة الخابور الأوسط وعلى البليخ، حيث قدموا إلى هناك بدعوة من حكام محليين طلبوا مساعدتهم في قتال بعضهم بعضاً[3]. بعد وقت قصير، تبعهم العقيل والقشير[4]، ربما في سياق حملة تأديبية كبيرة قام بها سيف الدولة، أمير حلب الحمداني الشهير، ضد القيسيين في حزيران

(1) يزعم سوبرنهايم في الموسوعة الإسلامية، الجزء الرابع، ص120، دون وجه حق أن صالح ابن مرداس قاد كلاب في مطلع القرن الرابع (الصحيح الخامس) من العراق إلى حلب، لأن الحلة التي يورد اسمها في الموقع الذي اقتبسه(من ابن الأثير، الجزء التاسع، ص148) لا تعني المدينة المعروفة الواقعة على الفرات، التي بنيت أول مرة عام 1111م، بل "مضرب الخيمة"، أي أنه لا يصلح دليلاً على وجود أصل من بلاد الرافدين. علاوة على ذلك أثبت سوبرنهايم ذاته وجود كلاب في القرن الثالث قرب حلب (الموسوعة الاسلامية، الجزء الأول، ص243). وقد ارتكب موزيل في كتاب الفرات الأوسط الخطأ ذاته، ص347.

(2) جودفروا ـ دومومبين، ص219.

(3) إبن الأثير، الجزء الثامن، ص295.

(4) تابع إبن حوقل، ص. 155 نعلم لاحقاً عن القشير أن واحداً منها اسمه سابق الدين جعبر إستولى على قلعة دوسر على الفرات. وأنها أخذت فيما بعد اسمها منه فصار قلعة جعبر.

من عام 955م، وقادته من حلب إلى ما وراء تدمر في سبعة أيام[1]. بعد عقود من ذلك، تحددت الصورة النهائية لمناطق انتشار القبائل في الجزيرة، فاختار بنو نمير القسم الغربي من البليخ، والعقيل القسم الشرقي حول نصيبين. أما في الشتاء، فكانت القبيلتان تسيران كلتاهما نحو الجنوب، فتمر بنو نمير عبر الرقة مواكبة مجرى الفرات النازل، وتجتاز عقيل الجزيرة بالعرض في طريقها إلى العراق.

هذه الموجة القيسية الثانية من الترحال أحدثت أثراً سياسياً، نتيجة قيام قادتها انتزاع السلطة لأنفسهم في بلاد الرافدين. إن السلالة الحاكمة الأكثر شهرة، التي أسسها هؤلاء، هي سلالة العقيليين التي تنحدر من فرع مهنا للقبيلة العقيلية عبادة والتي حكمت انطلاقاً من الموصل الجزيرة الشرقية، وحكمت كذلك الجزيرة الغربية من حين لآخر: من سنة 380 هجرية/ 990 ميلادية إلى نهاية القرن الحادي عشر، عندما وضع السلاجقة حداً لحكومتها[2].

لم تحظ سلالتا بنو وثاب وبنو عطير بشهرة مماثلة، رغم أنهما خرجتا بدورهما من بني نمير، وحكمتا حران وأورفة في الفترة ذاتها[3]. كان وثاب ابن سابق النميري أبو السلالة الأولى. وقد توفي عام 410هـ/ 1019م في حران، فحكم ابنه شبيب حران وسروج إلى عام 431هـ، ثم حكم حفيده منيع ابن شبيب الرحبة أيضاً[4]. حافظ بنو وثاب على ملكهم حتى عام 474هـ/ 1081م ـ 82م، حيث أجبروا على إخلاء حران وتركها للعقيلي مسلم ابن قريش[5] ـ عاشت

(1) المتنبي، شاعر بلاط سيف الدولة، مدح هذه الحملة، ويقدم شراحه معلومات دقيقة عنها. أنظر دي ساسي: مختارات، الجزء الأول، ص331.

(2) أنظر مقالة عقيل في قسم جزيرة العرب.

(3) ثمة ملخص بأسماء الحكام لدى زامباور: معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص138.

(4) إبن الأثير، الجزء التاسع، ص281 و301 و316 و321 و164، الجزء العاشر، ص7.

(5) إبن الأثير الجزء العاشر، ص78. ليس صحيحاً أن محمد ابن الشاطر، الذي طرده ملكشاه بعد خمسة أعوام من حران، كان نميرياً، كما يزعم تسومباور. أنظر إبن الأثير، الجزء العاشر، ص97 و105.

سلالة النميريين في أورفة فترة أقصر من سلالة بني وثاب، ووجد مؤسسها عطير نفسه مجبراً بعد عام 416هـ بفترة قصيرة على الإقرار بتبعيته للمروانيين الأكراد في ديار بكر. بعد موته خلال عملية ثأر دموية وقعت مطلع عام 418هـ، قسمت أورفة إلى نصفين أعطي أحدهما إلى ابنه[1] والثاني إلى شخص يدعى ابن شبل النميري، فباع ابن عطير حصته إلى البيزنطيين عام 422هـ/ 1031م، واضطر ابن شبل إلى إخلاء المدينة. ـ ثم نجح النميريون في استعادة المدينة، لكن قلعتها صمدت في وجههم إلى أن فك جيش بيزنطي حصارها عام 427 ـ 429هـ. منذ هذا التاريخ، بقيت أورفة بيد الإغريق، الذين دفع بنو وثاب أيضاًالإتاوات لهم، وإن لبعض الوقت[2].

بقي أمراء النميريين في بداياتهم على الأقل، شأنهم في ذلك شأن أمراء العقيليين، بدواً أقحاحاً، رغم المنزلة التي احتلوها. لذلك سكنوا السهب بين قبائلهم ولم يقصدوا المدن إلا من أجل القيام بواجباتهم الحكومية. أما سندهم السياسي فكان بني مرداس في حلب، الذين ربطتهم بهم علاقات مصاهرة، واعترفوا مثلهم (ومثل المروانيين) بخليفة القاهرة الفاطمي سيداً أعلى لهم.

مع سقوط السلالتين (النميريين عام 1081م ـ والعقيليين عام 1096م) فقدت قبيلتاهما أيضاً، بنو نمير وعقيل، أهميتهما. ترجع آخر الأخبار التي وصلتنا عنهما من العصر الوسيط إلى العقد الأول من القرن الثاني عشر[3]، حين اقتصر وجود بني نمير على منطقة البليخ، وانحلت قبيلة عقيل تماماً. أما العشيرة القيادية عبادة فقد هاجر الجزء الأكبر منها إلى العراق، وانكفأ قسم صغير منها على نفسه وانسحب

(1) زامباور: سليمان.

(2) إبن الأثير، الجزء التاسع، ص244 و281 ـ في عام 476 يذكر مرة أخرى شخص اسمه ابن عطير بمناسبة ثورة في حران ضد مسلم ابن قريش. إبن الأثير، الجزء العاشر، ص83.

(3) أنظر بالنسبة إلى عقيل مقالة عقيل، وبالنسبة إلى بني نمير ابن الأثير، الجزء العاشر، ص242 و285 و324. عام 496هـ يقتل مسلم أحد أبناء عقيل قرب هيت بدافع الثأر. وفي عام 502هـ يحتل جوشان النميري الرقة. تابع مقامات الحريري رقم15.

إلى البليخ، حيث لا نزال نعثر اليوم أيضاً على عبادة ونمير، بوصفهما فخذين من الجيس.

يفترض هذا، أنه كان لا يزال في العصور الوسطى المتأخرة بقايا من مهاجري الإسلام الأول، حافظت على اسم قيس القديم (جيس)، واستطاعت استيعاب القبيلتين في صفوفها. هذه الفرضية يؤكدها تركيب الجيس الراهن، فهي تضم، إلى جانب عباده ونمير، أسد وعجل، المنحدرين من أصول ليست قيسية، لكنهما منتميان إلى أوائل المهاجرين المسلمين. يبدو كذلك أن أخلافاً لأقدم قيسيي بلاد الرافدين يعيشون بين قبيلتي السيّالة وبني يوسف[1].

يرد أول ذكر لاتحاد (جيس) في جهان ـ نامه، ثم لدى الرحالة التركي أوليا[2]، الذي زار حران في أواسط القرن السابع عشر. تمتد منطقة انتشار القبيلة اليوم من أورفة إلى البليخ الأوسط. وهي تقيم صيفاً في مثلث اورفه «الرها» ـ حران ـ تل أبيض أي في الأراضي التركية، وشتاء بين البليخ وجبل عبد العزيز. إلا أن قسماً منها فقط يعيش حياة ترحل، في حين تمتلك بقيتها قرابة عشرين قرية في منطقة حران.

بقي الـ(جيس) ميّالين إلى الحرب حتى الوقت الحاضر: ويعتبرهم تيرييه "لصوصاً لا يمكن إصلاحهم". أما أعداؤهم الرئيسون فهم فدعان عنزة، الذين تقع مراعيهم الصيفية في أراضي جيس القديمة. أثناء الحفريات التي قمت بها في تل حلف (1911م ـ 1913م) وقعت مرات متعددة حوادث بين القبيلتين، وتوجد في ملفات البعثة الملاحظات التالية حول ذلك: "شارك بعض جماعة الجيس في حملات سلب ونهب شنها ضد الفدعان محارب شمّر عزو المحمود بدعم من الملّية" الأكراد. وبما أن عنزة لم تستطع القبض على عزو، الذي كان يفر إلى

(1) بلانسبة لأسد أنظر الصفحة 336 أعلاه. بالنسبة إلى بقية القبائل أنظر الملاحظات في الجدول.

(2) جهان ـ نامه، ص443. سياحت نامه، الجزء الثالث، ص161، الجزء الرابع، ص70 يذكرهم أوليا مرة أخرة في سهل سنجار وهذا مستبعد. يظهر الاسم عنده كيسى، أي جيس «قيس»، وهي لفظة ما زالت تتكرر الآن.

الجبال مع الملّية، فقد أغارت على فرع من جيس كان يخيم على البليخ الأوسط مع بعض من أكراد قبيلة كراجيتش. ومع أن عسكراً تركياً كان في الجوار، اضطر الجيس إلى الفرار من مضاربهم، وسقط عدد من القتلى من الجانبين. عندئذ، توجه الجيش والكراجيتش والملّية إلى الحكومة، وساعد أصدقاء في القسطنطينية على إيصال شكاواهم إليها، فأرسلت قوة عسكرية كبيرة من حلب ودير الزور وأورفة إلى المنطقة، أمضى منها مائة وأربعون فارساً والأربعون وبغالهم يومين في مخيمنا، بانتظار القبض على شيخ شمّر عزو، الذي كان قد أطلق ساقيه للريح منذ وقت طويل. بعد أن أجرت القوة تفتيشاً لدى الشيوخ المختلفين، طالبت الحكومة بمصالحة تجري بين المعنيين تقوم على تقديم تعويضات متبادلة عن الأضرار التي سببوها بعضهم لبعض. وافقت عنزة على إجراء مباحثات مع خصومها، إدراكاً منها لجدية وخطورة الأمور. وكنت بمحض الصدفة في الرقة، عندما اجتمع متصرفو دير الزور وأورفه ببعض شيوخ الفدعان وجيس وكراجيتش والملّية، ووصلوا بمداولاتهم إلى النتيجة المرغوبة: فقد تكفلت الملّية بإعادة الجمال التي سرقها عزو من العنزة، والتزم شيخ الفدعان حاكم «حاجم» بك بدفع 5500 ليرة تركية إلى جيس و700 ليرة إلى الكراجيتش، تعويضاً لهما عن الأضرار التي أنزلها بهما. وقد أنجز الملّية ما وعدوا به، في حين حاول حاكم «حاجم» بك التنصل من التزاماته. مثل هذه الأحداث تكررت بعد الحرب. وبما أن تسوية فرضتها حكومة الإنتداب عام 1927م لم تستطع إقامة سلام دائم، فقد منعت الحكومة الجيس من عبور الحدود.

لم يكن للجيس شيخ مشايخ. ولم تكن علاقة عشائرها بعضها ببعض على ما يرام دوماً. يعتبر شيخ عشيرة بني محمد الشيخ محمد الحسن أكثر شيوخها نفوذاً في أيامنا. أما قبل الحرب، فكانت الأرجحية لزعماء السياله محمد نايف العبد الله بك وصالح العبد الله العثمان. تصاهر شيوخ السيالة مع أسرة إبراهيم باشا، فقد تزوج إبراهيم نفسه من شمسه، أخت صالح العبد الله، بينما كان ابنه عبد الرحمن متزوجاً من ابنة عمه تركيه بنت حسين.

جيس (قيس)(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ السيالة(2)	مصطفى الصالح حسين الصالح(3) بدر الحسين	نصار	500
2 ـ بني محمد(4)	محيمد الشيخ حسن	تل فدان	500
أ ـ بني محمد	محيمد الشيخ حسن	تل فدان	
ب ـ عبادة	عبد الله بن بنية	محرز	
جـ ـ طماح	شواخ بن علي العمر(5)		500
3 ـ بني يوسف(6)	مصطفى الخلف الصالح(7)	رجم الحمرا	
أ ـ بني يوسف	مصطفى الخلف الصالح	رجم الحمرا	
ب ـ بني اسد	عمر الخلو(8)	قراموخ	
جـ ـ بني نمير	محمد الابراهيم	عين خليل	
د ـ بني عجل(9)	محمد الجاسم	حران	
التحق بها			
1 ـ المشهور(10)		تل ابيض/ تل منبطح	100
2 ـ الجميلة(11)	عيسى بن حماد الهندي(12)	حران	

ملاحظات حول جدول جيس

1 ـ سجلت في حران يوم 9 كانون الأول عام 1911م. إستكمل جدول الشيوخ وفقاً لتيرييه، ص166 وما يليها. ليس في أدب الرحلات غير القليل من المعلومات.

عدد المواشي: 1500 جمل، 1200 رأس غنم. صيحة الحرب: زعب!.

نلاحظ ما يلي حول الأماكن، إن كانت غير مدونة على الخريطة: تقع نصار إلى الشرق من محيرز. تل فدان شمال غرب تل أبيض. الحمرا جنوبه وتل المنبطح غربه. عين خليل (الرحمن) هي ذاتها عين عروس.

2 ـ التسجيل: الصيالح أصلهم من سالم ابن صخر. يفهم من اسم صخر الشخص الذي منح اسمه لقبيلة بني صخر القاطنة شرق الاردن، وإن كانت هناك آراء أخرى، ترى في صخر بطلاً من أبطال العرب القدماء، هو: صخر ابن عمرو من قبيلة سليم، الذي بقيت ذكراه حية لفترة طويلة بفضل أشعار اخته الخنساء.

السيالة هم، في هذه الرواية، أخلاف سليم، التي قدمت في القرن الأول للهجرة إلى بلاد الرافدين. (أنظر صفحة 327).

3 ـ أبناء الشيخ صالح العبد الله العثمان.

4 ـ إسمهم عند نيبور (جزيرة العرب، ص393) آل محمد. وفي جدول شبرنغر (رقم 136) البومحمد، باعتبارهم قبيلة قائمة بذاتها. يسقط اسم جيس في هذين المرجعين كليهما.

5 ـ 1911م: أبوه علي العمر.

6 ـ ذكره أول الأمر نيبور (ص395). ثمة مجموعة منهم تمتلك مائتي خيمة تعيش في منطقة اعزاز التابعة لدائرة حلب. أما فخذ بني يوسف، الذي تحمل العشيرة اسمه، فيقال إنه يتحدر من عبس، أي إنه قيسي قح.

7 ـ 1911م: أبوه خلف الصالح.

8 ـ 1911م: أبوه خلف الخلو.

9 ـ هم بالتأكيد من بقايا عجل بن لُقيم من قبيلة بكر، التي قدم معظمها في القرن الأول بعد الهجرة إلى أعالي بلاد الرافدين (ديار بكر). يذكر عجل هنا (على دجلة) حتى في أواخر العصر الوسيط. صبح، الجزء الرابع، ص232.

10 ـ بقارة في نسبهم. قارن جدولهم أ 2 ج. وهم مستقرون وإن كانوا يمضون فترة من العام تحت الخيام. تعادوا مؤخراً مع الجيس. شيوخهم: نوري، حجو، أحمد الصحن، إبراهيم الجلّول.

11 ـ بقارة (ب 7). كانوا قبل ذلك في قطينة والجنيدية قرب رأس العين، ثم ارتحلوا من هناك.

12 ـ 1911م: مصطفى بن حماد الهندي.

يُعتبر التركمان القاطنون على البليخ من موالي الجيس، وسنعرج عليهم في الجزء الرابع من هذا الكتاب(*).

(*) لم يتم معالجة التركمان في الجزء الرابع ومن الأرجح أن هذا الفصل قد احترق أثناء الحرب العالمية الثانية. (ماجد شبّر).

البو عساف

تبع البوعساف في الماضي جيساً، ثم أحرزوا استقلاليتهم بعد الحرب العالمية. لكن الأعمال العدائية إستمرت بين القبيلتين حتى عام 1927م، عندما عقدت السلطات مصالحة بينهما. يعتبر خليل الأعرج شيخ مشايخ البوعساف، ويقع مسكنه في الطبّجية، غير أن حاكم القبيلة الفعلي هو ابن عمه موسى الحسين الأعرج. البوعساف مستقرون، لكنهم يمضون الصيف في الخيام، ويكسبون رزقهم من الزراعة ومن ثروة حيوانية تقدر بألفين إلى ثلاث آلاف رأس غنم. تقع معظم أماكن سكن القبيلة في الأراضي السورية، وهناك قسم صغير منها في تركيا. وهي تشمل مثلث تل أبيض - عين عيسى - شيخ حسن، حيث يمتلكون مجموعة قرى. ليس هناك معلومات دقيقة حول أصل القبيلة، وإن دلت أسماء تكويناتها على نسبها البدوي الأصيل.

البوعساف(1)

شيخ المشايخ: خليل الأعرج(2)

القبيلة	الشيخ	مكان التجوال	عدد الخيام
1ـ العجلان(3)	خليل الأعرج	الطبّجية	270
أ ـ الحبشان	خليل الأعرج	علي باجلية	70
ب ـ الخليفة	موسى الحسين الأعرج	صهلان	100
جـ ـ المطاردة		صهلان	60
د ـ الملاغفة		قراموخ	40
2ـ السالم الراشد(4)			290
أ ـ الفقرا	مصطفى العيسى	الهيشة/ صقيرو	90
ب ـ الواوي		عين عيسى	70
جـ ـ الظاهر	حمود الجاسم(5)	المنقلي	50
د ـ الرديني		شيخ حسن	80

ملاحظات حول جدول البوعساف

1 ـ تسجيل من عام 1913م، أسماء الشيوخ أخذت من تيربيه، ص128. لا يوجد على الخارطة أسماء الطبَّجية، المنقلي، علي باجلية والهيشة. تقع الطبَّجية وراء الحدود، ويقع المكانان الثاني والثالث على بعد كيلومترات قليلة جنوب غرب وجنوب صهلان. أما الهيشة فهي إلى الشرق من عين عيسى.

2 ـ 1913م: حسان الأعرج.

3 ـ أخلاف القبيلة القيسية التي تحمل الاسم نفسه (فوستنفيلد، جدول د 18)، والتي يرد ذكرها في شمال سورية خلال القرن العاشر.

4 ـ كان الشيخ عام 1913م هو جاسم المحمد بك.

5 ـ 1913م: جاسم العياش.

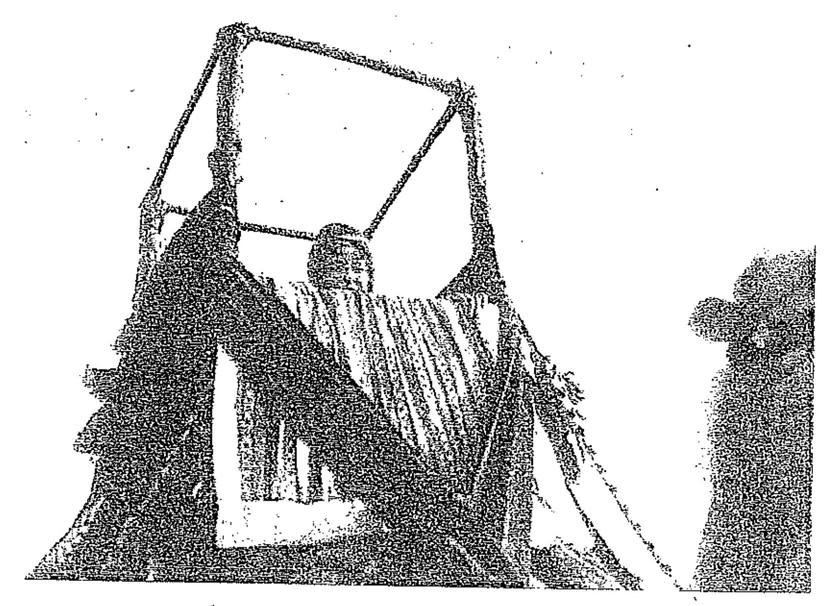
عدوان

يعيش في القسم الشرقي من حوض حران خليط متنوع من عرب وأكراد. يسيطر الأكراد على المنطقة، أما اتحادهم الأقوى فهو إئتلاف الملّية، الذي يتركز ثقله في ويرانشهر. تتبع هذا الإتحاد قبائل المنطقة العربية الصغيرة، كالحديدين والشمطا والنعيم والبقارة، والعدوان.

هناك حكاية حول قدوم قبيلة عدوان إلى المنطقة: كان عدوان، أبو القبيلة وسليل الحسين بن علي بن أبي طالب[1]، يعيش قرب بئر الهاداني في نجد، حيث تكاثرت ذريته إلى أن أصبحت قبيلة كبيرة. ذات يوم، إرتكبت امرأة من فخذ نعمات[2] خيانة زوجية أدت إلى قتلها وقتل من أغواها، ووقوع شقاق في القبيلة. أخيراً انفصل نعمات عن رفاقه في القبيلة، وانضم إليه واحد من أبناء أخيه اسمه ناصر. ترحل هؤلاء بخيامهم الأربعمائة إلى أن أقاموا في منطقة الموالي قرب حلب، الذين أرادوا التخلص منهم بالخداع. غير أن العدوان كانوا يقظين وردوا أعداءهم على أعقابهم بعد أن أدموا رؤوسهم. إلا أن القبيلة اضطرت، مع ذلك، إلى مغادرة المنطقة، فقصدت ضفة البليخ إلى جيس، التي تركتهم ينعمون بالهدوء أعواماً عديدة، قبل أن ينفجر بينهما صراع شديد هزم فيه العدوان. منذ ذلك

(1) ثمة شكل آخر مفعم بالخرافة لهذه المحكيات نقدمه في الملحق.

(2) إن التأرجح بين الشخص والقبيلة هو أمر نمطي في مثل هذه الحكايات.



خنيس (عدوان) زوجة محمود بيك، شيخ مشايخ الملّي (1929م)

الوقت، تسود بين القبيلتين عداوة لا زالت مستمرة إلى يومنا الحالي. ـ طفق العدوان يعيشون حياة التجوال من جديد، حتى قادهم الشريف عون[1] إلى ديرك، حيث وجدوا، أخيراً، ملجأً آمناً.

لا تقول الحكاية شيئاً كثيراً حول موطن العدوان ـ نجد منطقة واسعة جداً وبئر الهاداني (الهادانية) لا وجود لها على أية خارطة ـ. ولا تقول أيضاً أي شيء إطلاقاً حول أصلهم. وليس إرجاع نسبهم إلى أسرة إسلامية مقدسة إلا وسيلة يغطون بها افتقارهم إلى سيرة نسب حقيقية. صحيح أنه وجدت قبيلة قديمة جداً اسمها عدوان، عاشت في الجبال إلى الجنوب من مكة قبل أن تتم إبادتها في الحروب الوهابية التي شهدها مطلع القرن ما قبل الماضي (التاسع عشر). وصحيح أن قبيلة عدوان أخرى تكونت من جديد في العصر الوسيط، وسكنت ذات يوم في

(1) وفق محكيات أخرى، هاجر الشيخ نعمات نفسه إلى ديرك. وهو يبتعد أحد عشر جيلاً عن خلفه علي الأوزو (أنظر الملاحظة 7 عن الجدول).

شمال الحجاز ـ وتسكن اليوم شرق الاردن، كما تتناثر مزق منها في أماكن أخرى. ولكن إلى أي من هاتين القبيلتين انتسب المهاجرون؟. إذا كانت الحكاية لا تجيب على هذا السؤال، فإنها تقول شيئاً على الأقل عن الطريقة التي يفهم بها العدوان بناء قبيلتهم، فنعمات هو اسم أسرة شيوخ عشيرة الدحامسه، وناصر هو الشخص الذي منح اسمه للناصريين، الذين كونوا والنعمات شقي القبيلة الأصلية. أما الشريف عون، فهو كما يبدو الأب الأول للشرفاء المنضمين إلى العدوان.

تقع ديرك، المكان الذي أنهت الحكاية تجوال العدوان فيه، عند أقصى شمال منطقة انتشارهم ـ التي تصل في الغرب إلى البليخ، وفي الجنوب حتى جبل عبد العزيز. يمضي العدوان الصيف في الجبل شمال غرب رأس العين، ويذهبون في الشتاء إلى الجنوب الغربي ويصلون إلى تل أبيض. هكذا تقع أماكن إقامتهم الصيفية في الأراضي التركية، والشتوية في الأراضي السورية/ الفرنسية. وهم يجتازون الحدود بطريقة شرعية تنظمها اتفاقية عقدتها تركيا وحكومة الإنتداب. هناك قسم مستقر من العدوان، ويعيش عدد كبير من القبيلة في رأس العين.

تعود علاقات العدوان والملّية إلى القرن السابع عشر. وهم يرتبطون بعلاقة ولاء خاصة مع أسرة شيوخ الملية. لذلك، إنضمت العدوان إلى الدائرة الضيقة من القبائل، التي التفت بعد موت إبراهيم باشا (1908م) حول أبنائه، وبقيت وفية لهم رغم عواصف زمن ما بعد الحرب. هذه العروة الوثقى التي تشدهم إلى الباشاوات[1] أوهنت روابط القبيلة وأدت إلى تدني نفوذ قادتها، خاصة لدى عشيرتي الدحامسه والشرفاء، وأضعفت وحدتها، لأن أبنائها لم يتمكنوا جميعهم من اللحاق بالباشاوات عند هجرتهم من ويرانشهر إلى رأس العين.

ثمة تأثير كردي واضح على عادات وتقاليد العدوان[2]. ذلك أمر يبدو لنا طبيعياً، بعدما قلناه حول أماكن انتشارها وعلاقاتها مع الملّية.

---

(1) هكذا صار أبناء الباشا يسمون مؤخراً.

(2) تابع مارك سايكس: إرث الخلفاء الأخير، ص315.

العدوان(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة تجوال	عدد الخيام
1 ـ الناصريون(2)	خلف العلو(3)	رأس العين	300
أ ـ الشاهر	خلف العلو		
ب ـ شناعة	شراف بن عبيد		
	خزيم العليص(4)		
جـ ـ المقن(5)	ابراهيم الحسين		
	الحنظل		
د ـ الرديني	رحيل بن علي		
2 ـ الدحامسه(6)	عويد ابو شيبة	رأس العين	300
أ ـ نعمات	عويد ابو شيبة(7)		
ب ـ جداع	عويد أبو شيبة		
جـ	عياد الشولاق		
د ـ الجزامات	حمد الدريعي		
هـ ـ السيف الدين	نهيّر		
و ـ نصّية	عبيد العيسى		
ز ـ شبيل	براك بن قعود		
1 ـ العذه	براك بن قعود		
2 ـ العفارى	هليل الشويش		
3 ـ الوبر			
القبائل الملتحقة بها			
1 ـ الشرفا(8)	ثلاج بن هطليس		150
أ ـ الصبيحات	عبد الرحمن الصبيح(9)		
ب ـ الجغشم	شاوي المرو		
2 ـ البهيمة(10)	خليل العلو	ويرانشهر	100
أ ـ بني علي	خليل العلو		
ب ـ الساعدين			

ملاحظات حول جدول العدوان

1 ـ سجل أعوام 1913م، 1927م، 1929م (الراوي ـ بين آخرين ـ خلف العلو).

الفروع من ج د إلى و والتقسيم إنطلاقاً من 2 وليسا أكيدين تماماً. لا يرد اسم العدوان إلا نادراً في الأدبيات، من الأمثلة القليلة على ذلك ما نجده لدى روسو، ص71، الذي هو في الوقت نفسه أقدم ذكر لها. صرخة الحرب: ولاد علي! (وفي مصادر أخرى: العلوا!).

2 ـ يعيش 350 شخصاً من الناصريين كفلاحين في القرى شرق أورفة.

3 ـ يصف خلف نفسه كشيخ مشايخ العدوان، دون وجه حق، لأن الدحامسه والشرفا تابعون بصورة مباشرة للباشاوات، والبهيمة لا يخضعون له، كما تبين الملاحظة العاشرة. في السابق، كان لخلف منافس في شخص محمد (محمود) الحلو، الذي كان أبوه ـ حلو بن محمد بن عساف بن علي بن دجي بن محمد ـ عام 1913 شيخ الناصريين. أما خنيس، بنت خلف، فهي متزوجة من محمود بن إبراهيم باشا.

4 ـ إبن عم شرّاف.

5 ـ في التسجيل: المكن.

6 ـ يعيش مائتان من الدحامسه كفلاحين في ويرانشهر.

7 ـ إبن نعمات: 1913: علي العوزو (يسو) ابن محمد ابن نعمات؛ لم يبق حياً من هذا الفرع من العائلة غير شيخ واحد وهو رجب الحسّون، الذي يسكن في جديدة قرب ويرانشهر مع نيف وعشرين عائلة من القبيلة، يعملون في أملاكه.

8 ـ إلتحقت بالناصريين.

9 ـ كان أبوه برهو (ابراهيم) الصبيح شيخ مشايخ الشرفا عام 1913م.

10 ـ بسبب ارتباطهم بالملّية، فهم يعتبرون كقبيلة واحدة. يعيش أربعمائة من

البهيمة كفلاحين في ضاحية سوريك ـ لاحظ، بالمناسبة، اسم مكان قلعة البهيمة في تكتك.

ملحق

سمعت عام 1913م في ويرانشهر الحكاية التالية حول أصل العدوان: ذات يوم، جاء غريب إلى المدينة ونزل ضيفاً على علي ابن أبي طالب. لم يستطع علي تقديم الطعام له، لأنه لم يكن لدى أسرته ذاتها ما تأكله. عندما غادر الضيف فجر اليوم التالي، تبعه علي متنكراً وقد عزم على قتله، خشية أن يشهر بسوء ضيافته. أدركه علي، فسأله عن اسم الشخص الذي أمضى ليلته الأخيرة في ضيافته. أجاب الغريب أن اسمه كان علياً ابن ابي طالب، وأنه ذبح له خروفاً وخصه بكرم شديد. إنسحب علي تاركاً الرجل وشأنه، ثم عاد إليه وقد ارتدى ثياباً أخرى، وطرح عليه السؤال ذاته فتلقى الإجابة نفسها. بعد أن كرر محاولته للمرة الثالثة، أعلن عن نفسه وطلب إلى الغريب أن يبيعه كعبد، على أن يأخذ ثمنه كتعويض عن كرم الضيافة الذي لم يحظ به. ألح علي إلى أن وافق الضيف. بعد تجوال دام أياماً عديدة، بلغا مدينة كبيرة أظهر علي فيها قواه الخارقة، حين تصارع في سوقها مع أقوى رياضييها. إشتراه، عندئذ أمير المدينة بسعر مرتفع، بعد أن أعجب بقوته وسلوكه الرصين، واستقبله في قصره وزوجه من ابنته.

حملت الأميرة، لكن علياً أبى أن يبقى فترة أطول بصحبتها، وقال لها: "سأفارقك، لكنني سأترك لك هذه الأساور المرصعة بالأحجار الكريمة. فإن ولدت فتاة، كانت لك. أما إذا أنجبت صبياً، فضعي الأساور في معصميه حتى يمكن التعرف عليه بواسطتها، وقولي له إنه ابن علي العربي، وهو سيعرف كيف سيجد أباه ذات يوم". ثم قفل عائداً إلى المدينة.

ولدت الأميرة فتى قوياً أسمته محمد الحنيف، الذي تفوق على أقرانه، عندما كبر. ذات يوم، ضرب محمد ابن إحدى الأرامل، فعيرته قائلة: لو كنت تعرف أباك، لما كنت على هذا القدر من السوء تجاه أقرانك من الأطفال، يا ابن الأفاق والمغني الجوال.

ركض محمد الحنيف إلى أمه طالباً إخباره بحقيقة أبيه. إعترفت الأم أنه ابن علي العربي من المدينة. ثم وضعت الأساور في يديه، وأطلقته كي يبحث عنه.

تنقل محمد الشاب من مكان إلى آخر، إلى أن بلغ ضواحي المدينة، وقصد بستاناً يملكه علي ابن أبي طالب، الذي كان قد تسلق شجرة توت وأخذ يلقي بثمارها إلى ولديه الحسن والحسين. كان محمد الحنيف جائعاً، فأزاح الطفلين جانباً وانقض على حبات التوت. نزل علي غاضباً من الشجرة، وأمسكه من ساعديه. لاحظ أن للطفل قوة جسدية خارقة، فسأله من يكون ومن أين أتى. حكى محمد الحنيف قصته، وأخبره أنه غادر منزل أمه بحثاً عن أبيه علي العربي. سأله علي: وهل لديك علامة من أمك. أجاب الفتى: "هذه الأساور". عرف علي الحلي الذي كان قد أهداها إلى الأميرة، فأعطى الصبي طعاماً، ثم حمله على كتفيه وأخذ الحسن والحسين بين ذراعيه وعاد إلى المدينة.

عندما صار محمد الحنيف شاباً، خاض وأبوه الحروب ضد الكفار، الذين عجزوا عن قهرهما، ولم يجدوا بداً من القضاء عليهما بالخداع: فقدموا رشوة إلى إحدى جارات بيت علي، كي تحدث شقاقاً بين الأب وابنه. أخبرت المرأة الشريرة علياً في السر أن لصاً يأتي في الليل إلى بستانها ويسرق بذارها، وأضافت: "أنا أرملة فقيرة لا حامي لي غيرك، يا جاري". أعلن علي للتو إستعداده للسهر عند العجوز، وتخليصها من اللصوص. ذهبت المرأة إلى محمد الحنفية وروت له الحكاية ذاتها، فوعدها بدوره أن يحرسها في الليل.

بعد انتشار العتمة، ذهب الأب وابنه إلى البستان. حين التقيا في الظلمة، إعتقد كل منهما أن الآخر هو اللص الذي حدثته العجوز عنه. إنقض أحدهما على الآخر، دون أن يتبادلا كلمة واحدة، فاقتلع محمد الحنفية جذع شجرة ضرب علياً به وطرحه أرضاً. في اللحظة عينها، عرف أنه إنما ضرب أباه، فأقسم وهو يحس بالخجل من فعلته النكراء، أن يغادر المدينة إلى الأبد.

إنسحب الفتى إلى الصحراء وتزوج من ابنة بدوي، رزق منها بغلام أسماه

عدوان، صار الأب الأول للقبيلة التي حملت اسمه.

هذه الحكاية الخرافية، التي تتقدم هنا حكاية القبيلة، تنتمي إلى دائرة المغازي الأسطورية، التي تعود إلى العصر الوسيط والتي تدور حول حملات النبي[1]، التي بطلها شخصية تاريخية هو محمد ابن الحنفية: ابن علي من فتاة من قبيلة حنيفه.

يلعب محمد ابن الحنفية دوراً في الموروث البدوي، فهو الذي أسلمت على يديه تدمر وأرك، وهناك قبر في الموقع الأخير يقال إنه له، كما يرجع شيخ تدمر نسبه إليه. أنظر بلنت، الجزء الثاني، ص23، 38 وما يليهما. قارن أيضاً: رحلات الليدي استير ستانهوب، الجزء الثاني، ص138.

(1) جمعها ر. باريت في: أدب المغازي الأسطورية. بعض ملامح هذه الحكاية موجودة في القصة المروية في الصفحة 224 وما بعدها. «القتال ضد ملك الأشباح وحش الهندي». تشابهات أخرى نجدها في سيرة الظاهر، أنظر وانغلين، الكتاب الشعبي العربي عن الملك الظاهر بيبرس، ص264، 276.

بقارة

يستطيع المرء الإلتقاء بالبقارة في كل مكان بين حلب ودير الزور والموصل، رغم أن منطقتهم الأصلية كانت تقتصر على شمال وجنوب جبل عبد العزيز، باعتبار أن مستقراتهم بين حلب ومنبج كانت بمثابة مستوطنات خاصة بهم، بينما عاشت أجزاء القبيلة المخيّمة قرب حران وويرانشهر ونصيبين والخابور بين قبائل غريبة. ـ ينقسم البقارة إلى فرعين لا زالا على صلة وطيدة بعضهما مع بعض، مع إنهما لم يعودا يشكلان وحدة سياسية. هذان الفرعان يسمّيان: بقارة الزور، وبقارة الجبل (عبد العزيز).

يسكن الأولون على طول ضفة الفرات مقابل الدير، ويمارسون أنشطة زراعية مختلفة. وتصل أماكن انتشارهم صعوداً على النهر حتى تل الحميضه، وتعتبر عقلة مجحم آخر مواقعهم المائية في الأراضي الداخلية، حيث تعود ملكية بئر أبو مرير إلى العفاضلة. لو تبعنا مجرى النهر نحو الأسفل، لوجدنا مستقرات البقارة تختلط بمستقرات العقيدات، ولما عثرنا على حدود ثابتة تفصلهما. وتقع السعدوني، آخر قرى البقارة، على مسافة قريبة جداً من قرية العقيدات المسماة بصيرة. يغادر ملاك القطعان وادي الفرات في تشرين الثاني من كل عام ويتجهون شمالاً إلى جبلة البيضا (عين بيضا ـ أم مدفع). فإن وجدوا أن أبناء إبراهيم باشا وأتباعهم سبقوهم إلى الجبل أقاموا في منتصف الطريق في منطقة الذرو حتى حزيران، موعد رجوعهم إلى مناطقهم، فيما عدا البومانع (أ 1 ط) والبوشيخ (أ 3 جـ)، الذين لا يعودون إلى الفرات، بل إلى الخابور[1]. يشارك

(1) إنضم الأولون، البومانع، إلى جبور تلك المنطقة.



اسعد البشير. شيخ مشايخ البقارة ـ الزور (1929م)

شيخ المشايخ أسعد البشير في الترحال، علماً بأن مقره الصيفي موجود في الحوايج فوق الدير، حيث يمتلك أراضي واسعة.

قسمت منطقة البقارة إلى مديريتين تسهيلاً لإدارتها: ناحية الكسرة ويحكمها أسعد البشير وناحية مراط التي يديرها حسين الغنام. في غياب هذين، ينوب عنهما عبد الله السلمان وهنداوي المحمود القحيط.

يقيم بقارة الجبل شتاء في جبل عبد العزيز، وصيفاً في السهل الشمالي. ويمتلك شيخ مشايخهم أراضي قرب تل الرمان، يزرعها قومه. فيما عدا ذلك، يعيش هذا الفرع حياة بدو رحل. أما العشائر التي تسكن صيفاً على منحدرات الجبال الكردية، فقد انضمت إلى الملّية، بينما انفصل بعضها الآخر انفصالاً تاماً عن قبيلته الأم، مثل الجميلة والبوعاصي والبوشهاب.

محكيات البقارة فقيرة[1]. الشيء الوحيد المؤكد عنهم هو أنهم يسكنون منطقتهم الحالية منذ مئات كثيرة من السنين. وإن كانت إحدى حكاياتهم تخبرنا أن جدهم الأول سيد محمد قدم من الحجاز إلى الحسينية والشريعة[2]، وتزوج من امرأة من النعيم، بعد أن أتاه وحي عجيب أعلمه أنها مثله من نسل النبي. يجد النسابون في السيد محمد هذا محمد الباقر، إمام الشيعة الخامس الذي يقول رأي واسع الإنتشار في بلاد الرافدين إنه مدفون في دير الزور[3]. ربما أوحى رنين، تشابه لفظ، اسمَي باقر وبقارة بهذا التماثل[4]، على أنه لا بد من التمييز بين الأسمين، ما دام الباقر يعني "ذلك الذي ينقب عميقاً في الأرض"، في حين لا يعني اسم بقارة غير "رعاة البقر"[5]. لا

(1) سجلت فقط قصة واحدة هي قصة محمد المشهور وأمير الموالي.

(2) يشير الاسمان إلى موقعين مقابلين للدير.

(3) يماثل بأحد الأولياء المدعو أبو عابد، الذي يقع قبره في مقبرة الدير. ومن الملاحظ هنا أن شجرة نسب قبيلة البقارة تذكر لمحمد الباقر ابناً اسمه عابد.

(4) لا داعي لتقديم حجج لإثبات عدم صحة ما يقال هنا. ذلك أن محمداً الباقر توفي في العقد الرابع من القرن الثامن في الحميمه (بين العقبة ومعان)، ودفن في المدينة. وقد أخذ أحد الرواة هذا بالحسبان، عندما ذكر أن محمداً الباقر لم يهاجر إلى الشريعة، بل هاجر خلفاؤه.

(5) من الممكن، على كل حال، إشتقاق اسم بقارة من اسم شخص يدعى بقار، خاصة وانه يوجد قبر في جبل عبد العزيز لشيخ اسمه بقار.

يتفق اسم بقارة مع ظروف حياة القبيلة الراهنة[1]، التي لم تعد تربي غير الخراف والجمال. ولكن لعل الأمور كانت مختلفة عن ذلك في الماضي، إذ أن تربية الأبقار مورست منذ الأزل على الفرات.

يعيش البقارة في وئام مع معظم جيرانهم. لكنهم على عداء مع قيس وعنزة (الفدعان ـ العمارات)، الذين تبادلوا الغزو معهما خلال العقد الأخير. في حالات العسر، يلجأ البقارة إلى الملّية، الذين اتحدت أقسام منها معهم بشكل دائم. هؤلاء المتحدون مع الملية لا يدفعون إتاوات، بينما يدفع جميع البقارة الآخرون خوة زهيدة جداً تذهب إلى أسرة آل العمرو الشمّرية[2].

تعتبر علاقات البقارة مع حكومة الإنتداب السورية طيبة اليوم. في الزمن المضطرب، الذي أعقب الحرب العالمية، جرت حوادث ومصادمات[3] إنتقل خلالها عيسى السليمان، شيخ مشايخ بقارة الجبل، إلى الأراضي التركية. لكنه رجع بعد عامين، واستقبله الفرنسيون بحفاوة.

يوجد بين البقارة عدد من السادة، يعاملون كأولياء ويعيشون من إعطيّات أبناء قبيلتهم. يرجع نفوذ هؤلاء إلى اقتران شجرة نسب البقارة بالولي أبو عابد، أي بمحمد الباقر.

مشجرة نسب البقارة

للبقارة موروث أنساب غني. ويستطيع شيخ مشايخ بقارة الجبل ذكر 14 سلفاً له، والعودة بنسبه إلى محمد الباقر. كما أن أسلاف أسعد البشير وغيره من شيوخ العابد ـ عشيرة بقارات الزور ـ معروفون بقدر يمكننا من رسم صورة واضحة لعلاقاتهم النسبية. إلى هذا، توجد كذلك بين أيدينا شجرة نسب الشيخ مشهور (أ ـ 2 حـ)، الذي سنتحدث عنه فيما بعد.

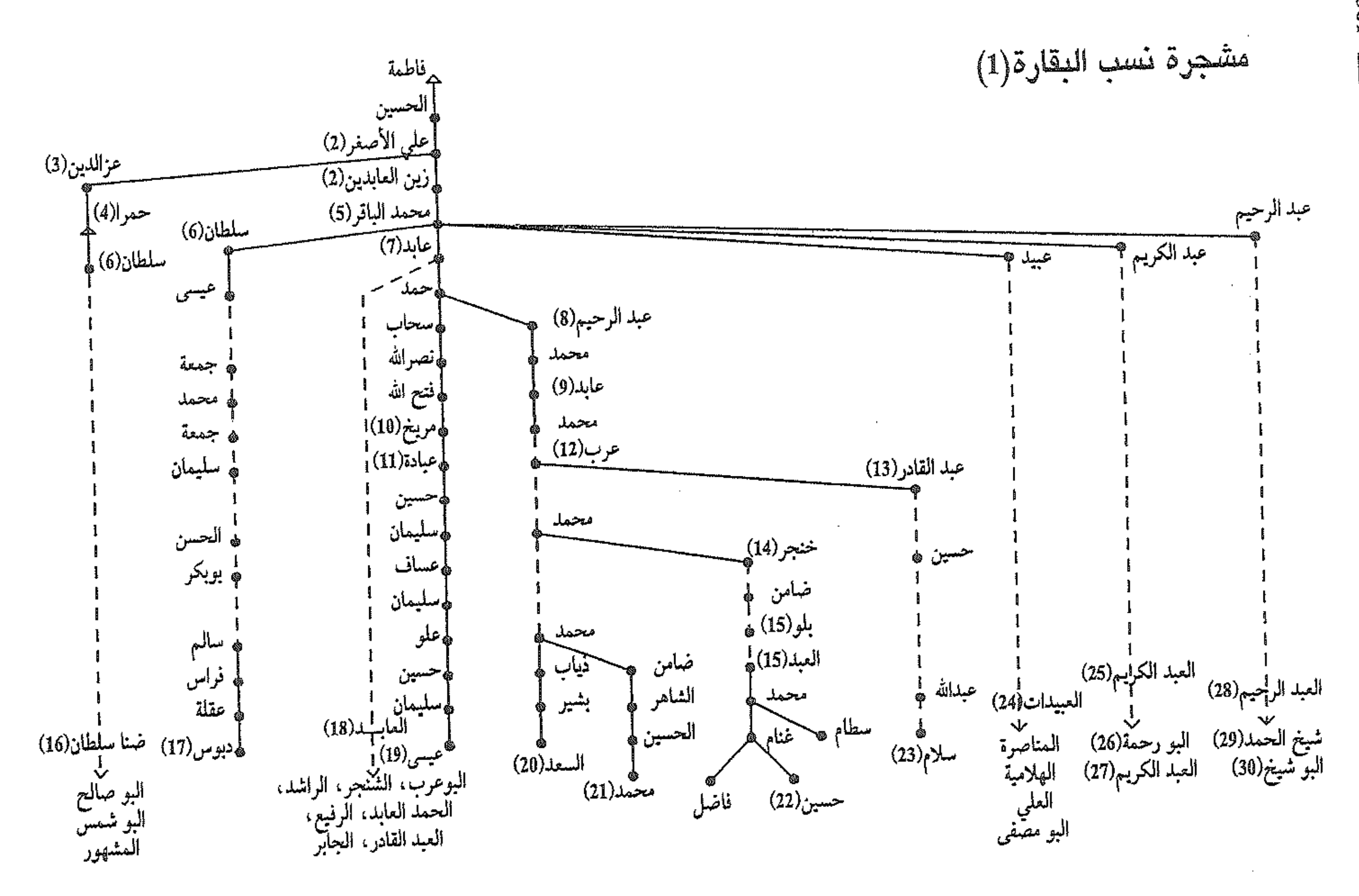
---

(1) خلاف ما هو موجود لدى بقارة السودان المصري، حيث يتطابق فعلياً الإسم والوظيفة. لا شأن لهؤلاء بقبيلتنا.

(2) أنظر إضافات وتصحيحات، حول الصفحة 245 و250 ـ 252.

(3) فيكتور مولر: في سورية مع البدو، ص142.

مشجرة نسب البقارة (1)



ملاحظات حول مشجرة نسب البقارة

1 ـ راوي نسب القبيلة ونسبه الخاص أيضاً هو عيسى السليمان. أما سلاسل أسلاف دبوس العقلة وأسعد البشير فهي من روايتهم ورواية أقاربهم.

لإبراز أنساب القبائل، طبعنا أسماءها بأحرف كبيرة، ورسمنا خطوط اتصال الأسلاف الذين منحوا القبائل أسماءهم، مع هذه القبائل بشكل منقط. بالنسبة للأنساب الشخصية، إعتبرنا سلسلة أسلاف عيسى السليمان كاملة، وأدرجنا انطلاقاً منها الأجيال الناقصة في شجرة النسب.

2 ـ علي الأصغر وزين العابدين هما في الواقع الشخص نفسه.

3 ـ يرى آخرون في عز الدين ابناً لزين العابدين.

4 ـ إحدى الحالات النادرة، حيث يتواصل النسب من خلال امرأة.

5 ـ هنا، أو بالأحرى مع سيد محمد (أنظر ص359 أعلاه)، تنتهي سلسلة أسلاف دبوس العقلة وأسعد البشير.

6 ـ السلطانان هما الشخص نفسه. أما إزدواجية اسميهما فتأتي من كون حامل النسب الشخصي، دبوس العقله، جعل أسلافه ينحدرون من سيد محمد (محمد الباقر) بدل أن ينسبهم إلى حمرا. (أنظر الصفحة 364).

7 ـ أنظر الصفحة التالية 364.

8 ـ الشخص الذي أخذ ضنا عبد الرحمن اسمهم منه (أ 1).

9 ـ الشخص الذي أخذ العابد اسمهم منه (أ 1 ألف).

10 ـ الشخص الذي أخذ المريخات اسمهم منه (ب 6).

11 ـ الشخص الذي أخذ العبادي اسمهم منه (ب 1).

12 ـ الشخص الذي أخذ البوعرب اسمهم منه (أ 1 ألف 1، ب).

13 ـ الشخص الذي أخذ العبد القادر اسمهم منه (أ 1 ألف جـ).

14 ـ الشخص الذي أخذ الخنجر اسمهم منه (أ 1 ألف جـ).

15 ـ ليس مؤكداً أن بالو والعبد اسمان لشخصين مختلفين.

16 ـ أ 2. في الجدول فرعان إضافيان. قارن ملاحظة رقم 26.

17 ـ شيخ المشهور (1 2 جـ).

18 ـ (أ 1 ألف)، الجدول فرعان إضافيان، لكننا لا نجد هناك الجابر، أي أعضاء أسرة أسعد البشير.

19 ـ شيخ مشايخ بقارة الجبل.

20 ـ شيخ مشايخ بقارة الزور.

21 ـ شيخ البوعرب.

22 ـ شيخ الخنجر.

23 ـ شيخ العبد القادر.

24 ـ أ 1 باء: في الجدول فرع إضافي.

25 ـ ليس في الجدول.

26 ـ يذكر في الجدول تحت اسم ضنا سلطان (أ 2 د، هـ).

27 ـ في الجدول تحت ضنا حمد (أ 3 ب).

28 ـ غير موجود في الجدول.

29 ـ غير موجود في الجدول.

30 ـ في الجدول تحت ضنا حمد (أ 3 حـ).

إلى جانب هذه الأنساب الشخصية، للبقارة شجرة نسب مشتركة يشبه بناؤها بناء شجرة نسب عنزة، فهي تتضمن ثلاث سلاسل فقط، يأتي على رأسها محمد الباقر، ثم يظهر في السلسلة الثانية ـ أبناء أب القبيلة الأول ـ أسماء من أعطوا العشائر اسمهم (عابد لدى العابد. . . إلى آخره) وفي السلسلة الثالثة العشائر ذاتها.

أما الفروع التي تنقسم هذه إليها، فهي تذكر بدورها، إلا أنها لا تشكل جزءاً من نظام الأنساب. إلا أن هذا يمكن مواصلته نحو الأدنى، لأنه يمكن العثور على الذين منحوا الفروع (الأفخاذ) أسماءهم (عرب لدى البوعرب... الخ) في أنساب الشيوخ. (أنظر الملاحظات من 12 إلى 14 حول شجرة النسب).

إن الاختلاف بين ترتيب الأنساب هنا وذلك المذكور في الجدول كبير إلى حدّ ما. وهذا أمر طبيعي لأن الشجرة تعكس وضعاً أقدم. من العشائر الخمس، التي يرد ذكرها فيه، لم يعد هناك غير ثلاث، وقد اندثرت أفخاذ والتحقت أخرى بالقبيلة... إلخ[1]. غير أن الفارق الأهم هو أن جميع عشائر بقارة الجبل لا وجود لها في شجرة النسب. هذه ظاهرة ترجع بالتأكيد إلى أن هذه العشائر تعامل في شجرة النسب وكأنها أفخاذ. إذا كان هذا الإفتراض صحيحاً، وجب أن نعثر على أسماء آبائها الأوائل في أنساب شيوخها. لكنه لا يوجد، للأسف، غير واحدة منها فقط، لكنها تحمل بالفعل أسمَي الأبوين الأولين لعشيرتين (أنظر الملاحظتين 10 و11 حول شجرة النسب).

بالمقابل، ليس مفهوماً لماذا لم تذكر شجرة النسب من المجموعات التي أدرجت في الجدول كعشائر مثل ضنا عبد الرحيم، ضنا سلطان، ضنا حمد سوى ضنا سلطان فقط. وتجدر الإشارة إلى أن ضنا سلطان لهم وضع خاص: فهم ليس لقبيلتهم جد أول وإنما جدة أولى (أم) هي حمرا بنت عز الدين[2] وعز الدين يظهر في شجرة النسب بصفته عم محمد الباقر. وبذلك فإن ضنا سلطان ليسوا من أبناء البقارة وإنما من أقربائهم. وبما أنه لا يعتد بالمرأة في النسب، قام الضنا سلطان برد نسبهم، بكل بساطة، إلى سيد محمد، أي إلى محمد الباقر، كسلف لهم، على حد قول دبوس العقله، شيخ المشهور[3]. لكن عيسى السليمان، أفضل نسابة

(1) التفاصيل في الملاحظات حول شجرة النسب.

(2) سيقابلنا من جديد كأب لقبيلة النعيم.

(3) ثمة تصوير لذلك في الأسطورة المذكورة عن زواج سيد محمد من امرأة النعيم. هذا ما أخبرنا به أيضاً دبوس العقلة.

القبيلة، ينكر هذا النسب من أصله.

في الجدول التالي، قمنا بمحاولة لإدراج شجرة نسب البقارة في أنساب شيوخها، مستعينين بمعطيات قدمها لنا عيسى السليمان؛ توصلنا بواسطتها إلى أن أب عشيرة العابد يظهر مرتين[1]: في السلسلة 6 كحلقة في نسب القبيلة[2] وفي السلسلة 10 كحلقة في نسب شخصي. وهذا تناقض يرجع إلى منهج ذكر الأنساب، حيث يذكر من منحوا القبائل والعشائر أسماءها كـ "أبناء" أو "أحفاد" أو "أحفاد أحفاد" لأب القبيلة، ويهمل عن عمد موازنتهم بعضهم ببعض.

البقارة

أ ـ بقارة الزور(1)

شيخ المشايخ: اسعد البشير

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ ضنا عبد الرحيم(2)			
ألف ـ العابد			
أ ـ البوعرب(3)	أسعد البشير(4)	الحوايج	40
ب ـ البوعرب(4)	محمد الحسين	الحسينية	40
جـ ـ الخنجر(5)	حسين الغنام(6)	مراط	100
د ـ العرب العلي(7)	حسين الغنام	مراط	100
هـ ـ الراشد(8)	هنداوي المحمود القحيط(9)	مظلوم	100

(1) يجب أن ينتج الشيء ذاته بالنسبة للعشائر الأخرى، لو توفرت أنساب شيوخها.

(2) للأنساب الشخصية أيضاً، في الظاهر. لكن هذا التطابق يقوم أولاً وأخيراً على غلطة ارتكبها نسابو البقارة، الذين ماثلوا جد القبيلة الأول مع اسم مشابه لابن محمد الباقر.

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
و ـ الحمد العابد	دعبول الخلف(10)	السفيرة	100
	سلطان الجاسم	السفيرة	100
ز ـ الرفيع(11)	ساير الكبش(12)	الطابية	50
حـ ـ العبد القادر	سلام العبد الله	أبو سفير	40
ط ـ البومانع(13)	حسين المشيخ	أم رقيبة	60
باء ـ العبيدات			
أ ـ جاسم العبيد(14)	رجب الجاسم	الهرموشية	230
ب ـ المناصرة	عبد السالم(15)	الكسرة	120
جـ ـ الهلامية(16)	فريح الهامس السودا(17)	الزغيّر	90
د ـ العلي(18)	شلال الصالح الفارس		150
هـ ـ البومصعى(19)	عبد الله الخلف العساف	الحوايج	130
	عبد الله السلمان الخلف المصعاوي(20)	الحوايج	130
2 ـ ضنا سلطان			
أ ـ البوصالح(21)	بدر العبد الله	الكبر	300
ب ـ البوشمس(21)	شلال الحمد	الحلقة	40
جـ ـ المشهور(22)	دبوس العقلة(23)	الصعوة	50
د ـ البورحمة(24)	جاسم العبد الله السمين	الطابية	100
	حميد السليمان السهو	الطابية	100
هـ ـ البورحمة(24)	صالح المحمد الأويس	السعدوني	100
و ـ البوخير الله(24)	صالح الحمد الأويس	السعدوني	
التحق بها			
الملاك(25)	الحجي الحسين	الجزرة	50
3 ـ ضنا حمد(26)			

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أ ـ البوحسن(27)	فندي الحمد الذويخ(28)	حمار	40
ب ـ العبد الكريم	رياش الجاموس(29)	جديدة البقارة	250
جـ ـ البوشيخ(30)	علي الصالح الجضعان الزوري	الحسكة	300
	محيمد القناص	الطابية	
4 ـ البوحمدان(31)	نايف الغادو	الطابية	200
	واوي الشواش	الطابية	
5 ـ البومعيش32)	خالد الحمى الطلاع(33)	المعيشية	300
أ ـ العرايا	خالد الحمى الطلاع		150
ب ـ العبيديون	سلمان الدايح		70
جـ ـ البو غيث	هايس الخاير		70
6 ـ البوبدران(34)	ظاهر الملا عبد	حطلة	250

ب ـ بقارة الجبل(35)

شيخ المشايخ: عيسى السليمان

القبيلة	الشيخ	منطقة تجوال	عدد الخيام
1 ـ العبادي	عيسى السليمان	صيفاً: رأس العين. تل الرمان. شتاءً: جبل عبد العزيز	
أ ـ السلمو(36)			100
ب ـ البليج(37)			60
جـ ـ السلاطين(38)			50
د ـ الهول			60

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
2 ـ الوسيلة(39)	عيسى السليمان	رأس العين، تل الرمان صيفاً وجبل عبد العزيز شتاء	150
3 ـ الحجو(39)	عيسى السليمان		40
4 ـ البوعاصي(40)	سميرا العاصي	جغجغ	140
5 ـ الحمدان	أحمد المحمد الذياب	رأس العين	80
6 ـ المريخات	رمو الحمادة		80
7 ـ الجميلة(41)	عيسى بن حماد الهندي	حران	
8 ـ البوشهاب(42)	علي الملوح	نصيبين	160
قبائل بقارة الجبل التابعة لأبناء ابراهيم باشا(43)			
9 ـ الغراجنة(44)	عزيز البطران	شمال شرق رأس العين صيفاً	
	عزيز البطران	جبل عبد العزيز شتاء	
أ ـ الغراجنة	عزيز البطران		50
ب ـ البومحمد	عزيز البطران		200
جـ ـ الروتان	إبراهيم الحسين		200
د ـ البساطات	علي الدرسو		100
10 ـ البوسلام(45)	صالح العزيز	ويرانشهر صيفاً	
		جبل عبد العزيز شتاء	
أ ـ البوسلام	صالح العزيز		
ب ـ الصوفيان	صالح العزيز		100
جـ ـ الحمد الحسين	محمد الحسى	رأس العين	50
د ـ البوعلو	علي الجاسم		60
11 ـ العبيّة	اسماعيل بن محمد البكر	ويرانشهر	80

ملاحظات حول جدول البقارة

1 ـ سجل الجدول يوم 20 أيار عام 1929م. الراوي: خضر الديري من فخذ الراشد من عشيرة عابد من ضنا عبد الرحيم. وقد تم ضبط التسجيل واستكماله من حين لآخر عبر تسجيل تم تدوينه عام 1927م، رواه شيخ مشايخ بقارة الجبل عيسى السليمان. يعلمنا تسجيل سابق للحرب أن القبيلة لم تعرف منذ ذلك الوقت تغيراً جوهرياً، سواء فيما يتعلق بتراتبها أو توزيعها. إن قسماً من المستقرات[1] المذكورة في الجدول (؟)، يظهر في سالنامه حلب عام 1287هـ/ 1870م (مجلة Zdpv الجزء 23، ص37 وما يليها). يؤكد تيريبه الصحة التقريبية لعدد الخيام (3460) ويقول إنه كان 2500 خيمة. إذا قارنا هذا مع معطيات أقدم (نيبور: وصف رحلة، الجزء الثاني، ص419 :900 خيمة (ص124). جدول شبرنغر: 1500 مسلح للقبيلة كلها، لعلمنا أن البقارة شهدوا نمواً كبيراً.

صرخة الحرب: عايد ذباحه!.

2 ـ ليست ضنا عبد الرحيم، وضنا سلطان، وضنا حمد غير تجميعات مثالية مضمومة، إلى بعضها نظرياً على أساس النسب، دون أن يكون لها طابع قبائل حقيقية.

3 ـ الوسم: | على الأذن اليسرى، مع شق.

4 ـ سلفه: أبوه حسين الشاهر.

5 ـ الوسم: ✝ على الساق اليمنى.

6 ـ 1927: أخوه فاضل. 1911م/ 1912م عمهما سطام.

7 ـ يذكر في تسجيل واحد فقط.

(1) الأماكن موجودة في خريطة موزيل (بلاد الرافدين الجنوبي) باستثناء سفيرا، مظلوم، الجديد، السعدوني. المكان الأول موجود فوق الدير والأماكن الأخرى تحتها.

8 ـ الوسم: ✝ على الساق اليمنى، و ∩ قرب العين اليمنى.

9 ـ 1912: محمود القحيط.

10 ـ 1912: أبوه خلف الحسن.

11 ـ الوسم ٩ على الجانب الأيمن من العنق.

12 ـ يسكن ساير نفسه عند الحوايج.

13 ـ = جدول الزبيد أ 1 ؛ 7.

14 ـ الوسم: ∩ على الأنف و | بين العين اليمنى والأذن.

15 ـ 1927م: أسعد العقيل. 1912م: أبوه عقيل الفهد. ظهر أن أسعد، الذي كانت أخته متزوجة من شيخ مشايخ بقارة الجبل، لا يصلح، فاستبدله الفرنسيون بعبد السالم.

16 ـ الوسم: || على الساق اليمنى.

17 ـ 1927م: ثري العلي.

18 الوسم: U| على الجانب الأيمن من العنق.

19 ـ الوسم | واحد على جانبي العين اليسرى.

20 ـ لا زال سلفه عياش الأسعد المصعاوي حياً، لكن القبيلة ترفضه.

21 ـ الوسم: ✝ على الساق اليمنى.

22 ـ القبيلة الأم لمشهور البليخ، الملتحقين بقيس. أنظر جدول قيس.

23 ـ سلفه: عمه علي رمضان. عينت الحكومة دبوس قاضياً على بقارة الزور جميعهم.

24 ـ الوسم: ✝ على جانب العنق الأيمن.

25 ـ تلفظ "ميلاتش"، وهو في الأصل من طي، وهم مندمجون منذ 8 ـ 9

أجيال عبر الزواج بالبوشمس والبوصالح، الذين يخيمون معهم أيضاً. لا يمتلكون أية جمال، لذلك ليس لديهم وسم.

26 ـ يُحسب مع الضنا حمد أيضاً البوفرج المقيمون في حي باب النيرب بحلب، والبوفاضل في حي الجوبه بالموصل.

27 ـ الوسم: | على جانبي العين اليمنى.

28 ـ ذويّخ؟.

29 سلفه: مفرّج الجاسم.

30 ـ في الماضي عند الحوايج، الآن على الخابور بصورة دائمة. الوسم: ╥╥╥ على الساق اليمنى.

31 ـ أصل غير مؤكد. الوسم: || على جانب العنق الأيمن. يوجد مجموعة ثانية من البوحمدان قرب الدحليه شرق عرّاضه يرأسها الشيخ داوود الحسن.

32 ـ عنزة بحسب أصلهم. إندمجوا بعد أحد عشر إلى اثني عشر جيلاً في البقارة. الوسم: X على الساق اليسرى.

33 ـ 1912م. أبوه حومه (فعلاً!) الطلّاع.

34 ـ يسكن فرع من البوبدران برئاسة الشيخ عبد الله ابن حمد العلّص (العليص؟) سبع قرى في سهل مقابل للموصل.

35 ـ سجل عام 1927م. الراوي: عيسى السليمان. صيحة حرب بقارة الجبل: عايد يا بقارة!.

36 ـ بعد وفاة الشريك السابق في المشيخة ملا علي السلمو خضع الفرع لعيسى السليمان مباشرة. يبدو أن علي بن محمد الحسن العلو يمارس نوعاً من نيابة الشيخ.

37 ـ 1912م، تمت قيادة الفخذين من قبل الأخوين سلطان وحسين الحمد.

وقد مات سلطان وأقصي حسين، بسبب تقدمه في السن.

38 ـ إنتقل قسم منهم إلى منطقة منبج وسكن هناك تحت اسم البوسلطان. أنظر: تيرييه: ص176.

39 ـ حل عيسى السليمان محل الشيوخ السابقين.

40 ـ جدول طي أ 11. مع مراعاة وجود تباين في أسماء الشيوخ.

41 ـ جدول جيس (قيس) قبائل ملحقة 2.

42 ـ جدول طي، أ 10.

43 ـ هذا يعني أنهم ينتمون إلى الدائرة الأوثق من الملّي، التي يمارس أبناء إبراهيم باشا سلطة حقيقية وليست اسمية عليها. بالمناسبة، كان عدد من انضموا من البقارة إلى الملّي أكبر قبل الحرب العالمية.

44 ـ كتبت قراجين في حالات كثيرة ص41. وهم يمتلكون قرية هيشري غير البعيدة عن زرقان.

45 ـ يسمون أيضاً البوسلامه. ويذكرون في اتحاد الملّي تحت اسم بقارة.

حـــرب[1]

تشبه مجريات تاريخ حرب ما تعرفنا عليه من تاريخ العدوان. تنحدر حرب، كالعدوان، من غرب جزيرة العرب. وقد اخترقت، مثلها، سورية إلى أن بلغت منطقة منابع الخابور مروراً بحلب.

تعرف حرب قبيلتها الأم بدقة. إنها إتحاد حرب الحجاز القوي، الذي سكن بين مكة والمدينة منذ مطلع العصر الوسيط. تقول حكاية ترحال القبيلة إن محمّداً من أسرة الفرم وجه قبل أربعمائة عام ضربة قاتلة إلى قريب له، فخاصمه قومه[2] وأجبروه على مغادرتهم. أخذ محمد، الذي سمي منذ تلك اللحظة الطارق، عدداً كبيراً من العبيد وثلاثمائة جمل وخيمة بخمسة أعمدة[3]، ورحل بصحبة ولديه حمد ومحمد، إلى أن بلغوا حلب، حيث مات. بعد وفاته، حدث انشقاق آخر: فقد استقر محمد الصغير في منطقة حلب، حيث تمكن أحد خلفائه من اكتساب لقب شيخ عند عنزة وصار الأب الأول لعائلة ابن هديب، شيخ السبعة ـ العبدة. أما حمد فقد رحل مع جماعته إلى بلاد الرافدين وسكن في العزّاضة.

تستند هذه الحكاية إلى خلفية تاريخية ملموسة: فسلالة فرم ما زالت مزدهرة

(1) ونادراً بني حرب.

(2) حافز نمطي لقصص تأسيس القبائل.

(3) هذا هو حجم خيمة شيخ محترم، علماً بأنهم لا يحسبون غير الدعائم الوسطى في الاتجاه الطولي للخيمة.

حتى اليوم بين حرب نجد، والفرع الذي خلفه المهاجرون في حلب ما زال موجوداً بالفعل، حيث انضم قسم منهم إلى الحديدين المقيمين هناك. إلا أن تحدر آل "ابن هديب" من هؤلاء الحرب يبدو أمراً غير قابل للتصديق، إلا إذا كانوا قد قدموا إلى السبعة في القرن التاسع عشر، فترة قدوم هؤلاء إلى سورية. مع ذلك، ربما كان آل "ابن هديب" يتحدرون فعلاً من حرب، أو من فرم جزيرة العرب[1]: الموطن الذي عاش فيه الحرب والسبعة طوال قرون في جيرة وثيقة. لا تقول المرويات شيئاً حول أصل عشائر حرب بلاد الرافدين الثلاث: نصيل، والبوسالم، وفارس[2]. ذلك يضعنا أمام فارق جوهري بين حكاية حرب وحكاية هجرة عدوان، التي يشارك فيها أسلاف نصف القبيلة، بينما لا تعدو محكيات حرب أن تكون، في الحقيقة، محكيات أسرة واحدة هي أسرة شيوخ النصيل، التي تستمد نسبها من محمد الطارق[3].

تفتقر حرب إلى التماسك. كما فقدت أقسامها الثلاثة استقلاليتها، فانضمت فارس، التي تسكن منطقة نصيبين، إلى طي منذ فترة طويلة، وانضم البوسالم مؤخراً إلى قبيلة خليجان (من الكيكي) الكردية، التي تقع قريتهم بنياس (على الزرقان) في منطقتها، وتبعت النصيل، ومسكنهم الرئيس في العراضة، الملّية، أو كانوا تابعين لهم طوال فترة حكم إبراهيم باشا في أقل تقدير، الذي رافقه بعضهم أثناء موكبه الشهير إلى دمشق[4]. في ذلك الوقت قاد محمد العقوب، ابن أخ الشيخ عبد العزيز، بتكليف من إبراهيم باشا مفاوضات بالمراسلة مع زعماء حرب الحجاز، دون أن يهمل تذكيرهم، في هذه

---

(1) بالمناسبة، يوجد هناك أيضاً أسرة شيوخ ابن هديب.

(2) عدا الإرتباط مع قصص الترحال، يحكى من حين لآخر أن نصيل وسالم وفارس أخوة.

(3) أنظر الأنساب في الملاحظة الثانية من الجدول. وقد استنتج منها أن موعد الهجرة كان "قبل أربعمائة سنة"، لأن البدو يحددون كلّ جيل بأربعين سنة، بذلك مرت عشرة أجيال قبل أن نصل إلى محمد ألطارق.

(4) أرسلت الحكومة إبراهيم باشا عام 1908م إلى جزيرة العرب، كي تتخلص منه، وتحمي خط حديد الحجاز من البدو. في اللحظة الأخيرة، أحس الرجل بالخطر ونجا بجلده، بأن عاد فجأة مع قومه من دمشق.



عبد العزيز شيخ حرب (1913م)

المناسبة، بالقرابة القديمة التي تربطهم بعضهم إلى بعض. كما أن الرباط الذي شد حرب إلى آل "ابن هديب" لم ينقطع أبداً، وحين عانى الحرب من هجمات وإغارات الكيكي، عرض العبدة نقل "أقاربهم" مع كل ما يملكون على جمالهم إلى سورية.

تمارس حرب تربية الأغنام. كما يعمل رجالها رعاة في خدمة غيرهم؛ كانوا يرعون عام 1913م قطعان وجيه من ديار بكر ومسيحيي تل أرمن. وقد عملوا، شأن بقارة الجبل والشرابين والنعيم، في حفريات تل حلف.

حرب (1)

القبيلة	الشيخ	منطقة تجوال	عدد الخيام
1 ـ النضيل	أحمد العبيدو	زرقان	400
أ ـ السواديج(2)			
ب ـ الجريج(3)			
جـ ـ الطويلة			
د ـ البوجابر	اسماعيل الحجي		
هـ ـ الراشد(4)			
2 ـ البوسالم(5)	خليل العبود		500
أ ـ الزقيم		بنياس	
ب ـ الحيان		بنياس	
جـ ـ البومهنا		الهلالية	
3 ـ الفارس(6)	أحمد العبد الله الحاج(7)		
	عقوب	نصيبين	500
أ ـ الجمو الدرويش			
ب ـ السالم السليمان			
جـ ـ البوحمو			

ملاحظات حول جدول حرب

1 ـ سجل عام 1913م (الراوي: الشيخ عبد العزيز من النصيل). إستكمل عام 1927م و1929م. يرجح أن يكون عدد الخيام مبالغاً به. عام 1913 قدر عدد خيام النصيل بمائة والبوسالم بمائة وخمسين. صيحة الحرب: أخوات السودا!.

2 ـ 1913م: عبد العزيز بن يوسف بن محمد بن يونس بن يوسف بن حسن بن يونس بن علي بن نصيل بن حمد بن طارق محمد بن حمد.

3 ـ الجريج والطويلة هما على الأرجح أقسام من السواديج. عام 1913م، كان للثلاثة شيخ مشترك هو مبارك الحمشي.

4 ـ إنضمت إلى ملّية الخضر (الخضرقان).

5 ـ ذكرها نيبور: جزيرة العرب، ص393. هذا أقدم ذكر لحرب في بلاد الرافدين، وربما كانت الوحيدة في المراجع، فضلاً عن الحالات المذكورة في الملاحظة السادسة.

6 ـ ذكر الفارس في جميع تسجيلات حرب، مع انهم، من جهة أخرى، يذكرون دوماً في جداول طي تحت اسم عشيرة اسمها حرب (أ 6 في جدول طي). إن انتماءهم في النسب والسياسة يبدو في هذه الحالة على درجة واحدة من القوة.

7 ـ 1913م: عبد الله العقوب. يذكر عضو أقدم من العائلة، هو محمد العقوب، في أغنية موجهة إلى شيخ طي سليمان، ديوان من وسط جزيرة العرب، رقم 112، البيت 9.

شرابين

تشكل قبيلة الشرابين، المنتشرة على الخابور الأعلى وحتى دجلة، تركيباً شديد الهشاشة. وتعيش أقسامها متجاورة دون أية صلة بعضها مع بعض، ينقصها الميل إلى التضامن والتجمع. لذلك فشلت أسر شيوخها جميعها في فرض نفسها على دائرة واسعة، ويوجد غالباً عدد من الشيوخ المتنافسين داخل كل واحدة من عشائرها[1]، ويتقاسم عدد من الزعماء لا يقل عن ستة السلطة لدى الطاهات. تعاظمت انقسامات القبيلة مع تغلغل الطرق الأخويّة «تجمع ديني»، وبسبب المكانة المتميزة التي يحظى بها أبناء الأسر المنتمية إليها. ويبدو أن القبيلة تعيش منذ فترة طويلة في أوضاعها هذه[2]، لسبب غير معروف بعد. أمايجهل الشرابين أنفسهم فيجهلون كل شيء حول هذا الوضع، مثلما يجهلون كل شيء تقريباً عن ماضيهم. وأما حكاياتهم المتناقلة فلا تدل إلا على السهولة التي يمكن بها اختلاق أنساب لقبيلة تفتقر إلى تاريخ.

يقول الشرابين إنهم والجبور من أصل واحد. يرجع هذا إلى حقيقة أن كثيرين منهم يعيشون مع الجبور ويرتبطون بهم بهذا القدر أو ذاك. أما النظرة الواسعة الإنتشار، التي تنسبهم إلى قبيلة سعد بن بكر بن هوازن العربية القديمة[3]، فترجع

(1) ظاهرياً لدى الشرابين الغربيين وحدهم. ولكن إذا كان هناك تسجيل دقيق للشرابين الشرقيين، فإنه ستكون هناك النتائج ذاتها بالنسبة لهم أيضاً.

(2) تابع نيبور: وصف رحلة، الجزء الثاني، ص419.

(3) فوستنفيلد، الجدول ف 12.



الشرابين (1929م)

إلى قصة إسلامية تقول إن النبي محمداً أمضى سنوات عمره الأولى في القبيلة، لأن أمه سلّمته إلى مرضعة من سعد، جرياً على تقاليد أسر مكة العريقة[1]. حالياً، تحرص نساء الشرابين على قبول أطفال شيوخ غرباء أو وجهاء مدينيين لإرضاعهم مقابل أجر، وهو عرف غير مألوف لدى القبائل الأخرى ويتطلب تفسيراً. وقد فسرته القبيلة من خلال المثال الذي تقدمه الحكاية، واستنتجت من هذه الوظيفة المشتركة أصلاً مُشتركاً يجمعها إلى هوازن، وهو استنتاج لا سند له. ربما بدت هذه الفكرة البدوية مثيرة في نظر الشرابين، الذين يجعلهم تحدرهم من سعد أقرباء النبي ذاته، باعتبار أن قرابة الرضاعة تماثل عند العرب قرابة الدم.

هناك أيضاً قصة هجرة قصيرة تقول إن الشرابين أتت "قبل أكثر من مائتي عام" إلى بلاد الرافدين، واستقرت أول الأمر عند تل أبو بكر (غير بعيد عن

(1) بقي العرف لدى شرفاء مكة إلى الأزمنة الأخيرة. أنظر بوركهاردت، ص337.

الحسكة). عند إمعان النظر في هذه الحكاية، يتبين أن من قدموا لم يكونوا من الشرابين، بل من نسل الطفيحيين، وأن الأشخاص المذكورين في القصة، كالشيخ محمد (ابن الشيخ) عمر ابن... الشيخ[1] ابراهيم، والشيخ حسين والشيخ أحمد كانوا جميعهم من هذه الأسرة، التي يقع تل أبو بكر في منطقة سكنها، وأن تاريخ الهجرة تحدد انطلاقاً من شجرة نسبها[2].

يحتل الطفيحيون موقعاً دينياً واجتماعياً خاصاً بين الشرابين. فهم أعضاء في الطريقة الرفاعية ويعتبرون استمراراً لسلسلة معلميها وأساتذتها مروراً بيحيى الحياتي[3] وصولاً إلى مؤسسها ومنه إلى الحسين، حفيد النبي محمد. يرى الطفيحيون في هذه السلسلة شجرة نسب، ويعتبرون أنفسهم سادة، تحدروا من صلب النبي، وهذه صفة تضعهم فوق التجريح، وتقيهم من المشاركة في الغزوات، وتحمي أملاكهم من تعديات البدو الأغراب، وتجعل منهم أولياء صالحين. وقد ذاع صيت شيخهم حسين، الملقب أبو رويشات[4]، كرجل يصنع خوارق بسيفه الخشبي. وله مدفن قرب الحسكة لا زال يزار في أيامنا. كما لا زالت قبور أبناء آخرين من الأسرة محل توقير وتعظيم.

منذ بضعة أجيال يضيف أبناء أسرة الملالي أيضاً لقب سيد إلى أسمائهم، التي ترجع إلى ملا مصطفى، الجد الأول لشيخ الملالي الحالي هلوش، وابن بنت الشيخ حسين ابو رويشات، أي أن الأسرة تنتمي إلى الطفيحيين من جهة الأم.

---

(1) الشيخ يجب أن يفهم هنا باعتباره قائداً روحياً، لأنه في هذه الحالة وحدها يضاف اللقب إلى الاسم في الأنساب.

(2) خمسة أجيال لكل واحد منها 40 عاماً يعطي مائتي عام. تابع أعلاه، ص253.

(3) إوليا شلبي، الذي زار إبان القرن السابع عشر قبره في حران، جعله أحد كبار أولياء البدو. سياحت نامة، الجزء الثالث، ص161.

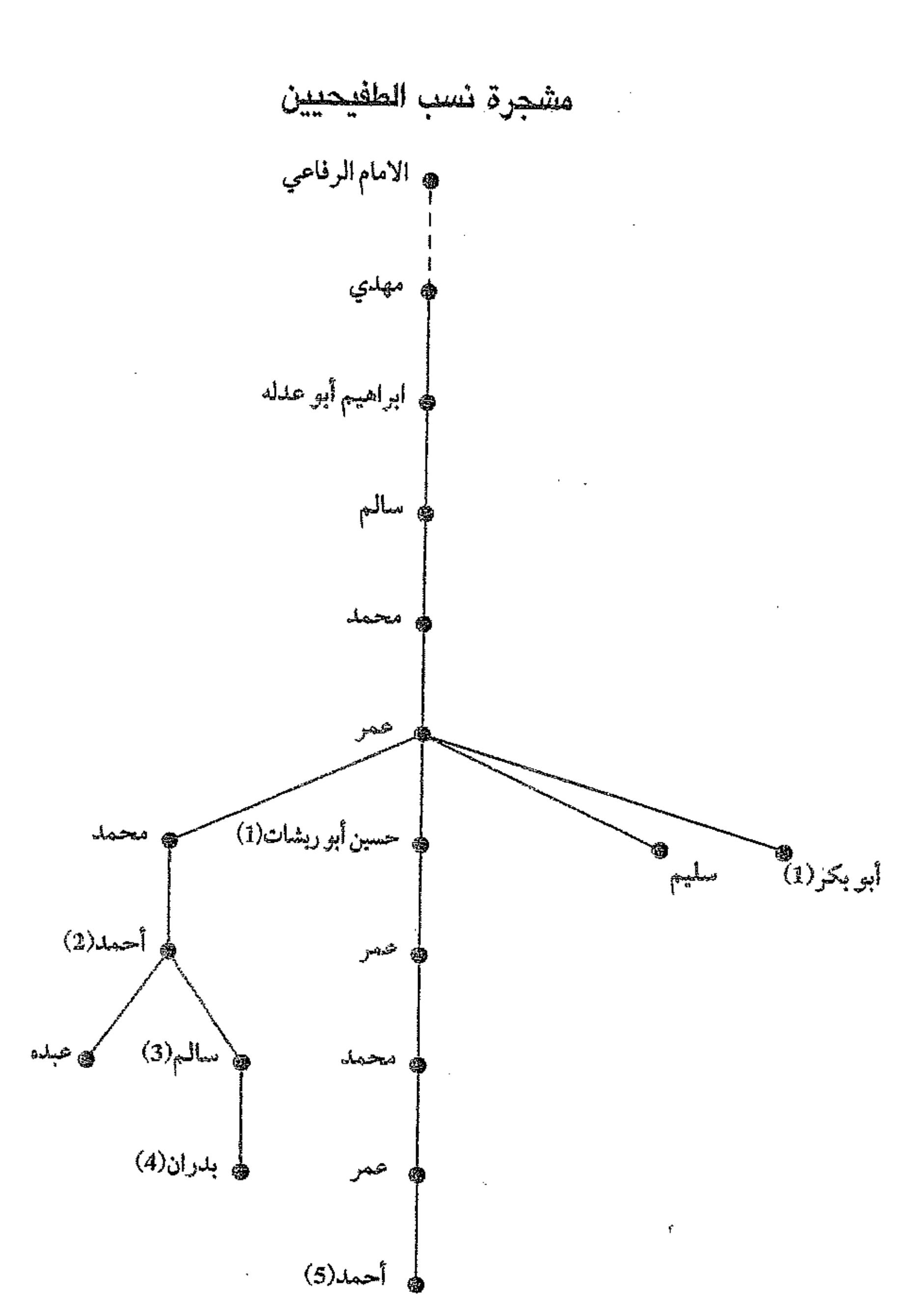
(4) "صاحب ريش صغيرة". هذا الاسم يرمز إلى لقب يقال إن باشا بغداد منحه إياه خلال الحرب ضد الفرس. لكن الاسم يسمح بتفسير آخر، لأن أبو رويشات هو أيضاً حيوان صغير ذو فراء، يؤكل لحمه (أرنب صغير).

يتوزع الشرابين على عدد من المناطق الصغيرة الحجم، يترابط جزء منها في بعض النقاط، وينعدم بالمقابل أي تواصل بين مناطق أجزائها الأخرى. بوسعنا، تمييز اثنتين من هذه المناطق في الغرب: تبدأ أولاهما غرب رأس العين وتشمل الحيز الواقع بين الخابور الأعلى وجبل عبد العزيز، وتمتد الثانية من جغجغ إلى ما بعد شبكة نهر الرد، فتلمس شرقاً منطقة شرابين حاوي زمار (على دجلة)وربما منطقة أخوتهم القبليين القاطنين في جزيرة ابن عمر. إلى أين تصل ترحالات الأقسام التي تعيش في الموصل وقلعة شرقاط فهو أمر غير معروف.

الشرابين أنصاف رحل، يدفع معظمهم خوّة إلى شمّر. وتتألف قطعانهم من حوالى 30000 رأس غنم، وعدة مئات من الجمال. وهم يمارسون الزراعة في تل الرمان وقرب طابان وسبع سكور (على الخابور تحت الجسكة) حيث جزء من الأراضي مُلكْ شاشانيين يستأجرها الشرابين منهم.

هناك، أخيراً، مجموعة شرابين تتألف من ستين خيمة إنضمت إلى اتحاد الملّية.

مشجرة نسب الطفيحيين



ملاحظات حول مشجرة نسب الطفيحيين

1 ـ مدفون على الخابور، مقابل طابان.

2 ـ مدفون في أورفة، معاصر شيخ شمّر صفوق.

3 ـ مدفون في تل حياه في منتصف الطريق بين أورفة وسوريك.

4 ـ تقول بعض الروايات إن ابنه أحمد قام برحلة إلى الهند. وهو يعيش الآن في الصفح قرب رأس العين.

5 ـ شيخ أحمد، ساكن في كليبين (بين عراضة وماردين)، قدم لنا بمناسبة زيارة إلى تل حلف قام بها يوم 25 تموز عام 1913م المستندات اللازمة لشجرة النسب هذه.

الشرابين(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ البو محمد(2)	احمد الحسن ابراهيم الحسين خلف المحيمد(3)	صيفاً: رأس العين/ تل الرمان شتاء: جبل عبد العزيز	500
2 ـ العبيد	سعيد العبيد الحزام	صيفا: سبع سكور شتاء: جبل عبد العزيز	100
3 ـ الطاهات(4)		طابان	700
أ ـ	سلمو العلي(5)	صيفا: ليلان ـ حاوي زمار شتاء: وادي الهول ـ الرد	
ب ـ	دحام الصحن العبوش(6)		
جـ ـ	خلف الدهام(7)		
د ـ	خلف الصحن العبوش		
هـ ـ	بطران الفيحان(8)		

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
د ـ الملالي	هلوش بن الشيخ محمد علي(8)	جغجغ	60
	يوسف بن الشيخ سليمان(8)	جغجغ	
4 ـ الطفيحيين(9)	صالح بن الشيخ علي	صيفاً: رأس العين/ جغجغ شتاءً: جبل عبد العزيز والحسكة	50
5 ـ البوعمر	شيخو الكرو	نصيبين	20
6 ـ البوصالح(10)	عبد الله النمر	جزيرة ابن عمر	150
7 ـ الحمدون(10)	حسن الاحمد	جزيرة ابن عمر	100
8 ـ الزعازعة	محمد الأحمد بن حمادي السليمان	حاوي زمار	75
9 ـ البوغوشي	محمد السليمان	الموصل	100
10 ـ السود	عثمان بن علي الفلتو	شرفات	125

ملاحظات حول جدول الشرابين

1 ـ تسجيلات عام 1912م (الراوي: محمد المحمد. أنظر ملاحظة رقم 3)، 1927م و1929م (محمد الطفيحي؛ محمد بك سلطان، ابن أخ مسلط باشا، شيخ الجبور). الفروق بين التسجيلات قليلة، باستثناء تلك التي تذكر في الملاحظتين 2 و10. لم نضع في الجدول أربعة فروع صغيرة هي: السهم، البومسرة، الجردي، القواويس، لأنها ذكرت مرة واحدة دون تحديد مكان سكنها.

جاء أقدم ذكر للشرابين لدى نيبور: وصف رحلة، الجزء الثاني، ص419: 700 خيمة. روسو: ص70. تيرييه، ص132 وما يليها، يقدم العشائر من 1 ـ 4 و6.

2 ـ قبل الحرب عاش قسم من بني محمد تحت زعامة أسرة الحزقاوي وحملوا اسمها. وكان للشيخ الحزقاوي آنذاك نفوذ ما على القبيلة جميعها، في حين لم يستطع سلفه أحمد الحسن (الدرويش البوزو الحزقاوي) امتلاك أية سلطة تستحق الذكر. أما اليوم، فقد انهارت السلطة تماماً لدى البو محمد، فلا نفوذ إطلاقاً لابراهيم الحسين، ولا يساند خلف المحيمد غير خمسين خيمة.

3 ـ 1912م: (أبوه) محيمد المحمد البكر المنصور المحمد الخالد.

4 ـ صيحة الحرب: هجون!. للطاهات أراض زراعية قرب الصفرا على الرد.

5 ـ سلفه: علي العساف.

6 ـ 1912م: صحن العبوش.

7 ـ 1912م: دهام الحسين.

8 ـ أنظر صفحة 380 و381.

9 ـ يقال إن الاسم الأصلي للأسرة هو عباده.

10 ـ العشائر من 7 ـ 10 تسقط من تسجيلات ما بعد الحرب، وهذا ربما كان يعود فقط إلى النقص في معرفة الرواة. وربما كانت أسماء الشيوخ قد غدت قديمة.

نعيم

لم تتميز قبائل الصحراء بقدر كبير من الإهتمام الديني، في حين دخلت الحياة الدينية على شكل أخويّات إلى عالم أنصاف الرحل، المقيمين على أطراف المنطقة الحضارية. في الأحوال العادية، كانت عائلات أو أفخاذ متفرقة تنتمي إلى الأخويّات، وتتخذ لنفسها نتيجة لذلك لقب سيد، أي شخص من سلالة النبي. وكانت تصل من حين لآخر إلى قدر من القوة يكفي لفرض موروثها على القبيلة بمجموعها، وإحلال السلسلة ـ سلسلة المعلمين الدينيين ـ محل النسب ـ سلسلة الأسلاف ـ، مثلما حدث، على سبيل المثال، لدى الشرابين، وإلى حد ما البقارة. إلا أن تطوراً معاكساً حدث على ما يبدو عند النعيم، الذين يرجح انبثاقهم من طريقة أخويّة، بدلالة أن أقسام القبيلة وفروعها، المتناثرة بين سورية والحدود الفارسية، لا زالت على صلة وثيقة بالطرق الأخويّة، لا بل إن اسم النعيم يستخدم في فلسطين ببساطة كتسمية للبدو الذين ينتمون إلى إحدىٰ الطرق الأخويّة.

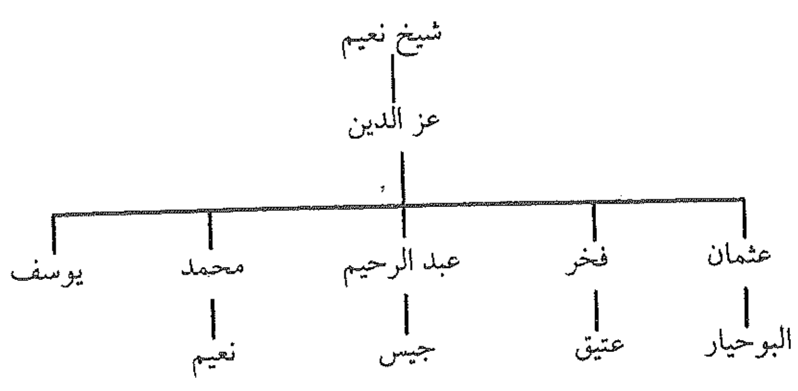
تبجل جميع مجموعات النعيم عز الدين أبو حمرا كأب روحي لشيوخهم وأب أول لقبيلتهم. وتعتقد أن نسبه يرجع إلى أسرة النبي وتعطيه التسلسل التالي، فهو: عز الدين بن زين العابدين (علي الأصغر)[1] بن الحسين بن علي بن أبي طالب[2]. وهو

(1) زين العابدين وعلي الأصغر هما في الواقع الشخص ذاته. يتكرر انقسام مشابه للشخص الواحد جديد لدى البقارة.

(2) نص يخاطب فيه عز الدين مع علي والحسين موجودة عند: موزيل: الرولة، ص404.

نسب يضعنا في دائرة مرويات البقارة ذاتها، التي تعيد شجرة نسبها إما إلى أحد أبناء زين العابدين واسمه محمد الباقر، أو إلى عز الدين نفسه، عبر ابنته حمرا.

يؤمن النعيم بوجود قبائل أخرى ترجع إلى عز الدين، كما توضح الترسيمة التالية، المأخوذة عن تيرييه.



هنا تبدو جيس وعتيق والبوحيار كأبناء عمومة للنعيم. وفي حين يبدو اسم البوحيار مفعماً بالغموض[1] فإن جيس معروفة إلى حد يجعل من المستحيل الحديث عن صلات قرابة تربطهم مع النعيم. لعل هذا الزعم يجد تفسيراً له في تبعية إحدى مجموعات النعيم، التي تسكن الآن منطقة حران، لجيس، وفي الحقيقة فإن قبيلة عتيق قد يكون لها مكان مناسب هنا أكثر من غيرها، فهي تشكل الآن قسماً من نعيم حمص ـ ويبدو عز الدين في شجرة النسب هذه "ابن" شيخ اسمه نعيم الرجل الذي منح القبيلة اسمه. وأضيفت صفة شيخ إليه كي يبدو زعيماً دينياً، بحيث أن هذا النسب أيضاً يؤكد الظن الذي تبنيناه أعلاه وهو أن أصل النعيم يعود إلى جماعة دينية.

تجمع المرويات على أن موطن القبيلة يقع في شمال سورية[2]: ويتذكر نعيم

(1) هل المقصود بذلك هم الموالي، الذين انحدر مؤسسوهم من أسرة حيار؟.

(2) لذلك فإنه من غير المحتمل، أن يكون للنعيم صلة ما بالنعيميين، الذين سكنوا خلال العصر المملوكي في منطقة الحدود الفلسطينية ـ المصرية، كما يعتقد جودفروا ـ ديمومبين (ص 197).

بلاد الرافدين أنهم قدموا من السعن والسعين، وهي موقع أثري يقع في السهب إلى الشرق من حماه. ويعتبر نعيم سورية بدورهم تلك الأراضي مسكنهم. ويقع هنا أيضاً قبر أو مزار أب قبيلتهم: عز الدين[1].

يرتبط انتشار النعيم الواسع بالنزوع إلى التجوال المصاحب للدروشة. لكن الروايات المتوارثة تذكر أسباباً محددة: امتياز ضريبي منحه أمير الموالي إلى النعيم أثار حسد جيرانهم وأدى إلى تفكك القبيلة. هذا ما يقال في سورية، بينما يعيد الناس في بلاد الرافدين سبب تفرقهم إلى شقاق مع أمير الموالي.

رغم ما في هذه المرويات من طابع غير دقيق[2]، فإنها تقدم لنا نقطة ارتكاز تعيننا على تحديد الفترة الزمنية لهجرة النعيم، التي يجب أن تكون قد بدأت في القرن السادس أو السابع عشر، لأن سلطة أمراء الموالي قد اقتصرت على في هذه الفترة.

ينقسم نعيم بلاد الرافدين[3] إلى مجموعتين، تتناثر الأولى منهما بين أورفة ونصيبين، والثانية بين كركوك وقزلرباط. أما الأب الأول للأولى فهو شخص اسمه وسيد فاضل المدفون في قرية خزان جنوب شرق حران، في حين يعتبر سيد آخر هو عبد الجليل المكي مؤسس الثانية.

يسكن العدد الأكبر من نعيم أعالي بلاد الرافدين في سهل حران، حيث سكنت هذه المجموعة أول الأمر، وإن ذهبت قلة تابعة لها إلى ويرانشهر ورأس العين. ينقسم نعيم المجموعة الأولى بدورهم إلى ثماني عشائر صغيرة جداً، تسكن معاً قرى متعددة يقع بعضها إلى الشرق من أورفة، وبعضها الآخر إلى الجنوب من حران[4]. يخضع هؤلاء لحكم جيس، أما نعيم ويرانشهر ورأس العين فينتمون إلى اتحاد الملّية.

---

(1) لا تمكننا المعطيات المتوافرة من البت في ما إذا كان المزار موجوداً في المكان الذي يحمل الاسم نفسه (عز الدين) والمرسوم على الخارطة (جنوب شرق حماه)، أم في عز الدين التي أوردها موزيل في كتاب شمالي جزيرة العرب (شمال شرق حماه).

(2) يمكن أن يكون هناك شيء حقيقي في الإعفاء الضريبي، بالنظر إلى مكانة النعيم الدينية.

(3) بخصوص النعيم السوريين أنظر القسم التالي.

(4) لم يكن ممكناً التعبير عن ذلك في الجدول.

هاجرت المجموعة الأخيرة في ستينيات القرن التاسع عشر. آنذاك، جاء القوقازيون ـ الشيشان ـ إلى منطقة منابع الخابور. لضمان إمداد هؤلاء المهاجرين المميزين بالغذاء، طلبت السلطات من أنصاف الرحل المجاورين ممارسة الزراعة في منطقة رأس العين. إستجاب عدد كبير من نعيم حران للطلب، فآزرتهم الحكومة في السنوات الأولى، ثم قدم لهم الشيشان المنعمون البذار وساعدوهم على شراء المواشي. غير أن هذه العلاقة ما لبثت أن تراخت من جديد، لأن الشيشان سرعان ما فقدوا سلطتهم، تحت وطأة الحروب والأمراض. في هذه الفترة، تحول النعيم إلى أتباع لإبراهيم باشا، واضطر شيوخهم إلى اللحاق به في عاصمته ويرانشهر.

يزرع نعيم رأس العين الأراضي الواقعة إلى الغرب من تل حلف (خربة عنتر ـ تل حربه)[1]. ويسكنون الخيام طوال فصل الصيف، في حين يقوم بعضهم بترحالات قصيرة.

ليس لزعماء نعيم بلاد الرافدين غير القليل من النفوذ، لأن الشيوخ الدينيين يستأثرون بالنصيب الأكبر منه. خلال تنقيب أعوام 1911م ـ 1913م في تل حلف، كان صالح بن عز الدين ابن محمد أبي كرش كبير الشيخ الأكثر أهمية بين هؤلاء، ومسكنه في عامودا إلى الغرب من نصيبين. وفي عام 1927م كان الشيخ سليم بن حسين بن علي بن طالب بن أحمد بن عبد الوهاب بن عمر بن فاضل بن معروف... ابن عز الدين، الذي جاء من حويجة العبيد[2]، رفيع المقام.

ينتسب جميع شيوخ النعيم الدينيون إلى الطريقة الرفاعية، وإن انتسب بعضهم إلى طرق أخوّية أخرى أيضاً.

(1) إدعى النعيم ملكية أرض تل حلف قبل الحفريات.

(2) S.O.S. 191

النعيم

ألف ـ نعيم الجزيرة(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الغضبية(2)	عيسى بن سرحان(3)	ويرانشهر ورأس العين	150
2 ـ المطايرة	محمد بن الشيخ جاسم(4)	حران(5)	180
3 ـ البويين	محمد بن الشيخ جاسم	حران	
4 ـ المنصور		أورفة (الرها)(6)	100

باء ـ نعيم جبل حمرين(7)

القبيلة	الشيخ	منطقة تجوال	عدد الخيام
توبلس(8)	عبد الله بن أحمد(9)	شبيكة/ ديالى	370

ملاحظات حول جدول النعيم

1 ـ سجل عام 1911م، 1927م، 1929م. لاحظ جدول طي. الملاحظة 5. الوسم: O (على قبور النعيم في تكتك).

2 ـ تظهر في اتحاد الملّي تحت اسم نعيم. وهي موجودة أيضاً قرب حران.

3 ـ إبن عيسىٰ ابن سرحان ابن ذياب ابن خلف النعيم. يسكن في حصُيوه إلى الجنوب من ويرانشهر.

4 ـ ابن السيد احمد. محمد شيخ سياسي وديني.

5 ـ قرى: خزان، الذيبة، رسم الصيد (غرب الأولى). في الشتاء يذهبون

إلى السهب نحو الجنوب الشرقي ويصلون إلى طوال العباة.

6 ـ قرى: الشيخ ريح، الذيبة، خربة يحيى، وغيرها. تقع على الحد الغربي لتكتك.

7 ـ ذكرها أول الأمر جونز (ص385).

8 ـ تعرف نيبور على هذا الاسم الغريب وذكره بوصفه اسم قبيلة تسكن قرب حلب. أنظر: جزيرة العرب، ص394. (التوبليس).

9 ـ إبن محمد العبد الجليل المكي: سليل مؤسس هذه العشيرة.

حديدين[1]

يتقاسم الحديدين بعضاً من الصفات التي جعلت النعيم والشرابين مختلفتين عن النمط المألوف من أنصاف الرحل من البدو. ينقسم الحديدين إلى مجموعات متعددة، تتناثر على مساحات واسعة بين بلاد الرافدين وسورية، وتفتقر إلى تنظيم صارم. وهم أقرب إلى رعاة في خدمة آخرين منهم إلى ملاّكي قطعان. وليس للحديدين أي ميل للحرب. ويبدو أنهم لا يفتقرون كلياً إلى العنصر الديني، المميز بقوة عند النعيم والشرابين[2]. ومما يثير العجب أن لهم أيضاً بعض المشتركات مع قبيلة الصيادين المسماة الصليب، فالحمار عندهم، كما عند هؤلاء، حيوان الحمل والنقل، أو هكذا كان الأمر في السابق[3] على الأقل. وإذا كانوا غير منبوذين مثلهم، فإنهم لا يحظون، في الوقت نفسه، بأي احترام حقيقي. ويبدو أنهم مارسوا في الماضي وظيفة الصليب، فهم يذكرون أن أسلافهم عملوا في الماضي صيادي غزلان لدى أمير الموالي[4].

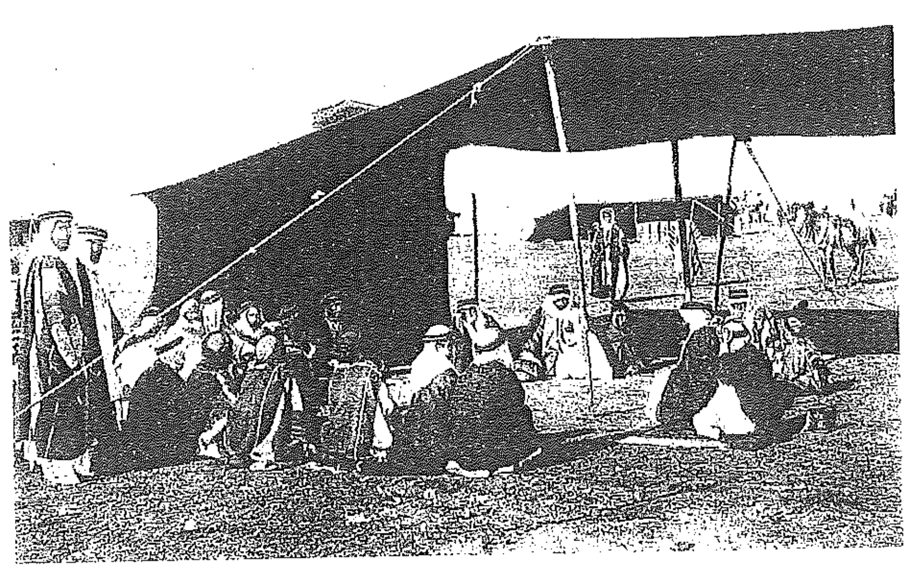
---

(1) بالأصل: حديديين، وكذلك حديدية. موزيل: حديديين.

(2) يزعم باكنغهام: ، أسفار في بلاد الرافدين، الجزء الأول، ص295، أن حديديي شمال بلاد الرافدين من ذرية النبي، وأن عماماتهم الخضراء دليل على ذلك.

(3) مايو، الجزء الأول، ص134: أسفار الليدي استير ستانهوب، الجزء الثاني، ص104. خورشيد، ص236.

(4) لاحظ اسم أبو صليبي، الذي يحمله فرع من الحديديين السوريين ـ عندما يقول دوبرخمان في



خيمة صالح الجرخ «الكرخ» شيخ مشايخ الحديديين (1899م)

عدا هذا، يبدو أنه لم يبق هناك محكيات يمكن أن تفيدنا في تقويم تاريخ القبيلة. ولا تنفعنا كثيراً في هذا السياق شخصية الشيخ حديد أيضاً، الذي يعتبره الحدادون أبا قبيلتهم، وأخذوا اسمهم عنه، لسبب بسيط هو وجود عدد من الأولياء يحملون هذا الاسم. من المؤكد أن الشيخ حديد، الذي يقدس قرب حماه، ينتمي إلى الحديديين. ويرجح أن ينتمي إليهم أيضاً ذلك الشيخ، الذي ينتصب مقامه على الثرثار جنوب شرق هترة، حيث المنطقة التي يجب البحث فيها عن موطنهم الأول، بدلالة ليس فقط محكيات حدادي سورية، بل كذلك توزعهم السابق. صحيح أن الفرع السوري من القبيلة كان موجوداً حوالى القرن الثامن عشر، إلا أن كتلتها الكبرى كانت تعيش جنوب سنجار في الجزيرة[1]، حيث عثر خورشيد أفندي (ص191 وما يليها) عام 1850م على هذه المجموعة وعددها 2000 خيمة في

مجلة الدراسات الإسلامية، سنة 1934م، ص36، إن الحديديين أخلاف طائفة من الحدادين ـ شأنهم في ذلك شأن الحديديين المراكشيين، فإنه لا يأتي بأي مستند يؤكد قوله.

(1) نيبور: وصف رحلة، الجزء الثاني، جدول 55. جزيرة العرب، ص390 و395.

سجلات عانة الضريبية. الحقيقة أن المجموعة كانت قد تشتتت آنذاك، فراراً من ضغوط شمّر وغزوات عنزة[1]. فصحب قسم منها العبيد في رحلتهم عبر دجلة، ووجد قسم آخر موطناًجديداً في أراضي سنجار الشرقية، بينما استوطن قسم ثالث بين أورفة ونصيبين. وبذلك وصلت القبيلة إلى التوزع القائم حالياً.

يسكن حديدين منطقة سنجار، الذين كان اينسورث أول من لاحظهم عام 1840م[2]، بين الجبل ونهر دجلة، ويمارسون بعض الزراعة في وادي القصب، مثلاً، كما يرعون أغنام أصحاب القطعان الأغنياء من سكان الموصل[3]. ويذكر جدول هوارت أنه كان لهم 800 خمية.

ويسكن حديدين شمال بلاد الرافدين ـ رعاة أورفة ـ صيفاً في جبل تكتك، حيث تمثل بئر أم الصلابيخ أكبر موقع مائي لهم، ويقطنون شتاء جبل عبد العزيز أو إلى الشرق منه، وينتمون إلى عشيرة البوحيات[4] وينتسبون إلى اتحاد الملّية الكردي. تتراوح الأرقام حول عددهم بين ثمانين ومائة وخمسين أسرة.

تتوطن مجموعة الحديدين الثالثة، التي كان خورشيد أول من أشار إليها (ص228، 235) في كركوك. فقد استقر عدد كبير منها منذ عام 1850م في هذا المكان، وتنقل آخرون (80 خيمة) بحماية العبيد في المنطقة، وهم اليوم في كراتشوك (شمال الزاب الأدنى).

(1) تابع: دوحة، ص307. باكنغهام (1816م) المرجع ذاته.
(2) أسفار وأبحاث، الجزء الثاني، ص175.
(3) زاخاو: رحلات في سورية وبلاد الرافدين، ص368. مجلة، ص53.
(4) هل تكون القبيلة المنضمة إلى الدليم، التي تحمل الاسم نفسه، من الأصل ذاته؟.

قبائل في وادي الفرات
بين بيره جك والفلوجة

يسكن الأكراد على ضفتي نهر الفرات قرب بيره جك، موقع انحداره من جبال آسيا الصغرى. وتقع الحدود التي تفصلهم عن السكان العرب على جسر جرابلس تقريباً، فهي تتطابق إذن مع حدود سورية السياسية. بعد جرابلس، يتوزع وادي النهر بين سلسلة قبائل صغيرة، قبل أن تبدأ عند منحنى مسكنة مناطق السكن المترابطة للإتحادات القبلية الأكبر، وبالتحديد البوشعبان (ولده، عفاضلة، سبخه) والعقيدات «العگيدات» والدليم. هذا التوزيع الواضح نسبياً حديث العهد[1]، ويرجع بالأخص إلى التوسع الذي بدأته العقيدات «العگيدات» عقب نهاية القرن الثامن عشر. قبل هذا التاريخ، تقدم خارطة القبائل صورة كثيرة الألوان. إذ إن روسو يذكر عام 1808م أسماء ما لا يقل عن سبع قبائل كانت تعيش في البقعة التي تفصل عانه عن هيت؛ ثلاث منها هي أشجيرية والجنابيين والقرطان دفعت في اتجاه مجرى النهر نحو العراق[2]، بينما اختفت القبائل الأخرى كلياً كما يبدو. عرف دير الزور الحدث نفسه، فقد غادر آخر الجبور قبل بضعة عقود ضفة الفرات اليسرى وقصدوا دجلة[3]،

(1) ومع ذلك، تشكلت في الماضي وحدات أكبر في وادي الفرات، مثل بني سمك والزبيد. هذا التطور دوري إذن.

(2) تابع جدول الزبيد.

(3) المجلة الجغرافية، الجزء 35، ص532 (غيرترود بل).

في حين بقيت الظروف مستقرة في المنطقة إلى الأعلى من الدير، كما تؤكد مقارنة الوضع الراهن مع مشاهدات الرحالة القدماء (نيبور، روسو، بوركهاردت). وإن كان قسم من السكان قد غادر المنطقة إلى حلب غالباً، بينما انساب بعضهم فرادى إلى دجلة.

يخضع القسم الأعلى من الفرات لأكراد البرازي من سروج. وتهيمن عنزة بدءاً من مسكنة، وشمّر من دير الزور، بينما الدليم مستقلون.

معظم قبائل الفرات قبائل أنصاف رحل، فهي إذن قبائل مربي أغنام[1]، يقودها الترحال الشتوي من وادي النهر إلى السهوب ذات الموقع الأعلى، مواكبة بوجه عام مجرى النهر. أما الزراعة، فهي تتم غالباً بالري الاصطناعي، حيث تستخدم، تبعاً لشدة التيار، إما دواليب متح الماء التي تعمل ذاتياً ويسمونها ناعورة، أو روافع مياه ـ چرد ـ تحركها الحيوانات. ليست علاقات الملكية واضحة هنا، في المنطقة إلى الأعلى من مسكنه، تعود الأرض التي تقطنها القبائل إلى وجهاء في حلب، وفي البليخ يبرز شيوخ العفاضلة كملاك، ويمتلك قسماً من الأرض في الجنوب سكان مدن يقطن أراضيهم فلاحون حقيقيون[2].

(1) بالعربية: شوايا «شاوية»، وفي جزيرة العرب شواوي. هذه الكلمة اعتبرها زاخاو اسم قبيلة خطأً، مع أنها تعني رعاة الاغنام. وإن كان من الصحيح أن هذا المصطلح لصيق في منطقتنا بقبائل معينة كالبني سعيد. والبو خميس، والبوعساف، والعفاضلة والبقارة.

(2) موزيل: الفرات الأوسط، ص162: "هذه الكفور (فوق عانة) تعود ملكية القسم الأكبر منها إلى مواطنين أغنياء من كربلاء وبغداد وحتى حلب، الذين اشتروا الأرض بطريقة شرعية من الدليم، أو استولوا عليها بمنتهى البساطة، فطردوا منها الدليم وأقاموا فيها دواليب الري وبنوا الأكواخ، ثم آجّروا الأرض إلى فلاحين من القرى الأخرى، على أن يدفع المستأجر جميع الضرائب ويعطي المالك ثلث المحصول".

قبائل وادي الفرات بين بيره جك والفلوجه(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة تجوال	عدد الأسر
1 ـ عون(2)		قلعة نجم	
		تل أحمر/ سرين	200
2 ـ البوبنا(3)		الصندلية	500
3 ـ الفحل(4)		سرين	
4 ـ العميرات(5)		الشاش الصغير	150
5 ـ الجريفة(6)		القائم/ عانة	

ملاحظات حول جدول قبائل الفرات

1 ـ باستثناء القبائل التي سبق أن تعرفنا عليها، وهي الولدة والعفاضلة والسبخة وبقارة الزور والعقيدات والدليم، فإن المعلومات المتوافرة حول غيرها من القبائل قليلة جداً. إن الجداول القديمة التي وضعها بوركهاردت وروسو ذات قيمة تاريخية فقط. وتعاني أسماء شيسناي، التي اقتبستها الخرائط اللاحقة، من عيوب وأخطاء كثيرة، فالجبور يصيرون فيها جيبول واللهيب الهيبه والبومعيط البويض.

2 ـ قارن: تيرييه، ص170 وما يليها. قرى تحت حماية كدكان والبيجان، الذين ينتمون إلى اتحاد البرازي الكردي. يسكن فرع من العون ـ قرابة مائة وعشرين أسرة ـ أربع قرى شمال منبج. خرج العون من بني سعيد. أنظر مقالة: قبائل مستقرة قرب حلب.

3 ـ قارن تيرييه. ص103 = 178. عدد المواشي 10000 رأس غنم، 600 رأس بقر. وقد استقرت مائة وخمسون أسرة أخرى في دائرة اعزاز شمال حلب. خرج البوبنا من البوشعبان.

4 ـ روسو: ص70. بوركهاردت، ص25. خارطة شيسناي 11. هم أنفسهم

"الفهد" في مقالة غيرترود بل: "الضفة الشرقية للفرات من تل أحمر إلى هيت".
خرج الفحل من الولده.

5 ـ قارن تيرييه، ص100: خمس قرى تحت حماية الكيدكان، على عداء مع جيس. نصف مستقرين.

6 ـ أو جرايفة. بلنت، الجزء الثاني، ص190: 500 خيمة. من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي». الجزء الثاني، ص72، حدث خلط واضح بينها وبين الجغايفة (دليم). يحسب موزيل صفحة 74 و144. جزءاً منها على العقيدات وجزءاً آخر على الدليم.

قبائل وادي دجلة

من جزيرة ابن عمر إلى سامراء

لا يوجد سكان عرب على ضفة دجلة اليسرى إلا بدءاً من المنطقة الواقعة تحت نينوى القديمة، في حين يوجدون على الضفة اليمنى بدءاً من اسكي موصل، ويتناثرون في مجموعات متفرقة إلى الأعلى قرب حاوي زمار وجزيرة ابن عمر. يضم هؤلاء أكثر العناصر البشرية اختلافاً[1]. حتى خروج دجلة من جبل حمرين يشكل الجبور الأكثرية وهم يعيشون ككتلة متراصة بين الزاب الكبير والصغير، لكنهم موجودون أيضاً بصورة متفرقة على امتداد النهر نحو الأعلى وفي داخل العراق[2].

في جنوب منطقة الاختراق، يستوطن الضفتين سكان ينتمي معظمهم إلى سامراء، تحولوا من مدينيين إلى أنصاف رحل وامتزجوا بعناصر بدوية. إلى جانب السوامرة يعيش الدوريون: أبناء الدور الذين يخيمون على الضفة اليسرى للنهر، ويذكرهم روسو عام 1808م.

---

(1) لا يعبر هذا عن نفسه بصورة تامة في الجدول. عام 1852م إلتقى جونز (ص475) في سهل نمرود بفروع من ستة قبائل هي شميطة، العگيدات، الحديديين (الذين يسكنون الآن قرية قره شور)البوبدران (بقارة) البوسلمان، الجبور ـ الذين بحثوا هنا عن ملجأ من الاضطهاد أو من الثأر.

(2) لا يتعلق الأمر هنا فقط بالقبيلة التي درسناها تحت اسم الزبيد، بل وأيضاً بجماعات من جبور العراق، وينتمي إليهم على سبيل المثال البونجاد، الذين كان هورت (ص21) قد ذكرهم في ضواحي الموصل.

باستثناء شبه القبيلتين هاتين، عرفت خارطة بدو منطقة دجلة تغيرات كبيرة. فقد قدم الجبور في السنوات المائة الأخيرة من الفرات. وفي الفترة نفسها استقر قسم من العبيد (البو علي، البو هيازع) على دجلة. وتوطن البو حمد، وهم بالأصل جزء من العبيد، في منطقة الموصل، وإن كانوا يعودون بين فينة وأخرى إلى مناطق قبيلتهم الأم[1]. ويحافظ البو حمد على حياة بدوية صرفة رغم قلة عددهم. فقد كانوا في الماضي لصوصاً مرهوبي الجانب في كل مكان. في الآونة الأخيرة، ذاع صيت زعيم العصابة بليبل آغا، العبد السابق الذي أطاح بشيخ العشيرة الشرعي[2].

خضعت ضفة النهر اليمنى في الماضي لشمّر، الذين فرضوا الخوّة قبل الحرب على جميع القبائل القاطنة هناك، باستثناء قبيلة البوحمد المحاربة. تفتقر قبائل دجلة إلى أهمية اقتصادية تستحق الذكر، إذا ما قارناها مع قبائل النهر المجاور، لأن السهل الخصيب المقابل للموصل مسكون جزئياً فقط بالبدو، وأرض الغرين[3] التي يكونها دجلة، لا تبلغ عرض تربة الطمي الموجودة في وادي الفرات.

يعتبر جميع لسكان المجاورين لدجلة مستقرين بهذا القدر أو ذاك[4]، تتكون قراهم من بيوت ثابتة قرب الموصل، في حين تسود الخيام، التي تستبدل صيفاً بأكواخ من الخوص والقش، كلما اتجهنا إلى الجنوب.

(1) تابع: من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، ص217.
(2) مجلة رفيو، ص53. الشرق الحديث، الجزء الثالث، ص298.
(3) تصف كلمة حاوي، أرض الطمي التي كثيراً ما نعثر عليها في أسماء الأماكن على دجلة.
(4) إلا أن موزيل يضع الجبور في خارطته حول شمال الجزيرة العربية في وسط الجزيرة، وهو ما قد يشير إلى ترحالهم الشتوي.

قبائل وادي دجلة بين جزيرة ابن عمر وسامراء(1)

القبيلة	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ البوسلمان(2)	تحت الموصل على الزاب الأعلى	
2 ـ البوحسين(3)	على الضفتين تحت الموصل	
3 ـ البوحمد(4)		
4 ـ البيجات(5)	تكريت	60
5 ـ البوعيسى(6)	العاشق، بلد	200
6 ـ السوامرة(7)		
أ ـ البوعقيل(8)	دور	80
ب ـ البونيسان(9)	ابو دلف	150
جـ ـ البوبدري	سامراء	200
د ـ البودراج(10)	الضفة اليمنى تحت سامراء	300
هـ ـ البوباز	سامراء/ الصعيوية(11)	200
و ـ البواسود	الصعيوية	40
7 ـ البوعباس(12)	مقابل تكريت/ شناص، تحت سامراء	300

ملاحظات حول جدول قبائل دجلة

1 ـ مع استبعاد القبائل التي سبق لنا الحديث عنها كالشرابين والجبور والجحيش والعبيد ـ يقوم الجدول على استقصاءات مختلفة تم بعضها عام 1893م (من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي». الجزء الثاني، ص198 ـ 220). تقدم الأدبيات القديمة معطيات قليلة فقط. يستحق الذكر هنا نيبور: جزيرة العرب، ص390، والخرائط المرفقة بالجزء الثاني من وصف رحلته. روسو، رحلة، ص71. هوارت: قبائل عربية، ص18 وما يليها.

2 ـ زبيد؟ (هذا ما يقوله لايارد). ـ نيبور: وصف رحلة، الجزء الثاني،

الجدول رقم 65 يضعهم في عمق الجزيرة. ريش (الجزء الثاني، ص135) ذكر أن قبر أبي قبيلتهم يقع على دجلة مقابل مصب الزاب الكبير، وأنه عثر إلى الأدنى منه على مخيم للقبيلة. يذكر لايارد البوسليمان بصورة متكررة، مثلاً في كتاب: نينوى وبقاياها، ص35، 242. ويقول جونز: ص385، إن عدد خيامهم هو 200. ليس معروفاً بشكل أكيد سلوكهم تجاه السلمان الذين تذكرهم سالنامه بغداد 1324 ص280 في عانه، لكنهم حسب المجلة الجغرافية الجزء 36، ص532، هاجروا إلى الخابور.

3 ـ غرير. نيبور يجعلهم داخل الجزيرة. ريش: الجزء الثاني، ص137) على ضفة دجلة اليسرى إلى الأعلى من شرقاط. هوارت على الزاب.

4 ـ روسو، ص67. جدول شبرنغر رقم128 (يذكرهم في الموقعين تحت العبيد). ريش، الجزء الثاني، ص143. جونز: ص385. هوارت.

5 ـ قبيلة مختلطة الدماء، تصاهرت مع الشاوية. يذكر موزيل أنها في الفرات الأوسط، ص55، 63.

6 ـ دليم. تذكر في الصفحة 251 من سالنامة بغداد 1324م.

7 ـ تذكر قبائل سامراء الخمس في سالنامة بغداد أيضاً (ص251). أما البومحمد الذين سجلوا عام 1893م تحت اسم العيادي فهم عزة بالنسبة للسالنامة. (أنظر قسم العراق).

8 ـ في سالنامة بغداد، وترد كذلك عند موزيل، ص55، في جزيرة كيوان تشيوان قرب تكريت.

9 ـ دليم. وكذلك البونمر، الذين يسكنون قرب عيث، هم أيضاً دليم من حيث أصلهم.

10 ـ عزة.

11 ـ حول الموقع. أنظر: من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي». الجزء الثاني، ص230.

12 ـ تذكرهم سالنامة بغداد.

قبائل في عمق الجانب الشرقي لنهر دجلة

لا يسكن العرب سوة الطرف الغربي من الأرض الواقعة بين الزاب الكبير والحد الشمالي لولاية بغداد السابقة، الممتدة تقريباً على خط تكريت ـ قزلرباط. أما إلى الشرق من ذلك، فالسكان أكراد، في حين يسود التركمان في مدن التون كبرى، كركوك، تاووك "طاووق"، طوزخرماتو، كفري، وضواحيها[1]. في ذلك القسم من الأرض، المسكون بالعرب، تقدم التضاريس الأرضية في رقعتين مجالاً كافياً لسكن القبائل الكبيرة، وهما سهل شماميك الخصيب إلى الغرب من أربيل، وفي "الجزيرة"، المحاطة بالزاب الصغير ودجلة ونهر العظيم. لذلك توجد هنا فقط القبيلتان المهمتان الوحيدتان طي والعبيد، حيث تسكن الأولى شماميك منذ العصر الوسيط، بينما تمتلك العبيد وتابعوها ـ حديدين، البومفرج ـ منذ قرابة مائة عام فقط حويجة العبيد، التي تحمل اسمهم. قبل ذلك، كانت المنطقة ملك الغرير والشهوان[2]، الذين ما زالوا يسكنونها، في حين اختفى الغرير منها نهائياً، بعد انضمامهم إلى العبيد، وبعد أن نالوا نصيبهم من الهزيمة القاضية التي ألحقتها شمّر بهذه القبيلة (العبيد) عام 1805م. ليس هناك عرب رحل في ما وراء العظيم، وإن

(1) ما تقدم خارطة السكان في كتاب لونكريك: أربعة قرون من العراق الحديث، تصوراً واضحاً عن الظروف.

(2) گلشن خلفاء: آل غزير. نيبور: جزيرة العرب، ص390.

كان فلاحو المنطقة من أصول بدوية[1]، بل هم بالأحرى مزق من قبائل عراقية مشتتة كانت قد صعدت ذات يوم إلى هنا من ديالى. ولذلك كانوا في منتصف القرن التاسع عشر ما زالوا خاضعين لسلطات بغداد.

قبائل في عمق الجانب الشرقي لنهر دجلة(1)

القبيلة	منطقة الإنتشار	عدد الخيام
1 ـ شهوان(2)		
2 ـ البوحمدان(3)	الزاب الصغير	
3 ـ الكروية(4)	جبل حمرين بين قره تپه وقزلرباط	200
4 ـ بني عز(5)	قرب كركوك وتووك وكفري	100

ملاحظات حول الجدول

1 ـ مع استبعاد القبائل التي عالجناها حتى الآن، وهي طي، وعبيد، وحديدين ونعيم. يقوم الجدول على استقصاءات مختلفة. بالنسبة للمصادر المكتوبة، يستحق الذكر كل من جونز، ص385 وخورشيد أفندي، ص224 ـ 229. يذكر الأخير مزقاً كثيرة من قبائل فلاحية، سنصادفها مرة أخرى في قسم العراق. بغض النظر عن بني زيد، الذين يتألفون من 80 مسكناً، ينصب الأمر هنا بمجموعات جد صغيرة، تتناثر في منطقة كبيرة جداً.

2 ـ بعد جونز (200 خيمة) لم يذكرها أحد. ولكن لاحظ اسم المكان «شهيوان» قرب طوزخرماتو على صفحة كفري من خارطة بلاد الرافدين/ فارس 1 : 126720.

3 ـ خورشيد، ص235: 250 خيمة. إنتمى البوحمدان سابقاً إلى اتحاد العبيد

(1) تابع لونكريك، ص224.

(خورشيد، ص237. لونكريك، ص224). يذكر أول مرة عام 1737م أنها تسكن جنوب غرب الموصل (لونكريك، ص156). يذكرها نيبور في المنطقة ذاتها، ويقول روسو (ص71) إنها على دجلة، وهوارت (ص23) على الزاب. وكانت مستقرة في منتصف القرن الماضي.

4 ـ جونز: 300 خيمة. خورشيد: 250 خيمة، فضلاً عن ثلاثين أخرى على قناة الخالص، أي في أراضي بغداد. ليكلاما آ نيهولت: الجزء الثالث، ص221: 930 خيمة. إسم القبيلة عند خورشيد: كروي إ جديد، لتمييزها عن قبيلة «كروي عتيق» التي يقال إنها تسكن قرب خانقين وشهربان على الحدود مع فارس. بالمناسبة، يرد اسم القبيلة في جدول شبرنغر رقم 126، لكن الاسم يلفظ هناك "الكرومة"، وتكتبه لائحة هوارت "إكرويّة".

من أصل قيسي (عربي شمالي). مستقرة.

5 ـ قارن: خورشيد، ص209، 212، 226 وما يليها. تصل مجموعات صغيرة من بني عز إلى داخل العراق.

الجزء الأول

القسم الثاني

ســـــــوريـــة



مدخل

تكتسب سورية تكوينها المميز من خلال سلسلة جبال لبنان الموازية للشاطئ، بامتداداتها الشمالية والجنوبية. تفصل لبنان عن داخل البلاد سلاسل لبنان الشرقية والحرمون. وتتوغل في الجنوب الشرقي براكين حوران الخامدة بعمق داخل السهب، بينما ينفتح الشمال الشرقي على الأراضي الواقعة وراءه، المندغمة في الصحراء العربية الشمالية، التي لا تفصلها عنها حدود طبيعية.

تنبسط سهول خصبة بين السفوح الشرقية للجبال الساحلية والسهب، وتبلغ أقصى اتساع لها عند حلب، فهي تصل هنا إلى الفرات، وتتخطى في الشمال نهر الساجور، الذي يشكل خط الفصل بين الشعب العربي والكردي/ التركي، بينما تنتهي في الجنوب عند بحيرة ملح "الجبول"، وجبل الحص ومنخفض المطخ المستنقعي. وراء المطخ يبرز العلاه وهو هضبة بركانية تغطيها بقايا أثرية من العصر القديم، وتقع عند أقدامها بلدة سلمية ذات الأهمية الفائقة في تاريخ البدو. هنا يبدأ سهل حماه/ حمص، الذي يصل شرقاً إلى مرتفعات الشمّرية والبلعاس وجنوباً إلى سفوح جبال لبنان الشرقية.

تقع حمص وحماه على نهر العاصي، القادم من البقاع، وهو واد واسع يقع بين جبل لبنان وسلسلة جبال لبنان الشرقية ويمتد في الجنوب إلى الحرمون. يميز العرب بين بقاع العزيزي جنوب طريق بيروت/ دمشق وبين منطقة بعلبك إلى الشمال منه.

تقع دمشق عند أقدام جبال لبنان الشرقية، وهي محاطة بأراضٍ كثيرة الأشجار تسمىٰ الغوطة، تمتد نحو الشرق مراعٍ تحمل اسم المرج، ثم تبدأ الصحراء بعد مضيق الضمير. إلى الجنوب من دمشق تمتد منطقة جيدور إلى حوران. يشكل الكتلة الأساسية لحوران جبل بركاني يسمى باسم سكانه الحاليين جبل الدروز. في الشمال الغربي تمتد أمامه هضبة بركانية، اللجاه، تسقط حافتها بانحدار شديد نحو سهل حوران، الأعمق منها بخمسة عشر متراً. في الشمال الشرقي من جبل الدروز، تنهض أراض وعرة أخرى، يسمونها "ديرة التلول"، ويسمون أقسامها غير السالكة الصفاه[1]، وكانت على مر الأزمنة مكاناً تلجأ إليه العناصر اللصوصية. يشكل اللجاة وجبل الدروز الحد الشرقي لسهل حوران الخصيب، الذي يسمونه: النقرة العربية، ويتلاشى غرباً في مراعي الجولان الأكثر ارتفاعاً، بسلسلة براكينها الخامدة (وهي ما يسميه بوركهاردت جبل هيش). تشكل مستنقعات الحولة، والاردن الأعلى وطبريا حدود الجولان مع فلسطين. وتوجد أيضاً خارج حوران منطقة طمي بركاني أخرى هي حرّة الراجل، التي تنتمي جغرافياً إلى جزيرة العرب.

تقسم سلسلة المرتفعات، الممتدة من دمشق إلى الفرات، والمنتهية في جبل البشري، سورية الداخلية إلى قسمين: شمالي حمل في العصر القديم اسماً ما زال يستعمل إلى اليوم هو البادية التدمرية، وإن كان البدو يسمونه "ديرة الشنبل"[2]. وجنوبي يتكون من الصحراء السورية التي تبدأ من سلسلة المرتفعات، وتبرز فيها منطقة مرتفعة وحيدة هي عنازة، تقع بين الحماد في الغرب ووديان في الشرق، أخذت اسمها من بضعة وديان تنحدر نحو الفرات أهمها وادي حوران. تمثل الوديان وحوران سهباً ذات غطاء نباتي فقير، شأنها في ذلك شأن القسم الشرقي من البادية التدمرية، لذلك يعيش فيهما البدو الرحل. أما في الغرب فتتأرجح حدود الزراعة، التي تقدمت في العصر القديم إلى عمق المنطقة التدمرية، وتراجعت في عصور الدول الضعيفة كالعصر العثماني حتى جبال الساحل[3]. يمارس منبسط حوران جاذبية

(1) من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الأول، ص213.

(2) الشنبل وحدة كيل حبوب مألوفة في هذه المنطقة.

(3) تحدد اليوم من خلال نقاط مسكنة، اندرين، سلمية، الفرقليس، القريتين، جيرود.

خاصة على البدو الرحل، إذ ينمو في أرضه البركانية المتفككة أفضل قمح سوري، يعطي محاصيل مذهلة في ارتفاعها، إن تمت حمايتها من البدو. وقد قدر أحد الخبراء المتميزين، ج. شوماخر محصول المنطقة من القمح عام 1885م بمائتين إلى مائتين وأربعين ألف طن، بيع قسم منها في دمشق وصدر الباقي عبر مرفأ عكا/ حيفا.

ثمة عدد قليل يستحق الإهتمام من طرق سورية، بالنسبة لتاريخ البدو، يأتي في مقدمتها طريق الجنوب/ الشمال، التي تحيد قليلاً عن سكة الحديد الآتية من حلب إلى حماه ـ حمص عبر معرة النعمان(1)، والذاهبة إلى دمشق مروراً بالنبك، البلدة الواقعة إلى الشرق من جبال لبنان الشرقية. تنقسم الطريق في دمشق إلى طريق تجاري/ حربي قديم جداً يذهب إلى القنيطرة، بوابة الجولان الرئيسة، وصولاً إلى جسر الجولان المسمى جسر بنات يعقوب، وأخيراً إلى فلسطين ومصر. بينما يواصل طريق الحج مساره نحو الجنوب، ليبلغ حدود الأردن الحالية عبر مزيريب. تغيرت طرق سورية، ذات الأهمية الفائقة بالنسبة إلى التجارة مع الشرق الأقصى، مرات عديدة في مجرى الأزمنة، وإن بقيت نقاط انطلاقها: مدن حلب وحمص ودمشق، ثابتة لا تتغير. صارت حلب المركز التجاري السوري الأول في العصر العثماني، حين انتهت فيها الطريق الآتية من البصرة وبغداد، التي بلغت الأراضي السورية عند الطيّبة من أعمال البادية التدمرية، بعد أن تفرع عنها طريق جانبي إلى السخنة فدمشق.

تغلغل العرب في وقت واحد داخل سورية وبلاد الرافدين(2). ترجع أقدم الأدلة على ذلك إلى نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، عندما تكونت في الحرمون دولة الايتوريين، وهم قبيلة عربية تقدمت من أرض شرق الاردن عبر الجولان إلى البقاع الجنوبي. في القرن التالي، كان هناك سلالة عربية تحكم في أمسا (حمص)، واحتلت قبائل عربية رحل عرفت باسم سكنيتن «سكنتن»، السهب السورية الشمالية

---

(1) هنا يصب طريق حجاج آسيا الصغرى، الذي يمر عبر أنطاكية ـ جسر الشغور ـ قلعة المضيق (آفاميا) بموازاة نهر العاصي.

(2) لا تؤخذ المناطق الخلفية بعين الإعتبار، لأن العرب كانوا هنا منذ عام 853 قبل الميلاد كحلفاء لملك دمشق.

وصولاً إلى خط أفاميا/ ثابساكوس (منحنى الفرات عند مسكنة). بعد عام 88 قبل الميلاد، إمتدت دولة النبطيين التجارية، ومركزها بترا، إلى حوران، واحتلت دمشق لبعض الوقت. إلى جانب مملكة الأنباط، تحولت تدمر في القرن السابق للميلاد إلى مركز للتجارة مع الشرق الأقصى، وبلغت أوج ازدهارها بعد سقوط بترا وإقامة إقليم العرب الروماني (106 بعد الميلاد)، وحكمت خلال أعوام 261 ـ 271م الأقاليم الشرقية من الإمبراطورية الرومانية. بينما كان العرب حملة المملكة النبطية، حكم العنصر الآرامي تدمر، فلم تنم المسحة العربية فيها إلا في زمن متأخر، مما جعل آخر أسرها الحاكمة، تلك التي انتمت الملكة الشهيرة زنوبيا إليها أيضاً، تحمل أسماء عربية صرفة.

عرفت الصحراء السورية في القرن الثالث شريحة جديدة من المهاجرين العرب، يسميها علماء المسلمين قضاعة، أقدم ممثليها التنوخيون، الذين أتوا من شرق جزيرة العرب على طريق البدو القديم، وساروا بمحاذاة الفرات، وأمضوا الصيف في سورية والشتاء على حدود العراق، حيث تركز ثقل القبيلة ـ وأسس ملوك منها مملكة الحيرة. فيما بعد، تفككت تنوخ إلى قسمين، إستقر أكبرهما شمال سورية وأصغرهما في الحيرة. تنتمي قبيلة صالح إلى هذه الشريحة من المهاجرين، التي توغلت من الجنوب إلى سورية واستولت على منطقة حوران.

بفضل الصالح، غدت حوران، العربية السكان منذ قرون، مركز العرب السوريين السياسي، بعد أن كانت قبل ذلك مركزاً حضارياً لهم، وبالنسبة للعروبة إتخذت حوران في الغرب أهمية مماثلة لأهمية الحيرة في الشرق. لم يول حكام البلاد البيزنطيون هذا الواقع أية أهمية أول الأمر، فلم يعترفوا بشيوخ الصالح (الضجعم) إلا كأمراء قبائل (نهاية القرن الرابع) ولم يرفعوهم فوق غيرهم من حملة هذا اللقب. هذا الحال استمر حتى قدوم أخلافهم الغساسنة (نهاية القرن الخامس وحتى بداية القرن السابع)، الذين منحهم الرومان حقوقاً أكبر، ليحولوهم إلى ثقل يوازن ثقل ملوك الحيرة، أتباع الفرس من العرب.

هاجر الغساسنة من جنوب جزيرة العرب. ويبدو أن عناصر عربية جنوبية

كانت تعيش آنذاك بين سكان حوران، وهذا أمر طبيعي بالنظر إلى العلاقات التجارية التي كانت تربط بصرى، عاصمة حوران، مع الجنوب.

ما إن حل القرن السادس الميلادي، حتى كانت القبائل الرحل قد تحولت جميعها إلى أنصاف رحل. وسقطت منطقة انتشار تنوخ القديمة في يد تغلب، وسكنت إلى الغرب منها قبائل البهرا[1]، وكلب، علماً بأن الأولى تنقلت بين حمص والصحراء السورية، في حين واصلت كلب ترحالها نحو الجنوب.

قاتلت القبائل السورية إبان الفتح الإسلامي تحت رايات البيزنطيين. لكن معاوية، الخليفة الأموي الأول، إستمالها إلى جانب الدولة الجديدة. في هذه الأثناء، كانت كلب قد غدت القوة الأولى بين القبائل السورية، بعد أن نقلت مناطق سكنها إلى الشمال وجعلت تدمر مركزاً لها. بمصاهرتها للسلالة الأموية الحاكمة، شكل رجال القبيلة القوات العسكرية وقسماً من كبار الموظفين، فأثارت مكانتها حسد القبائل الأخرى، التي قدمت حديثاً إلى سورية، سواء ضمن جيوش الفتح أم في ركابها، وانتمت في معظمها إلى قيس من أواسط جزيرة العرب. أخيراً، إنفجر التوتر بين كلب وقيس في معركة مرج راهط683م، عندما قاتل فيها كلب وغسان وتنوخ إلى جانب الأمويين، وقيس إلى جانب الخليفة البديل عبد الله ابن الزبير، وانتهت إلى هزيمة رهيبة نزلت بقيس، جعلتها تتبنى منذ ذلك الوقت سياسة الحروب الثأرية. إستمر تنامي الحقد بين القبيلتين، حتى بعد عودة الهدوء بينهما على يد الخليفة عبد الملك ابن مروان. إجتمعت القبائل المعادية للأمويين تحت كلمة "قيس"، وجمعت كلب أنصارها تحت شعار "يمن" (عرب جنوبيون)، لأنها اعتبرت نفسها وريثة عرب الجنوب الغساسنة[2]. توارث سكان سورية المستقرون تناقضات القيسيين واليمانيين، رغم أنها كانت قد أفرغت من مضامينها

---

(1) ما زال اسمها يتردد في جبل بحرا (شمال غرب حمص).

(2) في نظام الأنساب الذي نشأ في هذا الوقت، نسبت جميع قبائل سورية المستقرة إلى قحطان، الجد الأول لعرب الجنوب.

الأصلية منذ وقت طويل، باعتبار أن القرى والمناطق اعتبرت نفسها قيسية أو يمانية حسب الانتماء القبلي لسكانها العرب الأوائل، وليس لأن هؤلاء كانوا قيسيين أو يمانيين حقاً. كما وفي لبنان ما زال هذا الإنقسام التحزبي حياً إلى اليوم.

وإن كانت سورية قد عاشت فترة تألق وعظمة في العصر الأموي، فإنها بدأت تتدهور مع سقوط السلالة الأموية750م، إلى أن تحولت إلى مجرد مقاطعة وحسب. وقد شعر السكان بالمرارة حيال هذا التغير، وعلقوا آمالهم على ظهور "سفياني" يعيد الحرية إليهم والأمويين إلى الحكم. وبالفعل، عرف النصف الأول من القرن التاسع سلسلة انتفاضات فاشلة قادها "سفيانيون"، لكن سورية أفلتت في النصف الثاني من القرن من حكم الخلفاء العباسيين المباشر، وتنازعها ولاة طامحون.

عرف العالم الإسلامي، قبل عام 900م بفترة قصيرة، حركة القرامطة السياسية/ الدينية السرية، التي دعت إلى ثورة مفتوحة ضد النظام القائم، وتمكنت دعايتها عام 901م من نفوس السوريين، حتى سقط ضحية لها بنو أُلَيْس وغيرهم من قبائل كلب في الصحراء. صحيح أن الحركة قمعت في السنوات التالية، لكن مملكة قرمطية كانت قد نشأت في هذه الأثناء شرق جزيرة العرب، قيض لها أن تتحول إلى مصدر رعب للخلافة، وأن توجه هجماتها ضد سورية أيضاً، التي كانت تدار آنذاك من مصر. في حمأة هذه التطورات، إستقل فرع من حمدانيي بلاد الرافدين عام 944م بشمال سورية، كان سيف الدولة ممثله الأشهر، الذي أقام بلاطاً زاهراً في مدينة حلب.

في هذا الوقت، كانت قبائل سورية البدوية القديمة قد ذابت في السكان المستقرين، باستثناء كلب، وقسم من تنوخ كان قد أبقى على اسم قبيلته القديم ولعب دوراً مهماً بين دروز لبنان حتى العصر الحديث. ومع أن كلب حافظت على مناطق انتشارها، فإننا نجد إلى الشمال منها سلسلة من القبائل القيسية، التي انبثقت عن مهاجري القرن السابع[1]، أهمها على الإطلاق قبيلة كلاب.

---

(1) يقال إنهم نقلوا إلى شمال سورية اسمي جبلي نجد الحص وشبيث.

تعرضت سورية لاختبار رهيب خلال القرن العاشر الميلادي، فقد ترنحت مملكة الحمدانيين بعد موت سيف الدولة (967م) بسبب هجمات البيزنطيين في الشمال وتقدم الفاطميين في الجنوب؛ وهم أصحاب مذهب باطني قريب من القرمطية، كانوا قد احتلوا مصر عام969م إنطلاقاً من شمال أفريقيا. وكان الجنوب يتعرض آنذاك لموجات جديدة من غارات القرامطة، أنزلت ضرراً شديداً بدمشق، التي تعاقبت فيها الثورات واحتلها الفاطميون وأخلوها مرات متكررة. إعتبر السوريون الفاطميين غزاة أجانب، وكان بعضهم يرى أنه حتى حكم المسيحيين أفضل من حكم هؤلاء الأفارقة المتوحشين. وزاد الطين بلة تحركات بدو قبيلتي طي وعُقيل الرحل، الذين دفعت آخر موجة قرمطية بهم نحو الشمال، فاحتلت طي شرق الأردن وجنوب فلسطين، وعملت عُقيل من أجل تحويل وسط سورية إلى موطن لها، لكنها، كما يبدو، لم تبلغ هدفها، لأننا لم نعد نسمع عنها شيئاً في الأوقات اللاحقة. بعد سقوط الحمدانيين (1003/ 1004م)، توحدت سورية تحت حكم خليفة الفاطميين في القاهرة، دون أن تتخلص من الاضطرابات والقلاقل. من ذلك أن ثلاثة من قادة البدو الكبار هم صالح بن مرداس (كلاب) وسنان بن عليّان (عقيل؟) وحسان ابن المفرج (طي) أقاموا عام 1021م تحالفاً من أجل اقتسام سورية. بما أن صالح إنفرد باحتلال الحصة المقررة له، فقد أسس عام 1025م مملكة مرداسية في حلب، إستمر حكمها ـ مع بعض الانقطاعات ـ إلى عام 1079م. وأخذ الأتراك السلاجقة موطىء قدم في سورية خلال الربع الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي، ثم تقاسمها قادتهم، فلم يبق في يد الفاطميين غير بعض مدن الساحل.

إختفت كلب في هذه الفترة بالذات من صفوف القبائل الرحل، وإن كانت أقسام من سكان حلب وشيزر وتدمر وغيرها من المستقرات الأبعد شرقاً قد حافظت على أصلها الكلبي حتى القرن الرابع عشر. لا نعرف الجهة التي أخذت مكان كلب في الصحراء السورية، لكننا نعرف أن بدواً رحلاً غير عرب، هم التركمان، تغلغلوا في الشمال برفقة السلاجقة، وتمكنوا، بفضل وحدة الدم التي جمعتهم إلى حكام سورية هؤلاء، من إقامة وجود دائم لهم هناك، وامتصاص قبائل عربية كاملة ككلاب.

مكنت الأحداث والمجريات الهامة التي شهدتها سورية منذ عام 1096م، وصراعات الصليبيين ضد السلاجقة والأيوبيين، البدو من التدخل في الأحداث السياسية، على أن يكون معلوماً أن مواقفهم تحددت بمصالحهم الأسرية والقبلية وليس بمصالح إسلامية مشتركة أو عامة تماماً كما كان الحال خلال الهجمات البيزنطية في عامي 968 و969م ثم في عام 1031م ـ يحتل أهمية فائقة في هذا السياق قدوم مجموعة تنتمي إلى طي من شرق الاردن، حملت اسم ربيعة، وانقسمت إلى فرعين هما المرا والفضل، إختار الأول حوران مكاناً لإقامته، والثاني المنطقة الواقعة بين حمص وحماه (حوالى عام 1200م).

شهد عصر الحملات الصليبية نشوء أقوام خاصة كدروز لبنان والنصيرية (العلويين)، والإسماعيليين في الجبال الشمالية والمتاولة(*) على حدود فلسطين وفي بعلبك، ميزت نفسها عن عالمها من خلال انتمائها الديني، واعتصمت بمناطق سكنها الجبلية لتصارع طوال قرون من أجل استقلالها الذاتي ـ دون أن تتمكن من بلوغ هدفها.

أحدثت الحقبة الأخيرة من الفترة الصليبية فوضى عامة في سورية. فقد تصارع خلفاء صلاح الدين من أجل الحكم، وارتسم الخطر المغولي في الشمال، في حين تأسست في الجنوب سلطنة المماليك القاهرية (1250م). واصطدمت القوتان العظميان: المغول والمماليك عام 1260م عند عين جالوت في الجليل، فأنقذ انتصار السلطان اللاحق بيبرس البلاد من التتار، وإن كان لم يقض تماماً على خطرهم، ولم يمنع جيوشهم من عبور الفرات مراراً وتكراراً. مع سقوط الموانئ التي كانت في أيدي الصليبيين 1291م صارت سورية بأسرها مملوكية، وتبعت القاهرة لأكثر من قرنين، فكانت دمشق وحلب أعظم ولايات المملكة، وإن كانت مرتبة والي الأولى أعلى بدرجة واحدة من مرتبة والي الثانية. على أن الولاة كانوا كثيراً ما يتغيرون، لخوف الحكومة المركزية من أن يقيموا علاقات خيانية مع

(*) المتاولة اسم يطلق في لبنان على الشيعة الإثني عشرية. وهم موجودون في تلك المنطقة قبل الحملات الصليبية. المصدر [التشيع بين جبل عامل وإيران، علي مروة، دار الريس]. (شبّر).

المملكة الكبيرة المجاورة: دولة المغول في العراق.

تحولت قبيلتا طي، الفضل والمرا، إلى سادة بدو سورية الرحل، إبان العصر المملوكي: الأولى في السهب والثانية في منطقة حوران. وقد بلغتا هذه المكانة رغم ضعفهما العددي، ذلك أن الحكومة كانت تنصب شيوخ مشايخهما أمراء على البدو المحيطين بهما. ومع أن السلطات منحت فيما بعد لقب أمير إلى شيوخ مشايخ القبائل الأخرى، فقد حافظت قبيلتا طي على أرجحية معينة، خاصة وأن جيرانها من القبائل كانوا قد اعترفوا في هذه الأثناء بحكمها. ـ تبنى سلاطين المماليك في هذه التعيينات عرفاً أخذ به الأيوبيون قبلهم، وإن كان لقب أمير قد اكتسب الآن أهمية أعظم، لأنه أدرج البدو في المراتبية العسكرية: الحامي الحقيقي للدولة المملوكية. وجاء بأمرائهم إلى الخدمة العسكرية، شأنهم في ذلك شأن المماليك، ومنحهم مثلهم إقطاعات أرضية. هكذا حصل عيسى ابن مهنا من قبيلة الفضل على منطقة سلمية عرفاناً بانجازاته في معركة عين جالوت، ومنح حق توريثها إلى أخلافه. وعززت أسرة أمراء الفضل نفوذها فيما بعد عبر إقامة علاقات مع حكام المغول، الذين كانت تتصل كل عام بمناطقهم خلال ترحالها الشتوي.

أصاب شيء من الجمود مملكة المماليك في ظل السلالة المملوكية الثانية (1382م ـ 1517م)، فوجد تيمورلنك سورية دون حماية حين هاجمها خريف عام 1400م. وإذا كان قد تخلى بعد حين عن دمشق التي احتلها دون قتال، فإنه لم يفعل ذلك خوفاً من هجوم معاكس، بل لأن خططه كانت تتخطى كثيراً ما أنجزه. كان أمير الفضل نُعير واحداً من الرجال القلائل، الذين تجرأوا آنذاك على مواجهة الخطر. ـ لم تشهد ظروف سورية تبدلات ذات شأن في هذه الحقبة الزمنية، وإن كان من الضروري ملاحظة النمو السكاني الكبير للتركمان، الذين أسسوا في القرن الرابع عشر دولة خاصة بهم على أراضي سورية/ آسيا الصغرى في مملكة ذو القدر«ذوعاقدر».

بدأ نظام الدولة المملوكي يتراخى مع نهايات القرن الخامس عشر، فلم تعد المناطق الخارجية من ولاية دمشق تدار بصورة مباشرة، بل أوكلت إدارتها إلى

وجهاء محليين، فبرزت أسرة ابن الحنش[1] في البقاع، ووصلت سلطة أمراء المرا إلى أوسع انتشار لها في منبسط حوران. كان نظام المماليك العسكري يتعرض بدوره للإنهيار. فلا عجب إن كانت مملكتهم ناضجة للفتح العثماني.

دخل السلطان سليم دمشق دون قتال، بعد انتصاره عام 1516م في مرج دابق. ثم وضع في السنوات التالية لعودته من القاهرة الأسس الضرورية لإدارة سورية. رغم فشل محاولة توحيد المنطقة بأسرها، فيما عدا حلب، في يد جانبردي غزالي، آخر حكام المماليك في دمشق، بقيت أقسام واسعة بهذا القدر أو ذاك من فلسطين وشرق الاردن خاضعة لباشا دمشق. كما نما نفوذ الأعيان، الذي كان ملحوظاً في الحقبة الأخيرة من الحكم المملوكي، نمواً كبيراً في ظل العثمانيين. وتزايدت أهمية موكب الحج بالنسبة إلى البدو، بعد أن نظمه السلطان سليمان بطريقة أضفت عليه الكثير من الأبهة، لأول مرة منذ العصر الأموي، قام السلطان نفسه بإيفاد بعثة الحجيج السوري وتجهيزها، وأقام القلاع لحماية طريقه نحو المدينة، وحدد الصرّة، الرسم الذي كان يدفع إلى البدو، مقابل السماح بمرور قافلته في مناطقهم، ونظم حق مرافقته، فخص أقوى قبائل حوران بالمسافة الأولى منها، حتى إن زعيمها نال لقب شيخ الشام وصار منذ القرنين السابع والثامن عشر قائداً محلياً لموكب الحجيج، إلى جانب أمير الحج.

أدى تبدل انتماء دولة سورية الى تغيرات معينة في عالم البدو، فحل المفارجه في حوران محل المرا، واختفى الفضل من الصحراء، وكانوا قد انسحبوا أول الأمر إلى البقاع ثم إلى الجولان، فاحتلت مواقعهم قبيلة أخرى هي الموالي، حافظت، رغم ذلك، على استمراريتهم، لأن شيوخها (البوريشة) تحدروا منهم وورثوا ألقابهم ومخصصاتهم. إلى هذا، أدى تدهور الزراعة آنذاك إلى تقلص عائد سلمية[2] حتى صار قليلاً بالمقارنة مع مداخيل ألبوريشة من التجارة مع البلدان

---

(1) من أصل بدوي، ولكن من قبيلة غير معروفة.

(2) أصبح أبو ريشة كسنجق بيك لسلمية.

الأخرى، ومن حكمهم في عانة.

وجد الطموح الإستقلالي لشعوب جبل لبنان تعبيراً مميزاً عنه في السياسة الجسورة لأمير الدروز فخر الدين، الذي حكم لبعض الوقت المنطقة الساحلية وأقساماً واسعة من سورية الداخلية. ثم طرده الأتراك عام 1613م، لكنه عاد عام 1616م إلى وطنه واستعاد مركزه القديم من جديد، إلى أن أسقط بصورة نهائية عام 1633م. إنتقل النزاع بين فخر الدين والحكومة إلى البدو. وتركز الصراع بين الدولة العلية والأمير على حوران والمناطق المجاورة لها، حتى وجدت القبائل نفسها مجبرة على اتخاذ موقف صريح منه: فأيدت المفارجة فخر الدين، وقاتل إلى جانب الأتراك قبيلتان ذكرتا لأول مرة بهذه المناسبة هما السرديه والفحيلي. أحدثت نتيجة الحرب تبدلاً تاماً في علاقات القوة داخل حوران، فنقلت السيطرة من المفارجة إلى السردية، وبرز إلى جانبهم الفحيلي بصفة أمراء اللجاة.

عانت سورية، كغيرها من أقاليم الأمبراطورية العثمانية، الأمرّين من التغيير السريع لكبار الموظفين، إلى أن كان عام 1725م، الذي شهد تبدلاً مهماً تجسد في إضفاء طابع إقطاعي على الإدارات العليا، جعل من بيت العظم المزدهر إلى اليوم أسرة حاكمة، أمسكت بمقاليد الأمور حتى عام 1783م في دمشق، واحتل أفراد منها أو من عملائها مراكز السلطة في الأقاليم المجاورة أيضاً. راقب الباب العالي هذا التطور بقلق. وقام أخيراً بعزل أسعد باشا العظم عام1757م، غير أن خليفته حسين باشا مكي زاده فشل في قيادة قافلة الحج، حتى إن البدو هاجموا الجردة، قافلة الإمداد التي تهرع إلى ملاقاة الحجيج، والقافلة ذاتها، ونهبوهما. اتهمت القسطنطينية أسعد باشا بتحريض العرب على شن الغارة، لكي يثبت أنه شخص لا يمكن الإستغناء عنه.

إرتبطت ظاهرة أخرى بالاقطاعية هي صراعات الأحزاب التي ضجت بها دمشق وحلب في القرن الثامن عشر. بدأت إضطرابات حلب، التي شارك فيها الموالي أيضاً، خلال الحرب الروسية/ التركية عام 1769م، واستمرت إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، عندما تمكنت السلطات من استعادة الأمن والنظام

بواسطة أعمال قمعية رهيبة. وتم في جنوب سورية إخضاع مناصري الأحزاب والبدو بفضل قبضة أحمد باشا الجزار الحديدية، الذي حكم دمشق أربع مرات بين 1784 و1804م.

بدأت ملامح التوزيع الحالي للبدو ترتسم في سياق القرن الثامن عشر. فقد انكفأ الموالي إلى منطقة حلب وحماه، عقب اهتزاز مكانتهم مع تراجع التجارة مع البلدان الأخرى، واستولت عنزة على موقعهم في الصحراء، وتقدم الفدعان والحسنة حتى حلب وحمص، واحتل ولد علي منبسط حوران، ولذلك انتقل في النصف الثاني من القرن حق مرافقة قافلة الحجيج من السردية إليهم. ثم تبعث الرولة هذه القبائل، ومكثت أول الأمر في الحماد ولم تتقدم إلى سهل حوران حتى منتصف القرن التاسع عشر. إلى هذا، أدت الحركة الوهابية إلى قدوم موجة قوية ثانية من عنزة إلى الشمال، تكونت من السبعة والعمارات، فذهب الأولون إلى البادية التدمرية والأخيرون إلى منطقة الفرات.

حاول السلطان محمود منذ عام 1812م إزالة الإقطاع من سورية، مثلما حاول في ولايات الإمبراطورية الأخرى. لكن إجراءاته لم تحقق هنا كامل أغراضها، لأنها فجرت صراعاً بين الباب العالي ومصر كان يهدد بالإنفجار منذ وقت طويل. كان محمد علي، خصم محمود، قد قرر عام 1831م الإستيلاء بالقوة على الأقاليم السورية التي رفض السلطان منحه إياها. بعد احتلال عكا على يد ابنه إبراهيم باشا، سقطت سورية في يد المصريين، واعترف صلح كتاهيا (أيار من عام 1833م) بملكية محمد علي لها. كان حكم المصريين دكتاتورياً وعسكرياً صرفاً، حسّن أحوال الشعب مادياً بفضل إلغاء الأعباء والإمتيازات القروسطية، إلا أن مصادرة الأسلحة وإلزام الناس بالخدمة العسكرية وبالعمل من أجل الغرباء إعتبرا ضرباً من الإضطهاد. في النهاية، إنفجرت عام 1834م تمردات قمعت بطريقة دموية، في حين أخفقت حملة تأديبية أرسلت لإخضاع الدروز وبدو اللجاة (1838)م. بعد عامين من ذلك، وجد إبراهيم باشا نفسه مجبراً على إخلاء سورية تحت ضغط القوى العظمى، رغم انتصاره عند نزب.

جاء الإحتلال بعنصر بدوي جديد إلى سورية هم الهنادي، الذين تحدروا بالأصل من مصر، ورافقوا إبراهيم باشا كفرسان غير نظاميين، ثم بقوا في البلاد بعد انسحابه منها، وسكن معظمهم منطقة حلب. لم يكن الهنادي أول أفارقة يأتون إلى سورية، فقد تكرر منذ عهد الفاطميين إلى وقتنا الحالي قدوم مجموعات صغيرة وكبيرة من المصريين، وقبل كل شيء من المغاربة (أبناء شمال غرب أفريقيا). جاءت الغزوة المغربية الكبرى عام 1855م، عندما اختار الأمير عبد القادر، بطل الدفاع عن الجزائر، دمشق سكناً له، واشترت أسرته ملكية كبيرة في الجولان، مكنتها من ممارسة تأثير عظيم على بدوه. وخدم أتباعها حراساً لقلاع طريق الحج، شأنهم في ذلك شأن قادمين مغاربة آخرين، سبقوهم إلى القيام بهذه المهمة في القرن السابع عشر.

تمثل مذابح المسيحيين، التي حدثت عام 1860م، علامة فارقة في تاريخ سورية. فقد تدخلت الحكومة فيها بطريقة أدت إلى تحسين سمعتها، وأشعرتها أنها تمتلك القوة الكافية لفرض طاعتها في سهب سورية الشمالي، الأمر الذي دفعها إلى إقامة مراكز عسكرية على خط دمشق ـ تدمر ـ دير الزور (1870)م، تمكنها من تحقيق هدفها. هكذا تقدمت المنطقة الزراعية في كل مكان على حساب مناطق الرحل، وبرز شركس الجولان، الذين كانوا قد استقروا فيه عام 1878م، كمزارعين جيدين. ترك بناء السكك الحديدية في التسعينيات أثراً مماثلاً، بلغ ذروته في بناء خط سكة حديد الحجاز، الذي دشنت مرحلته الأولى عام 1908م. هذا التقدم الذي يستحق الإعجاب من وجهة نظر البلاد ككل، حدّ من موارد معاش البدو، خاصة وأن إلغاء مواكب الحج أفقدهم دفعات الصرّة ذات الأهمية الهائلة بالنسبة لحياتهم. ومع أنه تمت تهدئة قلقهم بالموافقة على إعطائهم أجوراً مقابل قيامهم بحماية خط السكة الحديدية، فإنهم علموا علم اليقين أن هذا لن يكون غير تدبير موقت.

خضعت جميع القبائل المقيمة خارج الصحراء للحكومة قبل الحرب، باستثناء قبائل حوران، التي توطن فيها الدروز منذ نهاية القرن الثامن عشر، وخاصة بعد عام 1860م، وبقيت مركز اضطراب دائم.

حين دخلت تركيا الحرب العالمية عام 1914م، إنسحبت القبائل البدوية إلى أكثر مواقع الصحراء بعداً عن المراكز الحضرية، فراراً من ضرائب وأعباء الحرب. وشاركت في الإنسحاب القبائل التي كانت قد عزفت تماماً عن التجوال. ولم تتخذ موقفاً إلا بعد أن حسمت الحرب لصالح الحلفاء، فدخل شيخ الرولة نوري ابن شعلان دمشق في الأول من تشرين الأول عام 1918م بصحبة الجيش العربي/ الإنجليزي. وتكونت بعد ذلك مباشرة حكومة وطنية عربية في دمشق، بموافقة البريطانيين وقيادة فيصل، ابن كبير أشراف مكة ومارست الحكم داخل البلد، بينما خضع الساحل وكيليكيا لجيش الشرق الفرنسي. أبقت مصالح القوى الكبرى المتقاطعة مصير سورية في غياهب المجهول قرابة عام كامل، وقيل إن استفتاءً شعبياً أجري من قبل الأميركان في تموز من عام 1919م أخفق في تقديم صورة واضحة عن رغبات الأهالي. ثم اتفق في تشرين الأول من العام ذاته على جعل البلد منطقة انتداب فرنسي، على أن تشكل سورية الداخلية دولة خاصة بها تحت قيادة فيصل، ويدار لبنان ككيان منفصل عنها. أخيراً، تم في نهاية تشرين الأول تعيين مفوض سام فيها هو الجنرال غورو، وانسحبت القوات الإنجليزية. صحيح أن فيصل وافق على الإتفاق، لكن المناطق الحدودية شهدت صدامات بدأت في مديرية مرجعيون شمال بحيرة الحولة، وتفاقمت بعد السابع من تموز عام 1920م، يوم إعلان فيصل ملكاً على سورية. ومع أن حكومة فيصل قبلت إنذاراً فرنسياً، فقد دخلت جيوش الجنرال غورو يوم 24 تموز الأراضي السورية، واحتلت مدينة دمشق بعد اشتباك عند خان ميسلون، منهية بذلك حكم الملك العربي في سورية، قبل أن تحتل البلاد في الأشهر التالية. أسس الفرنسيون في الأول من أيلول من عام 1920م دولة لبنان الكبير، التي ضمت الحرمون والبقاع، إلى جانب المناطق التي حملت في ذلك الوقت اسم لبنان. ثم قسموا سورية ذاتها إلى دول هي دمشق (تتبعها حمص وحماه والمنطقة الدرزية المستقلة ذاتياً)، وحلب (تتبعها دير الزور وإسكندرونة) ودولة العلويين مع جبال الساحل الشمالية. فيما بعد، وحدت دمشق وحلب من جديد، بينما استمرت الدولتان اللبنانية والعلوية، واستمر الإستقلال الذاتي لجبل الدروز. بعد إقرار معاهدة نهاية عام 1936م، التي أريد بها إعطاء

سورية الحرية، أعيد دمج العلويين والدروز في الوطن الأم.

في البداية، رحب قسم من مشايخ البدو بالسيطرة الفرنسية، مثل رشيد ابن سُميرَ (ولد علي) ومجحم ابن مهيد (فدعان). كما تأقلم نوري ابن شعلان مع الظروف الجديدة، بعد سقوط فيصل. بالمقابل، إتخذ زعماء القبائل المستقرة، التي تداخلت مصالحها بقوة أكبر مع مصالح وجهاء المدن، موقفاً مضاداً من الإنتداب، فشارك شيخ الفضل محمود الفاعور في اضطرابات مرجعيون، واتهم لاحقاً بالمشاركة في محاولة اغتيال تعرض لها الجنرال غورو. وواجه الفرنسيون مقاومة شديدة في حوران، حيث خاض البدو المعارك إلى جانب الدروز، وحولوا منطقتهم إلى مركز للثورة السورية العامة التي نشبت عامي 1925م/ 1927م، وأصابت عدواها في الشمال الموالي قبل غيرهم، الذين انخرطوا في حمأة اضطرابات كبيرة بعد الحرب. حالياً، هدأ البدو بوجه عام، بينما يتواصل تذمر وغضب سكان المدن.

يرتبط تاريخ البدو في سورية بحقيقة أن المنطقة الزراعية، الواقعة بين الفرات الأعلى وسلسلة جبال لبنان الشرقية، ليست محمية بأية عوائق طبيعية، بل توجد مداخل مريحة إليها استخدمها القادمون من جزيرة العرب، هي ممر دمشق، ووادي السرحان وطريق الحج. من جانبه، قدم الداخل السوري مجالاً هائلاً إتسع لعديد من القبائل البدوية، التي كانت تتقدم نحو الأراضي الزراعية بعد الحصاد، وتقصد الصحراء السورية في الخريف، حين تكون الأمطار قد غطتها بنباتات مختلفة. هذه القبائل اقتصرت منذ قرابة مائتي عام على عنزة، أو بالأصح الفدعان، الذين اتخذوا من منطقة حلب مستقراً صيفياً لهم ـ إلى ما قبل فترة قصيرة على الأقل ـ، والسبعة، الذين تركزوا في حماه، والرولة قرب حمص ودمشق ومنطقة حوران، علماً بأن الحدود الشتوية للقبيلتين الأوليين تقع تقريباً قرب وادي حوران، بينما تقع حدود (الرولة) عند صحراء النفود الرملية شمال جزيرة العرب. إحتل الموالي في مطلع العصر الحديث مناطق الفدعان ـ السبعة، التي كانت قبلهم للفضل، وفي مطلع العصر الوسيط لكلاب وسواها من القبائل القيسية. لا نعرف من سكّان منطقة الرولة

الحالية كسكان سابقين غير كلب، التي كانت تنصب مضاربها في الصحراء السورية خلال العصر الجاهلي.

قدمت سورية منذ الأزل مقومات العيش لملاك الجمال وعدد كبير من مربي الحيوانات الصغيرة. في الصيف تكون مقراتهم داخل المنطقة الزراعية. وفي الشتاء تقصد قبائل حلب وحماه البادية التدمرية، بينما تتوغل القبائل القاطنة إلى الجنوب منها في الحماد الشمالي. وكان هناك، إلى ما قبل عقود قليلة، تنقلات قبلية بين الجولان ـ شتاء ـ والبقاع، أو سلسلة جبال لبنان الشرقية، صيفاً. هذا ما ألفت القيام به قبائل الفضل، والنعيم، والعقيدات. أما قبائل مربي الأغنام الكبيرة في الشمال، فهي حديدين حلب وبني خالد، التي تمضي منذ قرون كثيرة الصيف قرب حمص. عرجنا في مقدمة بلاد الرافدين على اثنتين من أهم الطرق، التي كان البدو يستخدمونها عند قدومهم من جزيرة العرب، وهي الطريق التي تقود من شرق جزيرة العرب إلى حلب وتمر بمحاذاة الفرات، وتلك التي تقود من غرب جزيرة العرب إلى دمشق فحمص عبر الحماد. إستخدمت البهرا وكلب الطريق الأخيرة في العصر القديم، إنطلاقاً من موطنهما في الحجاز، واستخدمها بعد ذلك بعض العنزة والرولة في العصر الحديث. أما الطريق الأولى فقد سلكتها تنوخ القديمة إلى شمال سورية. وللعلم، فإن وصول قادمين من الجنوب إلى سورية نادراً ما حدث بصورة مباشرة، أقله عندما كان الأمر يتعلق بقبائل رحل، باستثناء مثال واحد مؤكد هو الولد علي[1]. بالمقابل إمتلأت حوران بسكان من أنصاف رحل شرق الأردن، ممن قدموا إليها عبر هذه الطريق.

شكل السفح الشرقي للجبال الساحلية الحدود التي توقفت عندها موجات الهجرة البدوية. بسبب ضغط من لحقوا بهم، أقلع هؤلاء بين حين وآخر عن العودة شتاء إلى الصحراء، وقصروا حركتهم على السهوب المجاورة، لا بل إن بعضهم

(1) تحولت ربيعة (الفضل والمرا) في سورية أول الأمر إلى بدو رحل. أما الصالح فلا تتوفر لدينا معلومات موثوقة عنها.

كانوا يتحولون إلى ممارسة الزراعة، كما حدث للموالي، وفي العصر القديم لتنوخ. عندما كانت القبائل تجد في نفسها قدراً من القوة يمكنها من تفادي هذا المصير، كانت تكتفي بعبور الفرات إلى أعالي بلاد الرافدين، كما فعل القيسيون في مطلع العصر الوسيط وفدعان عنزة في الآونة الأخيرة. عموماً، ثمة ضغط سكاني ذو اتجاه شمالي/ جنوبي داخل سورية وفي بلاد الرافدين. يؤكد وجود هذا الضغط انزياح الفضل وغيرهم من بدو الجولان الحاليين من منطقة حمص ـ حماه إلى الجنوب، وحدوث انسياب بشري دائم من الجولان إلى شمال فلسطين.

يمثل الغاب، وهو منخفض مجرى العاصي الواقع إلى الجنوب من جسر الشغور، منطقة انكفاء نموذجية، وجدت فيها مزق من جميع القبائل مستقراً لها. واضطرّ بعض البدو إلى الوصول حتى جبال الساحل حيث عملوا كرعاة في خدمة وجهائها وأثريائها.

عندما يقصد البدو المنطقة الحضرية في مطالع الصيف وقد أضناهم العطش والجوع، تركز الحكومات السورية جهودها على حماية الأراضي المزروعة منهم. وقد استخدمت الحكومة التركية في الماضي قبيلة الهنادي لحماية سهل حلب. وكانت حماية محصول حوران، الذي توقف إمداد دمشق بالغذاء عليه، واحداً من أهم التزامات الوالي. وتتضمن حوليات دمشق تقارير مهمة حول هذا الموضوع، وضعها ابن طولون، وكذلك مستندات القرن السابع عشر التركية. وفي العصر الحديث وصف شوماخر مراراً انطباعاته حول تدابير الحكومة المكرسة لحماية المحاصيل.

حقق توطين البدو، الذي شجعته السلطات وحفزه التطور المفاجئ للبلاد، تقدماً كبيراً منذ عام 1860م، خاصة في المنطقة الواقعة بين حلب وحماه وفي الجولان. ثمة تغير آخر مهم هو تحول البدو من تربية الجمال إلى تربية الأغنام. وأخيراً، فإن الأراضي والقرى التي أهداها السلطان عبد الحميد إلى شيوخ البدو، ما لبثت أن زادت من اهتمام هؤلاء بحماية الزراعة.

بينما تمكن طرق المواصلات الحديثة الحكومة في أيامنا من ممارسة رقابة

سهلة نسبياً على عنزة وغيرها من قبائل الصحراء، فإن هذا ليس هو الحال بالنسبة إلى أنصاف الرحل. وعلى سبيل المثال، فإن الحرب التي دارت طوال سنوات في منطقة حماه بين الحديدين والموالي، لم تبلغ بعد نهاية أكيدة، ولم تتم كذلك تهدئة النزاعات القائمة بين بدو حوران وجيرانهم الحدوديين في شرق الأردن، رغم مساعي السلطات. بالمقابل، تمكنت الحكومة من تسوية نزاع نشب بين قبائل عنزة (1929م).

بذلك، يصل حديثنا إلى العلاقات السياسية القائمة بين القبائل البدوية، التي تتعين بالدرجة الأولى بالتناقض بين مجموعتي عنزة: بشر (فدعان، سبعة، العمارات) وضنا مسلم (الرولة، ولد علي، حسنه)، والذي يعود أيضاً إلى النزاع الذي ذكرناه قبل قليل. هذا التناقض يعبر عن نفسه في انحيازات قبائل السهب الشمالي الصغيرة: حيث يقف الحديدين والبني خالد إلى جانب الفدعان/ السبعة، ويقف أعداؤهم الموالي والفواعرة إلى جانب الضنا مسلم. في الجنوب تخضع حياة القبائل للعداء بين شعب حوران بمجموعه، سواء كان من أصول بدوية أو درزية من جهة، وبين عنزة من جهة أخرى.

سنتبع في ترتيب القبائل في هذا القسم مواقع القبيلة انطلاقاً من الشمال إلى الجنوب: حلب، حماه، حمص، دمشق، حوران، الجولان. ويحتل السردية ذيل القائمة فيه، لأنهم ينتمون في الحقيقة إلى شرق الأردن. ويجب أن نتذكّر أن أكبر قبيلة سورية، العنزة، قد عولج في قسم بلاد الرافدين.

قبائل مستقرة قرب حلب

يتسم السهل السوري الشمالي، الواقع بين حلب والفرات وصولاً إلى جبال آسيا الصغرى، بدرجة كبيرة من الكثافة السكانية. فقد استقر فيه، إلى جانب شعب من فلاحين قدماء، بدو يعيشون كفلاحين، لكنهم حافظوا على تنظيماتهم القبلية. يعيش هؤلاء حول منبج وباب، وهناك بعض الوجود المتفرق لهم في دائرة اعزاز أيضاً، يمتد في الشمال الشرقي حتى نهر الساجور، حيث يجاورون قبائل كردية وتركمانية، ويبلغ في الشمال الغربي جوار كلّز، وفي الجنوب بحيرة الجبول الملحية وجبل الحص، قبل أن تتجه مستقراتهم من هناك نحو الغرب متخطية سكة الحديد وصولاً إلى طريق حلب/ إدلب. قدم العدد الأكبر من هذه القبائل المستقرة من وادي الفرات، مثل بني سعيد، وابو سبيع، وفردون، والبوشيخ والولدة. وجاءت كذلك إلى هنا مزق من قبائل عراقية مثل بني جميل وبني زيد. يعتقد تيرييه أن هؤلاء جميعاً ارتحلوا إلى هذه المنطقة في القرنين الثامن والتاسع عشر؛ وبالفعل فإن نيبور ينسب بني سعيد والفردون وكذلك البوسالم إلى أورفة ـ الرقة.

تركز ثقل البوسعيد في منبج، قبل أن تبادر الحكومة إلى توطين الشركس فيها بعد الحرب الروسية/ التركية عام 1877م/ 1878م. تراجع عدد البوسعيد مقارنة بالماضي، لكنهم بقوا أقوى قبائل المنطقة، تليهم الولده (جنوب حلب)، فخذ قبيلة البوشعبان التي تحمل الاسم نفسه ولم تزل لهم علاقات مع أخوتهم على الفرات.

قبائل مستقرة عند حلب(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة السكن	عدد الأسر
1 ـ "الجلاد"(2)	حسن جاسم العيسى	منبج	120
2 ـ بني سعيد(3)	شلاش بن ابراهيم الدرويش(4)	ساجور/ الباب	1220
أ ـ المقادمة(5)	عيسى الظاهر		
ب ـ القنايم وبني سعيد	شلاش بن ابراهيم		
جـ ـ البوبطوش(6)	يونس العبد المجيد		
3 ـ ولد علي(7)		منبج	90
4 ـ أبو سبيع(8)	حسن الحاج حسين	الباب	70
5 ـ فردون(9)	محمد بن مصطفى الخلف	نهر الذهب	400
6 ـ بني جميل(10)	احمد بن عثمان	جبول	400
7 ـ بني زيد(11)	محمد العيسى	حلب	300
8 ـ السكن(12)		الأحص	250
9 ـ الولدة(13)		حلب	450
أ ـ الحويرات	جميل العيسى		180
ب ـ الصعب	فرج العلي		120
جـ ـ المسرة	شريف الحسين		100
10 ـ البوشيخ(14)	عبد الكريم الحاج حسن(15)	حلب	440
أ ـ البوشيخ			120
ب ـ الواكد			100
جـ ـ الشاهر			70
د ـ البوسالم(16)			40

ملاحظات حول جدول القبائل المستقرة قرب حلب

1 ـ يقتصر الجدول على قبائل أصبحت مستقرة في أغلبيتها أو معظمها. للحصول على نظرة عامة تبين مواطن البدو في منطقتنا، يستحسن الأخذ بما جاء في الملاحظات رقم 6 من جدول جيس، و38 من جدول البقارة، و1 من جدول الحديدين (سورية) و5 من جدول قبائل حلب المتجولة الصغيرة، و1 من جدول النعيم (سورية). كما أننا لم ندرج هنا سكان الفرات، المذكورين في نهاية القسم السابق. ينضوي الهنادي جغرافياً ومن حيث نمط حياتهم هنا، لكننا خصصناهم بمقالة خاصة بسبب تاريخهم المميز.

يستند الجدول إلى تيرييه، لكننا أهملنا العجيل (إلى الجنوب من كلّز)، الذين يرد ذكرهم في الصفحة 185 من كتابه.

2 ـ ابتون، ص219. تيرييه، ص175.

3 ـ نيبور: جزيرة العرب، ص393. جدول شبرنغر، رقم 137: 4500 مسلح. إليوت عند فرازر، الجزء الأول، ص366. شيسناي: الجزء الأول، ص421. ابتون، ص218. ساخاو، ص150: 2000 ـ 3000 خيمة. تيرييه، ص181 وما يليها.

4 ـ 1897م: عابد بن ثامر. يذكره ساخاو أيضاً. ويذكر ابتون أباه.

5 ـ ابتون: ص219.

6 ـ فخذ من البوبطوش، يضم 140 أسرة يسكنون اخترين وغيرها من قرى دائرة اعزاز. عشيرة أخرى صغيرة من بني سعيد (22 أسرة) تسكن آق برهان جنوب غرب كلّز.

7 ـ تيرييه، ص103 يذهب قسم من القبيلة شتاء إلى البشري. يدعي تيرييه أن الولد علي هم فخذ من عشيرة عنيزة التي تحمل الاسم ذاته. لكن هذا ليس مؤكداً.

8 ـ تيرييه، ص101. يحسب الأبوسبيع أنفسهم على البوشعبان. إنهم أنصاف

رحل ويقضون الشتاء قرب العنز.

9 ـ نيبور: جزيرة العرب، ص393: الفرادنة. رامبليس، ص269. ابتون، ص218. تيرييه، ص178. ميسورون نسبياً، من البوشعبان على ما يظن.

10 ـ تيرييه، ص101. قبيلة فقيرة.

11 ـ تيرييه، ص91: ترسل القبيلة قطعانها في الشتاء إلى شرقي بحيرة الملح.

12 ـ نيبور: ص395: سجن. حسب بوركهاردت، ص9 من أصل غير عربي. لا وجود لهم عند تيزييه، لكنهم ذكروا عام 1897م.

13 ـ تيرييه، ص82. بعض الخيام تترحل في الشتاء. خمس قرى على بعد 30 إلى 40 كيلو متراً جنوب حلب.

14 ـ البوشعبان. ابتون: ص219. تيرييه، ص85. في تحالف مع ولدة حلب. بعض الخيام تترحل في الشتاء مع قطعان القبيلة. القرى: زربة، برقوم، القناطير، كماره. (خارطة بلاد الرافدين وسورية 1: 400000).

15 ـ متزوج من حلبية، يمضي الشتاء في حلب.

16 ـ نيبور، ص393. ابتون، ص219.

هنادي

قدم الهنادي في ثلاثينيات القرن التاسع عشر من شمال أفريقيا إلى سورية، وهم قبيلة صغيرة توطنت بين حلب والفرات ـ يسكن قسم آخر منها في فلسطين، تعيش قبيلتها الأم في مصر إلى اليوم، وترجع نسبها عبر هند[1] بنت سلام إلى الذيب وسعده، الأبوين الأولين لمجموعتي البدو المصريتين الكبيرتين: سعادي وسلالمه[2]. حافظ هنادي سورية أيضاً على شجرة نسبهم هذه، كما تبين صيحة الحرب لديهم: أخوة سعده. هذا النسب من الممكن أن يكون مختلقاً وحديث العهد، لأن مؤرخي العصر المملوكي، الذين يعتبرون السلام قبيلة ليبية والبوديب شيوخاً لبني جعفر الموجودين هناك أيضاً، لا يعرفون شيئاً عن القرابة بين هاتين القبيلتين[3]، اللتين قد تكونان من أصول بربرية، كما يؤكد كتاب المماليك بالنسبة إلى بني جعفر.

ليس في حوزتنا أية معلومات حول تاريخ الهنادي الأقدم، وإن كنا نعلم أنهم

(1) إشتق هنادي من هذا الاسم، النسبة: هنداوي، رامبليس، ص2. بلور: هنيدوي. أنظر: وصف مصر، الجزء 16، ص131.

(2) أنساب قبائل السعادي والسلالمة، مخطوط بالانجليزية والعربية جمعه براملاي، رئيس دائرة بدو مصر، في العام 1910م نقلت المعلومات عن عدد من الشيوخ.

(3) المقريزي: قبائل عربية في مصر، ص85. إبن خلدون: بربر، الجزء الأول، ص8.

سكنوا في منتصف القرن الثامن عشر مقاطعة البحيرة المصرية من أعمال الدلتا الغربية، وطردهم أولاد علي، القبيلة الأكثر أهمية في تلك المنطقة، عبر النيل إلى مقاطعة الشرقية، فانتشروا من هناك بمحاذاة مجرى النيل إلى بني سويف وجرجه[1]، حيث تحولوا إلى الإستقرار بعد أن حطم محمد علي سطوتهم. ما إن جاء عام 1898م، حتى كان استقرارهم قد قطع شوطاً بعيداً، فلم يجد مصنف السكان المصري غير 137 شخصاً من البدو الرحل من بين أبنائهم الـ27103. جنت أسرة شيوخ الهنادي ثروات كبيرة، وهي تمتلك داراً جميلة في القاهرة.

هاجر الهنادي، منذ بداية القرن التاسع عشر، فرادى إلى فلسطين وسورية. ثم رافقت أعداد كبيرة منهم الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا، الذي احتل سورية عام 1832م. رابط قسم من قوات القبيلة قرب غزة[2] في فلسطين، كما تبعهم فيما بعد الشيخ عقيلة آغا إلى الجليل[3]، بينما وطن إبراهيم باشا قسماً آخر منهم بين حلب وبحيرة الملح في الجبول، سعياً منه لإقامة حاجز يصد عنه غارات البدو[4]. هؤلاء الهنادي استخدموا فيما بعد ضد الأتراك، وقادهم شيخهم حجي بطران بعد معركة نزب (24 حزيران 1839م) إلى سورك ورأس العين، لكن شمّر ردتهم على أعقابهم[5].

بقي الهنادي في سورية، عندما غادرها الجيش المصري في السنوات التالية. وقد أدخلتهم الحكومة التركية في خدمتها، واستخدمتهم كشرطة ضد البدو، لكنهم عجزوا عن حماية الفلاحين منهم إلا في حالات نادرة. حبذا لو قرأ المرء

---

(1) بوركهاردت، ص318 ـ مايو، الجزء الأول، ص43. وصف مصر، الجزء 16، ص131، ج. ف. موري: أبناء إسماعيل، لندن 1935م، ص294.

(2) روبنسون، الجزء الثاني، ص654.

(3) تابع مقالة هنادي في قسم فلسطين.

(4) أنظر رامبليس 1 ـ 25، ص155 و274.

(5) أينسورث: أسفار وبحوث في آسيا الصغرى، بلاد الرافدين، خالدية وأرمينيا، الجزء الأول، ص318، الجزء الثاني، ص103 و165.

الملاحظات الصائبة عنهم في كتاب رامبليس "في صحراء سورية"[1]، الذي وضعه مؤلف مجهول هو سكين، القنصل الانجليزي في حلب ـ بعد أن صحب مرات عديدة خلال عامي 1859 ـ 1860م شيخ الهنادي حجي بطران في أسفاره. عام 1860م، ألقى فؤاد باشا، الذي كان قد أرسل إلى سورية مزوداً بصلاحيات غير محدودة من أجل قمع الحركة المعادية لمسيحييها، ألقىٰ القبض على حجي بطران، وأوكل منصب "حاكم الصحراء" الذي كان يتولاه هو إلى أحد أعيان حلب. واصل الهنادي فيما بعد التطوع في الجيش والدرك التركيين. فكان الشيخ حسان آغا، الذي قابلة زاخاو عام 1880م، برتبة مقدم في الجيش، وكان أخوه أحمد ملازماً في الدرك.

يسكن الهنادي الآن شمال الجبول[2]، ويعملون في الزراعة وتربية المواشي واستخراج الملح. وقد تراجعت أعدادهم تراجعاً كبيراً بالمقارنة مع الماضي، إذ قدر عدد القادرين منهم على حمل السلاح بـ1700 رجل عام 1860م، وألف رجل عام 1880م[3]، ولم يبق منهم عام 1930م غير 50 أسرة فقط. (تيرييه، ص100): شيخهم: جنيد البطران[4].

قدمت أسر عديدة في التسعينيات من القرن التاسع عشر من مصر إلى سورية، وسكنت قرب حماه، حيث انضم إليها مهاجرون من طرابلس، قدموا إلى هناك بعد الحرب التركية/ الايطالية.

(1) انظر ص 1 ـ 25، 155، 274.

(2) قابلت الهنادي أيضاً في أرض أبو جلجل (شرق الباب).

(3) رامبليس، ص2 ـ زاخاو: رحلة في سورية وبلاد الرافدين، ص143.

(4) ينتمي البطران إلى عشيرة البراعصة. أسعد منصور: تاريخ الناصرة، ص75.

حديدين(1)

كان الحديدن السوريين مثل أقربائهم في بلاد الرافدين، متفككين إلى مجموعات صغيرة من الرعاة المسالمين تعيش على أطراف المنطقة الزراعية، ثم تدامجوا في العقود الأخيرة أكثر فأكثر بعضهم مع بعض، وتبنّوا نمط حياة أنصاف الرحل. يدين الحديدين بهذا التطور إلى أسر شيوخهم، التي عرفت كيف تستغل فرص تراجع البدو الرحل، وتفيد من تطورات حقبة ما بعد الحرب. نجحت الأسرة، أول الأمر، في تجميع نواة قبيلة البوكنش وأتباعها من حولها، ثم أخضعت بقية العشائر لسلطتها، فحل التنظيم السياسي الصارم محل روابط الدم الواهية ـ عدد الحديدين الأقحاح في القبيلة قليل جداً ـ، وتنامت ملكيات القبيلة بسرعة وتوسعت مناطق انتشارها، فزاد قطر دائرتها إلى أكثر من الضعف بين عامي 1880م و1914م. وأصبحت القبيلة شبيهة بالبدو الأقحاح في عاداتها وتقاليدها وحتى في لغتها.

شهدت حقبة ما بعد الحرب بداية تطور معاكس، تسارع مع سنوات الجوع عامي 1932م و1933م، التي جعلت الحديدين ينتقلون إلى الزراعة، ولكن دون أن يفقدوا شيئاً من تماسكهم وقوتهم القتالية، لأن المؤثرات التفكيكية، التي تصاحب استقرار البدو عادة، لم تحدث عندهم، لأنهم استقروا غالباً في أراضي شيوخ

(1) أنظر حول تاريخها المقالة التي تحمل الاسم ذاته في قسم بلاد الرافدين.

مشايخهم، أو بقوا تابعين لهم بسبب ما كانوا يقدمونه لهم من سلف مالية[1].

غيّر صعود الحديدين السريع توازن القوى في ديرة الشنبل وسبب نشوب صراع مفتوح مع الموالي، الذين كانوا يعتقدون أنهم لا زالوا سادة تلك الأرض، وكان الحديدين يدفعون لهم الإتاوات في الماضي. وقد قدمت حادثة تافهة المناسبة المطلوبة: فقد تشاجر رعاة الأبرز (1 ط) ورعاة من عشيرة لهيب التابعة للحديدين حول استخدام بئر ماء، فما كان من اللهيب إلا أن طلبوا الإنضمام إلى الموالي، لاعتقادهم أن حقوقهم قد انتهكت، فكان جواب الحديدين على هذا الانفصال إعلان الحرب على الموالي. بدأت الأعمال العدائية عام 1920م، وكانت ستنتهي دون شك بهزيمة الحديدين، لو لم تتدخل سلطات الانتداب لإنقاذهم. سددت قوات الحكومة ضربات شديدة ومتكررة إلى الموالي، فتوقفت الحرب تدريجياً بين القبيلتين، ثم استعرت عام 1930م من جديد مع مقتل الأمير عبد الرزاق. الحكومة مدت يد الحماية هذه المرة أيضاً إلى الحديدين، فلم تحدث عملية ثأر دموي. ولكن، لم يتم عقد السلام إلى الآن.

يقيم الحديدين في الصيف بين حلب وحماه إلى الشرق من خط السكة الحديد[2]، حيث يزرعون أراضيهم، ويعملون كعمال زراعيين أو يقومون بأعمال نقل على جمالهم. أما في الشتاء، فهم يتنقلون في السهب السوري الشمالي بين اسريا والرصافة والسخنة، ويتوغلون أحياناً إلى عمق الصحراء (وادي المياه). تقع مستقرات الحديدين على بعد خمسين كيلو متراً إلى الجنوب من حلب. وقد تمت عام 1928م تسوية نزاعات الملكية بينهم وبين الموالي، حين رسمت لجنة حكومية حدود مناطق سكن القبيلتين، وتمت مبادلة المناطق المتداخلة لكل واحدة منهما لدى الأخرى.

تعتبر أسرة شيوخ الحديدين ـ آل إبراهيم ـ من أصول غامضة. ويقال إن أباهم الأول كان علوياً (نصيري) يعمل ساقي قهوة لدى أمير الموالي. وقد تسامت مكانتها منذ

---

(1) أنظر الملاحظات الممتازة حول التنظيم السياسي والاجتماعي للقبيلة لدى البرت دو بوخمان: مدونات حول صراعات قبيلتين تربيان الأغنام في سورية: الموالي والحديديين. باريس 1934م.

(2) مؤخراً إلى الغرب منها أيضاً.

ستينيات القرن الماضي بفضل الشيخ شرخ[1]، وارتقت بسهولة لأسباب منها افتقار القبيلة إلى التقاليد. ثم رفع صالح، إبن شرخ، سمعة الأسرة بزواجه من أخت أمير الموالي عبد الكريم[2]. وواصل الشيخ الحالي، نواف الصالح (ولد حوالى عام 1888م)، عمل آبائه، وهو ربيب مدرسة القسطنطينية البدوية، وكان ضابطاً في الجيش التركي واحتفظ برتبة وراتب المقدم، حين تولى المشيخة (حوالى عام 1915م)[3]. رغم ماضيه هذا. سعى نواف بعد الحرب العالمية إلى الالتحاق بالحكومة الجديدة، وحصل على ما أراد، فصار فارس جوقة الشرف وعضو الجمعية الوطنية السورية لعام 1928م[4].

أبدى نواف براعة كبيرة في سياساته العائلية كما في قيادة قبيلته. وقد تصاهر مع السبعة والموالي واشترى ممتلكات واسعة. واستأجر مناطق شاسعة قرب الخرايق من إدارة الأراضي، أصلح مرافق ريها المعطلة واشترى لفلاحتها محراثين يعملان بالمحركات. إلى هذا، عمل نواف قاضياً بنجاح وقرّب الحديدين بإحداث هذا المنصب الذي كان غير موجود لديهم حتى ذاك الحين، من البدو الأقحاح. إختار نواف، من أبنائه الاثني عشر، ابنه سطام خلفاً له.

الحديدين(1)

شيخ المشايخ: نواف الصالح

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ القومة(2)	نواف الصالح	الخرايق، صيفاً	2350
أ ـ أبو كنش(3)	أحمد الصالح	ديرة الشنبل، شتاءً	130
ب ـ أبو صليبي			200
جـ ـ ابو جميل			150

(1) أبتون: ص216.

(2) منذ ذلك الوقت إرتفع سعر دم ومهر الأسرة. بالنسبة لتقويم وضع القبيلة السابق هناك تصريح للأمير يعبر عن ذلك أفضل تعبير: "يوجد الآن خمسة فرسان لدى الحديدين هم أبناء شقيقتي"، (بالفرنسية).

(3) تيرييه، ص80. كخليفة لأبيه. دوبوخمان، ص41: كخليفة لأخيه شامان.

(4) إنه الآن نائب من جديد ويتلقى عوناً بالليرات السورية. 1934م.

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
د ـ آل جوالي			70
هـ ـ آل مراسة			100
و ـ الجميلة(4)			70
ز ـ أبو كعيران			90
حـ ـ ابو فاتلة			50
ط ـ الأبرز(5)	حمدي المشعل		500
ي ـ ابو شهاب الدين(5)	محمد حسين ابو جاسم		300
قبائل ملتحقة بها(6)			
أ ـ حرب			40
ب ـ نعيم			20
جـ ـ بقارة			60
د ـ البومانع			50
هـ ـ البوسرايا			20
و ـ أبو عاصي			40
ز ـ البو عيسى			150
2 ـ الفناطسة	محمد السفوق الرجو(7)	صيفاً: مسكنة/ جبول شتاءً/ ديرة الشنبل	335
أ ـ ابو عطيري			75
ب ـ التويمات			60
جـ ـ ابو تابن(8)			45
د ـ الجفاطين(9)			30
3 ـ البوحسن	ابن سرحان	سلمية صيفاً	
	خليف بن ابراهيم	تدمر شتاءً	500
4 ـ آل جملان(10)		تدمر	350

ملاحظات حول جدول الحديدين

1 ـ يستند الجدول إلى تيرييه، ص80 وما يليها. وموزيل: بالميرينا، ص151. يتفق المخطط البياني عند دوبوخمان، ص38، تمام الإتفاق مع الجدول. عدد الخيام لدى موزيل 2000، وفي معلومة أقدم 800 فقط. تعيش مائة وخمسون عائلة منفصلة عن القبيلة، في خمس قرى إلى الجنوب الغربي من منبج (تيرييه، ص176). عدد المواشي: 500 حصان، 8000 جمل، 10000 ـ 15000 رأس غنم الوسم: ـــ (حية).

2 ـ يستخدم دوبوخمان التعبير قوم نواف، لأن كلمة قومة القديمة (تقرأ: قوامة) النادرة الاستعمال تصف ببساطة القبائل الرحل التي تعيش في السهل الواقع إلى الشرق من حماه.

3 ـ هم "الكنافوشة" في جدول روسو، ص69. دوبوخمان يوسع المفهوم كي يشمل الأفخاذ من ب إلى ز.

4 ـ ينتسب إلى الفرع الذي يحمل الاسم ذاته، الملتحق بجيس من البقارة.

5 ـ شاوية.

6 ـ الثلاث الأولى هي طبعاً مزق من القبائل المعروفة التي تحمل هذه الأسماء، البومانع، هم أيضاً بقارة، البوسرايا هم عقيدات، أما القبيلتان التاليتان فهما بوخميس وولده.

7 ـ ولد عام 1900م، تبع عام 1925م والده صفوق. وهو غني لكنه بخيل ويخضع لتأثير شيخ الفدعان مجحم بن مهيد.

8 ـ عند موزيل: تيرييه يسميه ثابت.

9 ـ عند موزيل. تيرييه: "شغاتين".

10 ـ يظهرون عند نيبور ـ في كتاب جزيرة العرب ـ، بين القبائل التابعة للموالي. يسمون أيضاً أولاد جملان، ويقع مدفن أبي قبيلتهم الأول الشيخ فرج إلى الشمال من سلمية.

قبائل حلب الرحل الصغيرة

ترافق الحديدين كل عام أربع قبائل صغيرة من سهل حلب إلى جبل البشري، تسمى: كيار، وهب، البوخميس ولهيب. يشق الكيار واللهيب، اللتان تخيمان قرب حلب، طريقهما عبر إسرية، وتأخذ القبيلتان الأخريان، اللتان تمضيان الصيف في منطقة الباب، طريقاً يقع إلى الشرق يمرّ عبر عنز. تتبع القبائل الأربع الحديدين، وتدفع خوّة لهم وللفدعان. لا نعرف شيئاً دقيقاً عن أصل الكيار ووهب، بينما البوخميس[1] واللهيب من الزبيد، علماً بأنهما انتميتا في السابق إلى العبيد، وقدمتا إلى سورية عندما دمرت شمّر اتحادها (بداية القرن التاسع عشر). ما زال اللهيب إلى يومنا هذا محاربين أشداء، وكانوا في الماضي لصوصاً مرهوبي الجانب.

(1) أنظر الملاحظة الأولى حول شجرة نسب الدليم في مقالة الزبيد.

قبائل حلب الرحل الصغيرة(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة تجوال	عدد الخيام
1 ـ كيار(2)	نجم بن الياس(3)	صيفاً: اخترين شتاء: الرصافة	270
أ ـ "الاود"	نجم بن الياس		45
ب ـ الحمران			50
جـ ـ البوعبد الله	مضحى السلوم		35
د ـ غرانطة(4)	ناصر الخلف		30
2 ـ وهب(5)		صيفاً: الباب / شتاء: البشري	280
3 ـ البوخميس(6)	علي الحسين الراشد	صيفاً: جبول/ شتاء: البشري	350
أ ـ المحسن	علي الحسين الراشد(7)		80
ب ـ الجدعان			60
جـ ـ الهزيم			80
4 ـ لهيب(8)	اسعد العاشق(9)	حلب/ بشري	275
أ ـ الزيارة	أسعد العاشق		
ب ـ البوحسن	سطام الجدعان		
جـ ـ الفرج	حمد الاسماعيل		
د ـ الزامل	أحمد الإبراهيم		
هـ ـ العوابدة	نزال الدرويش		
و ـ الرشيدات	رحيل		
ز ـ الغانم	نهار الغانم		

ملاحظات حول الجدول

1 ـ وضع الجدول وفق معطيات تيربيه. ووضع قسم من الملاحظات وفق استقصاءات شخصية.

2 ـ سجل: كيار، قارن: موزيل: بالميرينا، ص151. تيربيه، ص83: "كيلر". نيبور، جزيرة العرب، ص395: الكيار "يدفعون ضريبة إلى أصحاب الممالح" (في الجبول). عدد مواشيهم: 2500 جمل، 25000 رأس غنم ومعز.

3 ـ 1897م: إلياس.

4 ـ يذكرهم نيبور (ص394) بين القبائل التابعة لأمير الموالي.

5 ـ تيربيه، ص86. عدد المواشي: 2300 جمل، 22000 رأس غنم، 2400 رأس معز. ولديهم خمس قرى في الأملاك الأميرية.

6 ـ بلنت: الجزء الثاني، ص193. ساخاو، ص132، 252. تيربيه، ص83. عدد الماشية: 2000 جمل، 25000 رأس غنم ومعز. سكنوا في الماضي على البليخ الأعلى، لذلك لم يزالوا إلى اليوم على عداء مع جيس.

7 ـ يتلقى دعماً مالياً من الحكومة (1938م : 512 ليرة).

8 ـ بلنت: الجزء الثاني، ص 193. ساخاو، ص127. ملاحظة رقم1. تيربيه، ص88 وما يليها. عدد الماشية: 10000 رأس غنم. لديهم بعض القرى جنوب شرق محطة القطار، المسماة الحميدية.

9 ـ سلفاه: عاشق الملّي (تيربيه، ص74) 1897م. سلوم الملّي، الذي كان عام 1887م في منصبه (ZDPV Bd. XX 111.5.75) .

موالي

قبل تغلغل عنزة في الصحراء السورية، إمتدت منطقة الموالي من حلب إلى الخابور ومن بيره جيك إلى حدود العراق. ومنحتها سيطرتها على طرق التجارة المنطلقة من حلب مكانة فريدة بين القبائل العربية في القرنين السادس والسابع عشر. غير أن وجودها يقتصر اليوم على الرقعة بين معرة النعمان والبادية التدمرية، ولم يعد لديها ما يذكّر بأهميتها القديمة غير لقب الأمير أبو ريشة الذي يحمله شيوخها، وحكاية خرافية خبت أصداؤها، تنسب تأسيسها إلى أحد الأمويين أو العباسيين، يرويها الزوجان بلنت[1] على النحو التالي: حظي أمير أموي بحب زوجة القيصر تيودورا، عندما كان مبعوثاً في قصر جوستيان. وعندما غادر بيزنطة، زودته هذه بنُقدد كثيرة، وأهدته عدداً كبيراً من العبيد من الذكور والإناث مما يمكنه من تأسيس مركز مستقل في وطنه. ترحّل الأمير مع عبيده في الصحراء، وأسس قبيلة سميت موالي نسبة إلى أفرادها، الذين كانوا عبيداً وهبوا الحرية. ويورد رامبليس الحكاية في صورة مغايرة ضمن كتاب "صحراء سورية"، ص160، تقول إن السلطان التركي مراد؛ رابع السلاطين الذين حملوا هذا الاسم وفاتح بغداد، هو الذي غمر بعطاياه الأمير الأموي. هنا يختفي النفس الرومانسي المرتبط بحب زوجة القيصر للأمير

---

(1) بلنت الجزء الأول، ص73. ثمة شيء مماثل تماماً لدى ابتون: توضيحات، ص212، ولكن مؤسس القبيلة هنا عباسياً.



الأمير عبد العزيز بن ابراهيم شيخ الموالي (1899م)

العربي، وتدور القصة في القرن السابع عشر وليس السادس - توجد الصورة الأقدم للحكاية في جهان نامه[1] لحجي خلفا (توفي عام 1658م): قدم حمد أبو نُعير من أسرة حيار، جد أبوريشه الأول، خدمة جليلة لسلطان مصر إبان إحدى الحملات، فأهداه هذا ضمامة ريش يزين بها عمامته، عادت عليه بلقب أبو ريشه، كما قدم له آلاف القطع النقدية الذهبية، كي يشتري عبيداً طيعين يضمن بهم سيطرته على قبيلته. وقد سمي أبناء هؤلاء العبيد بأسم الموالي، أي من لا يقدرون أن يصبحوا أمراء.

بدل الأمير، يظهر هنا شيخ حمد أبو نُعير من أسرة حيار، الذي يحميه سلطان من مصر وبهذا نصل إلى أرضية تاريخية، فالحيار[2] إسم أمير من الفضل

---

(1) انظر جهان نامه ص 591.

(2) هذا هو الاسم وفق المعلومة الحرفية لابن بطوطة، الجزء الأول، ص409. جودفروا - دومومبين، ص190. الملاحظة 2 تسمية حيار، بالاشارة إلى المشتبه، ص193، حيث يذكر النص حَيّار، وتقول الأحاديث حَيار. وعند ابن خلدون، قلقشندي (وكذلك في

(توفي عام 777هـ/ 1375م). ونُعير لقب ابنه الشهير محمد، حليف المماليك في الدفاع عن سورية ضد تيمور. تجعل الحكاية الأخيرة مؤسس القبيلة من الفضل[1]، وتشرح لماذا تعتبره سليل خلفاء: ألم يرجع أمراء الفضل نسبهم ـ وإن على غير وجه حق ـ إلى اقتران أميرة عباسية بجعفر البرمكي[2].

إذا كانت الحكاية تتضمن شيئاً من الحقيقة، وجب تصديق ما تحكيه أيضاً حول تركيب الموالي، خاصة وأنه يوجد منذ العصر الوسيط المتأخر قبائل تتكون من عبيد أو معتقين (موالي). يخبرنا كتاب المماليك[3] عن قبيلة موالي اسمها آل بشار تسكن جبل الحص، غير بعيد عن حلب والجزيرة بعد الفرات، في مناطق سيطر عليها الموالي لاحقاً. كان البشار اتحاداً قوياً منذ القرن الرابع عشر، غير أن انقسامهم حال بينهم وبين التفوق على الفضل، سادة الصحراء السورية آنذاك. ومن أجل التخلص من نقطة ضعفهم هذه، بحث البشار إبان القرن الخامس عشر عن قائد، ووجدوه في عضو من بيت أمراء الفضل[4]، تهمل المراجع، للأسف، اسمه، وهو بالتأكيد حمد ابو نُعير، الذي تورد الحكاية اسمه وكان ينتمي حقاً إلى الفضل. هكذا يكون بحوزتنا تقرير تأريخي عن نشوء الموالي، يخبرنا أن هؤلاء خرجوا من قبيلة عبيد آل بشار في القرن الخامس عشر.

عرف الموالي نهوضاً مفاجئاً بقيادة أسرة شيوخ الأبوريشة، التي أسسها حمد

صبح) وحجي خلفا: خيار، جبار، كذلك يفعل هامر: تاريخ الإليخان، الجزء 2، ص89 وحبار. يتذبذب أبو المحاسن (ابن تغري بردي) الجزء 5 بين جيار، حيّار وحيار.

(1) ليس بوسعنا قول المزيد موقتاً، لأنه لا ذكر لأحمد أبو نُعير بين أمراء الفضل المعروفين.

(2) لذلك يقول محبي، الجزء الثاني، ص222 عن أمير موالي من القرن السابع عشر: يزعم أنه من ذرية جعفر البرمكي.

(3) الحمداني عند القلقشندي، ص84.

(4) تابع: عمري (توفي عام 1341م)، في صبح، الجزء الرابع، ص232 مع مقصد (القرن 15) لدى جودفروا ـ دومومبين، ص221 بحسب المقتصد، قدم البشار حوالى 200 شخص كعبيد في إسطبلات سلاطين المماليك.

أبو نُعير، ونجحوا في طرد الفضل من السهب والحلول محلهم. يبدو أن هذا حدث زمن استيلاء العثمانيين على سورية، وربما كان يرتبط أساساً به، باعتبار أن الموالي انحازوا إلى العثمانيين في حين بقي الفضل على ولائهم للمماليك: سادة البلد القدماء.

تحولت أراضي حماه ووادي الفرات إلى ما وراء عانة إلى مواقع ارتكاز رئيسة للموالي، الذين وصلوا في الشمال إلى بيره جك وحران[1]، وفي الشرق إلى الخابور. وتكونت منهم مجموعتان في أقل تقدير، إنتشرتا في منطقتين مختلفتين، تنقلت إحداهما بين الخابور ـ صيفاً ـ والسلمية ـ شتاءً ـ[2] والثانية بين حماه والبادية التدمرية[3]. ولا يزال الترحال الشتوي للقبيلة يجري في الاتجاه ذاته، ولكن دون أن تتخطى السهب الشمالي، بينما كانت تصل في الماضي إلى الوديان[4]، في عمق الصحراء السورية. باستثناء التركمان[5]، الذين كانوا آنذاك أوسع انتشاراً بكثير منهم اليوم، خضع أنصاف البدو الرحل في شمال سورية دون أي استثناء للموالي، وخاصة منهم قبيلة بني سَمِك القوية، أسلاف قبيلة البوشعبان الحديثة، التي كانت تعيش حول إدلب وعلى الفرات، حيث لا تزال سيطرة الموالي في الذاكرة إلى اليوم.

أسس أبو ريشة دولة في وادي الفرات، إمتدت بين قلعة جعبر وحديثة واتخذت عانة عاصمة لها، كما ضمت قلعة نجم[6]، ومواقع البغيلية إلى الأعلى من الدير، والرحبة وعشارة، في حين بقيت الرقة والدير وقلعة عانة بيد الأتراك[7].

---

(1) ماوندريل: جرد حساب للرحلة بين حلب ونهر الفرات... الخ (1699)، ص4 (بالانجليزية) ـ إيوليا، الجزء الثالث، ص161.

(2) جهان نامه، ص444. التوقيت لافت جداً، بينما كان يجب علينا توقع العكس.

(3) تابع: أخبار الأعيان، ص311 و327.

(4) هكذا أيضاً في زمن بوركهاردت (ص307).

(5) تابع: أخبار الأعيان، ص299.

(6) إحتلها الأتراك عام 1570م. في هذه الأثناء، أخذ أكبر أبناء «الملك»، أي الرجل الحاكم من أسرة أبو ريشة، إلى القسطنطينية، حيث يزعم أنه قطع رأسه. راوفولف (1575م)، ص153.

(7) راوفولف، ص161 و163 و182 و184 و194 و200.

يخبرنا رحالة أوروبيون من تلك الفترة، أولهم سيزار فريدريجي (1563م) وآخرهم ترافينييه[1] (1638م)، عن سلطة الأبوريشة، أمراء عانة، الذين يسمونهم ملوك العرب.

تزامنت فترة ازدهار مملكة الموالي مع الحقبة التي أغلق البرتغاليون فيها البحر الأحمر، فصار على تجارة الهند أن تبحث لنفسها عن طريق بري يقود إلى الغرب، وما لبثت أن وجدته في عانة، النقطة المركزية في شبكة طرق قوافل واسعة الانتشار، التي التقت فيها طرق البصرة وبغداد والموصل، وانطلقت منها إلى حلب (طيبة) وطرابلس ودمشق[2]. وكانت عانة مركز سلطان أبي ريشة الجمركية، المنفصلة عن الجمارك التركية في الطيبة (بالنسبة لحلب) والسخنة (بالنسبة لدمشق وحمص وطرابلس)[3]. أما رسوم السفن التي كانت تمخر الفرات نزولاً، فكان الأبوريشة يجبونها في مكان يقع بين بيره جك وقلعة جعبر[4].

إعترف الأتراك بدولة الموالي، وعينوا حاكم الأبوريشة بيكاً على سنجقي دير

---

(1) رحلة قيصر فريدريك، تاجر البندقية، في الهند الشرقية وبين الهنود. في هاكلويت، لندن 1599م، ص214. تابع: رالف فيتش (1583م)، وكذلك ص251. وجون الدريد (1583م) ص. 271 وكذلك كاسبارو بالبي (1580م). تيكسيرا (1604م)، طبعة سنكلير وفرغسون، ص80 وما يليها. ديللا فيلا (1616م) وصف رحلة، جنيف، 1674م، الجزء الأول، ص187. تافيرنييه: وصف ست رحلات، جنيف 1681م، ص64.

(2) تيكسيرا (1604م)، ص86 و88. تظهر أهمية المدينة الاقتصادية من واقعة وجود 120 بيتاً لليهود فيها (ص84).

(3) تيكسيرا، ص85 و103. كانت المكوس في عانة تبلغ خمس دوكاتات لكل عبوة من السلع العالية القيمة (أقمشة، توابل) ودوكات واحد بالنسبة للعبوة قليلة القيمة (تمر، عصف). وقد ارتفعت الرسوم إلى الضعف بسبب الابتزازات، يضاف إليها إتاوة صغيرة تذهب إلى الأتراك. جون الدريد: هاكلويت، الجزء الثاني، ص271 تقدر رسوم البوريشة بأربعين ليرة استرلينية على حمل كل جمل (1583م).

(4) راوفولف (1575م)، ص154.

الرحبة وسلمية[1] وكذلك عانة والحديثة[2]، ورصدوا له مبلغاً مالياً سنوياً[3]، وقدموا الهدايا الشرفية المألوفة عند تعيينه. ليس في المراجع معلومات وافرة عما كان يقدمه أمراء الموالي من الضرائب، لكننا نعلم أنهم أرسلوا، من آن لآخر، هدايا مالية وخيولاً أصيلة إلى السلطان[4]. من جانبهم، توقع العثمانيون أن يمدهم الموالي بالعون العسكري قبل كل شيء: وبالفعل، طلب السري عسكر عام 1578م من الأبوريشة تأجيره ثلاثة إلى أربعة الآف جمل، وإمداده بعلف الخيول وغير ذلك من المؤن، من أجل الحملة على جورجيا[5]. غير أن حاجة الدولة إلى الموالي كانت كبيرة بالدرجة الأولى في العراق وذلك بسبب ما كانت تهدده من ثورات متكررة[6]. وقد نجح أمير الأبو ريشه مدلج في طرد قوات الشاه من عانة والطيبة، في بداية احتلال الفرس للعراق (1623م)، وأحرز نصراً متألقاً على ناصر بن مهنا، أمير الغازية وتابع الفرس[7]. ولكنه اضطر فيما بعد إلى الرضوخ للسيطرة الفارسية وتعرض لهذا السبب لانتقام الأتراك. لم يكن إمداد جيش السلطان مراد الرابع، الذي حاصر بغداد، إنجازاً قليل الأهمية بالنسبة إلى القبيلة، حيث يقال إن عشرة آلاف جمل كانت تنقل الطعام إلى المعركة كل يوم[8]. في فترة لاحقة أيضاً، خدم الأبوريشة الحكومة في العراق: فهزم المنتفق في شتاء عام 1665م/ 1666م عند كوت

---

(1) هذا عنوان الوثيقة الصادرة حوالى عام 1700م (جور، الجزء التاسع، ص2151). كانت دير رحبة آنذاك مساوية لسنجق دير الزور الحديث. تابع: تيكسيرا، ص103، حيث يقال إن الأمير يمتلك طيبة وسخنة كسنجق في ظل السيادة التركية. ـ بخصوص سلمية: جهان نامة، ص591.

(2) نعيمه، الجزء الثاني، ص17.

(3) راوفولف، ص171: 60000 دوكات (!). تابع: نعيمه، الجزء الرابع، ص100 واوليفييه: رحلة، الجزء الرابع، ص163.

(4) نعيمه، الجزء 4، ص105.

(5) عالي: نصرت نامه، فيينا، رقم 1017.

(6) نعيمة، الجزء الثاني، ص17 لونكريك، ص36 و157.

(7) ديللا فيلا، الجزء الرابع، ص177.

(8) جور، الجزء الخامس، ص243. لونكريك: ص70.

المِعَمّر فصيلة من الموالي تقدر بثلاثمائة فارس. إلا أن حسين بيك العباس حقق عام 1107هـ/ 1696م نجاحاً أكبر ضد الغازية[1].

رغم الخدمات التي قدموها للقضية التركية، تصرفت السلطات بقسوتها المعهودة ـ التي يدينها، بالمناسبة، حتى المؤرخون العثمانيون من أمثال "نُعِمة" ـ ضد الموالي، الذين ردوا عليها بإغارات سلب ونهب. هذه الأحداث تكاثرت في النصف الثاني من القرن السابع عشر، حتى صار تعيين وعزل أمراء الموالي أمراً عديم الأهمية، فكان هذا من علامات انهيار سلطة القبيلة، التي ارتبطت دون شك بتراجع التجارة عبر البر. وقد ألحق غياب الرسوم قدراً من الضرر بالموالي وتحولوا بذلك إلى قبيلة للسلب والنهب. وما إن حل عام 1720م، حتى كانت الحكومة قد أعدت ضربة ماحقة لهم، إرتكزت على عزم باشا الرقة (اورفه) بدعم حشود من كرمان وحلب، وباشا بغداد بدعم من ديار بكر، والموصل وشهرزور بالإنقضاض عليهم[2]، وهي خطة لم تنفذ بسبب الحرب التي بدأت عام 1723م ضد الفرس. لكن قوة الموالي ما لبثت أن تحطمت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، على يد عنزة.

تربط الحكايات انفجار الحرب بين القبيلتين بعمل مشين هو قتل أفراد من عنزة حلوا ضيوفاً على الموالي. منذ ذلك الحين، يوجد مثل يقول: "بيت الموالي بيت العيب"[3].

قطع تقدم عنزة الموالي عن الفرات، وحصرهم في شمال سورية[4]، واضطرهم إلى تقليص قطعانهم والانصراف إلى الزراعة. هذا التبدل في شكل

---

(1) گلشن، ص95 و116.

(2) رشيد: تاريخ، الجزء الثالث، ص70.

(3) يخلط بوركهاردت، ص9. رامبليس، ص159. بلنت، الجزء الثاني، ص178 وابتون، ص213 بين شمّر وعنزة، حيث يضعون خطأ شمّر في محل عنزة.

(4) بقي قسم صغير منها هناك. أنظر جدول زبيد، نهاية الجزء الأول.

الإقتصاد أضر بهم أول الأمر، لكن مستوى معيشتهم إرتفع مع تعاظم العناية بالأرض وزراعتها. بعد الحرب، أكدت الأحداث أنهم استعادوا أيضاً قوتهم القتالية.

تفرغ الموالي لصراعهم مع الحديدين، المستمر منذ عام 1920م، فأنزلوا أضراراً فادحة بهم. بما أن حكومة الانتداب الفرنسية حمت الحديدين، خاض الموالي عام 1921م قتالاً ضد الفرنسيين، ولم يستسلموا إلا بعد مقاومة باسلة. ثم عاودوا الاشتباك مع الحكومة خلال ثورة الدروز، فدخل ليلة الرابع من تشرين الأول 1925م موالي وثائرون آخرون بقيادة فوزي بيك القاوقجي[1]، الضابط السابق في الجيش السوري/ الفرنسي، إلى حماه، حيث أحرقوا المباني الحكومية وفتحوا أبواب السجون ونهبوا المدينة. ثم هاجموا في الخامس والسادس من الشهر ذاته وحدة فرنسية قرب المعرة. وأمضوا الشتاء وراء الحدود في حماية الفدعان، هرباً من انتقام الحكومة، غير أنهم تعرضوا لملاحقات دامية على يد القوات الفرنسية، بعد عودتهم إلى المنطقة الزراعية، وكانوا قد تكبدوا أيضاً خسائر فادحة أنزلتها بهم الطائرات الفرنسية أثناء توجههم إلى جبل بلعاس. أخيراً، حصل الموالي على السلام، عندما دفعوا فدية قدرها 5000 ليرة وسلموا ألفاً ومائتي بندقية، وذهب قائدهم الأمير شايش والشيخ فارس العطور إلى السجن[2].

إستمرت الحرب مع الحديدين، رغم خضوع الموالي. وتقول التقارير إن آخر ما وقع بينهم من صدامات حدث في شتاء عام 1932م/ 1933م.

ينعكس تاريخ الموالي الكثير التنوع في التركيب المزركش لاتحادهم. والحق، أن عنصر الموالي الأصلي قد استنزف تقريباً في مجرى القرون، وحلت محله عناصر انحدرت من قبائل مغلوبة، يشكل الرعيّة[3]، أنصاف البدو الرحل

---

(1) كان عام 1936م أحد قادة الثورة في فلسطين.

(2) دو بوخمان، ص29. الشرق الحديث، الجزء الخامس، ص523 و639.

(3) رعية (الكلمة العامية لراعية) «رعاة» هو المصطلح الذي أطلقه عليهم البدو الرحّل. أما هم فيسمون

المحليين مجموعتها الرئيسة، بالإضافة إلى الشاوية[1] وطي بلاد الرافدين، والعبيد وعناصر أخرى عصبية على التعريف. رغم اختلافها في الأصل والسمعة، في العادات والأعراف، في القدرات القتالية والاعداد، بقيت هذه الوحدات متماسكة بفضل صيت أسرة الأمراء الموروث، التي أوصل أسلافها ذات يوم راياتهم إلى ضفاف الفرات، وديرة الشنبل.

ينقسم اتحاد الموالي إلى مجموعتين: شمالية وقبلية[2]. يعتبر القبليون، الذين يقودهم الأمير شايش، الحماة الأقحاح للتقاليد. وهم أشد تماسكاً وأكثر قوة من الشماليين، الذين تكبدوا خسائر كبيرة في الحروب الأخيرة. تشكل عشيرة الجماجمة نواة القبليين، الذين يتكون قوامهم الرئيس ـ ثلاثة أفخاذ ـ من الدليم. بينما تنحدر الأفخاذ التسعة الأخرى من دليم، وأكراد، وشاوية، ونعيم، وطي (أخوة وضحة). يضم الشماليون ثلاث قبائل رعاة: مشارفة، بني عز وطوقان. ويعترفون إسمياً بالأمير عابد، وفعلياً بشيخ المشارفه فارس العطور زعيماً لهم[3].

حافظ الموالي على مكانتهم السياسية بفضل نظام تحالفات يضم قسماً من قبائل حماه وحمص هي البشاكم والعقيدات والفواعرة والنعيم. قبل الحرب، كان أمراء القبيلة يتلقون خوَّة من بعض واحات البادية التدمرية، ويرون فيها إشارة إلى حقوقهم القديمة كحكام. وهم يتلقونها ـ اليوم أيضاً ـ في بعض قرى المنطقة الزراعية، وسط صمت وتجاهل الحكومة.

تمتد مقرات الموالي الصيفية من معرة النعمان في الجنوب الشرقي إلى مرتفعات العلاة. وتقع مقراتهم الشتوية في القسم الجبلي من ديرة الشنبل، وتصل

أنفسهم شرقيين تمييزاً لأنفسهم عن الفلاحين، وأهل الديرة تمييزاً لأنفسهم عن البدو الرحل. أنظر موزيل الرولة، ص44. دو بوخمان، ص17. وفون كريمر: سورية الوسطى، ص219 و223.

(1) أنظر أعلاه، ص396، 397.

(2) لم تعد هذه العلاقات متناغمة مع وضع منطقتي الترحال المتبادلتين.

(3) تابع المخططات الجغرافية لـ دوبوخمان، التي تقدم صورة واضحة عن بنية القبيلة.

هنا من جبل بلعاس إلى بئر قديم.

كانت ممتلكات القبيلة في الماضي أكبر بكثير منها الآن. في عام 1899م كان يوجد على هذا الجانب وحده من خط سكة الحديد (اللاحق) قرى الموالي التالية: قطرا (تملكها أسرة الأمير)، كفريا، السيادة، أبو شرجة، الصرمان، حران، الهلوبا، السرج، كرسنتا، تل دم، البريصا، الرفا، البرج، تل الخزنة، أم طويبة، الفرجا، الخوين، أبو دالية، ام الخلاخيل، النيحا، أم صهيليج، أبو عمرو، أم توينة، تل خنزير، تل مرق، طامة، الطليسية[1]. ـ في هذه الأثناء ـ إنتقلت أراضي موالي كثيرة إلى أيدي ملاك أراضي من المدن، تسديداً لديون أصحابها. وهناك أيضاً بعض القرى التي انتقلت ملكيتها إلى الحديديين إما عن طريق المصادرة أو عن طريق المبادلة.

أبوريشة، أسرة شيوخ الموالي

ينتمي الأبوريشة، أو بالأصح أبناء أبي ريشه، إلى أكثر أسر الصحراء احتراماً، رغم أنهم فقراء حالياً. يرجع الاسم ـ المألوف في حالات أخرى أيضاً ـ[2] إلى امتياز يعتقد هؤلاء أن سلطاناً مملوكياً خص به جدهم الأول، عضو أسرة أمراء الفضل، ولذلك لم يزل أخلافه يحملون لقب الأمير. وحملوا إضافة إلى ذلك حتى القرن التاسع عشر صفة رسمية تركية هي سنجق بيك، ولقب أمير الصحراء.

خارج المعلومات التي تقدمها لنا حكاية القبيلة، ليس هناك غير خبر وحيد عن شيخ الموالي الأقدم؛ نجده في عمل بيوغرافي حول مشاهير الحلبيين في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، حفظه محبي، الجزء الثاني، ص222، وإن بصورة مشوهة، للأسف. غير أن المصادر تتنوع وتصير أكثر ثراء بالنسبة لنهاية

---

(1) أنظر الخارطة في أنباء بيترسمان الجغرافية، عام 1911م، الجزء الثاني، لوحة 11 (فون اوبنهايم) وخارطة بلاد الرافدين وسورية 1 ـ 400000، 1c حماه.

(2) على سبيل المثال عند مؤسس أسرة شيوخ حويطات التهمة. بورتون: مدين، الجزء الأول، ص168. يفسر الاسم هنا بالطريقة عينها التي فسر بها اسم أمراء الموالي.

القرن السادس عشر، حيث يرد في سبعينيات ذلك القرن ذكر ابن مدلج البدوي باغي ابن أبي ريشه[1] ومحمد ابن أبي ريشه ابن الأمير 1578م[2]، ثم الأخوين ظاهر ابن مدلج واحمد (أو حمد حسب الصيغة التي يستعملها البدو[3]). وقد قتل أحمد ظاهراً حين نزل ضيفاً في خيمته. يرد ذكر أحمد بصفته الأمير الحاكم في الأعوام 1604م و1607م ـ 1608م. بعد موته، إستولى ابنه شديد على خيمة الحرب، علامة على ترأسه على القبيلة[4]. بيد أن حكمه لم يدم طويلاً، فقد قتله عام 1018هـ/ 1609م[5] ابنا عمه فياض ومدلج، اللذان تولى أولهما الحكومة أول الأمر، وسط معارضة شديدة من الأسرة قادها أخوه دندن وابن عمه عباس بن أحمد، بتأييد من أمير الدروز فخر الدين. إحتفظ فياض بعلاقات طيبة مع الأتراك، وقد عاش حياة البدو الرحل، مع أنه كان يملك بيتاً جميلاً في عانة. ويخبرنا ديلا ڤيلا (الجزء الأول، ص187) أن حاشيته ضمت كاثوليكياً اسكوتلندياً اسمه جورجيوس ستراخانوس، زعم أنه كان طبيباً حظي باحترام عظيم. عندما توفي فياض بين 1618م و 1621م خلفه حسب اتفاق مسبق ابن عمه مدلج[6]، الذي سعى إلى خطب ود فخر الدين، ولكن دون أن يتمكن من إقناعه إزاحة منافسه حسين ابن فياض، الذي كان في حماية الأمير الدرزي. ولم يتخل فخر الدين عن حسين إلا حين لاحظ أنه هو نفسه يتقرب من مدلج[7]. إستأنف حسين، الذي غدا مصيره المتقلب موضوعاً للأحاديث في وقت مبكر، دوره كمطالب بالزعامة وذهب إلى حلب يحدوه الأمل بالحصول على المنصب من الباشا. لكن هذا قبض عليه استجابة لرغبة مدلج، وأمر بقتله فيما بعد مقابل 25000 قرش. سقط مدلج بدوره على يد

(1) محمد راغب الطباخ: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، الجزء الثالث، ص213.
(2) عالي: نصرت نامه، ص27.
(3) مراجع لما سيلي أيضاً. محبي، الجزء الثاني، ص101، 222. نعيمة، الجزء الثاني، ص117. تيكسيرا، ص84.
(4) تابع أيضاً نعيمة، الجزء 4، ص102.
(5) حجي خلفا فذلكة يذكر خطأ أن أحمد كان لا يزال أميراً حاكماً عام 1616م.
(6) لونكريك، ص67: مطلق.
(7) أخبار الأعيان، ص284، تابع 261 و295 و297 و300 و308 و311 و327.

الأتراك بعد مقاومة أولية، وتحول رغماً عنه إلى تابع للفرس. وفي عام 1630م إستهدفته حملة تأديبية تركية، سقط أثناء فراره منها مع حصانه فدق عنقه. بموته، تولى الإمارة سعيد ابن فياض، فعادت من جديد إلى أسرته[1].

ثمة أمراء موالي ثلاثة آخرون من القرن السابع عشر هم: عساف، ملحم وحسين العباس. يخبرنا المؤرخ التركي نعيمه[2]، وكان أبوه شاهداً على الأحداث، أن عسافاً نجا عام 1644م بصعوبة من محاولة قتل دبرها باشا حلب، الذي كان قد دعاه إليه، لكنه رفض تلبية الدعوة، لأنها لم تصله عن طريق أحد الوجهاء، كما كان مألوفاً في مثل هذه الحالات. أخيراً، تم الإتفاق على نقل اللقاء إلى مكان يبعد مسيرة خمس ساعات عن حلب، واتخذت إحتياطات كبيرة شارك فيها أبناء المدينة. ظهر الأمير مع حاشية كبيرة من الفرسان المدرعين، وقد وضع إذن المرور، الذي كان الباشا قد أرسله إليه، على صدره، ولف الخرقة التي وافاه بها حول عنقه، كدليل على منحه الأمان. وبوصوله إلى المكان، نزل عن حصانه وسار نحو الباشا يصحبه نفر من المسلحين. في اللحظة عينها، أطلق ثلاثة رجال النار عليه، فأنقذت حياته القمصان المدرعة، التي كان يرتديها بعضها فوق بعض. وضعه مرافقوه، عندئذ، على فرس، وفروا من المكان، ليعودوا بعد قليل بصحبة قوة كبيرة. نجا الباشا وحاشيته، لكن الحلبيين دفعوا ثمناً باهظاً: فقد نهبهم رجال الأمير قبل أن يعيدوهم إلى المدينة.

ثمة حادث مماثل وقع عام 1682م. لكن الأمير ملحم كان أقل حظاً من سابقه وسقط في أيدي الأتراك، الذين أعدموا مرافقيه في حلب بعد تعذيب رهيب، ولم ينج منهم غير شاعر البلاط، أما الأمير فقد أرسل إلى ادريانوبل وقتل هناك[3].

(1) نعيمة، الجزء الثالث، ص60.

(2) المصدر ذاته، الجزء الرابع، 100.

(3) كامل ابن حسين الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب، الجزء الثالث، ص288. تابع دافريو (كوبنهاغن ولايبزيغ1753 ـ 1756م) الجزء السادس، ص137 و221. الرحالة الانجليز مذكورون لدى ريتر، الجزء 17، ص1437.

يتكرر ذكر الأمير حسين العباس منذ عام 1691م[1]. لكن وثيقة تركية تذكر أنه عين عام 1704م أميراً على الصحراء، بعد أن أرسل ابنه رهينة إلى القسطنطينية.

ثمة بضعة أمراء آخرين يمكننا تقصي أخبارهم خلال القرن التاسع عشر[2]، أجدرهم بالذكر هو محمد الخرفان، الذي ما زال اسمه حياً لدى الموالي إلى يومنا[3]. يليه ابن مجهول الاسم، ثم شقيقه الكنج، الذي كان رجلاً مهاب الجانب، قتله باشا حلب عام 1813م في القسم الحريمي من خيمته، وعين محله ابنه وكان في السادسة عشرة من عمره في منصب "حامي صحراء حلب"[4].

انتقلت القيادة في القرن التاسع عشر إلى فرع الأسرة، التي تتولى الآن قيادة مجموعة القبليين، ويمكن التعرف على أسماء أمرائهم وتعاقبهم من شجرة النسب المرفقة. كان أحمد بيك عقيد القبيلة في حياة أخيه عارف وعملاقاً ذا قوة بدنية خارقة، قتل عام 1875م خلال إحدى المعارك عن عمر يقارب الأربعين عاماً. لم يكن خلفه محمود، الذي أمضى بضعة أعوام في القسطنطينية، محبوباً من قبيلته، فانتظر القوم بلوغ ابن أحمد (عبد الكريم)، وكان عام 1877م فتى في الرابعة عشر من العمر، السن الضروري لتعيينه شيخاً للقبيلة بدلاً منه[5]. أما شايش بن عبد الكريم، شيخ القبيلة الحالي، المولود عام 1890م، فهو رجل عليل ونصف أعمى، لكنه لا يخلو من موهبة سياسية.

---

(1) الرحالة الانجليز لدى ريتر، الجزء العاشر، ص1072 و1095، الجزء 17، ص1438 و1441. موندريل، ص4. تابع أيضاً ستيفان شولتز عند باولوس: مجموعة الرحلات الغريبة إلى الشرق، الجزء السابع، ص81 و84.

(2) "حمد القيس" و(طاهر) عبد العزيز عام 1700م. جور، الجزء التاسع، رقم 2151 و2662 و3090 و3100 و3116 ـ فياض، خورشيد، ص185 ـ حسان، ستيفان شولتز عن باولوس، الجزء السادس، ص232

(3) يبدو أنه أفاد من الظروف الفوضوية التي سادت شمال سورية في الربع الأخير من القرن الثامن عشر. تابع طباخ، الجزء الثالث، ص352 جودت: تاريخ، الجزء الثالث، ص55.

(4) روسو: رحلة، ص162. بوركهاردت، ص311 ـ يقال إن هذا الخط من نسب البو ريشة قد انقرض. ولكن يا ترى، ألا ينتمي إليه الأمير الذي يذكره دوبوخمان، ص52، وهو دهام بن فياض الكنج؟.

(5) ابتون، ص214 بلنت، ص38.

هناك فرع آخر من الأبوريشة يتولى قيادة الشماليين: مجموعة الموالي الثانية. إنه فرع مستقل عن السلالة الرئيسة، وإن كان يعترف لها بالأولوية وببعض النفوذ على الإتحاد بمجموعه. يسمى أمراء الشماليين الثلاثة الأخيرون: فجر (حوالى 1900م) وإبراهيم وعابد. كان إبراهيم نشطاً جداً في آخر ثورة قام بها الموالي، وقد قتلته قنبلة ألقت بها طائرة في 25 آذار 1926م. أما ابنه عابد فلم تكن له أهمية تذكر[1].

يتلقى الأمير شايش معونة مالية بلغت عام 1938م: 346 ليرة سورية. ويتلقى فارس العطور من الشماليين معونة تبلغ (341 ليرة سورية).

الموالي(1)

شيخ المشايخ: الأمير شايش بن عبد الكريم

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أولاً ـ الشماليون	الامير عابد ابن إبراهيم باشا	صيفاً: معرة النعمان/ العلاة شتاءً بلعاس	1280
1 ـ المشارفة(2)	فارس العطور		140
أ ـ الخزعل			
ب ـ الخزيمات			
جـ ـ آل حسن			
د ـ العشوش			
هـ ـ البقار			

(1) تدعي أسرة وجهاء العابد السورية، التي ينتمي إليها هولو باشا (محي الدين أبو الهول) وابنه عزت العربي، صاحب الحظوة النافذ لدى السلطان عبد الحميد، أن لها صلة قرابة مع البو ريشة.

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
و ـ العبدلية			
2 ـ آل خليفة(3)			60
3 ـ الدولة(4)			80
4 ـ بني عز(5)	أحمد الخليفة		350
5 ـ الدواونة(6)	أحمد المر		50
6 ـ آل غازي	أحمد المفضي		150
7 ـ القلقل(7)			80
8 ـ الشريف(8)			50
9 ـ الحسو			20
10 ـ الشليوة(9)			40
11 ـ الطوقان(10)			60
ثانياً ـ القبليين	الأمير شايش بن عبد الكريم	صيفاً: معرة النعمان/ العلاة شتاءً: بلعاس	480
أ ـ أبو ريشه(11)			50
ب ـ الجماجمة			200
جـ ـ الشويرتان			100
	قبائل ملتحقة بها		
بني خالد(12)			305

ملاحظات على جدول الموالي

1 ـ يراعي الجدول قائمة موزيل، بالميرين، ص47 وتيرييه، ص76 وما يليها. وكذلك ملاحظات دوبوخمان، ص25 وما يليها. أعداد الخيام، التي أخذت من تيرييه، مرتفعة جداً. يقدم تسجيل خاص أخذ عام 1897م رقماً للخيام هو 600

للشماليين و200 للقبليين. موزيل يقدرها بـ800. ودوبوخمان بـ1000 ـ 1200 (للشماليين) و400 للقبليين. عدد الماشية: 2000 ـ 3000 حصان، 6000 جمل، 5000 رأس غنم.

2 ـ يعيش المشارفة في أربعين خيمة بصورة مستقلة في منطقة حماه، وهم يوصفون بالمشارفة الراعية تمييزاً لهم عن المشارفة المندمجين في الموالي. قارن: ريموند مارتينيه، ص20. تيرييه ودوبوخمان.

3 ـ طي بحسب أصلها. يذكرهم نيبور: جزيرة العرب، ص395. الوسم: (محجان). إستوطن قسم منهم في الغاب على العاصي.

4 ـ لقطاء تحدّروا من جنود أتراك، بحسب الروايات المحكية.

5 ـ يسميهم بوركهاردت "بني عز" يعيش قسم منهم بصورة مستقلة كرعاة غربي حماه (صيفاً). ويسمى هؤلاء ببني عز راعية.

6 ـ شمّر. شيخهم قاض معروف.

7 ـ زنوج عبيد للأمراء.

8 ـ شاوية.

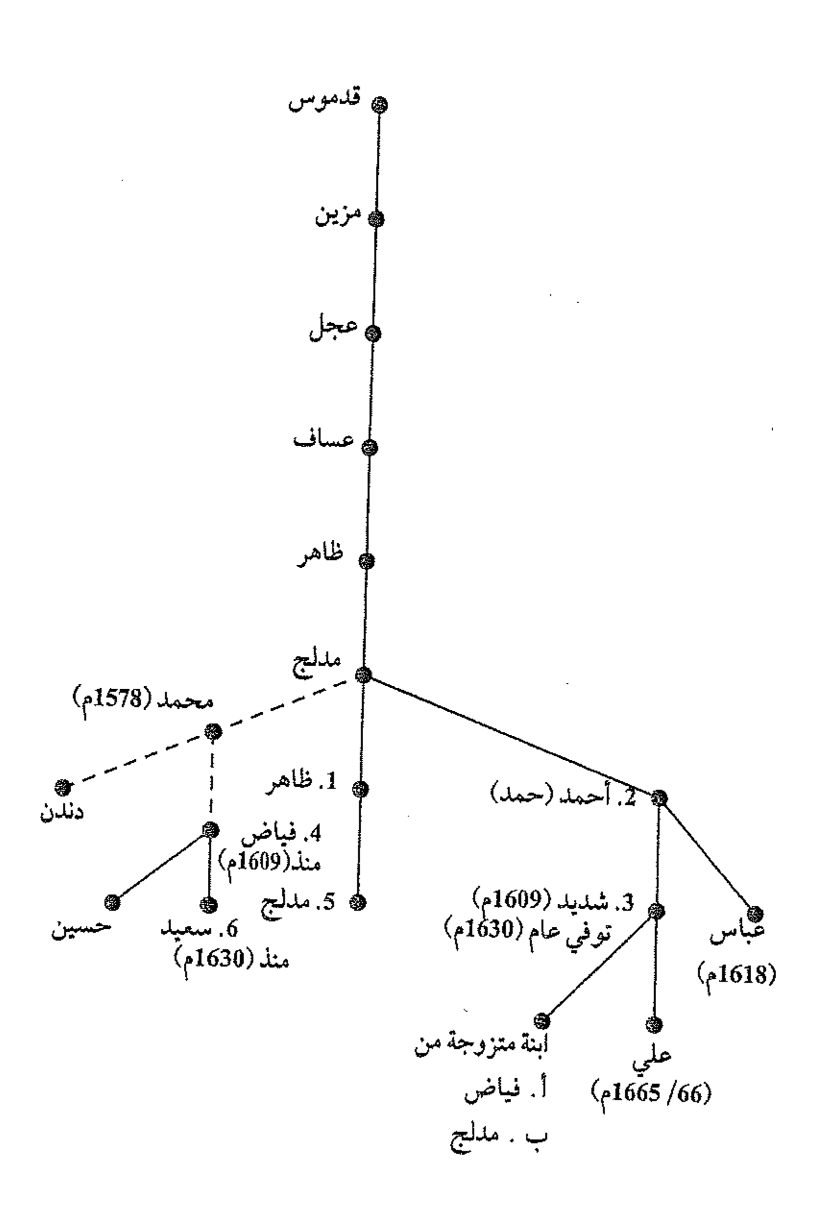
9 ـ عبيد عند الغازي.

10 ـ يسميهم نيبور بني طوق. وكذلك يفعل بوركهاردت. كانت القبيلة عام 1618م عضواً في اتحاد الموالي. أخبار الأعيان، ص284. أحد أفخاذ الطوقان استقر في الغاب.

11 ـ مع قواويسهم (عبيدهم). الوسم: ╪ (صليب)، وكذلك لدى الجماجمة.

12 ـ عامل زراعي في مزارع جبل شحشبو.

مشجرة نسب الابوريشه من القرنين 16 و17



ملاحظات حول مشجرة نسب الأبوريشة في القرنين 16 و17

لا يمتلك هذا النسب غير صلاحية مؤقتة، وخاصة بالنسبة للأجيال الخمسة الأولى، ولم يذكر سوى في مكان واحد فقط لدى محبي، الجزء الثاني، ص222، يقول فيه عن الشخص رقم واحد في شجرة النسب، الذي يوصف بالأمير ظاهر: هذا الظاهر هو ابن مدلج، الذي تتحدث عنه "الكواكب السائرة"[1]. ويقول إن نسبه: ظاهر بن عساف بن عجل بن مظين[2] بن قدموس. . . وأنه مات موتاً طبيعياً عام (945هـ/ 1538 ـ 1539م). هذا قول غير مفهوم، لأن ظاهر بن مدلج وظاهر بن عساف يجب أن يكونا شخصين مختلفين، لا سيما أن ظاهر بن مدلج لم يمت بصورة طبيعية، بل قتل على يدي أخيه أحمد حوالى عام 1600م. لهذا السبب جعلنا في شجرة النسب ظاهر بن عساف أقدم بجيل واحد من مدلج.

بوجه عام، تعتبر الأجيال التالية لابن مدلج مؤكدة النسب، من خلال المصادر المذكورة في المقالة المكرسة لشيوخ الأسرة. وإن كان محمد محل شك في الجيل الأول، لأن اسم الأب لم يرد أبداً لدى دندن وفياض، في حين تعد قرابتهما مع الأسر الأخرى وكذلك اسم جدهما مدلج مثبتين. إلا أن اسم محمد يغري بإيراده، بفضل ملاحظة حاجي خلف، التي تقول إن البوريشة ينقسمون إلى فخذي المحمد والحمد (أحمد)، وواقعة وجود محمد ابن أبي ريشه في الفترة المذكورة.

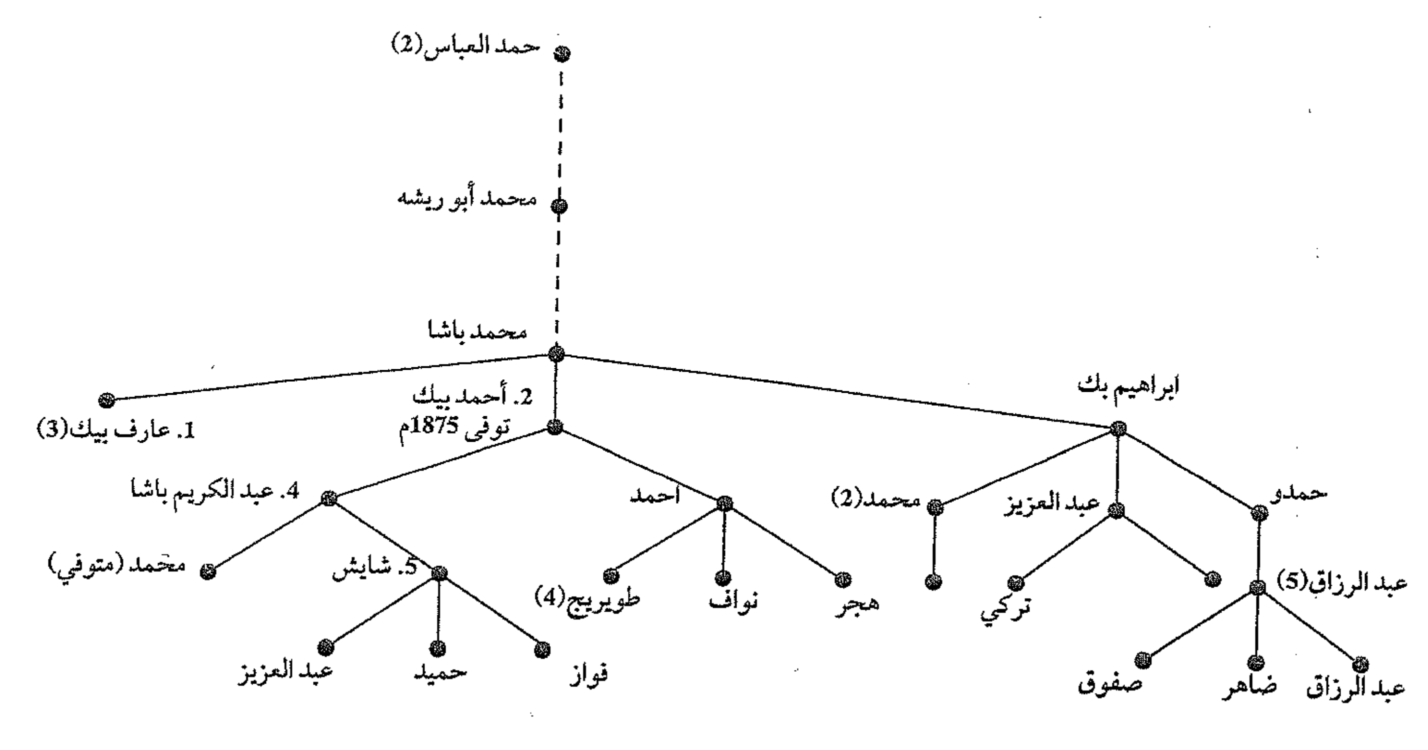
ليس أكيداً أيضاً تصنيف علي ابن شديد في الجيل الأحدث.

---

(1) لا يتضمن الاستشهاد المقتبس من هذا العمل، الموجود في مخطوط الوردت رقم 9891 في برلين، المقالة المقصودة.

(2) مظين إصدار فيتسشتاين من لايبزيغ، الجزء الثاني، ص291. (نظيرة بن قدموس).

مشجرة نسب ابو ريشة (أمراء القبليين)(1)



ملاحظات حول مشجرة نسب الأبوريشة (أمراء القبليين)

1 ـ سجلت عام 1930م، كما يبدو. إن أبناء الجيل الأحدث ما زالوا بعد في عمر الطفولة، باستثناء سفوق ابن عبد الرزاق. الإسمان اللذان أسقطا من الجيل الأسبق يظهران في الأصل تحت صيغتين غامضتين هما " ـ جحجاح ـ وتسوز " .

2 ـ في التسجيل: «تحدّر من منطقة بغداد، أحد أسلاف العباسيين». إسمه في روايات أخرى محمد العباس ـ يبدو أن شخصين يتداخلان هنا هما: حمد أبو نُعير أنظر ص442، وأمير لاحق ربما كان أخاً للأمير حسين العباس. المذكور في الصفحة 454 أعلاه.

3 ـ مات دون أن ينجب.

4 ـ صعَّد طويريج الخلاف مع الحديدين، عندما اختطف فتاة كان شقيق شيخهم قد طلبها، وقتل أباها وجرح أخاها. إنتقم الحديدين لهذه الإهانة من عضو آخر في البيت الأميري هو عبد الرزاق ابن حمدو.

5 ـ إشتهر عبد الرزاق كقائد غزو خلال اضطرابات الموالي الأخيرة. واضطر إلى ترك قبيلته منبوذاً عام 1926م. لكنه ما لبث أن عاد بعد قليل، بعد تدخل شيخ الحديدين نواف. بعد الحادثة المذكورة في الملاحظة السابقة، سقط ضحية عمل ثأري قام به الحديدين (تشرين الثاني من عام 1930م).

قبائل حماه الصغيرة

لم تشهد خارطة بدو منطقة حماه غير تغيرات طفيفة منذ بوركهاردت. فقد انضم إلى بني خالد الرطوب والشقرة ورزيق من القبائل الصغيرة، والتحقت الجماجمة وطوقان بالموالي من جديد. بالمقابل، بقيت البشاكم وتركي مستقلتين[1]، علماً بأن أولاهما تتكون من بدو نصف رحل، وثانيتهما من بدو رحل في معظمها. عام 1899م، وجدت تركي في قرية طيبة دون غيرها من قرى العلاة، في حين ذكرت لي أسماء قرى البشاكم في الطرف الشمالي من هذه الهضبة، وهي أم قلق، الفان التحتاني، والوسطاني، والفوقاني، قصر البروج، وابو سمرا. في الفترة المنصرمة، طرد البشاكم من هناك، وسكنوا قرى جديدة إلى الشرق من الحمراء[2]. تخيم القبيلتان مع الموالي في الشتاء، وكانتا في السابق منتميتين إلى اتحادهم. وقد كان لعلاقتهما بهم نتائج سياسية أيضاً، ذلك أن تركي بقيت على الحياد خلال الحرب

---

(1) من القبائل الأخرى التي يذكرها بوركهاردت، ص10، إنضم بنو عز إلى الموالي، والخراشين إلى التركي. أما "الهويرون" (= فواعرة)، و"البوعزي" و"غنمات التل" فلم نتمكن من تحديد هويتها بدقة.

(2) ثمانية في أراض عامة، واحدة في أرضها الخاصة. أما أسماؤها فهي مشوهة لدى تيربيه وفي خريطة الخدمات الجغرافية التابعة للجيش 1/ 200000، حماه، إلى درجة تجعل من غير المجدي ذكرها. أما قرى البشاكم القديمة فهي موجودة على خريطة بلاد الرافدين وسورية 1/ 400000، حماه.

بين الموالي والحديدين، رغم أنها كانت متحالفة مع الأخيرين.

خلافاً للبشاكم وتركي، جاء العقيدات (البوليل) عام 1860م إلى المنطقة. وهم فرع من عگيدات الفرات، كما يتضح من الاسمين المذكورين: البوليل والبوحليحل. "العقيدات" ـ البوليل مستقرون بنسبة ثلثيهم، تقع قراهم[1] في الأملاك الأميرية، إلى الغرب من منخفض المطخ. أما القسم المترحل من القبيلة فهو يرافق الموالي في الشتاء. لذلك يتجمع في تشرين الثاني قرب الحمراء، ثم يسلم قياده إلى شيخ البوحليحل.

ثمة مجموعتان من العقيدات «العگيدات» قدمتا إلى هذه الأرض قبل البوليل هما العقيدات حمص وعقيدات الغوطة، الذين سنعرج عليهما في مقالة: قبائل دمشق الصغيرة. أما عقيدات حمص فلا يوجد، للأسف، معلومات إحصائية كافية عنهم. تحمل العشيرة الأكثر أهمية من عقيدات حمص اسم الدهامشة، ويتزعم خيامها المائة الشيخ أحمد ريان، الذي يدعي وجود قرابة بينه وبين قبيلة عنزة التي تحمل الاسم ذاته، ويتبنى فعلاً الوسم نفسه الذي تتبناه، ويقيم معها علاقة أبناء عمومة[2]. يقال إن بقية العشائر تمتلك حوالى 500 خيمة. هؤلاء العقيدات لا يقصدون شتاء الصحراء، بل يبقون على أطراف المنطقة الزراعية بين الشومرية والقريتين، ويمضون الصيف بجوار حمص[3].

---

(1) زمار، جزرايا، العثمانية، تل علوش، الثانية مرسومة هنا أما الأخريات فعلى خارطة بلاد الرافدين وسورية 1/ 400000، حماه.

(2) حول هذا المفهوم. أنظر جوسان: عادات العرب في بلاد مؤاب (بالفرنسية).

(3) تابع ريموند ومارتينه، ص19. تيرييه، ص89.

قبائل حماه الصغيرة

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ العقيدات		المطخ صيفاً	
(البوليل)(1)	الحاج مصطفى الشعيطية	بلعاس شتاء	255
أ ـ البوليل	الحج مصطفى الشعيطية		95
1 ـ البو عقيل	عبد الله بن شحاذه		25
2 ـ فواضلة	خميس الدبوس		25
3 ـ البو جماعة	خلف المصطفى		15
4 ـ البوثامر	عابد الأحمد		10
ب ـ البو حليحل	دلبش الخرفان		85
2 ـ البشاكم(2)	أحمد الدندل		250
3 ـ تركي(3)			
أ ـ تركي	سرحان العلوش	صيفاً : الحمرا شتاء : بلعاس	170
ب ـ خراشين		صيفاً : العلاة شتاء : بلعاس	120

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب استقصاءات تمت عام 1934م. توجد تفاصيل أقل لدى تيرييه، ص90. عدد الماشية : 100 ـ 150 جملاً. 4000 رأس غنم. 30 حصاناً، 100 بغل، 200 حمار.

2 ـ تيرييه، ص86. الماشية : 1500 جمل، 10000 رأس غنم.

3 ـ تيرييه، ص87. الماشية : 26000 رأس غنم.

بني خالد

كان بنو خالد على الدوام أكثر اتحادات القبائل الرعوية أهمية في منطقة حمص ـ حماه ـ سلمية. وهم يعيشون من تربية قطعان أغنامهم الكثيرة، وينتمون إلى أكثر بدو سورية ثراء.

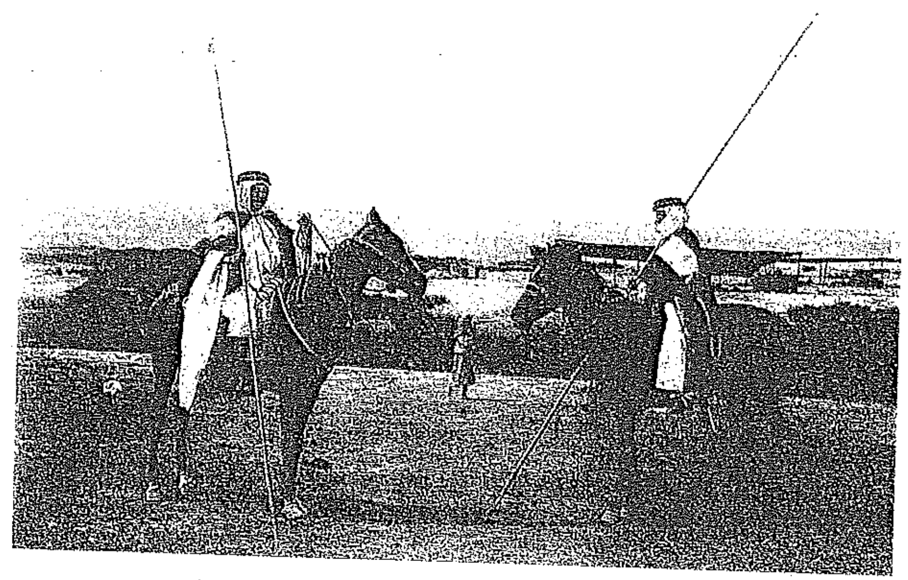
يرجع بني خالد نسبهم إلى خالد ابن الوليد[*]، أعظم قادة جيوش الفتح الإسلامي، الذي يقع مدفنه في مدينة حمص[1]. وهو نسب واجه اعتراضات قوية منذ مطلع العصر الوسيط، لأن ذرية خالد انقرضت في مرحلة مبكرة[2]. وهناك أيضاً قبيلتان تزعمان أن خالد بن الوليد هو الجد الأول لهما، هما بني خالد في شرق الاردن وبني خالد في الاحساء (على الخليج العربي). لا داعي للقول إن هاتين القبيلتين أيضاً ليستا محقتين في مزاعمهما، لأن أولاهما ترجع في نسبها إلى طي، وثانيتهما إلى أصول عربية جنوبية، رغم هذا، يعتبر اليوم انحدار القبائل الثلاث من خالد ابن الوليد مسألة محسومة، وينظر إليها كقبائل من أرومة واحدة[3]. بتأثير هذه النظرة، قامت أخيراً أفخاذ عديدة من بني خالد شرق الأردن بالإنضمام إلى أقربائهم

(1) صورت عام 1899م الشكل القديم للمسجد الذي دفن فيه. بعد أعوام من ذلك أمر مواطن حمصي غني بإعادة بنائه.

(2) الحمداني في القلقشندي، ص204. عمري في صبح، الجزء الرابع، ص214.

(3) تابع بوركهاردت، ص40 وأيوب صبري، الجزء الثالث، ص319.

(*) هناك تصحيح لهذه المعلومة من قبل المؤلف في الجزء الثالث ص197 يرجى مراجعتها لأهميتها بهذا الخصوص. (شبّر).



عبد الكريم باشا (على اليمين) ـ شيخ مشايخ بني خالد (1899م)

المزعومين قرب حمص. ونسبت قصص تحكي عن حملات حربية قام بها بني خالد من الاحساء في الصحراء السورية، إلى بني خالد ـ حمص[1]. لا يكاد التاريخ يأتي على ذكر بني خالد السوريين، باستثناء ما تورده حولية ابن طولون ص33 عام 895هـ/ 1490م حول ثورة قام بها "عرب خالديه"، وقد هيجهم اعتقال شيخهم قرقماس البدوي. تذكر الحولية أن هؤلاء قاموا أول الأمر بعمليات نهب في

(1) هذا النقل أصل تيربيه (ص40)، حيث نقرأ لديه ما يلي: «توغل بني خالد في سورية عند نهاية القرن السابع، وظلّت المنطقة الزراعية طوال ألف عام وخلقة في وجوههم. في نهاية القرن السابع عشر تكللت جهودهم بالنجاح، بعد معركة استمرت ستة أشهر مع الموالي، الذين هزموا في جب الصفا (مكان يحمل هذا الاسم إلى الشرق من حلب)، وأجبروا على العودة إلى دير الزور.. بعد هذا الملخص التاريخي يورد تيربيه أسطورة تقول: إن بني خالد انتقلوا بسبب نبوءة من الأحساء إلى تدمر، لكن الموالي إنتصروا عليهم واضطروا إلى العودة إلى موطنهم ـ ثم يقال إن المهزومين عادوا بعد زمن طويل، واستولوا بعد معارك دامية ليس على تدمر فقط بل كذلك على منطقة حمص وحماه. وهذا زعم لا علاقة له بالحكاية السابقة، ويراد به إقامة صلة قربى بين بني خالد في حمص وبين القبيلة الموجودة في شرق جزيرة العرب.

منطقتي حماه وحلب، ثم توجهوا جنوباً، وأنزلوا خسائر كبيرة بتجار دمشق. في العصر المملوكي، حيث كان بني خالد حلفاء للفضل، تعرض هؤلاء لضغوط واضطهادات مارسها عليهم الموالي، الذين بقوا في حالة صراع معهم إلى فترة غير بعيدة. أما في القرن التاسع عشر، فقد ارتبطت القبيلة بالسبعة والفدعان ودفعت لهم الخوّة إلى ما قبل سنوات. وكانت معظم الوقت في عراك مع منافسيها من قبائل حمص وحماه الصغيرة، التي تربي المواشي. وأخيراً أرغم بنو خالد على عقد اتفاقات سلام مع الفواعرة والنعيم وتركي تحت ضغط الفرنسيين.

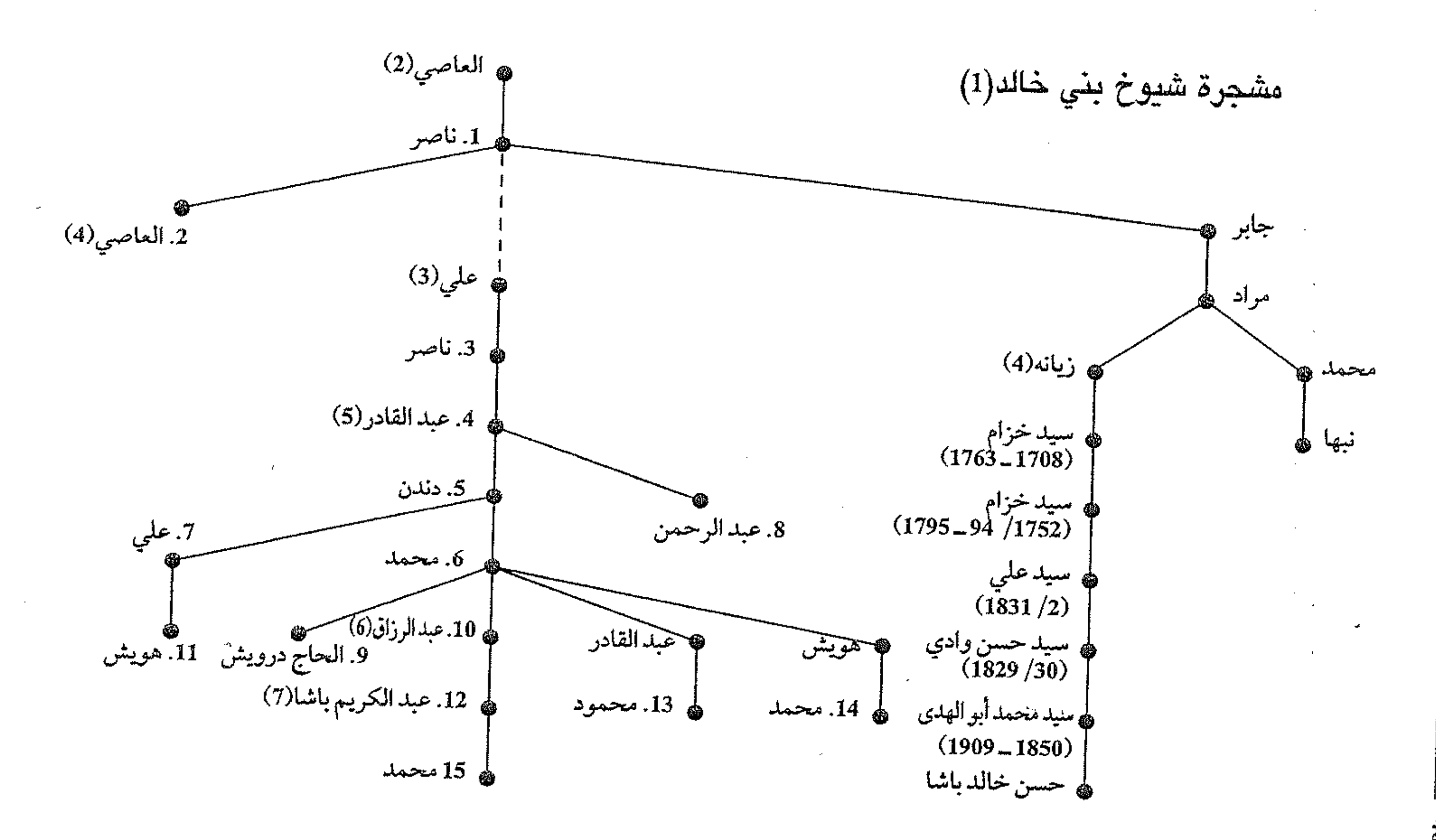
برز في صفوف بني خالد أبو الهدى، شيخ الرفاعية الشهير، الذي توفاه الله عام 1909م. وكان قد لازم قبيلته حتى بلغ سن الشباب، ثم تدروش وساح في البلاد، إلى أن حالفه الحظ في القسطنطينية، حيث أقام علاقات مع عبد الحميد قبل توليه الحكم، وأصبح مستشاره الديني وصاحب نفوذ حاسم على سياسته العربية. وكان وراء لقب الباشوية الذي منحه السلطان عبد الحميد إلى عبد الكريم: شيخ مشايخ بني خالد.

إستقرت أقسام من قبيلة بني خالد منذ وقت طويل. وقد عثرت عام 1899م في بُقيع إلى الغرب من حمص على قرى يسكنها بنو خالد، يملكها الدنادشة[1] ومصطفى بيك أنجة، قريب أبو الهدى. حالياً، يزرع بني خالد أراضي في العلاة وجبل الشومرية أيضاً، حيث أن قسماً منهم ملاكون والقسم الآخر مستأجرون. في الخريف، تتحد العشائر، باستثناء من يبقى منها في القرى، ويسيرون في اتجاه جنوبي/ شرقي عبر بادية تدمر نحو الحماد، إلى أن يبلغوا طنف أو القعره[2]. هذا التنقل يبدأ في تشرين الثاني، إلا إذا هطلت أمطار مبكرة في شهر تشرين الأول. ثم تعود في مطلع العام إلى قراها لتساعد في الحصاد، قبل أن تطلق قطعانها، التي كانت ترعى إلى الآن على حدود المنطقة الزراعية، في الأراضي المحصودة، وتبدأ تجارة نشطة مع تجار ووجهاء المنطقة الذين تبيعهم منتجات اقتصادها الحيواني.

---

(1) عائلة تعيش قرب تل كلخ غير معروفة الأصل.

(2) يمر الطريق عبر جب حبل ـ بيار جحار ـ البيضة ـ الينابيع الواقعة في منطقة البخرة ـ العليانية.


مشجرة شيوخ بني خالد(1)
العاصي(2)
1. ناصر
2. العاصي(4)
جابر
مراد
زيانه(4)
محمد
نبها
علي(3)
3. ناصر
4. عبد القادر(5)
5. دندن
8. عبد الرحمن
7. علي
6. محمد
11. هويش
9. الحاج درويش
10. عبد الرزاق(6)
عبد القادر
هويش
12. عبد الكريم باشا(7)
13. محمود
14. محمد
15 محمد
سيد خزام (1708ـ1763)
سيد خزام (1752/ 94ـ1795)
سيد علي (1831 /2)
سيد حسن وادي (1829 /30)
سيد محمد أبو الهدى (1850ـ1909)
حسن خالد باشا

ملاحظات حول مشجرة نسب أسرة شيوخ بني خالد

1 ـ تستند شجرة العائلة إلى تيرييه، ص45 وما يليها (= رينو ومارتينيه، ص18) وأيوب صبري الجزء الثالث، ص320 وما يليها. يقدم تيرييه جدولاً بستة عشر شيخاً حاكماً، يظهر منهم في شجرة النسب خمسة عشر شيخاً فقط، لأن أولهم (خصيبة) أو غصيبة (رينو ومارتينيه)، لم يضم إليهم. يذكر أيوب صبري تسلسل أسلاف الشيوخ 9 و10 صعوداً إلى خالد بن الوليد. أما الأعضاء الأحد عشر، الذين يأتون في رأس هذه السلسلة، فقد ظهر أنهم مجرد تلفيق تم بمساعدة أسماء من الفضل، ولم يدرجوا بالتالي في الجدول. أما الثلاثة الذين يلونهم، عبد القادر بن ناصر بن العاصي فإن التسلسل عبد القادر بن ناصر مؤكد بفضل اللائحة الفرنسية، لذلك يجب افتراض وجود ثغرة بين هذين الاسمين وبين العاصي، كما يظهر من اللائحة ذاتها. إن تتابع الشيوخ الذي تسمح به اللائحة، وهو 1: ناصر، 2: عاصي الناصر، 3: ناصر العلي، لا يسمح للأسف بحل مرضٍ لهذه المسألة.

يبدو أن كلا الناصرين مؤكدان على كل حال، لأننا إذا تتبعنا أيوب صبري، وجعلنا من عبد الكريم ابن ناصر وجابر ابن ناصر أخوين، إنزاح خط القرابة الثانوي ثلاثة أجيال إلى الأسفل بالمقارنة مع خطها الرئيس.

2 ـ حملت العائلة بعده اسم العاصي.

3 ـ أنظر ملاحظة رقم 1.

4 ـ بفضل زواجها من سيد حسين برهان الدين الصيادي، شيخ الرفاعية الآتي من البصرة، أصبحت زيانه أم أسرة من زعماء الأخوية، محمد أبو الهدى العضو الأخير فيها. قارن: أيوب صبري. وقبل كل شيء أبو الهدى: كتاب ذخيرة المعاد في ذكر السادة بني الصياد، ص48 وما يليها، الذي يتكئ على كتاب أسفار السويدي (1692م/ 1760م) الموسوم: النفحة المسكية. بروكلمان، الجزء الثاني، ص377 وعلى عبد المنعم العاني: قاموس العاشقين، ومجموعة الشيخ محمد الوفائي. عاشت الأجيال الأولى من أبناء سيد حسين وزيانه بين ظهراني بني خالد،

أقرباء أمهم. دفن سيد علي خزام وابنه خزام في قرية الحيش قرب معرة النعمان. وسكن السيد حسن وادي في خان شيخون، حيث يوجد قبر ابيه سيد علي، وأسس زاوية رفاعية. لم يغادر حسن وادي مقر إقامته وينتقل إلى حلب إلا بعد تولي ابنه منصب نقيب الأشراف فيها. وقد توفي في بداية تسعينيات القرن المنصرم. أما ابن ابو الهدى (توفي عام 1936م)، فكان بين 1926 و1931م رئيس وزراء شرق الاردن.

5 ـ أخذت العائلة منه اسم آل عبد القادر.

6 ـ هذا ما يقوله أيوب صبري. رينو ومارتينيه وتيريبه يسمونه زرّاك، وهو اسم يظهر مرات متعددة في جدول لامارتين. قارن كذلك بورتون: "الحياة الداخلية في سورية"، الجزء الأول، ص101.

7 ـ حكم عبد الكريم باشا منذ عام 1895م، واضطر عام 1918م إلى ترك منصبه والعودة إلى حماه، بسبب إصابته بشلل. وقد تولى الحكم بعده ابن أخيه محمود العبد القادر، الضابط التركي السابق، الذي درس في مدرسة البدو بالقسطنطينية. إستبدل محمود عام 1923م بابن عمه محمد الهويش، الذي تنازل بعد عام للشاب محمد ابن عبد الكريم. بما أن هذا عرف أنه أضعف من أن يستطيع ممارسة الحكم، فقد اعتمد على سابقيه كليهما، اللذين استغلا الفرصة لاستعادة ما كان لهما من نفوذ.

بني خالد(1)

شيخ المشايخ: محمد بن عبد الكريم باشا

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ الناصر (العاصي)(2)	محمد بن عبد الكريم	العلاة	50 (7)
2 ـ الطعمة		جب الجراح	30 (25)
3 ـ القيسات(3)	أحمد الفياض القيسي(3)		20
4 ـ العليان	جاسم المحمد العليوي	العلاة	20 (15)
5 ـ الحصوة(4)	خضر الحصوة		8 (8)
6 ـ الغنايم	خالد العموري(5)	أم حارتين	30 (15)
7 ـ النجاجير	حسن الفارس(6)	الطرفاوي	25 (15)
8 ـ البريكات		المصعدة	13 (13)
9 ـ العقاقرة(7)			5 (5)
10 ـ العقارشة	محسن الهزاع(8)	مصياف	20 (20)
11 ـ البياطرة	خضر الحمد	جب الجراح	25 (25)
12 ـ البطة		مصياف	28 (15)
13 ـ الجبور(9)			18 (18)
14 ـ النهود(9)		الشومرية	30 (20)
15 ـ الشكر(10)	جدعان ابن قنبر(11)		30 (20)
16 ـ الشقرة(12)		العلاة	30 (15)
17 ـ الرزيق	محمود الحسين	الشومرية	100 (60)
18 ـ الرطوب (13)			150 (100)

ملاحظات حول جدول بني خالد

1 ـ وضع الجدول بالإستعانة بتيريبه، ص42 وما يليها، وأخذ معطيات موزيل بعين الإعتبار: بادية تدمر، ص43 (1908)م. الأماكن مرسومة جميعها على الخارطة باستثناء أم حارتين والطرفاوي، اللتين نجدهما في خارطة موزيل: جزيرة العرب الشمالية، حيث تقع إحداهما جنوب شرق سلمية والأخرى جنوب مسعدة. ـ الأرقام التي بين قوسين تعطي عدد خيام البدو الرحل. بوركهاردت (ص10) قدر عدد الخيام بمائتي إلى ثلاثمائة خيمة، وعدد خيام كل واحدة من العشائر المرقمة 15 و16 و17، المستقلة آنذاك، بـ50 إلى 100 خيمة. عدد الماشية: 15000 جمل، 150000 رأس غنم مع خيول جميلة!.

2 ـ يسمى تيريبه العشائر من 1 إلى 9 الزمول (1) (والزمول[1] اسم خاص بفرع واحد من العشيرة عند موزيل) وهي تدفع مبلغاً شهرياً لشيخ المشايخ مقابل "حق الإختباء" (الدخالة). وهي، في الواقع، نواة القبيلة، لأن العشائر من 13 ـ 17 من أصول غريبة.

3 ـ هكذا يجب فهم "جيزات" و«غيسي» تيريبه. الجيسات منضوية في الطعمة.

5 ـ موزيل. خضر العموري.

6 موزيل (أبوه) فارس الرخيّص.

7 ـ حسب تيريه، من نفس الأصل كالعشيرة التي تحمل نفس الاسم والمنتمية إلى الفدعان.

8 ـ موزيل: (أبوه) هزاع البطيحش.

9 ـ بني خالد في شرق الاردن، انضم الجبور إلى القبيلة عام 1917م.

10 ـ بني حسن من شرق الاردن. إنضموا منذ وقت طويل إلى بني خالد.

---

(1) العشائر 10، 11 منضمة إليها.

11 ـ موزيل: (أبوه) قنبر.

12 ـ بني حسن أيضاً.

13 ـ إنشق البوادة بخيامهم المائة والخمسين عن الرطوب.

إنفكت مجموعات من بني خالد عن القبيلة الأم كلياً، يقدر عددهم بأربعين خيمة، يعيش أصحابها رعاة في دائرة مصياف، و250 خيمة إنضمت إلى الموالي. ثمة وجود لبني خالد بين السكان شبه المستقرين في جبل الحص والغاب.

فواعرة

لا وجود للفواعرة في جدول بوركهاردت حول بدو حماه. وسبب ذلك أن الفواعرة لم يتكونوا إلا مطلع القرن التاسع عشر على يد الأمير حسن الفاعور من قبيلة الفضل، الذي كان قد أجبر على مغادرة موطنه بسبب نزاع عائلي، واحتمى أول الأمر بالموالي، حيث تجمع حوله بالتدريج رهط من المغامرين. عندما بلغ هؤلاء درجة كافية من القوة، ترك الأمير الموالي واختار منطقة تقع حول سلمية موطناً لقبيلته الجديدة، التي سميت باسمه. وقد أفلت زمام الحكم من يدي ابنه، فتولاه مولى اسمه شبلي، بينما سافر حفيده في التسعينيات إلى أميركا وفُقد هناك[1].

بغض النظر عن افتقارهم إلى التقاليد، يمثل الفواعرة اليوم قبيلة موحدة بكل معنى الكلمة، أسهم أعظم الإسهام في وحدتها عداء جيرانها لها، الذي اجبرها على فرض نفسها عبر معارك لم تنته إلا منذ أمد قريب. وإن كانت بعض أحداث الحقبة الأخيرة تشير إلى ضعف أصاب تضامنها. لم يقبل الفواعرة تقديم تعويض إلى عشيرة الحناحنة، التي كانوا قد سلبوها كل ما تملك خلال غزوتين شنوهما عليها عامي 1922 و1929م، إلا تحت ضغط الحكومة. بسبب صفاتها هذه، وجد

(1) نشأت فيما بعد شكوك قوية في صحة هذا العرض المستند إلى تيرييه. إذ إن نشوء قبيلة بهذا الحجم خلال هذه الفترة القصيرة يبدو بعيد الحدوث، بل إنه مستحيل تماماً إذا كان الفواعر المذكورون في قائمة لامارتين التي تعود إلى العقد الثاني أو الثالث من القرن التاسع عشر (600 خيمة) هم نفسهم قبيلة الفواعرة التي ندرسها.

الشيخ طراد الملحم، شيخ الحسنة، في القبيلة ميداناً مناسباً لطموحاته[1]، وكان الفواعرة جميعهم على وجه التقريب قد وضعوا أنفسهم تحت تصرفه خلال ترحال 1924م/ 1925م الشتوي. لكن القسم الأكبر من هؤلاء "الرعايا" الجدد تخلى عنه، عندما طلب منهم رسوم حماية.

يتعزز تراخي الإتحاد بسبب افتقاره إلى قائد، ذلك أن الحكومة تأبى الإعتراف بالشيخ الشرعي محمد الشبلي، الربيب السابق لمدرسة البدو في القسطنطينية، لأنه يعيش بصورة دائمة في حمص. أما درويش الشبلي[2]، الشخص الذي يليه في الأحقية، وكان فيما مضى دركياً تركياً، فهو يعيش الوضع ذاته. صحيح أنه يقود عشيرة البهادلة، لكنه يوكل صلاحياته في الصحراء إلى أحد المخاتير. وهناك أخيراً سفوق العفنان، شيخ العشيرة الأقوى المسماة بالعلقويين، الذي لا يصلح لمنصب شيخ المشايخ، لعيوب في شخصيته.

الفواعرة بدو رحل، يتجمعون في الفرقلس، جنوب شرق حمص، عندما تبدأ أمطار الخريف، ويقصدون في الحماد مواقع ماء القمقم، الباردة، البصيره، وسبع بيار، ليعاودوا الظهور في الفرقلس خلال شهر نيسان، ويتقدموا قبل نضوج القمح في مجموعات صغيرة إلى الأرض الزراعية، حيث تمس الحاجة إليهم من أجل نقل المحاصيل. ثمة بضعة عشرات الخيام ترفض الترحل مع القبيلة، لأن أصحابها يتدبرون عيشهم كعمال زراعيين في الحقول الواقعة إلى الشرق والجنوب من حمص. بينما تسكن عشرون أسرة مدينة حمص ذاتها.

تمتلك الفواعرة ثروة حيوانية مهمة، كثيراً ما أثارت طمع حتى القبائل البعيدة. وتتعرض بدورها خلال ترحالها السنوي إلى خسائر تتسبب بها سرقات يقوم بها سكان الحرة. للقبيلة كذلك أراض في جبل الشومرية. وكان لها حتى عام

---

(1) أنظر مقالة عنزة/. فصل حسنة.

(2) مثل محمد هو حفيد الدرجة الثانية أي ابن ابن ابنه لمؤسس أسرة الشيوخ، وسلسلة أسلاف الاثنين هي: درويش ابن حميد (شيخ المشايخ-1908م) ابن حمود بن شبلي ومحمد بن شبلي بن نايف بن شبلي.

1905م أربع قرى في العلاة، تخلت عنها خلال حرب مع الموالي، ثم انتقلت ملكيتها بعد ذلك بطريقة غير نظيفة إلى أسرة البرازي في حماه.

يتمتع الفواعرة بحماية ضنا مسلم، ولذلك فهم ممقوتون من ضنا عبيد (الفدعان، السبعة). عدا ذلك، يُحدد موقعهم السياسي بصراعهم الطبيعي مع بني خالد: جيرانهم الأقوياء. وهم على عداء مع الحديديين ولهيب، وصداقة مع الموالي و«العقيدات» والنعيم.

الفواعرة(1)

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ العلقويون	سفوق العفنان(2)	120
2 ـ الحناحنة(3)	سليمان العواض(4)	70 (15)(*)
3 ـ المعيديين	محمد المصيطف	25 (4)
4 ـ الطريجة	عبيد السليم	30 (4)
5 ـ البهادلة	درويش الشبلي	35 (3)
6 ـ التويمات(5)	قدور العزاوي(6)	40 (4)
7 ـ الزيادنة	حميد الدرويش	12 (3)
8 ـ الارامنة	حجاج الفياض	15 (5)
9 ـ الهنادزة(7)	مشرف العدلان(8)	22 (3)
10 ـ العبيد(9)	حميدي	12

ملاحظات حول جدول الفواعرة

1 ـ وضع الجدول استناداً إلى موزيل: بادية تدمر، ص37 (1908)م وتيريبيه، ص36. يذكر موزيل عشيرتين لا يردان عند تيريبيه، الذي يذكر أفخاد كل واحدة من

(*) لم أستطع معرفة المقصود بالرقم (15) هنا حيث لا يوجد هامش أو ملاحظة لها رقم 15 لذا تركتها كما هي ولغرض التنبيه فقط (شبّر).

العشائر، لكننا لم نستطع إيرادها بسبب عدم وضوح أسمائها. عدد الخيام: 450. تشير الأرقام التي بين قوسين إلى عدد خيام البدو المستقرين. عدد الماشية: 80 حصاناً، 2500 جمل، 50000 رأس غنم ثلثاها فقط ملك القبيلة.

2 ـ سلفه: سلامة بن عفنان.

3 ـ موزيل: "حنانمه".

4 ـ سلفه: عقله العواض.

5 ـ لهم 15 خيمة عند راكان بن مرشد من السبعة.

6 ـ سلفه: سلامه العزاوي.

7 ـ أعلنت العشيرة استقلالها عام 1921م، لكنها عادت من جديد إلى نصب خيامها مع الفواعرة، ويبدو أنها تميل إلى الدخول مجدداً في اتحادها.

8 ـ سلفه: علي العدلان.

9 ـ عبيد الحناحنة.

نعيم

تقدر خيم النعيم في سورية بحوالى ألفي خيمة، أي أكثر بكثير من عدد خيامهم في بلاد الرافدين. لم يصل النعيم إلى هذه القوة الواضحة إلا في القرن التاسع عشر، عبر ضم عناصر غريبة كبعض قبائل الجولان الصغيرة، التي كان بوركهاردت قد ذكر أسماءها باعتبارها قبائل مستقلة[1]. كما أن ظروف القبيلة الأخرى تغيرت أيضاً خلال هذه الفترة: كانت في أيام بوركهاردت تشكل مجموعة واحدة تمضي الصيف في البقاع الجنوبي والشتاء في الجولان، بينما تنقسم اليوم إلى مجموعات ثلاث، تمضي الصيف قرب حمص/ حماه ودمشق والجولان، ويقصد أجزاء منها السهب الشرقي في الشتاء[2]. يتساوى نعيم سورية في نمط حياتهم مع نعيم بلاد الرافدين، فقسم منهم مُستقر (عمال زراعيون وملاك أراضي في حالات نادرة)، والقسم الآخر رعاة متنقلون. يفتقر النعيم أيضاً إلى تماسك داخلي قوي ضمن تشكيلاتهم.

بعد نعيم الجولان، يشكل نعيم حمص، حماه أقوى مجموعات القبيلة. إلا أنهم، منقسمون حالياً، لأن فروع حماه لم تعد تعترف بشيخ المشايخ سعود الحسين، وتريد وضع جاسم الحسين مكانه، بينما تريد الحكومة تعيين "متقل

(1) وهيب، أبو حية، بكار(؟) شراحين، ربيعيين.

(2) يمكن أن تكون مجموعة رابعة تسكن قرب منبج متحدرة من زمن كانت القبيلة لا تزال تسكن فيه شمال سورية. أنظر مقالة نعيم في قسم بلاد الرافدين.

البخن"، الذي مثل حتى الآن مصالح القبيلة في حمص، لكنه يميل إلى استئناف حياة الترحال، إذا ما أسندت المشيخة إليه.

يعيش نعيم حمص - حماه في سلام مع القبائل المحيطة بهم، باستثناء بني خالد. ويعتبر الفواعرة مقربين جداً منهم، إلى درجة أن الأقسام المترحلة من النعيم ترافقهم إبان تجوالهم الشتوي[1]. يمتلك النعيم أربع قرى على أطراف السهب، بينها قرية عز الدين، التي تحمل اسم أبي القبيلة، ولديهم الرغبة في شراء أراضٍ إضافية. يحدد تيرييه عدد مواشيهم بـ90000 رأس غنم و3300 جمل، بالإضافة إلى قطعان أسر أعيان حمص كالأتاسي والدروبي والجندي والرفاعي، التي يوكلون أمرها إليهم.

بقي نعيم الغوطة قرب دمشق في فترة كانت القبيلة تتأرجح فيها بين البقاع والجولان. ويقال إنهم انفصلوا عنها قبل ثلاثة أجيال فقط، وهم يمضون الشتاء جنوب الهيجانة.

ليس لنعيم الجولان[2] أهمية تذكر، رغم قوتهم العددية. فهم يعملون رعاة في خدمة ملاك الأرض العرب والشركس وكبار تجار دمشق، ويتناثرون في مجموعات صغيرة بين الكسوة في الشمال ونوى في الجنوب، وتشمل منطقتهم عدا القسم الأوسط من الجولان الشرقي أرض الجيدور وغرب سهل حوران. لم تعد بعض قطاعات النعيم تغادر محيط قرى معينة، ولا يقوم العدد الأكبر منهم بأية رحلات مكانية ذات شأن. في سنوات الجفاف، يحدث أن ينضم النعيم إلى الرولة ويرافقونها إلى خبرة سيقل، شرق دمشق. هذا النمط من العيش أدى إلى تراخي المجموعة تماماً. وإذا كان الشيخ ما قبل الأخير بركات الطحان (حتى 1921م) قد نجح في إعادة توحيدها تحت سلطته، فإن ابنه عبد الله، المغامر الجسور، الذي تجرأ على تحدي الدروز وقبائل اللجاة وبني خالد شرقي الأردن، فقد السلطة لكونه أجبر على الإبتعاد سنوات كثيرة عن موطنه، بعد أن شارك في اضطرابات عام 1920م، وحكم عليه بالإعدام. ولكن لم ينفذ الحكم، لأن أسقف حوران الملكي، نقولا القاضي،

(1) حيث يرحلون إما إلى منطقة الباردة - البصيري - تدمر أو إلى الحماد (طنف - خبرا صلبيّه - مرفيّه).

(2) أقدم ذكر لدى مايو، الجزء الأول، ص113.

توسط لدى السلطات وحصل على عفو له صدر عام 1925م. حين مات عبد الله عام 1926م أضيف إلى العوامل الطبيعية التي حالت دون تماسك القبيلة، عامل آخر تمثل في نشوب نزاع داخل أسرة الشيوخ: فقد كان صالح أخو عبد الله الخليفة الشرعي، لكن السلطة هي في يد ابن عمه ممدوح.

أ ـ النعيم(1)

شيخ المشايخ: سعود الحسين(2)

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ نعيم	قاسم الحسين(3)	سلمية	180 (94)
	متقل البخن(4)	سلمية/ حمص	120 (60)
	سعود الحسين	حمص	80 (40)
2 ـ وهيب(5)	أحمد الوهيبي	حمص	20 (6)
قبائل ملتحقة بها			
1 ـ معاجير	أحمد الأحمد	حمص	70 (10)
2 ـ شقيف	يوسف الأحمد	المنزول/ القصير	100
3 ـ العتيق	علي الأحمد	القصير/ تل كلخ	
4 ـ أبو عيد(6)			
5 ـ الطويلة(7)		القصير/ نبك	30 (5)

ب ـ نعيم الغوطة(8)

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ حرب(9)	سلامة الحسن		80
2 ـ الشقاقين(10)			20
3 ـ الصياد(11)			150
4 ـ الحمامرة(12)			20.

جـ ـ نعيم الجولان(13)

شيخ المشايخ: صالح بن بركات الطحان: ممدوح الطحان(14)

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ البوّيين(15)	محمد علي	أم سعسع	200
2 ـ العضرا		الكسوة أم سعسع	60
3 ـ أبو حية(16)	محمد الخلف	الكسوة/ تل الحارة	50
4 ـ أبو المي(17)		تل مرعي/ الرقاد	90
5 ـ البكار(18)	محمد العقال	تل الحارة/ الرقاد	200
6 ـ الغرا	صالح الطحان	تل الحارة/ الرقاد	150
7 ـ الطحان		كودنة/ الجوخدار	20
8 ـ المقابلة(19)			40
9 ـ العفاضلة	حازم المحسن	تل الفرس	100
10ـ الشراحين (الشراحيل)(20)	شهاب المحمد		150
11 ـ الهوارين		جنوب العفاضلة	50
12 ـ الربيعيين(21)			30
13 ـ الفواشرة(22)			20
14 ـ السبارجة(23)		الرمنسية	20
15 ـ القصيّرين(24)	فاعور الطحان	تل الفرس/ خسفين	80.

ملاحظات حول جداول النعيم

1 ـ فضلاً عن المجموعات التي ورد ذكرها في الجدول، لا بد أيضاً من ذكر نعيم منبج ـ ستون أسرة في أربع قرى ـ الأرقام الموضوعة ضمن قوسين تدل على عدد الرحّل.

2 ـ وفق استقصاءات أقدم وبعد استخدام تيرييه، ص50 وما يليها. وهو يذكر

أيضاً "هاسيكات"، وعدد خيامهم 30 (5) وعز الدين 30 (10) خيمة. وعز الدين هم ملاك القرية التي تحمل الاسم ذاته، وهم ينحدرون من سكان مستقرين. الأماكن مرسومة على الخريطة باستثناء المنزول (22 كيلو متراً جنوب حمص) وتل كلخ (37 كيلو متراً إلى الغرب من حمص).

3 ـ ذكرها موزيل: بادية تدمر، ص127.

4 ـ عشيرته عند تيرييه "هزومين".

5 ـ قارن مقالة "قبائل صغيرة في شمال فلسطين".

6 ـ لا توجد لدى تيرييه، إلا إذا كان يقصد بهم «الخابوت». إنهم بالتأكيد متماثلون مع العبيد، الذين يذكر بوركهاردت وجودهم في الهرمل، وهم مسجلون في الجدول الرسمي للقبائل التي تمضي الشتاء في الجولان، والتي يذكرها شوماخر «الجولان».

7 ـ أنظر كذلك مجلة الرابطة الألمانية (ZDPV). الجزء 23، ص14.

8 ـ سجل في تموز 1925.

9 ـ تيرييه، ص58: 45 خيمة. عدد الماشية: 2000 رأس غنم. بوركهاردت، ص117، يوردهم أيضاً عند بعلبك وفي الجولان، باعتبار أن الأخيرة منطقة الشتاء بالنسبة لهم (ومنطقة الحمامرة كذلك)، كما يتضح من جدول الرسمي عند شوماخر.

10 ـ تيرييه، ص54، من نعيم الجولان.

11 ـ تيرييه: ص26، من السلوط. قارن تيرييه، ص56 ـ إعترف الصياد والحمامرة عام 1925 بسلطة عبد الله الطحان (نعيم الجولان).

12 ـ تيرييه، ص58، من عقيدات الغوطة.

13 ـ سجل في تموز عام 1925م. أسماء الشيوخ أخذت من قائمة تيرييه، ص54، التي تحسب حساباً للتبدلات السياسية التي حدثت منذ1926م. عدا ذلك،

ليست الفروق بين معطيات تيريبيه ومعلوماتنا الخاصة كبيرة. يلفت النظر غياب الصيكات، المذكورين في الجدول الرسمي، والنميزات لدى الراوي. الأماكن مرسومة على الخارطة باستثناء كودنه (15 كيلو متراً جنوب شرق القنيطرة) والرمسنية (11 كيلومتراً ونصف الكيلومتر جنوب القنيطرة).

الوسم: | O على العنق؛ بعض الاختلافات عند شوماخر، الجولان، ص90.

14 ـ تخضع لصالح عشائر غرا والسبارجة، وتخضع لممدوح أبو حية، والعفاضلة، وشراحين، ونميرات و"الحسيكات".

15 ـ تيريبيه. عدد الخيام: 20.

16 ـ بوركهاردت، ص18: الجدول الرسمي.

17 ـ منقول ربما عن ابوعاصي؟. قارن: الابوعاصي في الجدول الرسمي وتيريبيه: "الابو حسي".

18 ـ الجدول الرسمي. تيريبيه: عدد الخيام 20! فهل هم متطابقون مع "بقارة" بوركهاردت؟.

19 ـ فلاحو أسرة الشيوخ، الذين لديهم أملاك في كودنه والرفيد.

20 ـ بوركهاردت: الجدول الرسمي.

21 ـ هم كما يبدو من يسميهم بوركهاردت بني ربيعة، المنتشرين أيضاً في شمال فلسطين.

22 ـ تيريبيه: "فواخر".

23 ـ الجولان، ص90. هناك فخذ يسكن قرب الناصرة.

24 ـ يحسبهم شوماخر وتيريبيه على الفضل.

قبائل صغيرة قرب دمشق

فضلاً عن مجموعة نعيم التي ذكرناها أعلاه، تقيم قبيلتان صغيرتان أخريان بصورة دائمة في محيط دمشق هما الجملان والعقيدات. أما الجملان، الذين أخذوا اسمهم عن شيخ اسمه جميل، فيقال إنهم قدموا قبل وقت طويل من وادي الفرات، بينما لم يقدم العقيدات إلى هنا إلا منذ وقت قصير. وهم فرع من عقيدات حمص، الذين كانوا يتنقلون فيما مضى بين البقاع والجولان، شأنهم في ذلك شأن النعيم[1]. تعمل هاتان القبيلتان، كنعيم الغوطة، رعاة قطعان لتجار وملاكي أراضي دمشق وفلاحي ضواحيها أيضاً. يقيم العقيدات في الغوطة خلال الصيف ويمضون الشتاء في مثلث الضمير وخبرة سيقل وخان منقورا، في حين يتابع الجملان طريقهم نحو الجنوب، ليقضوا الصيف بين الكسوة ـ العتيبة في الشمال وصنمين ـ المسمية في الجنوب، ويذهبون عادة في الشتاء إلى شرق "بحيرات المراعي" من دكوة وحتى المكحول وسيس، وإلى الحماد في السنوات المجدبة. غير أن نصف خيام القبيلة تبقى في قرى معينة، يعمل سكانها رعاة وعمالاً زراعيين، بل إن بعضهم يمتلك أرضاً عند البلي.

(1) تابع بوركهاردت، ص9، يفهم من القائمة الرسمية لدى شوماخر، الجولان، أن العقيدات كانت تمضي الشتاء في الجولان حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر. أما وجود العگيدات قرب دمشق، فهو يذكر لأول مرة لدى كريمر: سورية الوسطى، ص191 169.

يدفع الجملان رسم رعي للفلاحين الذين يدخلون أراضيهم، (حمل أو نصف مجيدي على كل مائة رأس ماشية) ويقال إنهم آمنون ضد الغزوات، مع أنه لم يسبق لهم أن دفعوا خوّة في أي وقت. رغم طبيعتهم المسالمة، إشترك الجملان في الثورة السورية، فتم نزع سلاحهم عام 1928م.

قبائل صغيرة قرب دمشق(1)

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ جملان	ظاهر المسعود(2)	صيفاً: وادي العجم شتاء: ديرة التلول	110
أ ـ العودة	حسن الناصر		20
ب ـ الحمود	عقلى العبد ربه		20
جـ ـ الشواهنة			23
د ـ الناصر	محمد السميرا		15
2ـ عقيدات(3)		صيفاً الغوطة/ شتاء شرق الضمير	160
أ ـ الزامل	محمد بن جاسم		40
ب ـ حمود	جاسم الجابر		28
جـ ـ المشاهدة	علي بن خلف		20

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب تيرييه، ص55 وما يليها.

2 ـ ينتمي إلى أسرة حمد المحترمة، التي صارت فقيرة معدمة.

3 ـ هناك حي في الضمير يسكنه العقيدات، وآخر يسكنه النعيم. موزيل: بادية تدمر، ص113.

عمور

قدم العمور قبل حوالى مائتي عام إلى بادية تدمر، من موطنهم في شرق الجزيرة العربية. أما قبيلتهم الأم فهي الفضول[1]، الاتحاد الذي اندثر بسبب عواصف الحركة الوهابية. عندما تركت أولى موجات عنزة موطنها العربي، إنضم قسم من العمور إلى الحسنة ورحلوا معهم إلى سورية، ولذلك دفعوا لهم خوّة في الموطن الجديد[2]. أما القسم الذي بقي في موطنه، فذاب لاحقاً في الضفير. وتعتقد مجموعتا عمور نجد وعمور سورية أن قرابة تجمعهما.

إنهار اليوم اتحاد عمور سورية، فانضمت بعض أفخاذه إلى عنزة، وانضم الجراح إلى الفدعان ـ الولد، والبرقع والعليوي إلى الحسنة، حيث سموا عمور الملحم نسبة إلى شيخهم. لا يزال عمور الديرة[3] والمهارشة مستقلين، يسكن الأولون منهم سلاسل الجبال الذاهبة من جبال لبنان الشرقية إلى الشمال الشرقي، حيث تسمي خارطة قديمة أحدها جبل عمور. ويتنقل المهارشة في منطقة أبعد إلى الشمال مع السبعة. تفتقر هاتان المجموعتان إلى رابطة سياسية، وحتى أفخاذ عمور

---

(1) يذكرها روسو في هذا الموقع، رحلة (1808م)، ص67.

(2) تيرييه، ص92 ـ بوركهاردت، ص12.

(3) أي عمور دمشق. الديرة تعني في الشمال السوق الرئيسي لبدو منطقة ما، أما في جزيرة العرب فتعني منطقة ترحال قبيلة ما.

الديرة نفسها فإنها تعيش مستقلة بعضها عن بعض كلياً.

إنحاز العمور عام 1925/ 26م إلى جانب ثوار النبك. لكنهم استسلموا للفرنسيين في الأول من نيسان عام 1927م، وعملوا منذ ذلك الوقت كحراس حدود.

العمور(1)

أ ـ عمور الديرة

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ نجاد(2)	خلف الناير	صيفاً: نبك/ ضمير شتاءً: تدمر	60
2 ـ بدور(3)	خلف العطية		70
3 ـ أبو حربا(4)	منصور التلي(5)		120
أ ـ الخرسان(6)	معجل السند		
ب ـ عناترة(7)			

ب ـ مهارشة

شيخ المشايخ: الياس

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ الخرسان(6)		مثل السبعة ـ عبده	60
2 ـ فراع(7)		مثل السبعة ـ عبده	60
3 ـ عمري		مثل السبعة ـ عبده	60
4 ـ السعد		مثل السبعة/ قمصة	60

ملاحظات على الجدول

1 ـ وضع الجدول بالاستعانة بموزيل، ص24 (1908م) وتيرييه، ص59 ,92.
يتضمن جدول موزيل العشائر التي انبثقت من العمور وهي غياث الصفاه، وكذلك الجراح وعمور الملحم، الذين ينضوون هنا في الفدعان والحسنة.

2 ـ شتوبل، مجلة الرابطة الألمانية (zdpv) العدد 12، ص300: انقاد. إستقرت إحدى الأسر قرب النبك.

3 ـ رعاة جرود.

4 ـ رعاة تدمر والسخنة. يذكر لامارتين ألبو حربا مع شيخ يسميه ابن "نجد" والمقصود هو دون شك نجاد.

5 ـ شيخ للعمور اسمه مزهور التلي. بادية تدمر، ص136.

6 ـ يذكرهم نيبور (جزيرة العرب، ص396) بين قبائل دمشق. ربما كانوا يتماهون مع من يسميهم القلقشندي بالخرسان، ص115. وهم مثل ألبو حربا إنضموا إلى العمور أي أن الانضمام حدث في سورية وليس قبل ذلك.

7 ـ يحسبهم موزيل، ص151، على الحديدين، الذين يقيم العمور بالفعل علاقات سياسية معهم.

(*) الجرود: هي كلمة تطلق على المناطق والسفوح الجبلية التي تكون قليلة الزرع. (شبّر).

عرب اللجاة (السلوط)

يسكن البدو هضبة الطفح البركاني المسماة اللجاة. وهم يسمون تارة عرب اللجاة وطوراً باسم السلوط[1]، إحدى قبائلهم الفرعية، حيث نجد الاسم الأول أولاً في جهان نامه (ص585)، وتظهر إحدى قبائله ـ المدلج، (المدالجه) ـ حتى في العصر المملوكي[2].

تسود اللجاة شروط غير ملائمة للحياة، لكنها تقدم، في الوقت نفسه، حماية مؤكدة من الهجمات، إن لم يحتل العدو مواقع المياه فيها. لذلك، تمكن قوم السلوط الصغير من المحافظة حتى الآونة الأخيرة على استقلالهم تجاه حكام البلاد، ودحروا أكثر من مرة قوات نظامية وردّوها على أعقابها. لم يغامر العثمانيون بدخول اللجاة، بل تركوا تحصيل الضرائب إلى قبيلة الفحيلي[3]، التي مارست السلطة حتى القرن التاسع عشر في مناطق حوران الشمالية. عندما ثار السلوط مع الدروز عام 1838م ضد إبراهيم باشا، توغلت الوحدات المصرية في اللجاة إلا أن حملتها أخفقت، مثلما أخفقت حرب تركيا ضد الدروز عام 1852م[4]. بدورهم، اضطر الفرنسيون عام 1920م إلى التغلب على مصاعب هائلة في هذه المنطقة، ولم يتمكنوا من ترسيخ حكمهم إلا بعد أن نجحوا في فك تحالف السلوط التقليدي مع الدروز،

(1) تلفظ صلوت أيضاً.

(2) صبح، الجزء الرابع، ص209. ابن طولون، ص37.

(3) 10 ـ 60 قرشاً للخيمة. بوركهاردت، ص15.

(4) كاياردو في مجلة مصر، الجزء الثالث، ص65. فيتسشتاين، حوران، ص83.

وفي دفعهم إلى القتال ضد حليفهم السابق (1925)م.

عرف عرب اللجاة في الماضي كلصوص سيئي السمعة الجانب. ولا عجب في ذلك، إذا ما تذكرنا فقر موطنهم، الذي يسمح بتربية الأغنام دون غيرها، وببعض الزراعة في الرقع الخالية من الحجارة والصخور. تعتبر أراضي اللجاة أملاكاً أميرية في الشمال، وأملاكاً للبدو في الجنوب، يدفع عرب اللجاة 22,5٪ من محاصيلهم في الشمال و12,5٪ في الجنوب، كضريبة. يتصدر شيخا مشايخ المجموعتين، اللتين ينقسم إليهما عرب اللجاة، وهما آل حمد وبني عمرو، موقعيهما (كقائم مقامين) وكمديرين لدائرتيهما: الأول في جنوب اللجاة والثاني في شماله.

عرب اللجاة (السلوط)(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة السكن	عدد الخيام
1ـ آل حمد	طلال بن سعد الدين	جنوب وغرب اللجاة	
	أبو سليمان الحمد(2)		
أ ـ اللزوق	حامد الزغيمان(3)		400
1 ـ العوران(4)	طلال ابو سليمان		
2 ـ الرمّاح(4)			
ب ـ المدالجة(5)			250
1 ـ الحلف			
2 ـ القريط			
جـ ـ السلوط			150
د ـ الظهرة(6)			100
2ـ بني عمرو(عمر)	أحمد بن زعل الغصين	شمال وشرق اللجاة	
أ ـ المراشدة	أحمد الغصين		300
ب ـ الصوابرة			200
جـ ـ الحجرة			300
د ـ السيّالة			200

ملاحظات حول الجدول

1 ـ سجل يوم 26 تموز عام 1925م. الراوي: عيفان الحمد، أحد أعمام الشيخ طلال.

يبدو أن مجموعتي الحمد وبني عمرو، اللتين تسمت أولاهما باسم أسرة شيوخها، حديثتا التكوين، بينما ترد أسماء العشائر جميعها في مراجع أقدم، هي: بوركهاردت: ص15. قارن أيضاً كتابه: رحلات في سورية والأرض المقدسة، ص111. روبنسون: فلسطين (1838)م، الجزء الثالث، ص915، حيث تبدو قبائل عرب اللجاة كرعايا للفحيلي. شتوبل (1882)م، في مجلة zdpv، الجزء 12، ص300. رينو ومارتينيه، ص26. في هذه الجداول أسماء أكثر ممّا في جدولنا، ولكننا لا نجد منها لدى تيرييه، ص61، سوى الشرعة والفواخرة و "الزهران" «الزعران».

يرجح أن تكون أعداد الخيام في الجدول مرتفعة جداً، وأن رقم 700 الذي يورده تيرييه هو الأقرب إلى الصواب. تظهر أرقام بوركهاردت ـ 150 خيمة لكل من 1. ب وج، إن عدد القبيلة لم يتكاثر في هذه الأثناء.

2 ـ حكم والده سعد الدين حوالى عام 1900م، وجده سليمان أبو عودة حوالى عام 1870م. أنظر: بورتون، الحياة الداخلية، الجزء الأول، ص69. داسو: بعثة في المناطق الصحراوية من سورية الوسطى، ص17.

3 ـ تيرييه: صالح.

4 ـ تعتبر فرعاً من عشيرة في جداول أخرى.

5 ـ مايوكس، الجزء الأول، ص112. لدى بوركهاردت وروبنسون: مدلج.

6 ـ يسميهم بوركهاردت "ظوهرة" ("ظويهرة") قارن الشكل المزدوج: "ظوهرة" و"ظهرة" لدى شتوبل.

عرب الجبل[1]

يظهر اسم عرب الجبل أول مرة في جهان نما (ص585)، والمقصود هم بدو جبل حوران وهم شريحة قديمة جداً من المهاجرين. ينطبق هذا، على الأقل، على الزبيد، الذين سكنوا المنطقة منذ القرن الثالث عشر، وانتشروا في العصر الوسيط من صلخد على السفح الجنوبي للجبل إلى غوطة دمشق، ووصلوا في الشرق حتى أم اوعال والرويشدات[2] وراء حرّة الراجل ـ خلال ترحالهم الشتوي بطبيعة الحال. ويبدو أنهم كانوا على قدر من الأهمية آنذاك، لأن شيوخهم كانوا يحملون لقب المقدم، لا بل ولقب الأمير[3].

فيما بعد، أضعفت الهجرة إلى فلسطين وبلاد الرافدين الزبيد، حتى فقدوا استقلالهم وخسروا قسماً كبيراً من منطقتهم، ورضخوا، أخيراً، لسيطرة الفحيلي، ودخلوا في تبعية اقتصادية لفلاحي الجبل، يصفها بوركهاردت على النحو التالي: "إنهم رعاة الفلاحين في أرض حوران، الذين يرعون أغنامهم ومعزهم بين صخور الجبل. وهم يعيدون القطعان إلى أصحابها في الربيع، فيحتفظ بها هؤلاء طوال

(1) هي بالتأكيد لفظة حضرية، لأن اللفظة البدوية هي أهل (أهالي) الجبل.

(2) هذا ما يقوله القلقشندي، نهاية، ص224، خلافاً لصبح، الجزء الرابع، ص214 وجودفروا ـ دومومبين، ص200.

(3) صبح، الجزء 12، ص137، أعيد اللقب إلى مقدم الزبيد من أسرة نوفل.

ثلاثة أشهر، حيث يحلبونها ويصنعون زبدة من حليبها ويبيعون صغارها في دمشق. ينال هؤلاء العرب لقاء عملهم دفع الولادات الجديدة من المواشي وربع محصول الزبدة" (ص14).

هذا الوضع بقي على حاله، ما عدا أمراً واحداً، هو أن السكان القدماء المستقرين غمرتهم في الفترة المنصرمة موجات من دروز لبنان، حتى أن بعض عشائرهم الصغيرة تحولت إلى خدم لدى أسر الشيوخ الدرزية، مثلما هو حال المداحلة عند الأطرش.

منذ أن اختفت الفحيلي من حوران (أواسط القرن الماضي؟)، إنتقلت القيادة السياسية أيضاً إلى الدروز، الذين قاتلت "الزبيد"، في السابق رعايا باشا دمشق المسالمين، إلى جانبهم ضد الأتراك وفي ثورة 1925/ 1927م الكبرى ضد الفرنسيين.

لا نعرف أي شيء حول أصل المجموعة الأخرى من عرب الجبل، التي تحمل اسماً غريباً هو وسامة الباهل، وإن كنا نعرف أنها أكثر تماسكاً من الأولى، ومستقلة اقتصادياً، لأنها تعيش حياة بدو رحل. سياسياً، تتبع هذه المجموعة أيضاً الدروز. وتمتد منطقة انتشارها في الشتاء من وراء حدود تل اصفر[1]، بعيداً إلى الجنوب، وحتى حرّة الراجل ومنطقة قصر الازرق. يعيش هؤلاء في عداء مع الرولة وبني صخر، وأهل العيسى والسرحان والشرارات. وقد فشل مؤتمر دعت السلطات إليه في تشرين الثاني من عام 1928م وعقده زعماء القبائل المختلفة في إربد، في تجاوز ثارات الدم القائمة بين مجموعاتها[2].

(1) لا يجوز الخلط بينه وبين التلة التي تحمل الاسم ذاته، التي تشكل الحد الشمالي للزبيد.

(2) تيربيه، ص193 و195. وكذلك الشرق الحديث، الجزء العاشر، ص152، والجزء 11، ص301.

عرب الجبل(1)

زبيد(2)

القبيلة	الشيخ	الإقامة	عدد الخيام
1 ـ الحسن(3)	مفلح بن خضير	صيفاً: السحنة	200
		شتاء: الكراع/ الرحبة(4)	
2 ـ الجوابرة		صيفاً: شهبة/ المجيدل	100
		شتاء: تل الاصفر	
3 ـ الشنابلة		السويداء	50
4 ـ العتايقة(5)			
5 ـ الحواسنة		صيفاً: عاهرة	
		شتاء: تل الاصفر	50

ب ـ وسامة الباهل(6)

القبيلة	الشيخ	متعة التجول	عدد الخيام
1 ـ المساعيد(7)	ابن فريوان السرور	صيفاً: صلخد	300
		شتاء: تل اصفر	
أ ـ العصافير			
ب ـ الغنيم			
ج ـ الغوانم			
2 ـ العظمات(8)	مفلح بن هليل		
3 ـ الشرفات	عواد بن عنيزان(9)	مثل المساعيد	100

ملاحظات حول الجدول

1 ـ التسجيل مأخوذ عن الراوي ذاته الذي قدم معلومات عن عرب اللجاة. يقدم تيريبيه، ص193 وما يليها أرقاماً أكبر بعض الشيء حول عدد الخيام. تشير المقارنة مع جداول أقدم: (بوركهاردت، ص14. روبنسون، الجزء الثالث، ص915. بورتون وتيرويت دراك: سورية المجهولة، الجزء الأول، ص148. شتوبل، ص301)، إلى أنه لم تحدث تقريباً أية تغييرات في أوضاع عرب الجبل، باستثناء اختفاء السمارات، التابعين إلى المجموعة ب، بينما يعتبر الفواخرة والشرعة الآن من عرب اللجاة.

2 ـ يقتصر وجود هذا التعبير على فيستشتاين (ص33)، وشتوبل وتيريبيه (1)، ص121. لكن شتوبل يوسعه كي يشمل عرب الجبل جميعاً. ويجعله فيستشتاين يضم عرب اللجاة أيضاً. يقدم روبنسون قبائل هذه المجموعة بين رعايا الفحيلي.

3 ـ يقدم تيريبيه تسع عشائر، تحمل جميعها تقريباً أسماء أسر شيوخها، باستثناء الهدية، التي هي قبيلة مستقلة، بحسب المصادر القديمة. عدد الماشية: 1000 جمل.

4 ـ حوالى 5 كم جنوب غرب السويداء.

5 ـ يعتبرهم شتوبل من السلوط.

6 ـ لا وجود لهذا التعبير في جميع الجداول التي وضعت إلى الآن، لكن موزيل: صحراء العرب، ص383، 388 يستخدمه في صيغة وسمة الباهل. يورد روبنسون قبائل هذه المجموعة باعتبارها رعايا للسردية ـ عدد الماشية: 4000 رأس غنم، 6000 رأس معز، 400 جمل (يمتلكها الشرفات). يقدم التسجيل كذلك عشائر الضاهر والمرشد، التي ليس لها تصنيف أكيد.

7 ـ ذكرت لدى فون سيتزن: رحلات، الجزء الأول، ص103.

8 ـ يسمون بنو عظام في الجداول الأقدم.

9 ـ تيريبيه: ملّوح بن عنيزان.

عرب الصفاه[1]

كان الصفاه، جبل الطفح البركاني المتدرج الصعود، الذي يشكل النتوء الشمالي / الشرقي لمنطقة حوران البركانية، وكذلك منخفض الرحبة الذي يمتد أمامه، ملجأ تأوي إليه العناصر المنبوذة والخارجة على الأعراف الاجتماعية والتي تدرج جميعها تحت اسم عرب الصفاه، الذين ينقسمون إلى غياث وشتاية، والأولون[2] بالأصل عشيرة من العمور، بينما الشتاية بقايا سكان كانوا مستقرين، كما يقال.

ثمة قرابة أربعين عائلة لا تغادر دائرة الصفاه، تعيش على عائد المعز القليل الذي تمتلكه. بينما يقوم الآخرون بانتقالات أوسع بعض الشيء، فيترحلون شتاءً بين دكوا في الشمال والنمارة في الجنوب، ويذهبون، حين تجف مياه الرحبة بسبب حرارة الصيف، إلى السفح الشرقي لجبل الدروز، حيث منطقة السعنة. كما يزرعون في الرحبة وفي الفوهات البركانية المتفرقة في الصفاه بعض الحبوب كالذرة والشعير[3].

(1) هي بالتأكيد صفة حضرية، أما هم فيسمون أنفسهم عرب السعيدة. ليست اشتقاقات هذا الاسم مقنعة عند فيتسشتاين: حوران، ص34 وشتوبل، ص299. الأصح أنه جاء من قبيلة سعيده، التي سكنت في العصر الوسيط المتأخر في منطقة نفوذ آل مرا أي غير بعيد عن حوران (صبح،، الجزء الرابع، ص209. إبن طولون، ص32).

(2) فيتسشتاين وشتوبل: "غيياث".

(3) تابع: أوبنهايم من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الأول، ص215 ـ 249. فيتسشتاين، ص14 ـ 19 ـ 30 ـ 34.

ليس لعرب الصفاه مشتركات مع القبائل المحيطة باستثناء الدروز، الذين يتلقون حصة من الغنائم التي يعود هؤلاء بها من غزواتهم ضد عنزة وقبائل جنوب حوران كالسردية والسرحان. يشارك هؤلاء الدروز في الشيخ سراق[1]، الذي يقع مدفنه على المدخل الجنوبي للرحبة ويتمتع بحرمة تجعله مصاناً من الانتهاك.

لوضع حد لهجوم الغياث، الذين فرضوا قبل ذلك الخوّة على القرى الواقعة إلى الشرق من دمشق، عين الأتراك عام 1912م واحداً من شيوخها هو قاسم بن نُعير قائداً لحرس الحدود المرابط في الضمير[2]. ثم فرض الفرنسيون في أول نيسان عام 1927م استسلاماً رسمياً للقبيلة.

لا نعرف شيئاً أكيداً حول تنظيم الغياث[3]، فهم يفتقرون إلى شيخ مشايخ، ويقدر عدد خيامهم بـ330 خيمة.

---

(1) يرى الأمير عادل أرسلان فيه صحابياً هو سراقة الجذامي.

(2) موزيل، صحراء العرب، ص382.

(3) من العشائر المذكورة لدى شتوبل في مجلة Zddv، الجزء 12، ص299 يتكرر عند رينو ومارتينه، ص25 القبائل التالية: الصوانة، المظلوم (تابع موزيل: صحراء جزيرة العرب، ص384) الهواش، الحريره، الروسه (رواسه)، العتيقة (عتقا). ثم الورعان والخضر أيضاً إذ ما افترضنا أنهما هما المقصودان بـ "الأودان" و"الكدر".

فضل (طي السورية)

يسكن الفضل شمال غرب الجولان بين القنيطرة وبحيرة حولة. إن من يرى وضعهم الراهن، لا يصدق أنهم سيطروا ذات يوم على الصحراء السورية، وأثروا بطريقة حاسمة في تاريخ الدولة المملوكية؛ فقد تحولوا اليوم إلى فلاحين، وانخفض عدد خيامهم إلى بضعة مئات قليلة، وإن كانت أسرة شيوخهم، أو بالأصح أمرائهم، ما زالت تعد بين البيوتات الأكثر احتراماً في سورية.

خرج الفضل من قبيلة طي السورية. لذلك سندرسهم في إطارها. تكونت طي في القرن الحادي عشر من أتباع ابن الجراح، أسرة الشيوخ التي برزت عبر القرامطة، تلك الفرقة التي حكمت جزيرة العرب بأسرها ذات يوم، وأرعبت غزواتها البلدان المجاورة، على غرار ما يفعله وهابيو الزمن الحديث. توطن بطن من أبناء "ابن الجراح" في نجد[1]، وأوكل القرامطة قيادة البدو السوريين[2] إلى بطن آخر، سكن، أول الأمر، شرقي الأردن (الشراه)[3]، لكنه ما لبث أن انتقل إلى

(1) إبن الأثير، الجزء التاسع، ص48، 145. عام 379هـ/ 989م أوقف أحد أبناء ابن الجراح قافلة الحج (الكوفية) بين سميرا وفيد وقد ابتز منها 300000 درهم. وفي عام 397هـ منع نهائياً قافلة الحج عن المرور.

(2) نفس المصدر، الجزء الثامن. ص469: "حسان بن الجراح، أمير العرب بالشام".

(3) إلى هذه الفئة من القبائل الرحالة، ينتمي شيخ طي وردان بن ربيعة، الذي التقاه الشاعر المتنبي عام 957م في حسمه، بين معان والعقبة، أثناء رحلته من حلب إلى القاهرة. (حققه ليشرش).

جنوب فلسطين، حيث كان لطي تمثيل قوي بين السكان (أنظر "طي في قسم بلاد الرافدين" من هذا الكتاب).

قدم أبناء "ابن الجراح" خدمات جليلة إلى القرامطة خلال حملتهم الأولى على القاهرة (360هـ/ 970م). لكنهم انصاعوا، في حملتهم الثانية التي حدثت بعد أعوام ثلاثة، إلى إغراءات الذهب الفاطمي، فقد فرّت مجموعة البدو التي كانوا يقودونها من المعركة واضطر القرامطة بسبب ذلك إلى التراجع. من الآن فصاعداً أعلن ابن الجراح ولاءهم للفاطميين، الذين أطلقوا يدهم أول الأمر في فلسطين.

إلا أن المفرج بن دغفل بن الجراح، زعيم الأسرة الطموح، كان يتطلع إلى تأسيس دولة مستقلة تكون عاصمتها الرملة. وكانت الظروف ملائمة لذلك، لأن الحكم الفاطمي اقتصر على بعض المدن الساحلية من جهة، ولأن الداخل السوري كان يغلي من جهة أخرى، بسبب كره السكان للمغاربة: قوات الفاطميين من الأفارقة. في هذه الأجواء، سعى مفرج في بادئ الأمر إلى كسب ثقة الفاطميين، وازاحة المنافسين الذين لديهم خططاً مماثلة لخططه[1]. وقد نجح في تحقيق هدفيه كليهما، فتم تعيينه حاكماً على الرملة (369هـ/ 979 ـ 980م)، وأزاح كلاً من الفتكين التركي[2] (367 هجرية) وأبا تغلب الحمداني، الذي كان قد جاء إلى سورية مصحوباً بقوات من العبيد، كي يؤسس مملكة جديدة فيها، بعد أن خسر بلده (369)هـ[3]. ولكن بعد عام واحد من ذلك التاريخ تبيّن أن مفرج ليس قادراً على إنجاز مهمته، وأنه عاجز عن السيطرة على البدو التابعين له. حين تم تنظيم حملة تأديبية ضده،

---

(1) ليس هناك أي ذكر لهذا الكلام في أي مرجع، لكنه يمكن قراءته بين السطور لدى ابن الأثير، وخاصة في الجزء الثامن، ص515.

(2) إبن القلانسي، ص19. إبن الأثير، الجزء الثامن، ص487 وما يليها. إستولى الفتكين، عميل البويهيين، على دمشق. وحين ضغط عليه جيش فاطمي، دعا القرامطة إلى البلاد، إلا أنه تعرض وحلفاؤه لهزيمة ماحقة. أثناء هربه، وقع في أيدي المفرج، الذي سلمه إلى الفاطميين.

(3) التواريخ حسب ابن الأثير، وهي تختلف لدى ابن القلانسي.

أرسل قوة بدوية كبيرة من الرملة لملاقاة قوات القاهرة، ومعظمها من القبائل القيسية، المعادية لطي اليمانية. حاقت الهزيمة بمفرج، رغم أنه كان يقود قوات عسكرية مدربة، ففر إلى الخارج، إلى أنطاكية، التي كانت آنذاك في أيدي البيزنطيين، ثم ما لبث أن رجع بعد قليل إلى الأراضي الإسلامية، ولجأ إلى الرقة[1]، حيث لا نعود نعثر له، منذئذ، على أثر، ولسنوات طويلة.

في عام 368هـ/ 986م توفي العزيز، أكثر خلفاء الفاطميين أهمية، فخلفه الحاكم، الصبي الذي لم يكن قد بلغ سن الرشد بعد. في حمأة الفوضى والقلاقل التي رافقت انتقال الملك، ظهر مفرج من جديد وشرع يتابع مسعاه القديم. إتخذت الحكومة تدابير فعالة ضده بعد عودة الأوضاع الطبيعية، أجبرته على الفرار إلى نجد، ثم أصدرت عفواً جديداً عنه (387 هجرية)[2]، قبل أن تتخذ، عام 390 هجرية، تدابير جديدة أبعدت طي عن الرملة، وأدت إلى احتلال قلاع "أبناء الجراح" في الشراه[3]. ركنت طي، عندئذ، سنوات عديدة إلى الهدوء، قبل أن تعد نفسها للقيام بضربة رئيسة هدفها الإطاحة بحكم الفاطميين وتنصيب شريف مكة الكبير خليفة في القاهرة. كانت الخطة، التي وضعها أبو القاسم ابن المغربي، إبن الوزير الذي قتله الحاكم، على قدر كبير من الإحكام، وقامت على استغلال غضب المصريين على نظام الحاكم المجنون. لكن المشروع فشل، لأن الحاكم اشترى أبناء "ابن الجراح"، فتمت إعادة شريف مكة إلى الحجاز (402هـ)، بعد أن كان قد اعتبر أميراً للمؤمنين في الرملة[4] ـ أخيراً، مات مفرج عام 404هـ/ 1013م ـ 1014م

(1) إبن القلانسي، ص22 ـ 25، 29 وما يليها. إبن الأثير، الجزء الثامن، ص514 وما يليها. الجزء التاسع، ص5. يختلف المرجعان اختلافاً كبيراً بعضهما عن بعض.

(2) إبن القلانسي، ص50.

(3) إبن الأثير، الجزء التاسع، ص86 وما يليها.

(4) الذهبي لدى ابن القلانسي، ص86. سنوك هوغرانية: مكة، الجزء الأول، ص.٥٩ سلفستر دو ساسي: ملخص دين الدروز، الجزء الأول، ص350. فوستنفيلد: تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص193. ابن الأثير الجزء التاسع، ص86، ومن بعده دوساسي وفوستنفيلد اعتبروا خطأ هذه الحادثة السبب في الحملة التأديبية التي ذكرناها قبل قليل.

بسم أمر الحاكم بدسه في طعامه[1]، كما قيل. تظهر خطورة مفرج بالنسبة للفاطميين من النصيحة التي قدمها الوزير الشهير ابن كليس وهو يحتضر إلى سيده الخليفة العزيز[2]: "حافظ على السلام مع الحمدانيين. أما إذا سقط مفرج في يدك، فإياك أن ترحمه".

واصل حسان بن مفرج سياسة والده الاستقلالية، وكان قد أسهم إسهاماً كبيراً في مشاريع أبيه خلال السنوات الخمس عشرة الأخيرة من حياته. لذلك، ما إن نشبت الإضطرابات بعد موت الحاكم (411هـ/ 1021م)، حتى عقد حلفاً مع قائدين بدويين سوريين هما صالح بن مرداس من كلاب، وسنان بن عليان، يمكّنهم من اقتسام سورية فيما بينهم، فيأخذ صالح منطقة حلب إلى عانة، وسنان أواسط سورية وحسان فلسطين، من الرملة إلى مصر[3] إنفرد صالح وحده بتحقيق هذا الهدف، فأسس السُّلالة المرداسية في حلب (1025)م، بينما اضطر حسان إلى الإكتفاء بتحقيق بعض النجاحات الحربية. بما أن الفاطميين كانوا يستطيعون قبول استقلال حلب، لكنهم كانوا يرفضون رفضاً باتاً قيام دولة مستقلة بين القاهرة ودمشق. أخيراً، وفي عام 420هـ (1025م) طرد حسان من البلاد، فذهب، كأبيه بالأمس، أول الأمر إلى الاغريق، ليظهر بعد عامين مع قوات بيزنطية في شمال سورية، ويحتل أفاميا تحت راية الصليب، ويقاتل بعد ذلك في سبيل الروم، إنطلاقاً من أورفة (الرها). عندما اعتلى المستنصر الضعيف العرش الفاطمي (427هـ/ 1036م) عاد حسان إلى موطنه، حيث استعاد مكانته القديمة لبعض الوقت[4]، قبل أن تختفي أخباره نهائياً.

---

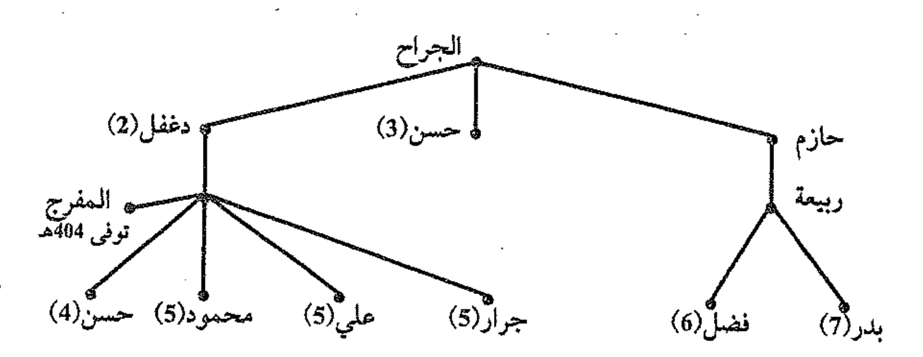
(1) إبن خلدون: البربر، الجزء الأول، ص16. تابع إبن الأثير، الجزء التاسع، ص87.

(2) إبن الأثير، الجزء التاسع، ص54.

(3) إبن الأثير، الجزء التاسع، ص162.

(4) إبن القلانسي، ص72. إبن الأثير، الجزء التاسع، ص286.

مشجرة نسب شيوخ ابن الجراح(1)



ملاحظات حول مشجرة نسب اسرة شيوخ ابن الجراح

1 ـ ينحدر أبناء "ابن الجراح" من بطن من طي معروف هو بنو معن(*). ويوجد نسبهم في صبح الأعشى، الجزء الأول، ص324، حيث يرد على النحو التالي: جراح بن شبيب بن مسعود بن سعيد بن حرب بن السّكن بن ربيع بن علقى ابن حوط بن عمرو بن خالد بن معبد بن عدي بن أفلت[1] بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن معن بن عتُود بن عنين[2] بن سلامان بن ثُعَل بن عمرو بن الغوث بن طي. بذلك يشمل النسب 25 عضواً يضم جدول فوستنفيلد رقم 6 الأعضاء الأحد عشر الأخيرين منهم.

2 ـ ترك خلال حملة القرامطة الأولى ضد مصر كقائد مرحلة في الرملة. ابن القلانسي، ص2.

3 ـ خان القرامطة خلال حملتهم الثانية على القاهرة. ابن القلانسي، ص19. إبن الأثير، الجزء الثامن، ص469.

4 مدح الشعراء المعاصرون، كالتهامي، حسانا. إبن خلكان (ترجمة) الجزء

(*) استناداً إلى هامش 2 في الجزء الثالث ص581 فإن معن هو جدهم وليس هم بنو معن. (شبّر).

(1) يضيف سويدي في الصفحة ستين من (أنساب عدي بن افلات) «ابن سلسلة بني عمرو»، لكن هذا ليس صحيحاً حسب إبن دريد، ص232.

(2) في النص "عُنيز".

الثاني، ص316 وقيل إنهم مدحوا أحد أبنائه. إبن الأثير، الجزء العاشر، ص40.

5 ـ إبن خلدون: البربر. الجزء الأول، ص16.

6 ـ مسبّحي (توفي عام 420هـ/ 1029م) يعتبر عند ابن خلدون، البربر، الجزء الأول، ص16، الفضل بن ربيعة بن حازم ابن الجراح وأخاه بدراً أقارب لحسان ابن مفرج.

7 ـ نقرأ عند ابن القلانسي، ص51، أن بدر ابن ربيعة كان قائداً لطلائع الجيش الفاطمي، الذي طرد مفرج من الرملة عام 387هـ (يخلط فهرس الحولية بينه وبين بدر العطار). فيما بعد، شارك في المؤامرة التي سعت إلى تنصيب شريف مكة الكبير خليفة بديلاً للحاكم. دوساسي: دين الدروز. الجزء الأول، ص351.

* * *

مع حسان، إختفى أبناء ابن الجراح من حقل نظرنا. ويحتمل أن يكونوا قد عادوا إلى ملاذهم في أرض شرق الأردن، خاصة وأن بني ربيعة، بطن طي، الذين يظهرون هناك في مطلع القرن الثاني عشر لم يكونوا غير خلفائهم الشرعيين، إذا لم يكونوا أخلافهم المباشرين بالذات[1].

لم يكن أبناء ربيعة قبيلة بالمعنى الصحيح للكلمة، بل كانوا شريحة من السادة[2]، احتلوا مكانة ورثها عنهم أخلافهم من الفضل، وقد امتد إقليمهم آنذاك من وادي موسى ـ بترا ـ إلى عجلون[3]، لكنهم تركوه في النصف الثاني من القرن الثاني عشر[4] وهاجروا إلى حوران[5]، حيث انقسموا إلى بطنين هما الفضل

(1) ستناقش مشكلة النسب في الملاحظة الثانية حول شجرة نسب الفضل.

(2) مفيد في هذا الصدد اسامة بن منقذ، طبعة ديرنبورغ، النص، ص20.

(3) ياقوت، الجزء الثالث، ص332 (يشير المقطع إلى عام 1115م) ولدى ابن الأثير، الجزء العاشر، ص390 وما يليها إلى العام 1119م.

(4) بعد 1154م، لأنه في هذا العام إلتقى اسامة ابن منقذ أميراً من ربيعة هو منصور ابن دغفل في وادي موسى. يظهر اسم دغفل في الطبعة كـ عدفل، ويقرأوه ديرنبورغ جُدافل.

(5) ربما كانت هذه الإزاحة ترتبط بانتقال قسم من سكان حوران إلى وادي التيم (في الحرمون)، في آخر أيام حكومة نور الدين (توفي عام 1176م). تابع: من البحر الأبيض إلى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الأول، ص145.

والمرا، وأعقب انقسامهما انفصالهما المكاني، فتوغل الفضل في منطقة حماه، وبقي المرا في حوران. أما الموعد الدقيق لهجرة الفضل هذه فهو عام 615هـ/ 1218 ـ 1219م، حيث يرد ذكرهم في الشمال أول الأمر[1]. في نهاية القرن الثالث عشر أضيف بطن ثالث إلى الفضل والمرا هو العلي، الذي كان قد خرج من الفضل وخيم إلى الشرق من دمشق.

منذ أن انفتحت الصحراء السورية أمام ربيعة، تطور هؤلاء إلى بدو رحل تصح مقارنتهم بقبيلة عنزة، التي ظهرت فيما بعد، دون أن يكون عددهم في أي يوم مقارباً لعددها، لكنهم فاقوها كثيراً من حيث السلطان[2]. يرجع ذلك في جانب منه إلى ظروف العصر، التي خصت ربيعة بدور مهم في الصراع بين سورية المملوكية والعراق المغولي، وفي جانب آخر إلى نظام الحكم المملوكي، الذي دمج زعماء البدو الكبار في المراتب الرسمية بعد منحهم لقب أمير، وربطهم بالدولة عبر منحهم إقطاعات واراضي، وهو ما ينطبق على الفضل قبل غيرهم.

تعينت حدود موطن الفضل الصيفي في سورية الداخلية بملّوحة على بحيرة الجبول الملحية وجسر العاصي في الرستن، في منتصف الطريق بين حماه وحمص، وبقلعة جعبر والرحبة على نهر الفرات. في حين كانت أماكن سكنهم الشتوية داخل جزيرة العرب[3]. هذه المعلومة الأخيرة ليست ضرباً من المبالغة، فقد أخبرنا ابن بطوطة في الجزء الأول من كتابه، ص409، أنه قابل أميري الفضل فياض وحيار إبان رحلته الصحراوية من مكة إلى العراق عام 1326م. ويقدر دليل الدولة الذي وضعه خليل الظاهيري (1410 ـ 1468م) عدد الفضل بأربعة عشر ألف رجل قادر على حمل السلاح[4]، وهذا رقم، إذا ما قبلناه واعتبرنا أنه ليس من وحي الخيال، فيجب أن تدخل فيه قبائل كثيرة كانت تابعة للفضل أو متحالفة[5] معها مثل قبيلة كلاب حلب

(1) كمال الدين: تاريخ حلب. ترجمة، بلوشيت، ص156.

(2) تابع: صبح الأعشى، الجزء الرابع، ص204.

(3) العمري لدى جودفروا ـ دومومبين، ص186. إبن خلدون: البربر، الجزء الأول، ص12.

(4) ص 105

(5) هنا تعني كلمة حلف "علاقة خوّة" ولا تعني تحالفاً.

وبشار الصحراء التدمرية، والغازية شرق النفود وغيرها كثير.

حملت أسرة شيوخ الفضل اسم العيسى: فقد أسسها عيسى ابن مهنا، معاصر بيبرس العظيم (1260 ـ 1277م)، الذي استحق مكانته بفضل الخدمات التي قدمها للمماليك إبان صد الغزو المغولي. أما ابنه مهنا فقد عزز سلطته عبر سياسة تأرجح ذكية بين هاتين القوتين العظميين في شرق ذلك الزمن.

ظهرت علامات تشير إلى انحدار الفضل، منذ تولت السلالة المملوكية الثانية الحكم (1382)م. صحيح أن أسرة شيوخهم أنجبت في نُعير بن حيار، الحفيد الأول لعيسى، واحداً من أكثر رجالاتها أهمية، إلا أن هذا كان أقرب إلى قائد حربي منه إلى قائد قبلي. وقد بدد أخلافه من بني نُعير[1] قواهم جميعها في مشاريع عقيمة. إلا أن واحداً منهم فقط كان له تأثير واسع النطاق لكن الفائدة منه لم تعد للفضل وإنما إلى قبيلة جديدة هي الموالي، الذين تولوا تركة الفضل التي اختفت من الصحراء السورية، في الوقت نفسه تقريباً، الذي سقط فيه المماليك.

إذ ما كانت الصحراء السورية بأسرها قد انفتحت منذ القرن الثالث عشر أمام الفضل، فإن قبيلة المرا، القبيلة الشقيقة لها، امتلكت أفضل منطقة رعي في سورية وهي أراضي حوران، حيث تنقلت من الجدور في الشمال إلى عجلون، ومن الجولان إلى أقدام جبل حوران، وكانت تصل في بعض الأحيان إلى الحجاز الشمالي[2]، الذي كانت قبائله: الضفير وعدوان وعنزة متحالفة معها، شأنها شأن قبائل المدلج وسعيدة والمفارجة والزبيد في حوران، وبني حرانة في أراضي غرب الأردن. وهي قبيلة أضعف عددياً من الفضل ويقدر خليل الظاهري (ص 105) قوتها العسكرية بعشرة آلاف رجل، وهذا رقم يجب أن نقومه بالطريقة عينها التي قوّمنا بها عدد رجال الفضل.

---

(1) اسم كان يطلق على الفضل أيضاً في القرن الخامس عشر. خليل الظاهري، ص105.

(2) إذا كان العمري يجعل مناطقهم تصل إلى أبواب مكة، فإن هذا لا يعدو أن يكون مبالغة صرفة. ابن خلدون، بين آخرين يحصرها في المنطقة الزراعية وحدها.

يختلف مسار تاريخ المرا عن مثيله لدى الفضل، الذين تداعت سلطتهم منذ حوالى سنة 1400 ميلادية، بينما ارتقت مكانة المرا عند نهاية العصر المملوكي، عقب انحدار مؤقت أصاب المكانة التي بلغوها إبان القرن الثالث عشر[1]. يروي الايطالي فارتيما، الذي رافق عام 1503م موكب الحج من دمشق متنكراً، قصصاً عجيبة عن انتشار قوتهم[2]. يرتبط الصعود الثاني للمرا بإهمال منطقة سورية الخارجية آنذاك، الذي تقدم صحائف ابن طولون الدمشقية غير المطبوعة شهادات حية عنه: لم تعد مناطق كثيرة تدار بصورة مباشرة، بل وهبت إلى وجهاء وأعيان محليين، وتركت مناطق أخرى كلياً لأهلها، فلم يزرها حاكم دمشق غير مرة واحدة في العام: من أجل جباية الضرائب. تلك ظروف تناسب البدو وتحابيهم. إلا أن حوران كانت تحظى باهتمام الحكومة أكثر من أية منطقة أخرى، لأن إمداد العاصمة بالخبز ارتبط بمحصولها، لذلك، كانت تسارع إلى التدخل، حين كانت قطعان البدو القادمين من السهب تدخل حقول القمح الناضج، أو كان القتال بين القبائل يسد الطريق إلى حوران[3] أمام تجّار الحروب.

أسس أحمد بن حجي[4] بن يزيد بن شبل البرمكي[5] أسرة أمراء المرا في العصر المملوكي الأول، فحملت بعده اسم آل حمدان. وكان لأحمد هذا حظوة عظيمة لدى السلطان بيبرس وخلفه قلاوون. كما كان المؤرخ ابن خلكان (قاضي دمشق الأول منذ عام 1261م)، الذي طالما تباهى بأصله البرمكي، صديقاً له. عاش

(1) لنقارن الجمل الحماسية التي يتحدث فيها العمري عن المرا مع شروحات ابن خلدون، نفس المصدر السابق.

(2) دروب لودفيغ فارتما. بولونيا 1885، ص20

(3) إبن طولون. ف15.

(4) يظهر الاسم في جميع الصياغات الممكنة: أبو الفدا، الجزء الرابع، ص80: حجى (بالعربية). المقريزي، الجزء الثاني (القسم الثالث) ص11: "حجر"، ص19. "جهي"، الطبعة الرابعة، ص66 "حجي". صبح الأعشى، الجزء الرابع، ص209 حجى (جودفروا ـ ديمومبين، ص192 "هوجا". قلقشندي، ص97: حاجى.

(5) تريد إذن أن تنتسب إلى أسرة وزراء البرامكة، الشهيرة بفضل ألف ليلة وليلة.

أحمد ـ لبعض الوقت ـ علاقة تتسم بقدر كبير من التوتر مع عيسى ابن مهنا، أمير الفضل حينذاك. قبل أن يموت عام 1283م. يوجد في حوزتنا أسماء بعض الأمراء من القرن التالي[1]، بعد ذلك بقيت المراجع صامتة حتى نهاية القرن الخامس عشر، حيث نجد عدا معلومات وافية لدى ابن طولون[2]، منها أن أمير المرا مقلد توفي عام 1481م فحل ابنه عامر محله، لكنه اصطدم بمنافس هو جانباي البدوي، سليل خط آخر من الأسرة. وقفت الحكومة إلى جانب جانباي لكن عامر رفض التنحّي، وهكذا شهد عاما 1488 و1489م سلسلة صدامات بينهما تدخلت قوات الحكومة فيها من أجل حماية محصول حوران. بعد عشرة أعوام، تم برئاسة نائب دمشق ومشاركة القاضي الإتفاق على تقسيم المنطقة بين مهنا ابن عامر ابن مقلد وجانباي.

لا يرد اسم مقلد في تاريخ ابن طولون غير مرة واحدة فقط (1505)م، أما اسم جانباي وأحد أبنائه ـ ابن جانباي ـ فقد ذكر بصورة متكررة بين عامي 1501م و1516م[3]. أما أكثر الأنباء إثارة للإهتمام عنهما فتردنا بين عامي 907هـ/ 1502م و911هـ/ 1505م، لتخبرنا أن من مهامهما التعاون مع النائب لحماية الحجيج إبان المرحلة الأولى من طريقه، وأنهما يرافقان ـ بصحبة حاكم القدس ـ الحجاج العائدين من الإحساء، أي من حدود الكرك الجنوبية إلى مكان وجود النائب ـ (في مزيريب؟). هذه أخبار مهمة، فهي أقدم دليل على هذا العرف الذي أصبح فيما بعد مؤسسة ثابتة في ظل العثمانيين، وهو حق مرافقة موكب الحج ومنح هذا الحق إلى أقوى قبيلة في حوران. كما إنه ليس من المصادفة أن يحمل ابن جانباي ذلك اللقب الذي ارتبط فيما بعد ارتباطاً وثيقاً بهذا الحق، ألا وهو لقب أمير ـ أو شيخ ـ

---

(1) نجاد ابن أحمد (توفي عام 750 للهجرة)، قتادة (صبح الأعشى، الجزء الثاني عشر، ص132 يورده خطأ "قناة" إبن نجاد؛ وسطه ابن عمرو ابن توبه ابن سليمان ابن أحمد (أبو الفدا، الجزء الرابع، ص80؛ العمري في صبح هنا وهناك): عنقا ابن شطى، توفي في الرابع من محرم عام 794 (أبو المحاسن، الجزء الخامس، ص616).

(2) إبن طولون، قارن أيضاً هارتمان، شذرات من تاريخ ابن طولون في مكتبة توبنغن، ص100.

(3) إبن طولون، 64.

الشام[1]، الذي زاد دون شك من نفوذ وثروة[2] أمراء المرا. كان الجانباي سادة كباراً عمل في خدمتهم خازن خاص، وأقاموا علاقات مصاهرة مع أبناء ابن حنش، وهي واحدة من أكثر الأسر السورية احتراماً، وصاحبة الأملاك الواسعة في البقاع الجنوبي. قبل سقوط حكم المماليك مباشرة، وبينما كان السلطان سليم على مشارف حلب، تلقّى ابن جانباي التفويض الذي كان ما زال ينقص مركزه كأمير تابع، عندما خوله النائب جانبردي الغزالي "الضمانة"، التي تعني حق فرض الضرائب في بلاد حوران والمرج[3]. وهذا آخر ما نعرفه عن أمراء المرا. كيف انتهى الجانباي؟. هل تورطوا في تعقيدات كارثة المماليك؟. أم هل قضى عليهم، كما قضى على الحنش[4]، ولي نعمتهم السابق جانبردي الغزالي: أول حاكم عثماني لدمشق؟. هذا ما لا نعرفه، لأن المراجع اللاحقة لا تذكرهم بأية كلمة على الإطلاق[5].

إتخذت قبيلة آل علي، ثالث قبائل ربيعة وأصغرها، من المرج وغوطة دمشق مقراً صيفياً لها. وكانت تمضي الشتاء على الحافة الغربية للنفود، من سكاكا[6] وحيانية[7] إلى تيماء.

حمل بطن "آل علي" اسم علي ابن حديثة، ثالث أمراء الفضل، الذي انفصل عنهم عام 659هـ/ 1261م، العام الذي انتقلت فيه الإمارة إلى ابن أخيه عيسى

(1) إبن طولون 52v و51v. أ إبن جانبية (فعلاً) 81 و69v وr 64 بمقارنة المقاطع المستشهد بها يتضح أن جانباي ليست هنا غير طريقة تعبير كسولة للمؤرخين، وأن الحديث يدور في الحقيقة في كل مكان حول ابن جانباي دون غيره. وورود الاسم عند فارتما بالصيغة "زامباي" لا يتعارض مع ما ذكرناه.

(2) إبن طولون. لاحظ أيضاً لقب، أمير البلاد، الذي كان لصيقاً بجانباي . ف 15.

(3) هناك مبالغة كبيرة في رقمي الـ50000 حصان والـ300000 جمل، اللذين يوردهما فارتما.

(4) إبن طولون. يبدو هنا وكأن الأسرة، (بالأحرى المقلد)، كان لها هذا الحق ذات مرة.

(5) سعد الدين: تاج التواريخ، الجزء الثاني، ص382 وما يليها.

(6) لا يجوز أن تضللنا هنا، كما في حالات أخرى كثيرة، الجهان نامة (ص554). يتبنى حاجي خلفه غالباً أقوال كتاب المماليك، حتى وإن كانت غير صحيحة حتى بالنسبة لزمنه.

(7) هكذا يجب أن تقرأ الأسماء المشوهة تماماً في صبح الأعشى، الجزء الرابع، ص210، (جودفروا ـ ديمومبين، ص194) الجزء الثاني عشر، ص124، وقلقشندي، ص93.

ابن مهنا مع تجاوز أبناء علي ابن حديثة وحرمانهم من هذا الحق.

ثم أسس أحد أحفاد علي، محمد ابن أبي بكر، إمارة مستقلةخاصة بآل علي: ففي عام 1280م قسمت إمارة الفضل وحصل محمد بن أبي بكر على نصف عائدات الاقطاعية ومرتبة مقدم. التي تلي في المنزلة مرتبة الأمير[1]. وبذلك ترسخ انفصال آل علي والفضل. صحيح أن إمارة الفضل آلت فيما بعد إلى محمد بصورة موقتة، لكن ذلك لم يؤد إلى إعادة توحيد القبيلتين، وبقي خلفاء محمد أمراء لآل علي وحدهم، أما آخر أمير معروف منهم فهو عيسى بن زيد، حفيد الدرجة الثانية لمحمد، الذي كان معاصراً للسلطان برقوق (1328/ 1398م). أما القبيلة فقد ذكرت عام 1511م لآخر مرة في أماكن سكنها القديمة قرب دمشق[2].

بينما اختفى المرا وآل علي، إستمر وجود الفضل إلى وقتنا الحاضر. فقد انسحبوا في بداية القرن السادس عشر من السهب إلى سورية الداخلية، وحلّوا مطالع القرن السابع عشر في البقاع الجنوبي (بقاع العزيزي)[3]، حيث وجد بوركهاردت (ص11) قسماً صغيراً منهم، لأن كتلتهم الرئيسة كانت تعيش آنذاك في الجولان. ـ إتخذ الفضل، شأن القبائل الأخرى في هذه البلاد، من الجولان مقراً شتوياً لهم أول الأمر، ثم جعلوه موطناً دائماً. وعاشوا حياة متواضعة، أيام بوركهاردت، من بيع الحليب ولحم الضأن والجذوع الخشبية في دمشق. بيد أن أحوالهم تحسنت كثيراً، منذ ذلك الوقت. وحين زار شوماخر بلادهم (في الثمانينيات)، وجدهم فلاحين وزرّاع كرمة. وهم اليوم أغنى قبائل الجولان. ومع وما زالوا يعيشون صيفاً في الخيام، لكنهم لا يقومون بجولات مكانية ذات شأن. تمتد منطقة انتشار الفضل من بانياس إلى طريق القنيطرة ـ جسر بنات يعقوب، وتصل إلى منخفض الحولة وحتى ما وراء الحدود بين منطقتي الإنتداب الإنجليزي والفرنسي. ويتخطى نفوذهم السياسي هذه المنطقة، بعد أن انضمت إليهم قبائل كبيرة مجاورة. وزاد صيت أسرة شيوخهم، منذ جعل الأمير محمود الفاعور من نفسه مناضلاً ضد السيطرة الأجنبية.

---

(1) المقريزي، الجزء الثاني (القسم الأول)، ص23. صبح، الجزء الثاني عشر، ص128.
(2) إبن طولون. ف41، قارن أيضاً ف 15.
(3) أخبار الأعيان، ص309 بالنسبة لـ 1623.

أسرة شيوخ الفاعور وأسلافها

الفاعور هم أخلاف أمراء الفضل من العصر الوسيط، ويحملون، لهذا السبب، لقب الأمير. ومع أن معلوماتهم عن أسلافهم غامضة، فقد حافظوا على قصص عديدة حول أصلهم العباسي، شأنهم في ذلك شأن أمراء الموالي، الذين ينحدرون مثلهم من الفضل. ترجع حكايات الفاعور إلى العصر الوسيط، وترتبط بقصة زواج جعفر البرمكي السري من الأميرة العباسة. يروي الحكاية الطبري والمسعودي[1]، وهي مروية عند الأخير كما يلي: كان هارون الرشيد يحب شقيقته العباسة إلى درجة جعلته يسمح لها بمشاركته الولائم الليلية التي دأب على إقامتها مع وزيره جعفر. غير أن تحقيق رغبته لم يكن سهلاً، لأن العرف كان يمنع المرأة من الظهور في حضرة رجل غريب. في النهاية، فكر الخليفة بتزويجها من جعفر، على أن يحجم عن معاشرتها كزوجة. لم يعجب هذا الشرط الأميرة، التي نجحت في تحقيق رغباتها بمساعدة أم جعفر. كانت العباسة تتنكر في ثياب جارية، فتقودها الأم إلى ابنها، الذي كان سكراناً. بعد تسعة أشهر، وضعت العباسة صبياً أخذ سرّاً إلى مكة. لكن أخبار الحدث تسربت إلى الخليفة، الذي غضب وأمر بقتل جعفر وأسرته جميعاً.

ليس للفضل ذكر في هذه الحكاية، التي نشأت مباشرة تحت تأثير سقوط أسرة الوزير القوي المفعم بالأسرار. لكن العمري وابن خلدون يذكران لأول مرة أن أسرتي

---

(1) مروج الذهب، الجزء السادس، ص386 وما يليها.

الفضل والمرا يرجعان نسبهما إلى ابن جعفر والعباسة[1]، وهو ما كانت تصدقه أوساط واسعة، وجعل الفضل يتباهون بنسبهم العباسي، والمرا يضيفون بافتخار لقب البرمكي إلى اسمهم. كان العلماء يعرفون حقيقة شجرة النسب هذه، ذات الطابع القصصي/ الأسطوري، التي رفضها العمري وابن خلدون، المؤرخان اللذان نسبا الفضل والمرا، عبر ربيعة، إلى ابن الجراح، أسرة شيوخ طي السورية الأولى، بأن لاحظنا أن الإنتساب إلى طي، "أكثر العرب نبلاً"، أمر لا يقل مكانه عن الإنتساب إلى الفرس البرابرة. وقد يكونا صائبين في ذلك، لكن فرضيتهما لا تتفق مع حكايات القبيلة. يمكن قراءة التفاصيل في الملاحظة رقم (2) حول شجرة نسب الفضل.

عاصر أبو عمران فضل ابن ربيعة، جد الفضل الأول، الحملة الصليبية الأولى. وأقام، شأن شيوخ البدو الآخرين، علاقات ظرفية مع الفرنجة، إعتقد أنها تخدم مصلحة قبيلته، بما أن "أرض ربيعة"[2]، الواقعة في شرق الأردن، كانت خاضعة لرقابتهم. لكن علاقات الشيخ أضرت بالمصالح العامة للمسلمين إلى درجة جعلت صاحب أراضيه السلجوقي توغتكين «توغتكن» (1103 ـ 1128م)) يطرده من دمشق. إتجه أبو عمران عندئذ إلى العراق، حيث لجأ إلى الفارس مزيد بن صدقة، أمير الحلة وزعيم قبيلة أسد. وعندما انخرط هذا في نزاع مع سيده السلطان السلجوقي، غادر فضل حاميه إلى بغداد، التي استقبلته بأذرع مفتوحة. وبما أنه كان يرفض إشهار سلاحه في وجه مضيفه، فقد تحاشى الإشتراك في حرب السلطان ضد صدقة (1107م) من خلال الحيلة، قبل أن يختفي فيما بعد من بلاد الرافدين[3]، وتنقطع الأخبار حول مصيره اللاحق.

يبدو أن أخلاف فضل قاتلوا الصليبيين تحت رايات الأيوبيين. فقد عين الملك العادل (1199 ـ 1218م)، شقيق صلاح الدين، أحد أحفاد الفضل، حديثة بن عقبة، أميراً[4]. هذا التاريخ أصبح مهماً إلى أبعد حد، لأنه كان، بحسب العمري

(1) صبح، الجزء الأول، ص324. إبن خلدون: البربر، الجزء الأول، ص14.

(2) ياقوت، الجزء الثالث، ص332

(3) تابع: إبن الأثير، الجزء العاشر، ص308

(4) صبح، الجزء الرابع، ص206

الخبير في مثل هذه الأمور، أول مرة يقلد فيها زعيم بدوي لقب أمير بقوة التقليد ـ صحيح أن المؤرخين كابن الأثير، على سبيل المثال، وحتى الكتاب المعاصرون كاسامة ابن منقذ، يخبروننا عن أمراء بدو من شيوخ طي وربيعة خاصة، أحرزوا لقبهم قبل حديثة بزمن طويل، إلا أنه كان في هذه الحالات جميعها مجرد لقب تكريمي يخلع على أي قائد جيوش أو زعيم أصغر، دون أن يتضمن تسمية تجعل منه منصباً. ـ بمنحهم رتبة أمير، دخل شيوخ البدو في الارستقراطية المملوكية العسكرية، التي أصبحت خلال وقت قصير الحامل الوحيد لسلطة الدولة. وتلقوا، شأن قادة المماليك، مع الرتبة الأميرية اسماً تكريمياً إرتبط بالدين، مثل: حسام الدين، شريف الدين، شهاب الدين، وأضافت السلالة المملوكية الثانية إليه لقب أمير العربان[1]. كان التعيين في منصب أمير يتم بواسطة تقليد (مرسوم شريف)[2] تصحبه في العادة أعطية شرفية هي عباءة. أما الشيوخ الأصغر، فكانوا يمنحون لقب مقدم. كانت رتبة الأمير على درجات، عبرت كل واحدة منها عن نفسها في الشكل الخارجي وفي نص مرسوم التعيين. من ذلك أن أمراء الفضل كانوا يحتلون مرتبة مساوية لمرتبة النائب (في صفد أو غزة على سبيل المثال)، تعطيهم الحق في أن يبلغوا عبر مبعوث خاص بموت السلطان واعتلاء خلفه العرش[3]. هذه الحقوق الفخرية، ربما كانت أقل تأثيراً على شيوخ البدو من المزايا المادية التي ترتبت على منصبهم الجديد، كمنحهم أراض في صورة اقطاعات. ماذا كان أمراء البدو يقدمون مقابل لقب الإمارة؟. بعد تلقيهم مرسوم التعيين، كان عليهم ضمان الأمن في منطقتهم بالدرجة الأولى. وكانوا ملزمين بتقديم القوات عند نشوب الحرب، وبتأمين الجمال لنقل الإمدادات[4]. ليس هناك شيء محدد حول جباية الضرائب، لكننا نستطيع الافتراض أنه كان عليهم ضمان تأدية ضرائب قبائلهم إلى الحكومة،

(1) أبو المحاسن، الجزء الخامس والسادس، في أماكن متفرقة.

(2) ثمة استمارات لمثل هذه التعيينات حفظت في صبح الأعشى، الجزء الثاني عشر، ص118. وفي تعاريف العمري، ص79.

(3) كمثال: إبن إياس، الجزء الأول، ص317.

(4) أنظر على سبيل المثال: صبح الأعشى، الجزء الرابع، ص232

على غرار ما كان يقوم به شيوخ البدو في العهد العثماني. إضافة إلى ما سبق، كان هناك أيضاً نفقات المرسوم المألوفة، والهدايا المقدمة للوجهاء والسلطان، المكونة من خيول أصيلة وجمال وصقور صيد وما شابه[1]. بالمقابل، كان الأمراء يحظون باستقبال خاص في البلاط، بل إن السلطان تنازل ذات مرة وأمر بإرسال هدايا إلى أمير مخلص بمناسبة زفاف ابنته[2]. لا نستطيع تقديم جواب واضح على سؤال يطرح نفسه هو: هل لبى الأمراء البدو الآمال المعلقة عليهم؟. لا مفر من الإعتراف بأن أمراء البدو دعموا المماليك بقوة لدى قيامهم بصد المغول، وأنهم أبدوا التسامح والتفهم حيال مهامهم التمدينية. ومع ذلك، لا يجوز تجاهل الحقيقة، وهي أن اضطرابات البدو بقيت رائجة بكثرة تحت حكمهم، وأن رتبة الأمير لم تستطع سد النقص المزمن في السلطة، الذي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بطريقة حياة البدو الرحل ونظامهم الإجتماعي.

ليس في المراجع غير معلومات قليلة حول أميري الفضل الأولين: حديثة ابن عقبة[3] ومانع ابن حديثة (الذي ذكر أول مرة عام 615هـ/ 1218م ـ 1219م. ومات عام 630هـ/ 1232 ـ 1233م)[4]. لكنها تقدم لنا صورة أوضح حول الأمير الثالث، علي بن حديثة[5]، وتبرز صفاته العنيفة تجاه رعاياه، التي تبدو غير بدوية إطلاقاً،

---

(1) أمثلة: جودفروا ـ ديمومبين، ص188. أبو الفداء، الجزء الرابع، ص93. هامر: تاريخ الإليخان، الجزء الثاني، ص226. بمثل هذه الهدايا كان يمكن تحقيق بعض الأشياء، وخاصة لدى السلطان الملك الناصر محمد، الذي كان مهووساً بالخيول.

(2) كمثال: المقريزي، الجزء الثاني (القسم الثالث)، ص146.

(3) قلقشندي، ص88. إبن خلدون، البربر، ص20، يعتبر عيسى ابن محمد ابن ربيعة الأمير الأول. لكنه لا يرد أي ذكر لإمارة هذا الرجل في استشهاد مأخوذ من إمام الدين (إبن خلدون، ص15).

(4) كمال الدين: تاريخ حلب، ص156، 168. تابع: صبح الأعشى، الجزء الرابع، ص206، 232، حيث يبرز إلى جانب مانع شخص اسمه غنام ابن طاهر كأمير.

(5) تؤكد مقاطع من كمال الدين، ص209 و213، أن النويري وأبا المحاسن (اقتبس عنه كاترمير في المقريزي، الجزء الثاني، القسم الثالث، ص78) كانا على حق في مخالفتهما للقلقشندي الذي يقول: أبو بكر بن علي (ص88). أما حديث ابن خلدون عن مهنا بن مانع فهو خاطئ بالتأكيد.

ومتناقضة مع المعطيات التي جعلت من بدو زمانه قوماً جامحين وعصيين على الإنقياد أكثر من أي وقت مضى. مهما يكن من أمر، كان الأمير محارباً باسلاً، هزم مطلع عام 1241م قرب الرصافة المرتزقة[1] الذين عاثوا فساداً في الشرق الأدنى، بعد قضاء المغول على مملكة خوارزم. ويقال إنه انضم عام 659هـ/ 1261م مع أربعمائة فارس إلى الخليفة العباسي المزعوم المستنصر، الذي تفاهم آنذاك مع السلطان بيبرس ودخل إلى العراق على رأس قوة صغيرة من أجل بعث الخلافة من جديد[2]. من المعروف أن المشروع فشل وأن المستنصر قتل (1262م)، وربما يكون علي بن حديثه قد سقط خلال المعركة أيضاً، لأن أخباره انقطعت تماماً بعد تلك الموقعة[*].

قبل بضعة أعوام من ذلك، كان ابن أخيه الأكبر عيسى بن مهنا قد انتزع رتبته منه. من المؤكد أن عيسى هذا قدم خدمات جليلة عند صد الغزوة المغولية الأولى (658هـ/ 1260م)، لأنه أقطع منطقة سلمية[3] بعد معركة عين جالوت الحاسمة ـ شمال غرب بيسان ـ ومنح لقب "أمير سائر العربان"[4] عقب عام من وقوعها. تبددت مزايا عيسى كذلك في مناسبة سياسية من طراز رفيع، فقد ظهر نهاية عام 660 هجرية عباسي جديد في القاهرة، أطلق على نفسه اسم أحمد وقال إنه من صلب الخليفة المسترشد، وقد أوحى ظهوره لبيبرس بفكرة تجديد الخلافة في القاهرة، من أجل إضفاء الشرعية على الحكم المملوكي. لم يكن هناك دليل على صحة مزاعم المرشح، لكن عيسى،

---

(1) تابع: موزيل: الفرات الأوسط، ص318.

(*) كان سقوط الخلافة العباسية في بغداد عام 1258م 656هـ، وقد قتل الخليفة العباسي عبدالله المستعصم بالله عام 656هـ بعد أن حكم 15 سنة وثمانية أشهر ويومين، أما الخلافة العباسية في مصر فتبدأ من عهد المستنصر بالله أحمد عام 661هـ وتنتهي في عهد المتوكل الثالث الذي تولى الخلافة عام 923هـ. المصدر: زامبارو «السيوطي، تاريخ الخلفاء» (شبّر).

(2) المقريزي، الجزء الأول (القسم الأول)، ص167 تابع: ب. موريتز: الخلافة العباسية في مصر. الشرق الجديد، السنة السادسة، ص153 وما يليها.

(3) المقريزي، الجزء الأول (القسم الأول)، ص108. أخطأ ابن خلدون، ص20، لأن سلمية كانت تنتمي حتى ذلك الوقت إلى إمارة حماه.

(4) المقريزي، الجزء الأول (القسم الأول)، ص169.

الذي ادعى أنه زار بغداد في شبابه، قدم هذا الدليل، حين أكد صحة مزاعم العباسي[1]. أثبت عيسى، خلال حياة بيبرس، أنه أحد رعاياه المطيعين، فاشترك في جميع حملاته ضد المغول وفرض نظاماً أمثل على البدو التابعين إليه. بعد موت بيبرس، تورط في مؤامرة حاكها حاكم دمشق ضد السلطان قلاوون، إنتهت بإعفائه من منصبه. بيد أنه استعاد، على ما يبدو، مكانته بعد وقت قصير، فقد أقيمت له في دمشق الصلاة التي كانت تقام لأصحاب المناصب الرفيعة، عندما توفي في التاسع من ربيع الأول من عام 1284م/ 683هـ[2]. ضمن عيسى للفضل موقعاً ريادياً بين بدو سورية ولأسرته المكانة الأولى بين الفضل. أما الإمارة واقطاعية السلمية، فحصر توريثهما من الآن فصاعداً في المتحدرين من صلبه، لذلك سما أبناؤه بقوة فوق الظروف البدوية، حتى إن خلفه الأول، ابنه مهند، أقام مشفى في سرمين[3]، وبنى ابنه هبه مسجداً صغيراً في معبد الشمس بتدمر وجد فيه موريتس كتابة بخط يده[4]، وقدم حديثة وحفيد عيسى سليمان ابن مهنا معلومات إلى المورخ أبي الفداء حول مجرى الفرات ودجلة ومناطق شبه جزيرة العرب الداخلية[5].

عندما تولى مهنا ابن عيسى إمارة الفضل (1284)م، واجه وضعاً سياسياً مختلفاً عن الوضع الذي كان أبوه قد واجهه قبل خمسة وعشرين عاماً. كان المغول قد رسخوا وجودهم داخل العراق، فكان على البدو التقيد بهذه الحقيقة أثناء تنقلاتهم الشتوية، التي كانت تقودهم إلى هناك. من جانبه، إعتقد مهنا أن من الحكمة إقامة علاقة مع "عدو البلاد". هذه السياسة زادت قوته زيادة هائلة في بلاد الرافدين، وإن كبدته بعض الخسارة في سورية، لأنه صار مشبوهاً في نظر المماليك، الذين

---

(1) إبن إياس، الجزء الأول، ص102. ب. موريتز: ص154.

(2) المقريزي، الجزء الأول (القسم الثاني)، ص77، 99، 101، 123 و139 ـ وكذلك الجزء الثاني (القسم الثالث)، ص11 و19 و21 و23 و74 و77. تابع: هامر "الإليخان"، الجزء الأول، ص307، الجزء الثاني، ص91.

(3) أبو الفداء، الجزء الرابع، ص120.

(4) مويتس، المصدر السابق.

(5) جغرافية أبي الفداء، الجزء الأول، ص19، والجزء الثاني، ص65 و105.

اعتقلوه خلال مقابلة مع السلطان خليل جرت عام 1293م، وأرسلوه إلى القاهرة، حيث وضع عاماً كاملاً في السجن[1] ثم أطلق سراحه. في السنوات الخمس عشرة التالية، تعاظم نفوذ مهنا تعاظماً مضطرداً، لأسباب منها افتقار الحكومة إلى الاستقرار (تغير الملوك خمس مرات بين 1293 و1309م). حتى إنه تجرأ وساعد الأمير المملوكي «قر سنقر» قره سنكر ـ حاكم مدينة حلب ـ على الفرار عبر الحدود العراقية (1312م)، رغم أن السلطان الملك ناصر محمد أمر باعتقاله. لم يحتمل السلطان خيانة مهنا، فعزله من الإمارة[2]. إنتقل هذا عندئذ يصحبه قسم من قبيلته إلى المنطقة المغولية، حيث استقبله الإليخان أولدياتو ـ خدابندة في ديار بكر، وغمره بإنعامات أميرية، بينها لقب مغولي وثلاثة آلاف حمل من الحبوب خصصت لأفراد قبيلته، ثم وهبه، بعد وقت قصير، الحلة والكوفة وواحة شثاثة مع ضرائبها[3]، فكان هذا كله تعويضاً مجزياً عن السلمية نصف القاحلة. بقي مهنا سنوات عديدة في العراق، ثم عاد بعد موت الإليخان (1316م) إلى سورية، بعد مفاوضات مع القاهرة ضمنت له حسن الاستقبال. لم تؤد عودة مهنا إلى وقوع قطيعة بينه وبين المغول، واقتصرت نتائجها على تغيّر زعيم القبيلة حيث حلّ محل مهنا أخوه فضل[4]، وهو نفس الفضل الذي كان يتولى في غياب مهنا إمارة سورية ـ بالتفاهم مع شقيقه دون أي شك. فهمت الحكومة المملوكية لعبة مهنا، وقررت تحويلها إلى عبرة له ولسواه، فبادرت في الثاني من جمادي عام 720هـ/ 10 حزيران عام 1320م، إلى طرد آل عيسى من سلمية، وإجبرتهم قوة تابعة لها من العسكر والبدو على اجتياز الحدود قرب

---

(1) المقريزي: الجزء الثاني (القسم الثالث)، ص148. تسيرستين: إسهامات في تاريخ سلاطين المماليك. النص، ص22. إبن خلدون، البربر، ص21.

(2) أخذ مكانه شقيقه فضل. صبح الأعشى، الجزء الثاني عشر، ص118.

(3) مزن هامر: الإليخان، الجزء الثاني، ص226. من المؤكد أن خدابنده كان يرمي من وراء هذا الكرم الحاتمي. الحصول على المساعدة في الحملة التي كان قد خطط لها ضد الرحبة، حصن المماليك في الفرات الأوسط.

(4) في عام 718 للهجرة. أصبحت البصرة اقطاعية له، أنظر: أبو الفداء، الجزء الرابع، ص85، 87.

عانة[1]، ثم جعلت من أسرة العلي بديلاً لهم، وعينت مقدمها محمد ابن أبي بكر أميراً. بعد عامين من ذلك، نجح فضل، شقيق مهنا، في خطب ود شخصية نسائية من البلاط المملوكي[2]، كانت عائدة من الحج، واستغل علاقته بها للإطاحة بغريم أسرته محمد بن أبي بكر. بقي مهنا، هذه المرة، عشرة أعوام كاملة في العراق، ولم يعد إلى موطنه إلا عام 734 هجرية بطلب من أمير حماه، تاركاً وراءه عدداً من أبنائه مع خمسة آلاف خيمة. ولم يعودوا إلى سورية إلا عقب وفاة أبيهم يوم 18 ذي القعدة عام 735هـ (11 تموز من عام 1335م) بعد أن عاش نيفاً وثمانين عاماً، وزار القاهرة قبل وفاته، ولقي استقبالاً رائعاً لدى السلطان[3].

من بين أعمال الشيخ المجيد تصرفه حيال قره سنكر الذي ترك أعظم الأثر في معاصريه. وقد سمع ابن بطوطة[4]، الذي ساح عبر سورية أثناء حياة مهنا، قصة روائية الشكل حول ما حدث:

عندما اضطر الأمير قره سنقر إلى الفرار هرباً من انتقام السلطان المملوكي محمد، الذي اتهمه بقتل شقيقه خليل، توجه إلى الفضل في الصحراء، ليطلب الحماية له ولأبنائه وممتلكاته. قدمت أم الفضل، زوجة مهنا، الحماية له، ووافق الشيخ عليها دون أن يعي خطورة ما التزم به ـ فقد كان أطفال الهارب لا يزالون في حلب، وكذلك كنوزه التي بقيت في قلعتها. لم ينكث مهنا بوعده، حين عرف الحقيقة. ولم يزعزع إحساسه بواجبه حيال قره سنكر محاولات أصدقائه ثنيه عن حمايته، بل قام يصحبه أفراد قبيلته من البدو بالتوغل في حلب واقتحم قلعتها وعاد بالكنز[5] والأطفال إلى ضيفه، قبل أن يرافقه إلى العراق.

---

(1) أبو الفداء، الجزء الرابع، ص91 مع إضافة ذات دلالة هامة بالنسبة لظروف البلاد الحدودية: "بقي الجيش في الرحبة إلى أن تم جني المحصول وجلبه إلى القلعة".

(2) أبو الفداء: الجزء الرابع، ص94: الآدر السلطانية.

(3) تسيرستين، ص188 وما يليها. أبو الفداء، الجزء الرابع، ص117، 119.

(4) المرجع ذاته: الجزء الأول، ص168.

(5) في هذه الحكاية بعض الحقيقة فيما يتعلق بفضل مهنا في إخراج ثروة قره سنقر من حلب. أنظر: فايل: تاريخ الخلفاء، الجزء الرابع، ص308.

لم يخلف مهنا ابن عيسى أي ند له. فقد خطف الموت أبناءه الأوائل، وافتقر أبناء أخوته إلى السمعة الضرورية من أجل الحفاظ على منصبهم. في الفترة الفاصلة بين عامي 735 و781 للهجرة، أي بين وفاة مهنا وتولي حفيده نُعير الحكم، تغير حامل الإمارة نيفاً وسبع عشرة مرة، كما يوضح الجدول التالي:

موسى بن مهنا[1]	736 ـ 742هـ (وفاة)
سليمان بن مهنا	742 ـ 743هـ
عيسى بن فضل[2]	743هـ
سليمان بن مهنا	743 ـ 744هـ (وفاة)
سيف بن فضل	744 ـ 746هـ
أحمد بن مهنا	746 ـ 748هـ
سيف بن فضل	748هـ
أحمد بن مهنا	749هـ (وفاة)
فياض بن مهنا[3]	749 ـ 762هـ (وفاة)
حيار(*) بن مهنا	762 ـ 770هـ
زامل بن موسى	770 ـ 771هـ
معيقل بن فضل	771 ـ 775هـ
حيار بن مهنا	775 ـ 777هـ (وفاة)

(1) تسيرستين، ص190. إبن خلدون: البربر، الجزء الأول، ص23 ـ بقية المعطيات حسب أبي الفداء: الجزء الرابع، ص142، 144، 148، 151، 158.

(2) مات عام 744هـ في القريتين، ودفن في مقبرة مسجد خالد بن الوليد (في حمص)، إبن خلدون.

(3) أبو الفداء، الجزء الرابع، ص158. إبن خلدون (توفي عام 760هـ حسب صبح الأعشى، الجزء الرابع، ص207.

(*) في صبح الأعشى الجزء الرابع مذكور جبار وليس حيار وقد أوضح المؤلف سبب هذا الاختلاف في هامش 2 ص443. من هذا الجزء (شبّر).

قارا[*] بن مهنا	777 ـ 781هـ (وفاة)
زامل بن موسى	781هـ
معيقل بن فضل	781هـ
نُعير بن حيار[1]	781هـ

من السهل تصوّر النتائج التي ترتبت على هذا التبدل الدائم، ذلك أن الأمراء المعزولين لم يسمحوا بدفعهم جانباً دون مقاومة. كما عززت مصادرة كثر من الاقطاعات البدوية، التي قامت بها الحكومة عام 746هـ، عززت بدورها التذمر، فانفجرت عام 874هـ حرب معلنة داخل العائلة، أنزلت ضرراً فادحاً بالزراعة في المنطقة الواقعة بين المعرة وحماه. لم يستتب الأمن والهدوء إلا في حكم الأمير فياض، رغم أن ماضيه كان يوحي بأرجحية حدوث العكس[2]. أما خلفه حيار فقد سبب الكثير من المتاعب للحكومة. وعندما عزلته عام 770هـ، ذهب إلى ضاحية حلب ووجد بسرعة أنصاراً كثيرين بين كلاب وقبائل المنطقة. إنبرى النائب كوشتمير عندئذ لقتاله، لكنه هزم وقتل بيد نعير ابن حيار، الذي فر إلى الصحراء وبقي فيها، إلى أن تصالح، بعد بضعة أعوام، مع الحكومة، وتخلّى ابن عمه معيقل عن الإمارة له دون مقاومة، فتولاها إلى أن وافته المنية. أما خلفاؤه، فليس بينهم من يستحق وقفة مطولة باستثناء نُعير.

يعتبر محمد[3] نُعير بن حيار (781هـ/ 1380م ـ 809هـ/ 1406م) أعظم محارب أنجبه الفضل. وقد انخرط في جميع الصراعات الدامية التي امتلأ بها حكم السلطان برقوق (1382هـ ـ 1398م)، فوقف مع ميتناش[4]، حاكم ملاطيه، على رأس الحزب

(*) عند القلقشندي قنارة (شبّر).

(1) الأخيرون حسب ابن خلدون، ص23. تابع أبا المحاسن، الجزء الخامس، حيث لا أثر لمعيقل.

(2) إعتمد فياض على قطع الطرق، بعد أن سحب منه إقطاعه عام 744هـ.

(3) هكذا ابن خلدون، وإلا يكتفي بالاسم نعير.

(4) ليس مملوكاً بل تركماني حر.

الذي عمل لعزل السلطان، ثم نجح في عزله فعلاً عام 791هـ/ 1389م. في السنوات التالية، غيّر محمد مواقفه مرات كثيرة، فكان يقوم تارة بأعمال نهب دون أن يكترث بأحد، ويخضع تارة أخرى للسلطان، ليقاتل بعد حين ضده. حين سقطت أسرته في الأسر المملوكي، سَلّم صهره مينتاش إلى الحكومة لكي ينقذها ثم أعيد مقابل ذلك إلى الإمارة (795هـ/ 1392 ـ 1393م)[1]. مكنت موجة الغزو المغولي الثانية نُعير من وضع مؤهلاته الحربية في خدمة الدولة من جديد، فقد رافق عام 796هـ السلطان أحمد بن أويس في طريق عودته إلى العراق[2]، وكان قد لجأ إلى القاهرة لأن تيمور طرده من بغداد[3]. عندما انقض تيمور عام 1400م على سورية وتوغل فيها، كان نُعير بين قلة تصدت بشجاعة للخطر. وفي حين كان السلطان المملوكي يجلس دون حراك في دمشق، عبأ قوة بدوية محاربة من قبائل الجنوب، معظمها من بني حارثة. وعندما تم إخلاء العاصمة، دعا سكان جبل نابلس في منطقة فلسطين الوسطى الجبلية، المدربين على القتال، إلى حمل السلاح[4]. ومع أن السلام المشين الذي عقد بعد وقت قصير من ذلك مع تيمور وضع حداً لجهود نُعير الحربية، فإن هذا ما لبث أن خاض في السنوات اللاحقة قتالاً لا هوادة فيه ضد المغول[5] والتركمان[6]

(1) أبو المحاسن، الجزء الخامس في مواقع مختلفة والسادس، ص4. والسخاوي، الجزء العاشر، ص203. إبن إياس، الجزء الأول، ص295 و297. فايل: تاريخ الخلفاء، الجزء الرابع، ص549، 561، 565، والجزء الخامس ، ص5 وما يليها. كان عثمان بن قره وشقيقه محمد أميرين بدلاء، ويضيف ابن خلدون إليهما موسى ابن عساف.

(2) من بيت جلائر، الذي حل محل أول سلالة مغولية في العراق.

(3) أبو المحاسن، الجزء الخامس، ص552، 561. فايل: الجزء الخامس، ص55، 57. لاحظ أيضاً الخبر في المرجع عينه، ص79.

(4) أبو المحاسن، الجزء الرابع، ض72. إبن اياس، الجزء الأول ص329، 331.

(5) شرف الدين علي يزدي. ظافر نامه، الجزء الثاني، ص554. ميرخوند: روضة الصفا، طهران 1270 الجزء الرابع، ص64، حيث يتم تحوير اسم نُعير إلى مغيرة.

(6) أبو المحاسن، الجزء الخامس، ص162. غازي: نهر الذهب في تاريخ حلب، الجزء الثالث، ص219.

على حدود الفرات. أخيراً، ختم الرجل حياته بموت لائق، فقد سقط خلال ثورة ضد حاكم، والي حلب، الذي أعلن نفسه سلطاناً بعد عام واحد، غير أنه قتل في العام ذاته (809)هـ أثناء اشتباك مع تركمان قرة قوينلو، فسعد عجل بن نُعير بإرسال رأس قاتل أبيه إلى القاهرة[1].

رغم الشهرة الشخصية التي كانت لنُعير، لم تترك أعماله غير القليل مما يعتد به لقبيلته. ينطبق الشيء ذاته على خلفائه، الذين واصلت الإمارة حياتها في حكمهم، دون مراعاة للأفخاذ الأخرى من العيسى، وتورطوا مثله في نزاعات وصراعات إمارات سورية المملوكية، وسقط عديدون منهم في ساحة الحرب. بما أن الوقائع لا تعطينا صورة واضحة عن شخصيات هؤلاء، فإننا نكتفي بالجدول التالي بأسمائهم:

العجل بن نُعير[2]	809 ـ 816هـ (وفاة)
عذرا بن علي بن نُعير[3]	831هـ (وفاة)
مدلج بن علي بن نُعير[4]	831هـ ـ 833هـ (وفاة)
قرقماس بن عذرا	833 ـ 840هـ (وفاة)
الغادر بن نُعير[5]	842هـ
عجل بن نُعير[6]	869هـ (وفاة)

(1) أبو المحاسن، الجزء السادس، ص283. إبن إياس، الجزء الأول، ص351.

(2) أبو المحاسن، الجزء السادس، ص227، 331. لاحظ السخاوي، الجزء الخامس، ص146.

(3) هكذا السخاوي، الجزء الخامس، ص146. والجزء العاشر، ص150. يسميه أبو المحاسن في الجزء السادس، ص800، أمير الملا "فارس الصحراء" وهو لقب سنعثر عليه لاحقاً لدى أمراء الموالي.

(4) سقط في القتال ضد ابن عمه قرقماس (بن حسين)، قاتل أخيه عذرا، سخاوي، الجزء العاشر، ص150.

(5) أبو المحاسن، الجزء السادس، ص817، 845، والسابع، ص95 و98.

(6) سخاوي، الجزء الخامس، ص146.

إشتهر سيف بن علي بن نُعير، أحد أبناء أخ العجل هذا، بفضل ثورة كبرى حدثت عامي 883هـ ـ 885هـ (1478م ـ 1480م). بعد أن هزم سيف حاكم حماه، أرسلت القاهرة حملة تأديبية ضده. ولكن حين دخلت سورية، كان سيف قد عبر الفرات في طريقه إلى منطقة أورفة، التي كانت ملكاً لـ آق قوينلو، حيث قتل هناك بعد عامين بيد أحد أبناء عمومته، لثأر كان بينهما. أما آخر ابن نُعير بلغتنا أخباره، فهو ابن سيف، الذي عين عام 902هـ/ 1497م أميراً للفضل[1].

ترجع مرويات الفاعور، أسرة أمراء الفضل الحاليين، إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر فقط. ولا تخبرنا المراجع المتخصصة إلا باسم قديم تنسبه إلى واحد من أمرائها هو حسن[2] (سيتزن، الجزء الأول، ص332). لا شك في أن الأمير محمود هو أكثر شخصيات الأسرة شهرة، فقد قاد الفضل من حوالى عام 1906م إلى 1927م. بعد موت أبيه، نازعه عمه دهام وابن عمه نايف على المشيخة، لكنه نجح في الحصول عليها. بعد الحرب، لعب محمود دوراً سياسياً أكبر، لأنه كان نصيراً متحمساً لفيصل وبالتالي عدواً لدوداً للفرنسيين. وقد اتهم مع آخرين بالمسؤولية عن الأحداث الدامية التي وقعت عام 1919م في قضاء مرجعيون، إلى الشمال من بحيرة الحولة، أثناء احتلال الفرنسيين للمنطقة الساحلية. في العام التالي، وقعت في منطقة الفضل محاولة لاغتيال القائد الأعلى الفرنسي الجنرال غورو، جرح خلالها مرافقه حقي العظم (حاكم دمشق) المؤيد للفرنسيين وقتل سائقه. إتهم محمود بتدبير المحاولة، وحكمته محكمة عسكرية بالإعدام، لكن الحكم لم ينفذ، بل صدر قرار بالعفو عنه وبإعادته إلى المشيخة. غير أن محمود ترك موطنه وذهب عام 1923م إلى الأمير عبد الله في شرق الأردن. إلا أنه عاد عام 1925م من جديد إلى سورية، ولزم الهدوء إبان ثورة الدروز. عام 1927م، مات محمود وخلفه فاعور "الذي ورث عن أبيه الإباء ورهافة الحس" (تيرييه).

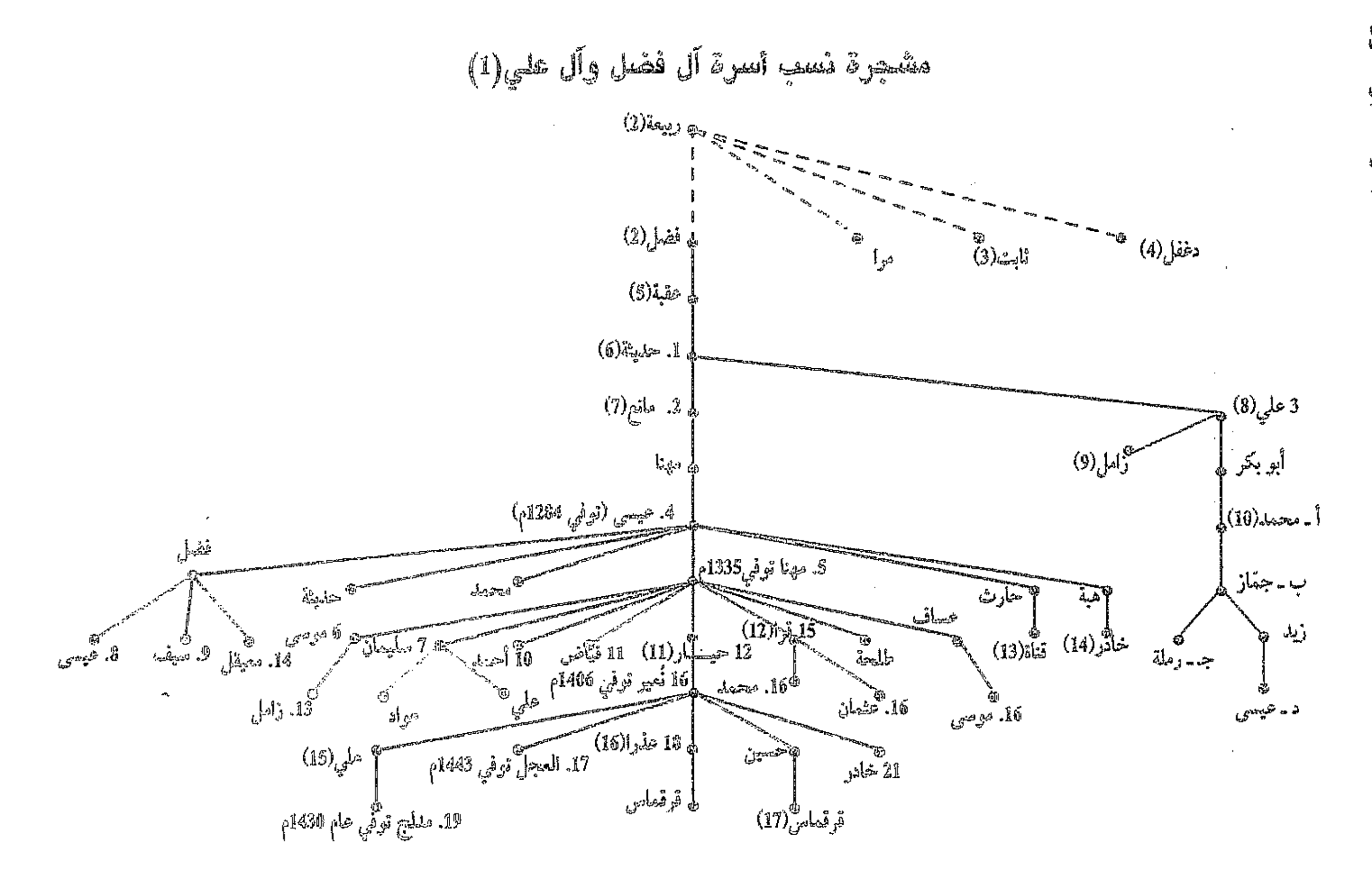
---

(1) سخاوي، الجزء الثالث، ص228. إبن إياس، الجزء الثاني، ص183، 194، 198، 213، 316. إبن طولون: ص170، 168، 167.

(2) أمير يحمل الاسم ذاته، في الصفحة 474 أعلاه.

جمع فاعور الفاعور، الذي انتخب عام 1936م نائباً في البرلمان السوري، نموذج الشيخ البدوي والإقطاعي الكبير في شخصه. فقد سكن قصراً في واسط، على بعد ساعتين شمال غرب القنيطرة، لكنه حرص على استقبال ضيوفه في خيمة فخمة، نصبت أمام القصر. إلى جانب ذلك تمتلك أسرة الفاعور أراضي كبيرة، قدرت مداخيلها السنوية قبل الحرب بمائة ألف فرنك ذهبي[1].

(1) تابع أيضاً: الشرق الحديث، عام 1937م، ص479 والمقاطع المذكورة هناك.


مشجرة نسب أسرة آل فضل وآل علي(1)
ربيعة(2)
فضل(2)
مرا
ثابت(3)
دغفل(4)
عقبة(5)
1. حديثة(6)
2. مانع(7)
مهنا
3 علي(8)
زامل(9)
أبو بكر
أ ـ محمد(10)
ب ـ جمّاز
ج ـ رملة
زيد
د ـ عيسى
4. عيسى (توفي 1284م)
فضل
8. عيسى
9. سيف
14. معيقل
حديثة
محمد
5. مهنا توفي 1335م
حارث
هبة
قناة(13)
خاذر(14)
عساف
16. موسى
طلحة
16. عثمان
15 نزار(12)
16. محمد
12 حيار(11)
11 قيّاض
10 أحمد
7 سليمان
6 موسى
13. زامل
مواد
علي
16 نُعير توفي 1406م
18 عذرا(16)
17. العجل توفي 1443م
علي(15)
19. مدلج توفي عام 1430م
قرقماس
حسين
قرقماس(17)
21 خاذر

ملاحظات حول مشجرة نسب الفضل وآل علي

1 ـ المراجع الرئيسة: إبن خلدون، الجزء السادس، ص6 وما يليها (البربر، الجزء الأول، ص12 وما يليها). مقالات القلقشندي ذات الصلة في: صبح الأعشى، الجزء الأول، ص324 وما يليها. الجزء الرابع، ص203. تواريخ أبو الفداء، أبو المحاسن وإبن إياس.

2 ـ بين لأنساب الخمسة التي وضعها كتاب مملوكيون عن ربيعة، أو فضل ابن ربيعة، ترجع ثلاثة منها أصلهم إلى ابن الجراح، أقدم أسرة شيوخ لطي سورية وهي:

أ ـ فضل بن ربيعة بن حازم بن الجراح. ابن الأثير. الجزء العاشر، ص308. إبن خلدون: البربر، الجزء الأول، ص16.

ب ـ فضل بن ربيعة بن علي بن المفرج بن دغفل بن الجراح. مصدر غير مذكور لدى ابن خلدون، ص17.

جـ ـ فضل بن ربيعة بن حازم بن علي بن المفرج بن دغفل بن الجراح. العمري في صبح، الجزء الأول، ص324، والقلقشندي، ص86.

يماهي كتاب إبن الأثير، الذي يتبنى ابن خلدون معلوماته، الفضل مع شخصية تحمل الاسم ذاته من أسرة فرعية لابن الجراح (أنظر شجرة النسب). وهذا مستحيل تعاقبياً، لأن الفضل بن ربيعة بن حازم بن الجراح هو حسب ابن خلدون (ص16) معاصر لابن المسبّحي (توفي عام 420هـ/ 1129م)، ولأن هذه المعلومة تتوافق مع عام وفاة ابن عمه مفرج (404هـ/ 1013م ـ 1014م). أما جد الفضل الأول فكان معاصراً لـ«توغتكن» توغتكين الدمشقي (497هـ/ 1103م ـ 525هـ/ 1128)م.

لن نناقش هنا إن كان مؤلف هذه الأنساب يعرف فعلاً أصل الفضل من ابن الجراح، أو إذا كان قد استنتج ذلك من الأحداث التاريخية وحدها، علماً بأن الإحتمال الثاني هو الأرجح في اعتقادنا.

يرتبط تسلسلا النسب الثاني والثالث بالتسلسل الأول. وفي حين يحسب

الثاني حساباً للتسلسل الزمني، عندما يصل الفضل ابن ربيعة بالجيل الأخير من خط القرابة الرئيس لبني جراح، نجد أن الثالث ليس غير خليط من الأول والثاني.

وبينما تعتبر هذه الأنساب الثلاثة (أ، ب، حـ) من صنع العلماء بهذه الدرجة أو تلك، يقوم نسبان آخران على مرويات القبيلة (في القرن الثالث عشر)، كما يتبيّن من الكلمات التقديمية للمؤرخين. أنظر صبح الأعشى، الجزء الأول، ص324، وابن خلدون، الجزء السادس، ص7، والبربر، الجزء الأول، ص14، والسخاوي، الجزء الخامس، ص146.

د ـ فضل بن ربيعة بن سالم بن شبيب بن حازم بن علي بن جعفر بن يحيى بن برمك ـ هكذا يكون علي بن جعفر هو ابن العباسة.

هـ ـ فضل بن بدر بن ربيعة[1] بن علي بن مفرج بن بدر بن سالم بن عقبة بن بدر بن سميع ـ حسب ادعاءات بعض الشيوخ يكون سميع هو ابن العباسة. وبصورة عامة تنتهي سلسلة الأنساب هنا إلى سميع.

بينما نلاحظ أن السلسلة د متأثرة بما جمعه العلماء (حازم بن علي، كما في حـ)، فإن السلسلة الخامسة (هـ) متحررة كل التحرر من تأثير كهذا، باستثناء التنازل الجزئي المتعلق بالعباسة. بذلك تكون هي الرواية الوحيدة التي يجب علينا أخذها بالحسبان، إلى جانب الرواية رقم أ. وعلى كل حال، فإن علينا اختيار واحدة منهما، لأنهما لا تقبلان التوفيق بعضهما مع بعض. بعد ما قلناه حول أ، يجب علينا تفضيل رقم هـ، دون أن نكون بحاجة، لهذا السبب، إلى إيلاء وزن خاص للأسماء. ذلك يسقط، بطبيعة الحال، الفرضية حول أصل ربيعة من ابن الجراح.

سنعرج بسرعة على مسألة أخرى. إن جميع الأنساب التي ذكرناها تفهم علاقة فضل وأخوته بربيعة باعتبارها علاقة أخوة بأب. لكن ربيعة في ملاحظة ياقوت، الجزء الثالث، ص332، المنصبة على عام 1115م، زمن فضل ابن ربيعة،

(1) هكذا تقرأ عند الإسطنبولي دامات إبراهيم باشا، ص867، الذي تفضل بالاطلاع عليه نيابة عنا السيد هـ. ريتر، وعند سخاوي، الطبعات لا تذكر بن ربيعة.

لا يبدو كاسم شخص، بل كاسم قبيلة أوأسرة. لذلك من الممكن أن يكون بعض الأعضاء (الحلقات)بين فضل، وأخوته، وبين ربيعة قد سقطوا، الأمر الذي عبرنا عنه في شجرة النسب من خلال رسم خطوط الوصل بصورة منقطة.

3 ـ الحمداني في صبح، الجزء الأول، ص325.

4 ـ المرجع ذاته. ربما كان يتماهى مع أبي منصور ابن دغفل المذكور في الحاشية 4 ص503 أعلاه.

5 ـ هكذا صبح، الجزء الأول، ص325. الجزء الرابع، ص206. يذكر اسم غضبة. القلقشندي، ص87 فضل، ص88 فصل. ابن خلدون، الجزء السادس، ص7، ص9 عصبية[1] البربر، ص14، 20 "غدية". المقريزي، الجزء الثاني (القسم الثالث) ص74 «اسا»، ص77 «اسيا»، أبو الفداء، الجزء الرابع، ص91 عصبة. هذا يعني أن الاسم غير أكيد إطلاقاً.

6 ـ المقريزي، حذيفة، زيترستين: سلاطين المماليك: حديثة.

7 ـ صبح الأعشى يذكر خطأ اسم ماتع.

8 ـ الجدّ الأول لآل علي.

9 ـ بسبب خلع الإمارة على عيسى ابن مهنا، أبدى زامل ابن علي أكثر أشكال العداء مرارة حياله. صحيح أن السلطان بيبرس صالح الرجلين بعضهما مع بعض في القاهرة، ومع ذلك قام زامل باعتداء خياني ضد ابن عمه (1264م)، بينما هما في طريق العودة إلى ديارهما. تقول الروايات إن زامل ألقى بنفسه بعد ذلك في أحضان المغول، وتحول إلى قاطع طريق قبل أن ينتهي أخيراً إلى السجن في القاهرة. وقد ذهب ما كان في حوزته من اعطيات إلى أخيه أبي بكر. أنظر، المقريزي، الجزء الأول (القسم الأول)، ص170.

10 ـ تبدأ معه مقدمية ثم امارة آل علي.

11 نفس المصدر، ص443 وما بعدها.

---

(1) هكذا أيضاً السخاوي، الجزء الخامس، ص146. ذكره ناشر ابن خلدون تحت اسم عصبة وبعدها مباشرة قصبة بدلاً من عقبة المذكور في شجرة النسب رقم 5.

12 ـ هذا ما يقوله أبو المحاسن، الجزء الثاني، ص342، 434، 548، والجزء السادس، ص4. وصبح، الجزء الرابع، ص208: عنقا. وابن خلدون، الجزء السادس، ص10: قارى. البربر (النص) الجزء الأول، ص13، وابن خلدون، الجزء الخامس، ص440: قارة. وفي اقتباس خلدوني من صبح الأعشى، الجزء الرابع، ص207: قنارة.

13 ـ قناة (= قتادة؟).

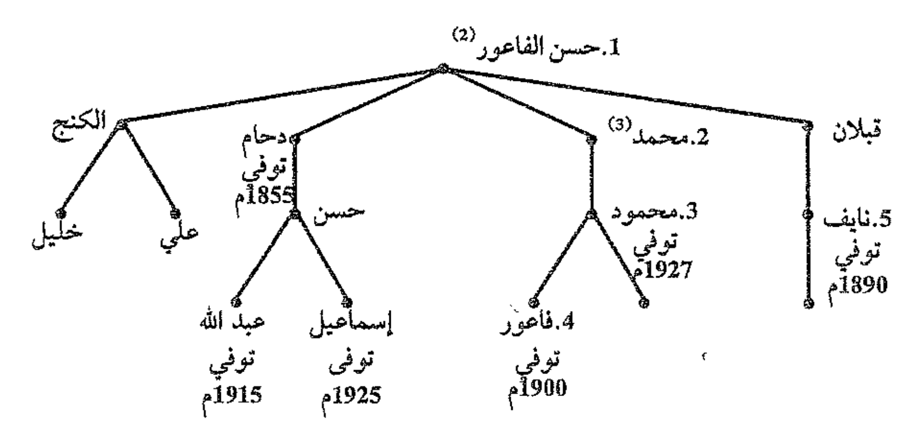
14 ـ هاجر سيف الدين قدا (غدا) بن هبة الله بن عيسى ابن مهنا إلى الهند وعثر على سعادته في بلاط سلطان دلهي. ذكره ابن بطوطة واجتمع معه مراراً.

15 ـ فايل، تاريخ الخلفاء، الجزء الخامس، ص6.

16 ـ يجعله السخاوي، الذي يرى فيه أخاً لمدلج، أصغر بجيل، وبالتالي يكون غادر أحدث بجيل إلى جيلين.

17 ـ هزم عام 1433م حاكم حلب قبالة قلعة جعبر، الذي غادر كان قد خرج إليه بقوات كبيرة. أنظر: أبو المحاسن، الجزء السادس، ص662.

مشجرة نسب أمراء شيوخ الفاعور[1]



ملاحظات حول مشجرة نسب أمراء الفاعور

1 ـ بحسب تيرييه. ملحق رقم5.

2 ـ إيزابيل بورتون: حياة سورية الداخلية... الخ، الجزء الثاني، ص365.
ـ كان حسن الفاعور مشهوراً كخبير خيول، وهي صفة ترتبط بها في سورية طبابة الحيوانات والقدرة على حسم المسائل القانونية المتعلقة بها.

3 ـ توفي محمد عقب حادثة مؤسفة، فقد أصابه الأمير علي، ابن عبد القادر الجزائري، خلال لعبة قتالية بجرح أدى إلى وفاته.

الفضل(1)

شيخ المشايخ: الأمير فاعور الفاعور

القبيلة	الشيخ	منقطة تجوال	عدد الخيام
1 ـ الفواعرة(2)	فاعور الفاعور	شمال غرب القنيطرة	200
2 ـ الهوادجة	نمر بن عبد العزيز(3)		
	ابن شحادة	غرب القنيطرة	200
3 ـ البحادرة(4)	ظهر بن عرسان الشديد		
	مظهور بن عرسان الشديد		300
4 ـ عجرمة	زعل بن سلوم(5)	جنوب غرب القنيطرة	100
عرب المنافي(6)	أحمد الدخيل	جنوب شرق القنيطرة	20

ملاحظات حول جدول الفضل

1 ـ سجلت عام 1925م: الراوي: عيسى النوري، وهو محارب قديم عاش طوال عقود في القنيطرة. إستكملت القائمة باسمي شيخين من جداول تيرييه

(ص63 وما يليها). إن أعداد الخيام أصغر لدى تيرييه، حيث يبلغ مجموعها 670 خيمة. بوركهاردت، ص13 يعطي رقم 250 ـ 300 خيمة. شوماخر: الجولان، ص86 وما يليها، يقدم رقم 380 خيمة، وهو يقصر معلوماته على عشيرة الهوادجة، في حين يتحدث بوركهاردت عن العجرمة فقط وعن "الاروك" غير المعروفين لدى غيره.

2 ـ هذا يعني أسرة الفاعور، تيرييه يسميها الفضل. هنا، تتماهى أسرة الشيوخ والقبيلة بمعناها الضيق كما في العصر الوسيط.

3 ـ إلى جانب نمر، ثمة أسرة نافذة أخرى تسكن قرية حجر هي العفّاش.

4 ـ مع قريتي الدلوة وخواخه.

5 ـ صهر الأمير السابق محمود. وكان ينوب عنه خلال غيابه.

6 ـ موجودون أيضاً في الجدول الرسمي لدى شوماخر، ص304. تيرييه، ص54 يضمهم إلى النعيم.

قبائل صغيرة في الجولان

تقلص، في مجرى القرن التاسع عشر، عدد القبائل التي كانت تتخذ من الجولان مقاماً دائماً لها، إلى جانب النعيم والفضل[1]. وقد هاجرت بعض هذه القبائل، مثل المحمدات ولهيب وسمكية ووهيب[2] في وقت مبكر إلى شمال فلسطين، المنطقة التي انصب فيها بصورة طبيعية فائض سكان الجولان، في حين اختفت قبائل أخرى مثل الكبايره والعتبه والعزي والدهيوات والشام. ومع أن القبائل الأخيرة ذكرت في الجداول الرسمية التي ألحقها شوماخر بكتابه عن الجولان، ولكن بعدد أقل من ربع عدد الخيام المذكورة لدى بوركهاردت، وشوماخر نفسه لم يعثر لها على أثر. ثمة حالة واحدة تخبرنا أن تعقيدات حربية أدت إلى القضاء على إحدى القبائل، وهي قبيلة الكلابات (المكلوب، بني كلاب)[3] التي يذكرها بوركهاردت ومايو (الجزء الأول، ص107) فقد أبادتها الرولة قرب بلعمه (عجلون)[4]. فيما عدا ذلك، يرتبط تراجع القبائل البدوية إلى أجراءات

---

(1) أنظر جداول بوركهاردت حول قبائل الجولان وجبل هيش. مع ملاحظة أن قسماً من القبائل المذكورة عند بوكهاردت يحسب اليوم على النعيم، وقسماً آخر ينتمي سياسياً إلى فلسطين كالسياد على بحيرة الحولة والرقيبات على الضفة الشرقية لطبرية.

(2) إنضم قسم آخر من هذه القبيلة إلى النعيم.

(3) يذكر دوتي في الجزء الأول، ص14، أسرة شيوخهم تحت اسم "إبن الطوبي" (ابن التوبيّ، ابن التبعي؟).

(4) شتويرناجل ـ شوماخر: العشلون، ص243.



قبائل صغيرة في الجولان(1)

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ المرازقة(2)	عبد الله	دبورة	40
2 ـ النعارنة(3)	عواد العيد	دير السراس	90
3 ـ الأويسية	صالح الفرس	علمين، العسلية	
(الويسيه)(4)		المجامع، قصرين	
4 ـ الجعاثين(5)	محمد بن جاسم	سلوقية/ وادي جرماية	100
5 ـ التلاوية(6)	رحال	البطيحا	400
6 ـ الذياب(7)	أحمد بن مطلق الفرج	وادي جرماية/ وادي المسك	
7 ـ المناضرة(8)		نهر الرقاد/ شريعة المناضرة	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ يقوم الجدول على معطيات أخذت عن تيرييه واستقصاءات شخصية أجريت عام 1925م. أما المراجع الأقدم فهي، عدا بوركهاردت، الجدول الرسمي لدى شوماخر في كتابه الجولان. خرائط شوماخر عن شرق الأردن تذكر هذه القبائل، لكنها لا تحمل أسماء جميع الأماكن والمناطق، وعلى سبيل المثال فقد رسم واديي الجرماية والسمك دون أن يذكر اسميهما.

2 ـ القائمة الرسمية: 50 خيمة. تيرييه، ص64: فلاحون، ولكنهم يملكون ثلثي الأراضي التي يزرعونها.

3 ـ شوماخر، الجولان، ص. 89 تيرييه، ص64: فلاحون.

4 ـ بوركهاردت، ص17 وما يليها. القائمة الرسمية، الجولان، ص92 وما يليها. تيرييه، ص64. كان اللويسية في الثمانينيات مربي ماشية وخاصة منها الأبقار، وهم لا يمارسون الزراعة اليوم أيضاً إلا بصورة جزئية. وينتقلون في

سنوات الجفاف نحو حدود الجيدور (كوم الويسية قرب جبا). وقد وجد شوماخر قسماً منهم في تل الفرس وسط النعيم، الذين يدفعون لهم مقابل حق الرعي.

5 ـ مايو، ص118. بوركهاردت، ص18: الجولان، ص87 وما يليها. وكانوا يصنعون في السابق سجاداً فاخراً.

6 ـ الجولان، ص91. تيرييه، ص67. قدم التلاوية في مطلع القرن التاسع عشر من غور بيسان (في فلسطين)، لذلك لا نعثر لهم على أثر لدى بوركهاردت. ثمة قسم آخر من القبيلة يسكن سهل الغوير على الضفة الغربية لبحيرة طبريا. زاد عدد التلاوية زيادة كبيرة منذ ثمانينيات القرن (من 50 إلى 400 خيمة)، بسبب ملائمة الأرض في منطقتهم. يقدر تيرييه ثروتهم الحيوانية بألف وأربعمائة جاموسة وخمسمائة رأس بقر وخمسين حصاناً.

7 ـ بوركهاردت، ص15، الجولان، ص86 (120 خيمة). تيرييه، ص69 (350 أسرة). حسب تيرييه، قدم الذياب من اللجاة، ويقال إن قبر أبيهم الأول ذياب موجود في جبل الدروز. ماشيتهم: 2000 رأس بقر، 2000 رأس غنم ومعز، 50 حصاناً.

8 ـ بوركهاردت، ص15 من كتاب: الجولان. ص86. شوماخر: عبر الاردن. ص12 تيرييه، ص66 (100 أسرة). فلاحو الأمير سعيد الجزائري. المواشي: 1000 رأس معز، 200 رأس غنم، 600 رأس بقر.

سردية

لقبيلة السردية الصغيرة ماض مجيد. فقد كانت على قدر عظيم من الجبروت في حوران والمناطق المحاذية لها جنوباً، وامتلكت حق مرافقة قوافل الحجيج وغيره من الامتيازات، إلى أن سلبتها عنزة مكانتها هذه في نهاية القرن الثامن عشر.

ليس هناك معلومات مؤكدة حول أصل السردية، مع أن صيحة المعركة لديهم "شمّا بنجا! " تشجع على القول بوجود صلة ما بينهم وبين آل (بني) شمّا، الذين سكنوا حوران في العصر الوسيط المتأخر[1]، حيث نقابل السردية هناك لأول مرة في بدايات القرن السابع عشر.

آنذاك، كانت حوران تحكم على يد المفارجه[2]، القبيلة التي لا نعرف عنها غير أنها كانت تابعة ذات يوم للمرا أنظر 505 وما بعدها، وأن زعيمها عمرو البدوي حمل لقب شيخ حوران ومارس استقلالاً جزئياً، ودان بمكانته للأمير فخر الدين الدرزي[3]،

---

(1) أصل غامض بدوره. أقدم شاهد، الحمداني (قلقشندي، ص252) يسميهم حلفاء ربيعة (طي السورية). إحتسبوا فيما بعد على هذه، على آل عامر (سبائك الذهب)، ص61. أو على المرا، (قلقشندي، ص91، 97).

(2) قلقشندي، ص97 مفارجة: جهان ـ نامة، ص554، 584: مفالجة، نيبور، جزيرة العرب، ص396: مفارقة.

(3) محبي، الجزء الرابع، ص433. تابع الجزء الثالث، ص137.

الذي كان له نفود كبير في سورية تلك الأيام. عندما قررت الحكومة عام 1613م الإطاحة بفخر الدين، بدأت بعزل أنصاره في الأقاليم، ومنهم عمرو البدوي، الذي سُلّم منصبه لشيخ السردية رشيد.

بعد انفجار الأعمال العدائية، قاتل السردية إلى جانب الأتراك، بينما قاتلت المفارجة إلى جانب الدروز[1]. وقد دارت رحى الحرب بين القبيلتين في عجلون، ومع أن السردية نجحوا في دحر أعدائهم بعيداً إلى الجنوب، حتى قصر شبيب[2] وقلعة الزبيب[3]، فإن المفارجة أفلحت آخر الأمر في التغلغل شمالاً، إلى أن بلغت موطنهم من جديد، بعد أن تاهت بها الدروب فترة طويلة[4].

بالنظر إلى أن الحرب كانت قد حسمت لغير صالح الدروز في هذه الأثناء، فإن عودة القبيلة لم تغير شيئاً في علاقات القوى داخل حوران. ولكن ما أن عاد فخر الدين إلى الحكم (1618م) حتى سحب لقب شيخ حوران من شيخ السردية رشيد، وأحلّ عدوه عمرو محله. فلجأ رشيد إلى أمير الموالي مدلج، وظهر عام 1623م من جديد في عجلون. أخيراً، عجز رشيد عن الصمود في وجه المفارجة، فأعلن خضوعه لفخر الدين، الذي منحه مبلغاً كبيراً من المال[5].

بعد سقوط فخر الدين عام 1633م عاد الحلف القديم ـ السردية مع الأتراك والمفارجة مع الدروز ـ إلى الظهور من جديد. أما حقيقة أن المفارجة اختفت منذ تلك اللحظة من التاريخ (لم يذكرها أحد بعد ذلك باستثناء نيبور)، فتفسر بواقعة أنها قاسمت أمير الدروز مصيره.

هذا التبدل الجديد في علاقات القوة، نقل امتيازات المفارجة إلى السردية،

---

(1) أخبار الأعيان، ص255.

(2) حسب دوتي، الجزء الأول، ص13 = قصور بشير شمال شرق الكرك.

(3) خان الزبيب في الخارطة. يذكر في أخبار الأعيان، ص260 باسم قصر الزين.

(4) في تدمر، رجوا أمير الموالي فياض منحهم حق الإقامة في منطقته، فوافق شريطة تسليم الأمير علي ابن فخر الدين الموجود معهم. رفض المفارجه طلبه، وساروا نحو الغرب، فنهبوا معسكر تركمان قرب القريتين، وفروا إلى اللجاة بعد اشتباك مع القوات التركية.

(5) أخبار الأعيان، ص285، 297، 303، 305، 315، 318، 326.

التي وحد شيخها من الآن فصاعداً لقبي شيخ حوران[1] وشيخ الشام[2] في شخصه. ويبدو أنه كان بوسعه فرض ضرائب بصفته شيخ حوران[3]، في الوقت الذي كان فيه بصفته شيخ الشام، القائد الطبيعي لقافلة الحج، التي قدم لها الجمال بسعر محدد، وقادها إلى أعماق الجنوب (معان ومدائن صالح)، مقابل الصرة والعطاءات الشرفية المألوفة[4]. هذان المنصبان ليسا، بالمناسبة، مستحدثين في القرن السابع عشر، فقد تمت بالتأكيد وراثة حقوق سيادة البدو على حوران من أمراء المرا، التي كان من بينها أيضاً بدايات حق مرافقة قافلة الحج.

بقدر ما أعطى هذا الحق من نفوذ لحامله، بقدر ما كان خطراً عليه، لأن السلطات كانت تحمّل شيخ الشام مسؤولية الإعتداءات التي تتم في منطقته. ولا ندري بأي حق يحملونه هذه المسؤولية تجاه جشع الموظفين وضعف أمانة البدو. ولا بد أن أسباباً وجيهة دفعت حمد بن رشيد ـ حفيد أول زعيم معروف للقبيلة ـ إلى الإعتداء على قافلة الحج، رغم أنه كان صديقاً لقائدها، الذي غضب جداً إلى درجة ترك معها مركزه وعبأ جيشاً بامكاناته الخاصة لمحو العار الذي لحق به. لكنه هزم في الزرقا وقتل في المعركة (1081هـ ـ 1670م). أما حمد بن رشيد، الذي أمعن في ندب خصمه القتيل[5]، فقد فقد طبعاً منصبه لكنه نجا من جميع الملاحقات

---

(1) بوركهاردت: ص13، شيخ الحوران. روبنسون، الجزء الثالث، ص915: شيخ عرب حوران. لابل إن مرادي، الجزء الثاني، ص63 يسميه: أمير بلاد حوران.

(2) أرشيف عثمان باشا، رقم 64. راشد، الجزء الأول، ص255. مايو، الجزء الأول، ص110 (لأن عرب البادية الرضية هم طبعاً السردية). قارن ألقاب أمير بادية الشام، محبي: الجزء الثاني، ص133، وشيخ عرب الشام، جور، الجزء السابع، ص67.

(3) حتى زمن بوركهاردت، كانت ضرائب بعض قرى حوران تمر بين يديه (رحلات في سورية، ص302).

(4) أرشيف عثمان باشا رقم 64. راشد: الجزء الثاني، ص43 و68 وفولني: رحلة إلى سورية ومصر في أعوام 1783م، 1784م، 1785م، الجزء الثاني. ص205 ـ بلغت الصرة 18300 قرش عام 1676. عند راشد يحمل شيخ الشام أسماء غريبة: سائمة شيخى وصالمة شيخى. يورد بوركهادرت تفاصيل حول اللقب الأول في رحلات في سورية، ص245.

(5) وثيقة من عام 1089هـ/ 1678م، أرشيف عثمان باشا رقم 60، تذكر شيخاً اسمه الشيخ واكد (النص: واكت) في منصبه. المرجع ذاته رقم 50 يذكر اسم ابن أخ لرشيد اسمه كنعان.

التركية. إلا أنه قتل بعد تسعة أعوام أثناء رحلة إلى بغداد[1].

يبدو أن التدبير الذي اتبع حيال الشيخ كليب، أحد أخلاف حمد[2]، أشد إثارة للإستنكار، فقد اتهم بتنظيم غزوات تعرض الحجاج لها في سنوات القرن الثامن عشر الأولى (1112، 1113، 1115 للهجرة). لكن التهمة كانت ظالمة، كما يخبرنا مؤرخ الإمبراطورية راشد (الجزء الثاني، ص43 و68) وكما يتبيّن من سلوك أمير الحج، الذي رفض المشاركة في سعي باشا دمشق(فراري حسين) إلى القبض على كليب. نفذ الباشا ما كان قد عزم عليه، إلا أنه فقد حياته خلال ذلك، لأن قواته تخلت عنه (1705)م. إنتقم الأتراك عام 1709م لموته، فقتلوا كليب دون سابق إنذار، خلال مفاوضات سلمية كانوا يجرونها معه. فيما بعد، بقيت أسرته موضع شك، واتهم أخلافه بالمشاركة في الكارثة التي نزلت عام 1757م بالحجيج[3].

لا نعـرف للأسف أحوال القبيلة آنذاك ومنطقة انتشارها، وإن كنا نرجح أنها كانت تقضي الصيف في النقرة، والشتاء بعيداً إلى الجنوب، وأن غزواتها قادتها إلى الحجاز[4]، حتى إن بني صخر في البلقاء والحمايدة في الكرك دفعوا خوّة لها.

إستمر موقع القوة الذي كان للقبيلة قرابة مائة وخمسين عاماً. لكن بني صخر نفضوا نيرها عنهم في وقت مبكر. وحين سكنت عنزة سهل حوران، كان مصير القبيلة قد حسم، فانتقل حق مرافقة قافلة الحجيج والمهام المرتبطة به إلى ولد علي حتى قبل عام 1800م[5]. ورغم أن زعماء السردية حافظوا أول الأمر على لقب شيخ

---

(1) محبي، الجزء الرابع، ص434 وما يليها.

(2) فان اجموند ان هايمان، رحلات (بالهولندية)، الجزء الثاني، ص33. جور، الجزء السابع، ص67، وكذلك في المرجع ذاته فهرس الوثائق رقم 2154.

(3) نقولا الصباغ: تاريخ الشيخ ضاهر عمر، ص78.

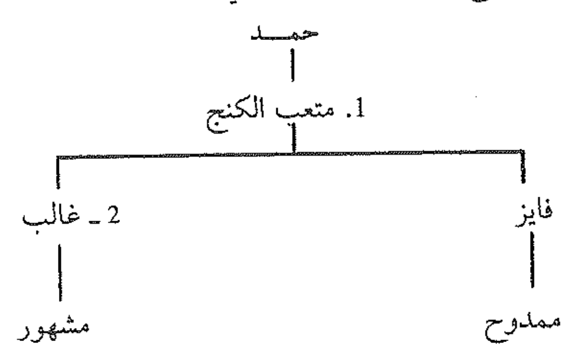
(4) جهان ـ نامة، ص570: حتى العلا.

(5) جدول غير صحيح لدى شبرنغر، رقم150.

حوران، وتلقوا عباءة شرفية وأسلحة خلال الاحتفالات السنوية بتجديد منحهم اللقب، وقدموا بالمقابل فرساً إلى والي دمشق مشفوعاً بتعهد يلزمهم تقديم قوات محاربة عند الضرورة، وواصلوا أخذ الخوّة من قرى النقرة، والجولان، وعجلون، وبعض قبائل جبال حوران[1]، فإن هذه الحقوق جميعها ضاعت في مجرى القرن التاسع عشر، وتقلص عدد السردية أكثر فأكثر، إلى أن سحقوا أخيراً بين الرولة وبني صخر.

يخيم السردية الآن في مداخل حوران الجنوبية من أم الجمال إلى الأزرق والحرة شتاء. ويأتي قسم منهم صيفاً إلى الحد الغربي من منطقة الدروز، أي إلى منطقة الإنتداب الفرنسية، وقسم آخر إلى وادي الأردن والبلقاء. وتعتبر بصرى سوقهم. وهم يعيشون الآن بصحبة بني صخر، بينما تقوم عداوة قديمة بينهم وبين الرولة.

ليست أسرة شيوخ السردية معروفة إلا في أجيالها الأحدث[2].



(1) بوركهاردت، ص13، وكذلك رحلات في سورية، ص307. روبنسون، الجزء الثالث، ص915.

(2) إلى جانب الشيوخ المذكورين في النص نستطيع معرفة أسماء بعض الشيوخ الأقدم (جدول لامارتين على سبيل المثال. وموزيل: الرولا (الرولة)، ص532. وايزابيل بورتون: الحياة الداخلية، الجزء الأول، ص69). لكنه من غير الممكن مع ذلك وضعها ضمن سياق مترابط من النسب.

قتل متعب الكنج، الذي عرف بقوته البدنية الخارقة، في معركة ضد بني صخر. وهو يلعب دوراً غامضاً في قصة حب بطلاها شقيقته-قطنة وشيخ من بني صخر هو طراد بن زبن[1].

ترجع المشيخة الآن إلى مشهور، حفيد متعب. لكن خلف الكليب، الوصي حالياً عليه، هو الذي يتولى الحكم.

(1) معروضة بطريقة تخيلية لكنها جذابة لدى سيبروك: مغامرات في جزيرة العرب، نيويورك 1927م، الفصل السابع "من أجل عيون قطنة".

الفحيلي

كانت قبيلة الفحيلي الصغيرة على صلة وثيقة في الماضي مع السردية وقد تحدثنا عنها في مقال عرب اللجاه وعرب الجبل. ظهر الفحيلي بدورهم أول مرة عام 1613م، ونعتقد أن الحقوق الضريبية، التي كانت لهم حتى في بداية القرن التاسع عشر على قبائل اللجاة[1]، هي العطاءات التي منحهم إياها الأتراك مقابل خدماتهم ضد الأمير فخر الدين. ويبدو أن الفحيلي طردوا في أواسط القرن الماضي من حوران، لذلك لم يعثر ستوبل (1882م) عليهم هناك. ويقال إن أسرة أمرائهم انقرضت[2]، وأن بقية منهم تقدر بأربعين خيمة تسكن الزاوية، إلى الجنوب من فيق[3]

---

(1) بوركهاردت، ص13. روبنسون، الجزء الرابع، ص915. يقدر بوركهاردت عدد فرسان الفحيلي بمائتي فارس.

(2) ثمة ملاحظة على جانب من الأهمية ترد في الحولية المذكورةفي الصفحة 223 أعلاه، تقول إن أمير اللجاة طلي بيكه (1234هـ/ 1819م) وقف إلى جانب الحكومة بمناسبة الاضطرابات التي انفجرت في ديار بكر. هذا الأمير لابد أنه كان منفياً إلى هناك.

(3) ف. ج. بيكه: تاريخ شرقي الاردن وقبائلها، ص236، 271.

السردية(1)

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ الكنجة (الكليب)(2)	ممدوح ابن فايز	مداخل حوران الجنوبية	150
2 ـ العون	كليب العون		
3 ـ الفواز(3)	مشهور ابن غالب		

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تابع: تيريبيه، ص196 وما يليها. ـ التقسيم الأقدم: الظاهر والواكد. سيتزن، الجزء الأول، ص46. بوركهاردت، ص13، جرماني، ص141: صرخة الحرب: شما بنجا!.

2 ـ هذا يعني بالتأكيد أخلاف (متعب) الكنج، أي أسرة الشيوخ. أما الاسم الثاني، الكليب، فهو مشتق من اسم شيخ مشهور يعود إلى القرن الثامن عشر.

3 ـ يشكلون نواة القبيلة (العون هم من الضفير). أما فواز الذي أعطاهم اسمه، فيجب اعتباره لهذا السبب أباً أول لقبيلة السردية (أنظر مقالة صقر في قسم فلسطين).

إضافات وتصحيحات

أثناء طبع الكتاب صدر في بغداد (1937م) الجزء الأول من كتاب شامل بعنوان «عشائر العراق» لعباس العزاوي. وهو يحتوي عنزة وشمر وقبائل أخرى. من الناحية المبدئية لا يضيف عزاوي أي جديد على ما جاء في الكتاب الذي بين أيدينا، لا إلى الجانب التاريخي، الذي لا يحظى باهتمام كبير عند العزاوي[1]، ولا إلى تقسيم القبيلة وتفريعها. لكنه يضيف بعض التفاصيل التي حصل على بعضها باستطلاعاته الشخصية وعلى بعضها الآخر بالاستفادة من مراجع لم تكن متوفرة لنا، ومنها: مطالع السعود[2] لعثمان بن سند، وهو كتاب يعالج تاريخ العراق من عام 1188هـ/ 1774م حتى عام 1242هـ/ 1826م.

استعمل العزاوي أيضاً مخطوطات وأعمالاً غير مطبوعة هي: قائمة شبرنغر الأصلية، مشروع كتاب بعنوان تاريخ بغداد لمحمد شكري الألوسي (توفي 1924م)، قائمة للقبائل العراقية أعدها سيد مهدي القزويني (توفي 1883م)، وكتاب عنوان المجد في تاريخ بغداد والبصرة ونجد (اكتمل عام 1875) لابراهيم فصيح الحيدري، الذي تبين أن مقاطعه ذات الصلة بموضوعنا ما هي إلا تحسين فاشل

(1) بخصوص المسائل التاريخية يحيل العزاوي قراءه إلى كتابه: تاريخ العراق بين احتلالين، الذي صدر منه حتى الآن جزءان.

(2) أصدره أمين بن حسن الحلواني المدني (بومباي 1903م) في حلقات وصلت حتى عام 1831م.

لكتاب القلقشندي عن البدو وتدقيقه العلمي على يد السويدي.

الصفحة 159 ملاحظة رقم 1 سطر 3: من شجرة نسب العزاوي، الجزء الأول ص292، التي طبعت للأسف بطريقة غير ناحجة، لا وجود للثلاثة، إلا أنه يوجد خط جانبي للأسرة اسمه آل عبد الله (نفس المصدر، ص268)، سمي باسم عبد الله بن ماجد بن عبد الله بن هذّال.

الصفحة 159 ملاحظة رقم 1 سطرة 4، 5: الأخوة الثلاثة الأخيرون يؤكدهم عزاوي (ص268 = آل تامر).

الصفحة 158، السطر 6 «سهيل»: يؤكدها عزاوي.

الصفحة 158، السطر 9: بدلاً من جمعة يذكر عزاوي، ص291، انظر 268: جعثين، جد فرع من حبلان يحمل الاسم نفسه.

الصفحة 157 ، المقطع الثالث: جزاع بن مجلاد يقيم الآن دوماً في نجد، عزاوي ص277.

الصفحة 160، السطر 18: حسب العزاوي، ص290، لا يتعلق الأمر بعبد الله المذكور في شجرة النسب (الواردة عندنا) وإنما بحفيد له ذكرناه قبل قليل، وهو عبد الله بن ماجد بن عبد الله.

الصفحة 187: عزاوي، ص278: فرحان بن فهد بن برجس [. . .] بن مشهور.

الصفحة 200، باء 1 حويّك: عزاوي، ص281: حويكم.

الصفحة 202 211أ المشادقة: موزيل ، صحراء العرب، ص84، أيضاً "المشاذة"؛ عزاوي، ص287 المشاذجة.

الصفحة 203، III 2: تقرأ السرحان بدلاً من وسرحان).

الصفحة 204، III 4 ل تقرأ العيوينان (بدلاً من عوينان).

الصفحة 208 ملاحظة 12 «لايدا»: عزاوي، ص266: الحيدة.

الصفحة 210 السطر 4 ضع بعد «خليفته»: (بدلاً من6).

الصفحة 212 ملاحظة 46، 48: حسب العزاوي، ص273، يشمل العلي الأفخاذ أ، ب، ز. (الصرمة، الجميزات).

الصفحة 244 ، السطر 4 من الأعلى؛ العزاوي، ص145: قرينس، ص148، قارن ص133: گرينص.

الصفحة 245، السطر 2: أخلاف فاضل يسمون نسبة إلى أبيه آل عمرو، عزاوي، ص143، 167.

الصفحة 245 السطران 3 ـ 4: أخلاف سلطان يسمون آل فهد، عزاوي، ص133، 168 (فهد هو عند العزاوي ليس ابن سلطان وإنما أبوه).

الصفحة 247، الملاحظة 3: أخلاف محمد يسمون آل فارس، عزاوي، ص168 وما يليها. عندما تأخذ الخطوط الرئيسية للعائلة أسماء خاصة بها كما هو الحال هنا مع آل عمشا وآل فرحان، يبقى غالباً اسم الجد الأول ملتصقاً بخط فرعي.

الصفحة 254، (أ، ب) مجرّش: عزاوي، ص184، عجرش.

الصفحة 255 ـ غضوىٰ: عزاوي ، ص185: غديف أبو ألوأ (بالوأ).

256 ـ (ب 1 جـ 2) قتادة: عزاوي، في أماكن متفرقة: چداده.

الصفحة 257 ب3 د1: عزاوي، ص221: الوبير.

الصفحة 258، السطر6: الزيدان هم خط جانبي قديم من آل محمد، عزاوي، ص153، 167 وما يليها.

الصفحة 270، المقطع الأول: لا نجد مكاناً مناسباً لتصنيف شيخ اسمه بهيج، يعتبره السنبس جدهم الأول. في روايات شمر يرد ذكره كصاحب حصن

في وادي عقده (جنوب غرب حايل) وينسب مرة إلى العبيد ومرة أخرى ببساطة إلى الزبيد. انظر مونتانيه.

في مجلة الدراسات الشرقية الجزء الخامس، ص43، 47، 67؛ عزاوي، ص129. من الممكن أن لا يكون بهيج شخصية حقيقية وإنما شخصية روائية مأخوذة من قصص بني هلال أو من قصص مشابهة لها. وقد ذكر مونتانييه، نفس المصدر السابق، ص64، معلومات قيمة عن تأثير هذه القصص على ما يرويه البدو عن أنفسهم وعن تاريخ قبائلهم.

الصفحة 281، المقطع 2: لاحظ مونتابيه، نفس المصدر السابق، ص45، 57:

dentaires qui Veulent pe donner une origine honorable se|Les Sewi - s
.«Zobeid» sentent comme des|pr

الصفحة 308، جيم: عاصي العلي: يقال إنه قتل في 20 ـ 2 ـ 1939م على يد شيخ شمر سعدون بن الحميدي[1]، الذي أراد بذلك الانتقام لأخيه ضاهر الحميري الذي قتل عام 1921م. وفي هذه الأثناء راح رجل آخر ضحية هذه الثارات هو شيخ شمر فيصل الفرحان (انظر الصفحة 241 أعلاه) الذي قتله العبيد بعد وقت قصير من مقتل عاصي العلي.

الصفحة 422، تعبير عرب الجبل يرد ذكره عند ابن طولون، ص41.

عن الخريطة "مناطق تنقل البدو"

في الخريطة تركنا الأسماء التالية: عزاز، تل عفر، سامرّا، دياله، مكتوبة بالطريقة المألوفة ولكن غير الصحيحة. أما في النص فقد استعملنا الطريقة

---

(1) انظر الصفحة 241 أعلاه (والملاحظة 3، ص242 أعلاه). كلاهما مذكوران في مشجرة النسب الكبيرة لأسرة شيوخ شمر. أما اسم أبوهما الحميدي فقد سقط سهواً ولم يذكر في النسخة الأصلية، وبالتالي، ولا في المستنسخة أيضاً.

الكلاسيكية: اعزاز، تل أعفر، سامراء، ديالا. بدلاً من كنسرين إقرأ قنسرين، بدلاً من خن شيخون، إقرأ خان شيخون، بدلاً من سلميّا إقرأ سلميّة، بدلاً من الراق إقرأ الرواق، بدلاً من البُلي إقرأ البُلَيْ، بدلاً من الكعره إقرأ القعرة، بدلاً من وادي هوران إقرأ وادي حوران، بدلاً من إربل إقرأ إربل، بدلاً من العيث إقرأ العيط، بدلاً من خبره (شرح الرموز والاختصارات) إقرأ خبرا.



Schreibweise in Arabisch fast exakt ablesen kann.

Trotzdem erforderte es grosse Aufmerksamkeit bei der Wiedergabe der Namen in Arabisch.

Herr Shubber hat alle Namen und alle von Oppenheim selbst in Arabisch geschriebenen Texten (Dichtungen, Sprüche, Kriegsrufe, usw.) kontrolliert und sich von der Richtigkeit der Wiedergabe überzeugt.

Abschliessend kann man sagen, dass das Buch in bester Form in Arabisch erscheinen wird.

Sprache zu veröffentlichen. Er hat u.a. fogende Arbeiten geleistet.

1.Kontrolle und Übersetzung der vom Autor benutzten Quellen und angeführten Zitate in Fremdsprachen, derjenigen in englicher und arabischer Sprache Selbst, in anderen Sprachen (wie Französisch, Türkisch, Persisch) mit Hilfe von Kennern der jeweiligen Sprache.

2.Hinzufügung von Fussnoten und Kommentaren,

insbesondere in den Bänden II, III und IV, um viele Begriffe zu erläutern und für den arabischen Leser ver-

ständlich zu machen.

3.Korrektur der im Originaltext unzutreffenden Angaben

(die allerdings nur selten vorkommen) durch Fussnoten

mit der Erwähnung der dies bestätigenden Quelle.

Herr Shubber hat ferner eine ausführliche Einleitung geschrieben, die für das Verständnis und die Handhabung des Werkes in arabischer Sprache von grosser Bedeutung ist. Die Einleitung besteht, zusammengefasst, aus folgenden Hauptpunkten:

1)ausführliche Vorstellung des Verfassers und seines Werkes.

2)Erläuterung der hervorragenden Stellung des Werkes unter den anderen Büchern über die Beduinen.

3)Erklärungen zur Handhabung und Verständlichkeit des Werkes, sowie der Zusammenhänge der verschiedenen Stämme. Dafür war besonders die genaue und mühsame Wiedergabe der Karten und Stammbäume erforderlich.

Max Freiherr von Oppenheim hat, wie kein anderer vor ihm (oder nach ihm), eine grosse Leistung vollbracht, in dem er die Namen aller Stämme und ihrer Scheiche, sowie ihrer Wandergebiete in einer Form (in lateinischen Buchstaben) umschrieben hat, dass man davon die richtige Aussprache und

Damaskus. Seit 1987 lebt er wieder in Deutschland. In dieser Zeit hat er sich besonders mit Übersetzungen von der deutschen in die arabische Sprache befasst. Er übersetzte mehrere Sachbücher, darunter:

-Totem und Tabu (Sigmund Freud).(gemeinsam mit

-Bu Ali Yassin)

-Im Anfang war der Wasserstoff (Hoimar v. Ditfurth).

-Abdulla Al-Qassimi: vom Fundamentalisten zum

-Atheisten (Jürgen Wasella).

Seit 1990 übersetzte er Publikationen des Bundespresseamtes der Bundesregierung in arabischer Sprache, vor allem:

-die zweimonatige Zeitschrift "Deutschland".

-das jährlich erscheinende Buch "Tatsachen über

-Deutschland"

-andere Publikationen der Bundesregierung und des

-Auswärtigen Amtes (in den 90er Jahren).

3.Majed N. Shubber (Schriftsteller und Forscher aus dem Irak, lebt in London). Herr Shubber hat mehrere Bücher in arabischer Sprache veröffentlicht, u.a.

-Volksdichtung im Irak.

-die irakische Volksmusik (Folklore).

-Volkserzählungen im Irak.

-die Revolution des 14.Juli und ihre sozialen

-Auswirkungen

Er ist der Fachmann für die Folklore und volkstümliche Literatur, vor allem bei den Beduinen. Seit 20 Jahren beschäftigt er sich intensiv mit ihrer Geschichte, Abstammung, Lebensweise, usw. Die Tatsache, dass er als eine Kapazität auf diesem Gebiet gilt, hat entscheidend dazu beigetragen, dass der arabische Verlag es wagte, dieses grosse Werk in arabischer

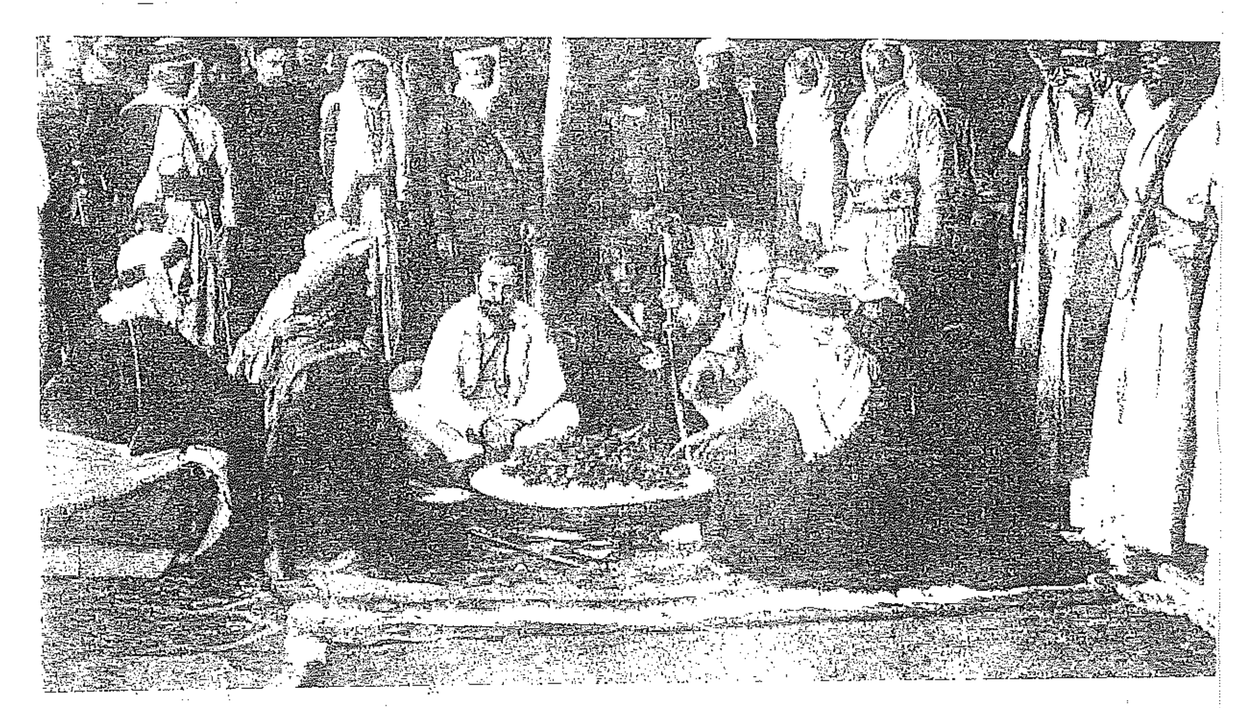
Kurzgefasste Vorstellung des Buches, seiner Übersetzung und wissenschaftlicher Bearbeitung sowie seiner Übersetzer in die arabische Sprache

Keine Beschreibung des Buches wäre treffender als die seines Verfassers selbst. Im Vorwort des 1.Bandes schreibt Max Freiherr von Oppenheim: "Das vorliegende Buch "die Beduinen" stellt das Ergebnis vierzigjähriger Arbeiten und persöhnlicher Aufnahmen an Ort und Stelle dar". Und selten hat sich jemand mit dem Orient beschäftigt wie Oppenheim. Jahrzehntelang verbrachte er in der Region und sammelte an Ort und Stelle Material und Erfahrungen für seine Bücher, vor allem für "die Beduinen". Trotzdem wurde sein einmaliges Werk in die arabische Sprache bislang nicht übersetzt.

An der Übersetzung, Kontrolle und wissenschaftlicher Bearbeitung des Werkes beteiligten sich mehrere Personen, die sowohl in der Übersetzung als auch im Verständnis beider Kulturen (der arabischen und der westlichen bzw. deutschen) langjährige Erfahrungen haben. Von diesen Personen sind vor allem folgende hervorzuheben:

1.Michel Kilo (übersetzte Band I gemeinsam mit M.Kabibo), syrischer Journalist, lebt in Damaskus (Syrien). Herr Kilo studierte in den 60er Jahren an den Universitäten Kairo und Münster (Westfalen) politische Wissenschaften, sowie Journalismus an der Universität München.

2.Mahmoud Kabibo (übersetzte Band II, III und IV und teilweise Band I). Herr Kabibo studierte an der Rheinischen Friedrich-Wilhelms-Universität Bonn (1963 - 1968) Volkswirtschaft. 1969-1987 arbeitete er in Syrien und übersetzte Studien, Presseberichte usw. für verschiedene Zwecke und Stellen u.a. für die Botschaft der Bundesrepublik Deutschland in



في خيمة سطام بن شعلان . المؤلف في وسط الصورة (1899م)

مسلط باشا مع عائلته ، شيخ مشايخ الجبور (1929م)

هجر ابو وتد (في الوسط) شيخ فداغة ـ شمر (1911م)

سباط ـ الولدة (1911م)